

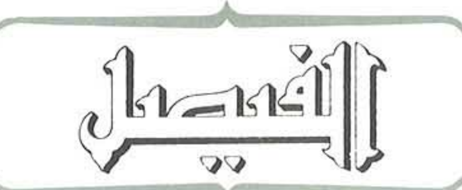
مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 21 FEBRUARY 1979

العدد (٢١) - ربيع الأول ١٣٩٩ هـ/فبراير ١٩٧٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

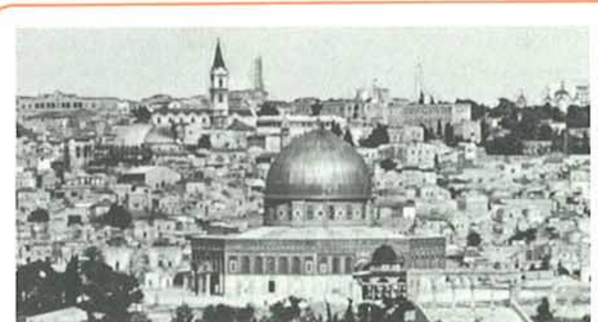


مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير
علوي طه الصافي

العدد (٢١) ربيع الأول ١٣٩٩ هـ فبراير ١٩٧٩ م

هذا العدد

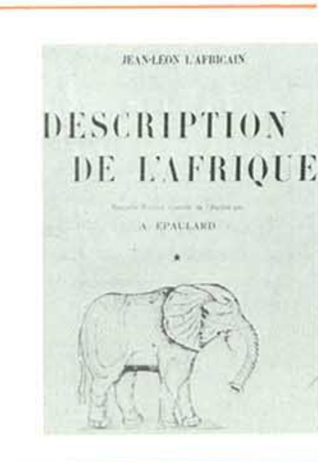


★★ على كثرة ما كتب عن القدس فإنها تظل مدينة تاريخ لا ينتهي، وأرومة عربية متجددة، ووجهاً إسلامياً يتلألأ سلاماً، وعدلاً، وإيماناً.. وستظل القدس كما كانت مدينة عربية إسلامية.. ومدينة للسلام.. رحلة مع تاريخ القدس (ص ٣٥) ★





★★ اللوتس.. ليست مجرد زهرة من زهور الأرض.. بل جزء من تاريخ بعض الشعوب ومعتقداته، ولها أهميتها الطبية، والغذائية عند الشعوب القديمة، أشار إليها هوميروس في الأوديسة.. (طالع ص ١٣٤) ★



★ كان مسلماً، جرى وراء المعرفة فجاس خلال بلاد عديدة، في إحدى رحلاته البحرية قبض عليه القراصنة الطليان، وأخذوه إلى روما وقدموه هدية مع زرافة إلى البابا «ليون العاشر» الذي أجبره على اعتناق النصرانية، وأصبح يسمى «ليون الإفريقي» بعد أن كان يسمى «الحسن بن محمد الوزان الزياتي»، ألف كتاب «وصف إفريقيا».. ماذا عن الوزان.. وكتابه هذا.. إنها قصة مثيرة (ص ٨٣) ★

من كتاب هذا العدد

من كتاب هذا العدد

من كتاب هذا العدد





★ أكبر أنجال الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله .

★ من مواليد مدينة الرياض .

★ تلقى تعليمه في الحجاز .

★ تقلد عدداً من المناصب الكبيرة ، فقد تولى نيابة الحجاز عن والده ، كما تولى منصب وزير الصحة ، ووزير الداخلية .

★ في عام ١٣٧٨ هـ تفرغ لأعماله التجارية ، إلى جانب الانكباب على القراءة ، والاطلاع ، وأصبح مجلسه منتدى لرواد الأدب والصحافة .

★ شاعر .. وناثر .. صدر له ديوان «وحي الحرمان»

★ لاقت قصائده الشعرية صدى واسعاً في أوساط الأدب العربي ، وكتب عنها عديد من النقاد ، كما شدت ببعضها أصوات الغناء العربي الكبيرة مثل قصائده «ثورة الشك» ، «سمراء» ، «من أجل عينيك» ، «يا مالكاً قلبي» .

★ قال الشعر النبطي «وهو شعر بادية الجزيرة العربية» ، وسوف يطبع ديواناً له .. كما سيطبع قريباً ديواناً آخر من شعره الفصيح .

★ تربطه صداقات متينة وحميمة بأغلب رواد الشعر العربي ، والصحافة .

★ وهو إلى جانب عمله التجاري ، ونشاطه الأدبي يشغل حالياً منصب رئيس مجلس أمناء مؤسسة الملك فيصل الخيرية .





د. أحمد سعيدان

★ من مواليد مدينة «صفد» في فلسطين عام ١٩١٤ م .

★ دكتوراه في تاريخ الرياضيات .

★ عمل أستاذاً في الرياضيات ، وعميداً لكلية العلوم في الجامعة الأردنية .

★ اشترك في عدد من المؤتمرات العلمية .

★ له مجموعة من البحوث في تحقيق المخطوطات العربية الرياضية ، وله أيضاً مؤلفان بالعربية ، وثالث بالانجليزية .

★ عضو مجمع اللغة العربية الأردني .

★ يعمل حالياً أستاذاً للرياضيات في الجامعة الأردنية .





★ من مواليد الخرطوم بحري ـ السودان .

★ ماجستير في الاقتصاد السياسي ـ جامعة ابردين باسكتلندا .

★ عمل في حقل التدريس ، وآخر عمل له كان أستاذاً للتاريخ الإسلامي بكلية الآداب بالخرطوم .

★ أسهم في تأليف مقررات التاريخ للمدارس .

★ عمل بوزارة المالية والاقتصاد ، ثم انتقل إلى وزارة الخارجية حيث عمل سكرتيراً أول ، ثم مستشاراً فوزيراً مفوضاً بسفارة السودان في لندن ، ثم رئيساً للقسم الاقتصادي بوزارة الخارجية .

★ كان عضو وفد السودان في دورات الجمعية العمومية للأمم المتحدة ، ومندوباً للسودان في المجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة لعدة سنوات .

★ اختير رئيساً للجنة المساعدات الفنية للأمم المتحدة .

★ آخر عمل قام به ممثلاً مقيماً لبرامج التنمية للأمم المتحدة في المملكة العربية السعودية ، والخليج العربي لمدة عشر سنوات ، ثم تفرغ للأعمال الحرة .

★ له كتاب مطبوع بعنوان «عشر سنوات مع الملك فيصل» ، وله مقالات وبحوث اقتصادية نشرتها الأمم المتحدة .





د. أوديت بيتي

★ من مواليد «Le caire» في فرنسا ١٩٢٦ م .

★ درست في «الليسيه» بالقاهرة ، وفي جامعة تونس ، والسوربون في باريس .

★ تخصصها «علم الاجتماع الإسلامي ، واللغة ، والحضارة العربية» .

★ تجيد العربية ، والفرنسية ، والانجليزية ، والإيطالية .

★ عملت مدرسة للغة العربية بالمدارس الثانوية في تونس ، وخبيرة بعلم الاجتماع في الجزائر للمناطق الصحراوية .

★ قامت بزيارة أغلب البلدان العربية .. واشتركت في عدد من المؤتمرات .

★ من مؤلفاتها كتاب يتضمن بحثاً مقارناً بين اللغتين العربية والفرنسية ، وتراجم لبعض الأعمال الشعرية والرواية من العربية إلى الفرنسية ، كما ألفت عن طه حسين .

★ تعمل حالياً أستاذة مساعدة في «الكوليج دي فرانس» بباريس .. كما تعمل خبيرة في وزارة الخارجية الفرنسية للشؤون المرتبطة بتعليم اللغة الفرنسية في البلاد العربية .

★ خصت مجلة «الفيصل» بموضوعها المنشور في هذا العدد عن «اللغة عند علماء العرب الأقدمين وعلماء الغرب» .

د. عبدالسلام الهرّاس

★ من مواليد مدينة شفشاون ـ المغرب عام ١٩٣٠ م .

★ دكتوراه الدولة ـ كلية الآداب ـ جامعة مدريد ـ إسبانيا .

★ أستاذ الأدب الأندلسي بكلية الآداب ـ جامعة محمد بن عبد الله ـ فاس .

★ رئيس قسم اللغة العربية وآدابها بنفس الكلية .

★ حقق عدداً من كتب التراث ، وله كتاب عن الأدب الأندلسي تحت الطبع .

★ نشرت له مجموعة من الأبحاث والدراسات في الأدب الأندلسي ، وبعض المقالات ، والقصائد الشعرية .

يعقوب محمد اسحق

★ من مواليد مكة المكرمة عام ١٣٦١ هـ .

★ بكالوريوس آداب اللغة العربية ـ جامعة الرياض .

★ نال شهادة الدبلوم العالي في التربية وعلم النفس ـ جامعة الرياض .

★ عمل بالتدريس مدة أربع سنوات .

★ كما عمل مراقباً إدارياً بفرع هيئة الرقابة والتحقيق بجدة .

★ يعمل حالياً رئيساً لتحرير مجلة (حسن) الأسبوعية للأطفال ، منذ صدورها .

★ له أربعة مؤلفات هي : (في التربية وعلم النفس ـ القائد في القواعد ـ تأديب الموظفين عند المسلمين بين الأمس والحين ـ الريال الاتحادي) .

★ فرغ من إعادة صياغة قصص : (كليلة ودمنة) ، بأسلوب عصري مصور بالألوان ، ستطبع خلال عام الطفولة الدولي .





★ من مواليد القاهرة عام ١٩٣٥ م .

★ دكتوراه الهندسة في العمارة ـ جامعة أخن ـ ألمانية الغربية .

★ عمل مهندساً في عدد من المصالح والهيئات ، كما عمل أستاذاً مساعداً بقسم الهندسة ، جامعة الاسكندرية ـ كلية الهندسة .

★ يعمل حالياً أستاذ تاريخ العمارة في كلية الهندسة المعمارية ـ جامعة بيروت العربية ، ومستشاراً علمياً للجامعة .

★ خبير استشاري غير متفرغ لمشروع تخطيط المدينة المنورة ، وخبير استشاري لمشروع ترميم مدرسة ومسجد الأمير مثقال مع المعهد الألماني للآثار .

★ له خمسة مؤلفات مطبوعة باللغة العربية ، وثلاثة باللغة الألمانية

* * من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحاً شهرياً لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب ، بل في «العالم» الانساني .

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا ، والله الموفق **

- اللغة العربية ، لغة العلم والتكنولوجيا عام ٢٠٠٠م .
- اكتشاف أقدم نص للكتابة العربية في العراق .
- مؤتمر للمرأة .. والطفل الفلسطيني .
- مؤتمر للجغرافيين المسلمين . ومعرض للخرائط والصور في مدينة الرياض .
- رسومات الأطفال .. في نتيجة حائط .. وطوابع بمناسبة عام الطفل .
- معرض للكتاب في الرياض يضم عشرة آلاف كتاب .

- يتحول إلى الرسم ، بحثاً عن الراحة من عناء الكتابة !
- اكتشاف مدينة تاريخية في الصين .
- معرض للخط العربي ، القديم والمعاصر في أمريكا .
- عقل الكتروني للترجمة من لغة لأخرى .
- اكتشاف نسخة نادرة من القرآن الكريم .

السعودية

معرض للكتاب بالرياض

افتتح بالرياض معرض الكتاب الذي نظمته إدارة المكتبات بوزارة المعارف بالتعاون مع دار المريخ للنشر لصاحبها عبد الله الماجد ، وقد احتوى المعرض على عشرة آلاف كتاب .. اشتركت في المعرض مجموعة دور النشر السعودية والعربية والعالمية ، بلغ عددها ما يقارب (١٢٠) داراً .

مؤتمر للجغرافيين المسلمين

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، قررت عقد **مؤتمر للجغرافيين المسلمين** يشترك فيه علماء الجغرافيا من مختلف أنحاء العالم الإسلامي .. وسوف يتم أثناء عقد المؤتمر ، تنظيم معرضين ، أحدهما **للخرائط الجغرافية** والصور والأشكال التوضيحية عن المملكة ، وبقية دول العالم الإسلامي .. **وخرائط التراث والرحالة المسلمين** ، والمعرض الثاني ، سيخصص **لكتاب الجغرافيا وما يتعلق به من علوم فرعية .**

معهد خاص للمبتعثين

هناك دراسات تتم بين الوزارات الحكومية المختلفة من أجل إيجاد معهد خاص للمبتعثين إلى خارج المملكة ، يمرون عليه قبل سفرهم .. وذلك من أجل معرفة مدى ملاءمة المبتعث .. وتقديم المعلومات والخدمات اللازمة عن البلد الذي يقصده ، وسوف يكون ذلك في دورات محددة ما بين ثلاثة إلى ستة أشهر .

كتب لأعضاء ندوة التوجيه التربوي

في الندوة التي أقيمت للتوجيه التربوي بالطائف ، أهدى نادي الطائف الأدبي للأعضاء الذين اشتركوا فيها **(٤٠٠) نسخة** من إصداراته المختلفة .

إهداء مكتبة

أهدى **فضيلة الشيخ إبراهيم فطاني** مكتبته إلى جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة .. وفضيلته ، واحد من القضاة والعلماء المعروفين بالمحكمة الشرعية ، والمكتبة التي أهداها ، تحتوي على مجموعة كبيرة من كتب تراث الفكر الإسلامي وجميع نواحي الثقافة والمعرفة .

الفن التشكيلي في شوارع جدة

ضمن عملية التجميل التي تستهدف الشوارع والميادين بجدة ، استخدمت البلدية عدداً من كبار الفنانين التشكيليين الايطاليين ومن جنسيات أخرى للاشتراك بأعمالهم في هذه الحملة .. وأول هذه الأعمال **«تكوين»** جميل الشكل يتم إعداده لوضعه في الحديقة المجاورة لجسر الأمير فهد بجدة .

مؤتمر للتنمية

مؤتمر المنظمة العربية الإدارية الذي عقد بالرياض ، تميز بدراساته وأبحاثه الجادة ، المتكاملة .. وهو يعتبر تجربة جديدة ، تؤكد اهتمام المملكة بالتنمية الإدارية ، فهي الأساس الذي تبنى عليه التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الدول العربية .

كتب جديدة

- **«صور عربية من إسبانيا»** تأليف **عبد الله الشهيل .**
- **«موت على الماء»** مجموعة قصصية للكاتب الشاب **عبد العزيز بشري .**
- **«رسالة الألوان»** تأليف **الإمام ابن حزم** ، وتحقيق مجموعة من الباحثين .
- **«رسالة امرأة تموت»** مجموعة قصصية ، تأليف **سليمان الحماد .**

- **«بلادنا والزيت»** يشترك في هذا الكتاب عدد من المفكرين .. من إعداد الشيخ **عبد الله بن خميس** . خمسة مؤلفات سوف يصدرها النادي الأدبي في الرياض ضمن نشاطه .
- **«المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية»** اشترك في إعداده مجموعة من العلماء والباحثين ، وكان المغفور له **الملك فيصل** قد أوصى بإنجازه .
- **«زهرة حنان»** ديوان من الشعر الشعبي النسائي **للشاعرة ريم الصحراء .**
- **«المملكة العربية السعودية»** دراسة ببليوجرافية إعداد **شكري العناني** ، الناشر «دار العلوم» بالرياض .
- **«الفناء الباقي .. في رباعيات الخيام وغرامه»** .. أو **«فلسفة الكوز»** ، تأليف أبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري ، بالاشتراك - تأليفاً - مع عبد الله الماجد .
- **«ديوان التميمي»** تأليف عبد الله بن علي بن صقية ، وهو ديوان من الشعر الشعبي ، الجزء الثاني ، بشرح **لأبي عبد الرحمن بن عقيل** ، ومقدمة **عبد الله بن خميس .**
- **«دراسات في الأدب العربي»** تأليف الدكتور **عمر الطيب الساسي .**
- **«المرشد إلى المنهل الصافي» لابن تغري بردي و«منال الطالب في شرح طوال الغرائب» لابن الأمير ، و«بحر الدم فيما أصابه أحمد بمدح أو ذم» لابن عبد الهادي ، و«غريب الحديث» للخطابي و«الأموال» للداودي و«أصول ابن اللحام» لابن اللحام البعلي الحنبلي و«بديع النظام» لابن الساعاتي الحنفي** . هذه الكتب التراثية ، يقوم مركز البحوث العلمي بكلية الشريعة بمكة المكرمة بتحقيقها ، يقوم بعملية التحقيق عدد من الباحثين في المركز .
- **«من شعر الشباب السعودي المعاصر»** دراسة نقدية من تأليف **أبي عبد الرحمن ابن عقيل** ، سوف يصدر قريباً .

فلسطين

محاضرة عن حقوق الفلسطينيين

ألقى الدكتور **إسرائيل شاهاك** ، أستاذ الكيمياء العضوية في عدد من الجامعات الإسرائيلية ، ورئيس لجنة حقوق الإنسان الإسرائيلية ، محاضرة في جامعة «بيرزيت» بعنوان «القضية الفلسطينية وحقوق الإنسان» ، وذلك بناء على دعوة من نادي دراسات الشرق الأوسط في الجامعة .
المعروف أن **شاهاك** من مؤيدي الشعب الفلسطيني في الوسط اليهودي ، وقد تعرض للاضطهاد والملاحقة مرات عديدة من قبل سلطات الاحتلال بسبب مواقفه السياسية والإنسانية .

معرض التراث الفلسطيني

بنادي الموظفين بالقدس ، أقيم بقاعته معرض للزي والتراث الفلسطيني ، وذلك ضمن الاحتفالات بأسبوع التضامن مع الشعب الفلسطيني ، كما ضم المعرض أيضاً ، بعض القطع الأثرية .

دار نشر لإحياء الفكر الفلسطيني

أسست في الناصرة دار جديدة للنشر باسم **«الصوت»** كمشروع غير تجاري ، وذلك بهدف إحياء الفكر الفلسطيني ، وقد تشكلت على الفور لجنة تأسيسية ، دعت لعقد اجتماعات تحضيرية ، تم خلالها وضع النظام واقراره .

كتب جديدة

- لجنة التراث الشعبي التابعة لجمعية الأسرة في مدينة **«البيرة»** الفلسطينية ، تقوم حالياً بإعداد قاموس باللهجة العامية الفلسطينية ، حيث يتولى أعضاؤها جمع الكلمات السائدة والبائدة للهجة العامية .
- **«أوراق شخصية للمناضلة دلال المغربي» من تأليفها ، وهي من مواليد (١٩٥٨م)** ، وقد قتلت خلال قيامها بعملية فدائية على الطريق الساحلي بين حيفا وتل أبيب .. والكتاب تتناول فيه «دلال» معرفتها لفلسطين المحتلة شبراً شبراً من خلال أحاديث والدتها وأقاربها .
- **«قصائد»** ، ديوان جديد للشاعر الفلسطيني **سالم جبران .**



اتحاد الكتاب الليبيين

في الجلسة العامة لاتحاد الكتاب الليبيين ، تم تثبيت الأديب خليفة محمد التليسي أميناً عاماً بالاجماع ، وبعضوية : عبد الله القويري ، وعلي مصطفى المصراطي ، ورجب الماجري ، وعلي خشيم ، وأمين مازن ، وأحمد الزوي .

معرض للفولكلور والتراث

أقيم في طرابلس ، مهرجان شعبي فولكلوري ، ضم العديد من الصناعات والحرف العربية من منسوجات ومشغولات وسجاد وخزف وسيراميك ، كما تم عقد ندوات ، دار النقاش فيها حول الصناعات الفولكلورية العربية .

أشرف على هذا المهرجان المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

مجلة للإعلام العربي

اللجنة التنفيذية للرابطة العربية لمعاهد التدريب والتدريس الإعلامي ، انتهت من اجتماعاتها بتوصية تدعو للتحضير بإصدار مجلة الإعلام العربي ، وقد اشترك من السعودية الدكتور محمد سعيد الشعفي ، وحمدي قنديل ممثلاً مراقباً لليونسكو .



معارض تشكيلية

في وقت واحد ، سوف يقام معرض تشكيلي مشترك بين سورية والعراق ، وهذه الفكرة ، تأتي معبرة عن استمرار التكامل الفني بين الفنانين السوريين وزملائهم العراقيين .

كما أقيم معرض للفن الهندي المعاصر ، وذلك ضمن إطار التبادل الثقافي بين سورية والهند .

كتب جديدة

● « **الصيادون ولعبة الموت** » مجموعة من القصص القصيرة (٢٢ قصة) ، تأليف **قمر كيلاني** ، الناشر : اتحاد الكتاب العرب بدمشق .. والمعروف أن قمر كيلاني ، قد كتبت من قبل في ميدان الرواية الطويلة ، روايتين ، هما « **بستان الكرز** » و« **أيام مغربية** » .

● « **أقوى من السنين** » مجموعة قصصية ، للكاتبة **وداد سكاكيني** .

● « **الحرب .. والفروسية** » اسم الكتاب الجديد الذي أصدرته وزارة الارشاد القومي ، وهو جزء مقتطف من « **عيون الأخبار** » **لابن قتيبة** ، ومن إعداد مديرية التراث العربي .

● « **ناظم حكمت شاعراً وإنساناً** » دراسة للقصاص السوري **حنا مينه** ، حيث يلقي الضوء على الشاعر وعلاقته بالمرأة ونظرته للحياة .

● « **الكتابة في دفتر دمشق** » مجموعة شعرية للشاعر **إسماعيل عامود** ، الناشر اتحاد الكتاب العرب .

● « **تعالي لنحيا معاً** » ديوان شعري للشاعر **فيصل قرقطي** ، الناشر ، وزارة الثقافة والارشاد القومي .

● « **وافيصلاه** » ديوان شعري ، للشاعر **فيصل بليبل** ، الناشر دار مجلة الثقافة .

● « **السيد** » مسرحية ، تأليف **عبد الفتاح رواس القلعجي** .

● « **سبعة أصوات خشنة** » مجموعة مسرحيات ، تأليف **وليد اخلاصي** .

● « **بيانات السريالية** » ، ترجمة **صلاح برمدا** .

مصر

رسومات الأطفال في نتيجة حائط

الرسومات التي رسمها الأطفال في مصر ، والتي فازت في المسابقات الفنية التي اشتركوا فيها ، انتهت مصلحة الاستعلامات لإصدارها في نتيجة حائط للعام الجديد ، متعاونة في ذلك مع المجلس الأعلى للفنون والآداب .

نـادٍ ثقافي جديد

تأسس في القاهرة « **نادي القصيد** » ، وذلك عقب الاجتماع الذي ضم عدداً من شعراء مصر ونقادها بدار الأدباء بالقاهرة ، وقد انتخب الشاعر **إبراهيم صبري** رئيساً للمجلس التأسيسي الأول للنادي .. والهدف الأساسي لإقامة هذا النادي ، هو النهوض برسالة الشعر العربي .. وحشد الطاقات الشعرية ، واحياء ذكرى الفحول من شعراء العرب ، وإصدار كتاب « **القصيد** » السنوي .. وإعداد موسوعة الشعراء التاريخية .

كلمة

رحم الله الفيصل

في وجدانه القدس .. وعيناه خارطة العالم الإسلامي وما عليها من بشر وأحداث .. وداخل عقله هموم أمته الإسلامية والعربية ، وآمالها وطموحاتها .. وقلبه يسكنه الإيمان ، وحب الخير ، والسلام . ومن خلال هذا كان يسعى بكل ما أوتي من صبر وجلد إلى تحقيق مجتمع الرخاء ، والعدل القائم على تعاليم الشريعة السمحة داخل بلاده في وجه المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية الساعية إلى قتل الروح ، وتحطيم الإنسان . وكان « موقفاً » صلباً تراجعت أمامه تيارات الفكر الداعية إلى التفلت ، و« سياجاً » صد رياح الدعوات الهدامة .

لقد كان « الإنسان » همه الأول ، ويأتي التصنيع ، والتنمية ، يأتيان كوسائل مساعدة لخدمة هذا الإنسان ، لأنه عايش الفترة التي حولت فيه الصناعة الإنسان في أوروبا وأميريكا إلى آلة ، وجعلته أداة مسلوبة الإرادة والإحساس تتحكم فيها عناصر الزمان والمكان ، ومنطق الربح .. والفائدة .

كره الشيوعية ، لأنها مذهب لا إنساني و« منافق » ، ظاهره الرحمة ، وباطنه العذاب ، وقد رأى بعينيه نتائج التجربة أثناء زيارته الأولى والأخيرة لموسكو منذ زمن طويل .. لقد كان الناس يتساقطون من الجوع ، والأمراض في الوقت الذي كانت المآدب الحافلة بالملذات من خيرات الشعب الروسي تفهق بها بطون نفر قليل من حكام الكرملين .

ورفض بعزة وإباء إقامة علاقات دبلوماسية بين دولته حامية أراضي الله المقدسة ، وبين دولة تنكر وجود الله .. ولم يدر بخلده إقامة أي نوع من العلاقات مع إسرائيل .

كان قدره أنه جاء في عصر كله قلاقل ، وانقلابات ، وعواصف مجنونة أتت على الأخضر واليابس ، وكانت المنطقة تمر بحالة هيجان لم يعرف التاريخ مثلها ، فتساقطت كثير من القلاع ، وبقي الفيصل بن عبد العزيز قلعة شامخة صامدة ، وقد أثبت أن الرجال معادن ، وأن المحن « محابر » الرجال ، وأن الأزمات تكشف المعدن الرديء ، والمعدن الأصيل .

قاد الفيصل بلاده وشعبه وسط كل هذه الظروف ، وتحمل الكثير من الايذاء والتجريح والتهويش ، لكنه استطاع الوصول إلى شاطىء الأمان في أحلك الظروف ، ووسط كل المؤامرات .

وحين هدأت العاصفة كاشفة عن الخسائر التي ألحقتها بالإنسان والأرض ، كان الفيصل هو الواحة التي ما زالت تحتفظ بالماء ، والخصب ، والزرع ، ففتح قلبه قبل مساعداته المادية ، وتلألأت سماء الرياض بنجوم العرب .. وعرف الجميع فيصلاً على حقيقته بعيداً عن وسائل التضليل الإعلامية ، وتكشفت الحقيقة الناصعة أمام الجميع ، وتساقطت كل الأقنعة ، وظل الفيصل كما عاش وجهاً يشرق بالإيمان والصدق ، وقلباً لا يحمل الضغينة والحقد ، وسلوكاً مستقلاً ، وعرف الناس من هم العملاء ، ومن هو الفيصل .

لقد عاش كثير من الزعماء في « الصورة » وكانت وسائل الإعلام بأضوائها ، تحيط بهذه الصورة تبجيلاً ، وتكبيراً ، وتهليلاً ، صباح مساء ، لكن هذه الوسائل تحولت بعد غيابهم إلى سهام حادة ، وأفواه جائعة أكلت لحمهم ميتاً قبل أن تجف قبورهم .. إلا فيصل بن عبد العزيز فقد بكاه العدو قبل الصديق ، وحزن على غيابه الذين أكلوا لحمه حياً ، وإذا الجميع يجمعون على صدق زعامته ، ونزاهة مساره العربي الإسلامي ، وهذه ظاهرة « فيصلية » لم يحظ بها زعيم من الزعماء ، ولم يلتفت إليها المحللون السياسيون ، والمؤرخون على اختلاف ميولهم ونزعاتهم .

« المجلة »

معرض تشكيلي لفنانة إسبانية

الفنانة الإسبانية **«خواكينا كاساس»** أقامت في المركز الثقافي الإسباني معرضاً للوحاتها ، وهذه الفنانة واحدة من الفنانات اللاتي استقر بهن المقام في مصر ، منذ عشرين عاماً تقريباً ، وقد ظهرت لوحاتها متأثرة بالبيئة المصرية .

بين «الفضيلة» و«بول وفرجين»

دراسة مقارنة بين قصة **«بول وفرجين»** التي كتبها الفرنسي **برنار دان دي سان بيير** وبين رواية **«الفضيلة»** التي كتبها **مصطفى لطفي المنفلوطي** . قامت بهذه الرسالة **ابتسام علي** ، من كلية الآداب جامعة عين شمس ، ونالت بها درجة الماجستير بامتياز مع مرتبة الشرف .

مؤتمر للشباب الإسلامي لبحث مشاكله

في مارس / آذار **١٩٧٩ م** ، سيعقد في القاهرة مؤتمر للشباب في الدول الإسلامية ، هذا المؤتمر سوف يشرف على تنظيمه المركز الدولي الإسلامي للدراسات والبحوث السكانية بجامعة الأزهر ، وذلك لبحث ما يواجه الشباب من مشاكل اجتماعية ودينية في وطننا العربي والإسلامي .. ويشترك في هذا المؤتمر عدد من الأساتذة المتخصصين من الوطن العربي وأيضاً من بعض الهيئات الدولية المهتمة بشؤون الشباب .

عملة ذهبية وفضية .. جديدة

احتفالا بمناسبة مرور **(١٤) قرناً على الهجرة النبوية الشريفة** ، ستصدر هيئة بنك العملة ، عملة جديدة من فئة الخمس جنيهات الذهبية والجنيه الذهبي والجنيه الفضي .

يهدي مكتبته للجامعة

الفيلسوف الراحل ، الدكتور **عثمان أمين** الذي كان يعمل رئيساً لقسم الفلسفة السابق بجامعة القاهرة ، أهدى مكتبته إلى جامعة القاهرة .. وهي تحتوي على مؤلفات نادرة ، كما تضم مجموعة من أمهات الكتب الفلسفية النادرة في التراثين العربي والغربي لكي تكون في خدمة الطلاب ، وذلك حسب وصيته .

كتب جديدة

● **«تاريخ حضرموت قبل الإسلام»** تأليف ، الباحث **أحمد العطاس** ، يتناول فيه عهد المكارب ، ثم الملوك وملوك حضرموت ، كما يحتوي الكتاب على أربعين نصاً أثرياً مكتوباً بالخط المسند .

● **«هربرت ماركوز»** الذي وضع نظرية المجتمع الأحادي البعد ، يصدر عنه كتاب من تأليف الدكتور فؤاد زكريا ، وهذه هي المرة الثانية الذي يوضع فيها كتاب عن هذا الفيلسوف ، وقد كان الكتاب الأول الذي صدر عنه يحمل عنوان **«ماركوز .. أو فلسفة الطريق المسدود»** .

● **«الصواريخ .. والفضاء»** تأليف الصحفي **حسين الطنطاوي** ، الناشر دار الشعب .

● «نجيب محفوظ .. الرؤية والأداة» دراسة لأدب نجيب محفوظ ، **تأليف الدكتور عبد المحسن طه بدر** ، أستاذ الرواية العربية بكلية آداب القاهرة .

● **«المدرسة الصولتية»** تأليف الدكتور **أحمد حجازي السقا** ، الذي يتناول فيه بالدراسة ، المدرسة الصولتية التي أنشأها الشيخ رحمة الله الهندي مؤلف كتاب **«اظهار الحق»** .

● **«مسرح الشارع في أميريكا»** يصدر قريباً في ترجمة عربية ، وهو من إعداد الناقد الأمريكي «هنري لينيك» ، وذلك ضمن سلسلة الكتب الجديدة التي تصدر تحت عنوان **«كراسات الفكر المعاصر»** يقوم بالترجمة عبد السلام رضوان .

● **«أعلنت عليك الحب»** ، طبعة جديدة للمؤلفة **غادة السمان** ، الناشر ، دار مدبولي بالقاهرة .

● **«الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي»** طبعة جديدة ، تأليف الدكتور **يوسف خلف** رئيس قسم اللغة العربية بآداب القاهرة .

● **«مفهوم الشعر»** دراسة عن مفاهيم الشعر عند النقاد العرب القدامى .. وكيف تم انعكاسها على الحركة الشعرية ، تأليف **الدكتور جابر عصفور** .

● **«حكايات الأمير»** مجموعة قصصية ، **تأليف يحيى الطاهر** .

● **«مسافة بين الوجه والقناع»** تأليف **نبيل عبد الحميد** ، الناشر دار الهلال .

حدث في مثل هذا الشهر

(الأحداث التالية بالتاريخ الميلادي الموافق للشهر الهجري الذي تصدر فيه المجلة)

٤ فبراير

١٨٨١ بداية الثورة العرابية .

١٩١٧ مولد الدكتور عبد الرحمن بدوي .

٦ فبراير

١٩٧٢ وفاة الكاتب خيري حماد .

٨ فبراير

١٨٨٩ مولد المؤرخ عبد الرحمن الرافعي .

١٣ ربيع الأول

١٣٩٥ هـ استشهد الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود (طالع شخصية الشهر) .

١٠ فبراير

١٩٠٨ وفاة الزعيم الوطني مصطفى كمال .

١١ فبراير

١١٩٨ وفاة الفيلسوف العربي ابن رشد .

١٨٨٦ مولد الأديبة مي زيادة (طالع تاريخ وفاتها في العدد ١٧ ، من هذه المجلة في هذه الزاوية ، وزاوية شخصية الشهر) .

١٢ فبراير

١٩٧٠ غارة إسرائيلية على مصنع مدني في «أبو زعبل» .

١٩٧٧ انعقاد الندوة الإسلامية الأولى في جامعة تورنتو بكندا .

١٣ فبراير

١٩٤٩ اغتيال حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين .

١٥ فبراير

١٢٥٨ سقوط بغداد في يد المغول .

٢٢ فبراير

١٨٧٣ مولد الشاعر المسلم محمد إقبال .

١٩٧٤ انعقاد مؤتمر القمة الإسلامي في لاهور .

٢٣ فبراير

١٩١٨ وفاة حفني ناصف .

٢٤ فبراير

١٩٢١ وفاة الأديب محمود تيمور .

٢٥ فبراير

١٩٥٠ اليوم الوطني للكويت .

٢٦ فبراير

١٩٦١ وفاة الملك محمد الخامس ملك المغرب (ولده الملك الحالي الحسن الثاني) .

٢٧ فبراير

١٩٦٨ إعلان قيام اتحاد الإمارات العربية في الخليج العربي .

● «مصر الفراعنة» تأليف سير ألن جاردنر، ترجمة الدكتور **نجيب ميخائيل إبراهيم**.

● **الدكتور حسين مؤنس**، انتهى من كتابة مجلد ضخم عن **«تاريخ المغرب العام»**.. في الفترة، من قيام الإسلام، إلى العصر السعدي، الناشر دار المعارف.

● **«امرأة أخرى»**.. رواية، تأليف **محمد الحديدي**.

● **«الكتب المقدسة، في ضوء المعارف الحديثة»**، تأليف الفرنسي **موريس بوكاي**، الذي أهدى الكتاب للملك الراحل **«فيصل»**، الناشر دار المعارف.

● **«تاريخ الفكر المصري الحديث»** تأليف الدكتور، **لويس عوض**.

● **«الشعر في المعركة»** تأليف **حسن النجار**.

● **«هوى الأربعين»** ديوان للشاعر **سالم حقي**.

● **«قلب على سفر»** مجموعة قصصية، تأليف **يوسف عز الدين**.

● **«لحظة سعادة»** مجموعة قصصية، تأليف **إبراهيم البوهي**.

تونس

● **«انعتاق»** ديوان شعري، صدر للشاعر **الطيب الشريف** الذي توفي مؤخراً، والديوان يضم بين أوراقه مضامين إنسانية واجتماعية عميقة، وقد صدر عن الدار التونسية للنشر.

● **«دروس في المبادىء الدينية»** تأليف **حمودة المهيري**.. والكتاب يهدف إلى تقديم المبادىء الإسلامية للمبتدئين.

● **«شواطىء العطش»** ديوان شعري، للشاعر **الصادق شرف**.

● **«بلاد خمير»** دراسة تاريخية، من تأليف **عمر السعيدي**.

ملتقى ثقافي

انتهى **الملتقى الثاني للفلسفة الإسلامية**، وقد نوّه منصور السخيري، بدور هذه الملتقيات التي تساهم في نشر الثقافة، والمحافظة على الحضارة العربية الإسلامية.

دار الكتب الوطنية

اقتنت دار الكتب الوطنية مؤخراً ـ وذلك ضمن خطتها في تعزيز رصيدها من المخطوطات ـ مكتبة آل بلخوجة التي تحتوي على **٨٣ مخطوطاً** من المخطوطات النادرة.

والجدير بالذكر أن الجزء الثالث من فهرس المخطوطات المحفوظة بدار الكتب الوطنية، قد صدر وهو يحصي عدداً من المخطوطات المتعددة الجنسيات في شتى فنون المعرفة.

كتب جديدة

● **«مكتبة المدرسة الابتدائية»** وهو من الكتب التي تهم العاملين في مجال المكتبات، وخاصة مكتبات الأطفال المدرسية.

شخصية الشهر

فيصل بن عبد العزيز
(١٣٢٤ هـ ـ ١٣٩٥ هـ)
(١٩٠٦ م ـ ١٩٧٥ م)



● هو فيصل بن (عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ١٢٩٧ هـ ـ ١٣٧٣ هـ).

● ولد في عام ١٣٢٤ هـ ـ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٠٦ م، بمدينة الرياض.

● توفيت أمه «طرفة بنت عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ» وهو في الشهر الخامس من عمره.

● تعلم منذ صغره تلاوة «القرآن الكريم» وفن الفروسية واستعمال السلاح، كما برزت موهبته في قرض الشعر.

● انتدبه والده وهو في عامه الثالث عشر لتمثيله في مباحثات اللورد كورزون بلندن، ففرض احترامه.

● تولى وهو في الخامسة عشرة من عمره أول قيادة عسكرية كلفت بتنظيم الأمن في منطقة عسير (١٩٢١ ـ ١٩٢٤ م).

● عينه والده الملك عبد العزيز وهو في العشرين من عمره نائباً عنه على الحجاز.

● قاد الحملة التي فتحت الجنوب وتفاوض مع الانجليز في المؤتمر الدولي الخاص بوضع اليمن.. بعدها عين وزيراً للشؤون الخارجية للمملكة التي أصبحت تحمل اسم «المملكة العربية السعودية» لأول مرة، فقام برحلات عديدة، أهمها رحلاته إلى فرنسا وانجلترا وروسيا وتركيا والولايات المتحدة، وأجرى [illegible] ...سون ونيكسون، وتشرشل، ودالاس.

● بعد وفاة الملك عبد العزيز في نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٥٣ م، عين ولياً للعهد.

● تبوأ عرش المملكة العربية السعودية في شهر رجب ٨٤ هـ، (الرابع من نوفمبر/ تشرين الثاني عام ١٩٦٤ م)، وقام خلال سنوات ملكه العشر باصلاحات شاملة في كل المجالات.

● دعا إلى تضامن المسلمين لمواجهة التحديات العالمية التي تحيط بهم، ومن أجل تحقيق دعوته قام بزيارات متعددة إلى جميع البلدان الإسلامية فنجحت الدعوة وقوبلت بكل حفاوة وتقدير وكان لها آثارها البعيدة على مسار حركة التاريخ المعاصر.

● دعا في بلاده إلى تحرير العبيد، وساندها بجهوده، فزال الرق، وأصبح مجرد ذكرى تاريخية.

● دعا إلى تعليم المرأة في بلاده، ففتح المدارس، والكليات، وأصبحت المرأة السعودية إحدى ركائز المجتمع السعودي القائم على العلم والمعرفة، وشاركت المرأة في العمل في حدود ما تسمح به الشريعة السمحة، ومن نتائج هذا أن عدداً طيباً من السعوديات يحملن اليوم شهادات عالية كالماجستير، والدكتوراه.

● وفي عهده عرف المجتمع السعودي التليفزيون، وأصبح يساهم بدوره في التنمية والتوعية من خلال ما يبثه من برامج.

● استشهد في ١٣٩٥/٣/١٣ هـ، (الموافق ١٩٧٥/٣/٢٥ م) في مدينة الرياض، ودفن فيها، وقد سار في جنازته ملوك العالم ورؤسائه، وعم الحزن العالم العربي والإسلامي والإنساني.

● بعد أن أصدرت الدار التونسية للنشر **«شهرزاد»** لتوفيق الحكيم، أصدرت كتابين آخرين له **«بجماليون»**، و**«أشواك السلام»**، وذلك ضمن النشرة المغربية لأعمال الحكيم، حيث تقترب هذه الكتب من قارىء المغرب العربي، وهي محلاة بالرسوم والألوان، ومطبوعة بأحدث الحروف الأنيقة.

● **«الريح الشتوية»** الجزء الثاني من رواية الكاتب المغربي **مبارك ربيع**، الناشر الدار التونسية للنشر.



اللغة العربية عام ٢٠٠٠

كان مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط، قد بدأ حملة تحت شعار: **«اللغة العربية لغة العلم والتكنولوجيا عام ٢٠٠٠»**، وقد بادرت الأوساط الثقافية والعلمية في الوطن العربي بالاستجابة لهذه الحملة.. وسوف يتم تنظيم لقاءات فكرية وثقافية في الأسبوع الثقافي المزمع إقامته في العاصمة.. مع عرض المعاجم المتخصصة التي أصدرها المكتب في معرض للكتاب.

نصف طن نقود في «سراجهنا»

عثر مؤخراً في مراكش، على كميات كبيرة تصل إلى نصف طن، من العملات الفضية المغربية والإسبانية، التي يرجع بعضها إلى أوائل القرن الثامن عشر.. وهذا الاكتشاف تم بلا علماء آثار.. فقد كانت الصدفة وحدها هي السبب، حيث كان بعض العمال يقومون بالعمل في **قلعة سراجهنا**، بالمنطقة التي تقع عند سفح جبل أطلس.

المعروف أن هذه الأرض - قديماً - كانت ملكاً لزعماء **قبائل سراجهنا**، في عهد **السلطان مولاي بن عبد الله والسلطان مولاي سليمان** اللذين حكما في نهاية القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر.

وقدرت كمية العملات التي اكتشفت بما يزيد على المليون فرنك فرنسي.

دعوة للعلماء العرب في أوروبا

مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط، وهو المكتب التابع للمنظمة العربية للثقافة والعلوم، دعا العلماء العرب المتواجدين في أوروبا للمساهمة في نشاط المكتب.. والمعروف أن مكتب التنسيق، يقوم حاليا بإعداد المعاجم المتخصصة وذلك لتوفير المصطلحات العربية المختلفة للمصطلحات الأجنبية.

كتب جديدة

● **«الإسلام.. والصورة الفنية»**، تأليف **محمد بن عزيز**، حيث تناول فيه، أثر الفن الإسلامي على فنون أوروبا وفنانيها، وتأثيره أيضاً على الشعراء الرومانسيين.

السودان

● **«مع أبي الطيب»**، تأليف الناقد **عبد الله الطيب**، الذي يبحث الجوانب المتعددة في حياة المتنبي، الذي كان من خلال عمله كوزير لسيف الدولة الحمداني لمدة تسع سنوات، استطاع أن يقوم بعمل إعلامي من خلال صوره الشعرية التي تحمل طابعه الشخصي.



كتب جديدة

● **«من قصص القرآن الكريم»** تأليف **أمينة الصاوي**، وهو من الكتب المبسطة للأطفال.



الاحتفالات بكتاب!

«مختارات من الشعر الايطالي المعاصر» أحدث كتاب قام بترجمته **د. عيسى الناعوري**، يضم عدداً من القصائد الشعرية لخمسة وعشرين شاعراً.. سوف تقيم السفارة الايطالية في عمان ودمشق وبيروت، حفلات ثقافية لتقديم هذا الكتاب من خلال المستشرقة **كليليا سارينللي**، رئيسة قسم اللغة العربية في المعهد الجامعي الشرقي في نابولي.

كتب جديدة

● **«حساب التفاضل والتكامل والهندسة التحليلية»** من تأليف **سووكوفسكي**. إصدار مجمع اللغة العربية الأردني، وذلك ضمن الحملة التي يقوم بها المجمع لتعريب التعليم العلمي في الجامعات العربية.

● **«وليمة على شرف أوديب»** مجموعة قصصية، تأليف ثابت مكاوي.

من أقوال الفيصل

● «إن الصبر ومرور الزمن الطويل يصنعان من القوة أكثر مما يصنعه التهيج الغاضب».

● «إن الإسلام ليس احتكاراً لأحد، لا لفرد ولا لجماعة، ولا لشعب ولا لبلد، وإنما هو دين الله سبحانه وتعالى - بعث به نبيه، صلوات الله وسلامه عليه - لجميع الأمم، وجميع الأقطار، سواء منهم الأبيض والأسود، وسواء منهم الغني والفقير..».

● «إن الدعوة الإسلامية حينما انبثقت من هذه الأماكن، وشع نورها في جميع أقطار الأرض، كانت دعوة خيرة، تدعو إلى السلم، وتدعو إلى الحق، وتدعو إلى العدل وتدعو إلى المساواة».

● «كيف يمكن أن تكون هناك شريعة أرفع من تلك التي أوحى بها الله إلى نبيه؟ إن أوامره، التي تطبق بأمانة والتي تؤخذ ككل، هي أكثر الأوامر ديمقراطية، ما دام أنها تعلمنا بأن الناس متساوون أمام خالقهم، وأن المصالح الشخصية يجب أن تمحى دائماً أمام الخير العام والمصلحة المشتركة».

● «إن ادخال أي تعديل على مصنع أو طريقة تقنية لا يحتاج غير بضعة أسابيع، بينما تحويل الرجال يحتاج إلى أجيال كثيرة».

● «إنه من الصعب جداً دفع الشعب في طريق التقدم دون تمزيق الغشاء الدقيق لبنيته الصحيحة، إنها مهمة صعبة أن نجدد في كل مكان تقضي به الضرورة، مع الحفاظ على فلسفة سياسية ثابتة، تلك التي تنبع من تعاليم القرآن».

● «كان عرب فلسطين ضحايا عدوان لا سابقة له، إنه لم يحدث أبداً، حتى في أشد عصور التاريخ ظلمة، أن شعباً بأكمله قد أخرج من دياره، ليحل محله غرباء، ولن يكون سلام دائم ما دام أن بيت المقدس لم يتحرر،

● «جسدي كان الغربال» ديوان شعر لإبراهيم نصر الله .

● «يوميات أندلسية» وهو من أدب الرحلات ، تأليف **القاضي ماجد ديب غنما** .

● «عقيدة المسلم» تأليف الشيخ **عبد الحميد السائح** ، وزير الأوقاف والمقدسات الإسلامية الأسبق .

● «من أساليب البيان في القرآن الكريم» تأليف **محمد علي أبو حمدة** .



وفاة فيليب حتي

العلامة العربي الدكتور «فيليب حتي» الذي توفي منذ فترة في شهر ديسمبر/كانون الأول الماضي عن (٩٢ عاماً) ، أقيم له احتفال تذكاري بولاية نيوجرسي الأمريكية ، الذي كان له فضل الريادة في بحوث التاريخ العربي والحضارة العربية في الحياة الثقافية الجامعية بأمريكا ، والدكتور «فيليب» من مواليد لبنان ، وحاصل على عدد من الأوسمة ، وله عدد ضخم من المؤلفات التي ساهم من خلالها في إلقاء الضوء على ثقافة العرب بالنسبة لأوروبا .

مدينة ثقافية

يتم وضع التصميمات النهائية لـ «**مدينة جنبلاط الثقافية**» ، التي ستضم مكتبة ومركزاً لحفظ تراث جنبلاط ، وقاعة تتسع لأكثر من خمسة آلاف مقعد .

المكان الذي ستقام عليه «المدينة» ، هو قطعة أرض في بلدة عين وزين - قضاء الشوف ، قدمها المواطنان بديع ومحمود السحيية .

كتب جديدة

● «الجيل .. والأرض» رواية ، تأليف **سعيد فرحات** ، تعالج قضية الإنسان الفلسطيني .

● مجلد شعري يضم خمس مجموعات شعرية لشاعر الأرض المحتلة حلمي الزواتي ، المجموعة هي : أناشيد الجراح ، عبير الدماء ، بالحراب على وجه الضياع ، فاتحة الموت ، الغضب .. وسوف يصدر هذا العمل الأدبي عن دار العودة ببيروت ، ويقوم برسم غلاف المجلد الفنان الفلسطيني **محمد سليمان** .. أما الرسوم الداخلية فهي للفنان الفلسطيني - أيضاً - **شفيق رضوان** .

● «الرحيل» مجموعة قصصية من الأدب الفيتنامي ، ترجمة **سهيلة منصور** ، عن الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين .

● «دراسات في الفكر العربي» ، تأليف **ماجد فخري** ، رئيس دائرة الفلسفة في الجامعة الأمريكية ببيروت .

● «زمن الشعر» طبعة ثانية ، للشاعر **أدونيس** ، كانت الطبعة الأولى عام ١٩٧٢م ، وقد أضاف الشاعر عدد من المقالات الجديدة إلى طبعته الثانية .

● «صاح عندليب في غابة» ديوان ، للشاعرة **أمل جراح** .

● «الموج في جزيرة العيون» ديوان ، للشاعر **فوزي عطوي** .

● «العقل عند المعتزلة» تأليف **حسني زينة** .

● «مي زيادة .. التوهج والأفوال» ، تأليف **روز غريب** ، والكتاب يتناول حياة وشخصية الأديبة اللبنانية وأعمالها المؤلفة من شعر ونثر ، الناشر مؤسسة نوفل .

● «أبدأ من رقم يمشي» المجموعة الشعرية الأولى للشاعر **حمزة عبود** .

● **دراسة** يقوم بإعدادها للنشر الناقد الياس خوري عن الشعراء **أدونيس . محمود درويش . بدر شاكر السياب** .

● «الأرض تنشر أسرارها» ديوان للشاعر **مريد البرغوثي** . الناشر دار الآداب .

● «صدمة الحداثة» تأليف **أدونيس** .

● بمناسبة عام الطفل ، سوف تصدر موسوعة علمية ملونة للأطفال ، وستكون الموسوعة في خمسة أجزاء تشمل كل ما يهم الطفل في مختلف جوانب المعرفة الإنسانية ، الناشر دار **الشروق** .

العراق

أقدم نص للكتابة العربية

تم العثور على أقدم نص تاريخي للكتابة العربية الإسلامية حتى الآن ، وقد تم الاكتشاف عن طريق هيئة التنقيب عن الآثار ، على جدار من «**الجص**» في أحد القصور التاريخية القديمة بمحافظة البصرة جنوبي العراق .. والنص يعود تاريخه إلى سنة (**٥٧ هـ**) ، وهو يلقي الضوء على مدينة البصرة قديماً .

ترشيح «القبنجي» للجائزة

صالح المهدي ، الفنان العراقي ، رشح الفنان **محمد القبنجي** ، للحصول على الجائزة العالمية للموسيقى ، في الدورة المقبلة لمؤتمر المجلس الدولي للموسيقى ، الذي سيعقد باستراليا في عام **١٩٧٩م** ، وقد تم هذا الترشيح ، باعتبار أن «**القبنجي**» من أبرز الفنانين المرتجلين في الغناء العربي .. وخاصة في ذلك النوع المعروف **بالمقام العراقي** .

مؤتمر المرأة والطفل الفلسطيني

أوصى **مؤتمر المرأة والطفل الفلسطيني** ، الذي أقيم في بغداد ، بضرورة تنظيم الدورات التدريبية والثقافية والقومية للمعلمين .. وأيضاً توجيه البرامج المسموعة والمرئية والتربوية للطفل الفلسطيني داخل الأرض المحتلة .

كما أوصى المؤتمر بأهمية اصدار نشرات تعليمية خاصة بأطفال الأرض المحتلة ، حيث تتناول هذه النشرات تاريخ فلسطين وجغرافيتها .

١٢ مليون دينار لانقاذ بابل

أقيمت ندوة **من أجل انقاذ الآثار التاريخية في بابل** ، وقد نوقش فيها المشروع الذي

وما دام أن الأراضي العربية كلها لم يتم الجلاء عنها ، وما دام أن الذين طردوا من ديارهم لا يستطيعون العودة إلى ترابهم الوطني وممارسة حقهم كاملاً ، في السيادة والاستقلال » .

● « إننا نرعى عقيدتنا بمثل ما نحترم عقائد الآخرين ، وسبيلنا إلى ما نؤمن به هو التطبيق لا التصفيق ، والدليل والبرهان ، لا الدعاوة ولا الإعلان » .

● « لن نستعيد عزتنا وكرامتنا إلا عن طريق العودة إلى عقيدتنا » .

● « في علاقاتنا بإخواننا العرب لا تهمنا أن تكون هذه الأراضي أو تلك الجزر أو الجبال والوديان لنا أو لهم .. ما دمنا جميعاً إخوة عرباً » .

● « لقد آن الأوان أن نراجع أنفسنا ، ونفكر في مستقبلنا ، وأن نعود إلى حظيرة الإسلام ، ونقوم بما هو واجب علينا ، وأن نكرس كل الجهود لنصرة هذا الدين ، ولتطهير نفوسنا من الشوائب التي تعترض سبيلنا » .

● « نحن لسنا في حاجة إلى أن نستورد تقاليدنا من الخارج .. وقد كان لنا تاريخ ، وقد كان ماض مجيد ، قدنا العالم ، فماذا قدناهم ؟! قدناهم بكلمة الله ، وتوحيد الله ، وسنّة رسوله » .

آخر كلماته التي رد بها على أحد الصحفيين الأجانب قبل وفاته بيومين :

● « نحن نريد أن تكون هذه المملكة الآن ، وبعد خمسين سنة من الآن ، إن شاء الله ، مصدر اشعاع للإنسانية والسلام ، يسكنها شعب مؤمن بالله يحتفظ بتقاليده المنبثقة عن تعاليم الإسلام والأخلاق العربية الأصيلة ، ويبني البلاد على أسس راسخة من الإيمان والأخذ بالعلوم الحديثة الحضارية النافعة والتفوق في الصناعة والتكنولوجيا بعون الله ومشيئته » .

وضعه الأثريون لانقاذ مدينة بابل من طغيان المياه الجوفية والأعشاب ، وذلك من أجل الحفاظ على آثارها التاريخية . . وإعادة بناء وإحياء تلك الحضارة ، وصيانتها ، وإقامة الحدائق حولها بما يتفق مع طابعها .

وسوف يتم رصد أكثر من **(١٢ مليون)** دينار عراقي ، لإنشاء الطرق التي تمكن السواح من الاطلاع على معظم معالم مدينة بابل .

كتب جديدة

● **« الفتح الوامض في علم الفرائض »** ، تأليف الشيخ **عمر القره راغي** ، وهو من اصدارات المجمع العلمي العراقي .

● **« معجم السفر »** تأليف **الحافظ صدر الدين بن أبي طاهر أحمد بن محمد الأصفهاني (٤٧٢ ـ ٥٧٦ هـ)** ، وقامت بتحقيقه الدكتورة **بهيجة الحسني** ، من مطبوعات وزارة الثقافة والفنون العراقية .

● **« مواسم العشق والرصاص »** ديوان شعري جديد ، للشاعر **علي الحلي** ، مستشار وزارة الإعلام العراقية ، الديوان يصدر قريباً .

● **« الرواية التاريخية »** دراسة تأليف جورج لوكاش ، كان قد كتبها في (١٩٣٦ ـ ١٩٣٧ م) ، وهي دراسة نظرية للتفاعل بين الروح التاريخية وبين أنواع الأدب الأخرى التي تصور التاريخ ، قام بترجمتها مؤخراً ، د . صالح جواد الكاظم .

قطر

طوابع بمناسبة عام الطفل

إدارة البريد القطرية ، قررت ـ بمناسبة عام الطفل ـ إصدار عدد من طوابع البريد التذكارية ، وقد طرحت هذه الطوابع في الأسواق بأسعار (٣٥ درهماً) ، و« ريال » و(٨٠ درهماً) .

كتب جديدة

● **« ناندا »** مجموعة قصصية ، تأليف الأديب السعودي الشاب **محمد حمد الصويغ** ، الناشر مؤسسة العهد .

الكويت

ماجستير في شعر الكويت الحديث

● **« الشعر الحديث في الكويت »** الذي صدر من قبل ، من تأليف **عبد الله السجاري** ، تقدم به لنيل درجة الماجستير . . وقد قسم الدراسة إلى أجزاء ، الأول منها عن دراسة تاريخ الكويت اجتماعياً وثقافياً في الحقبة الماضية ، ثم حركة الشعر الكويتي وبداياته . . مع ذكر أهم أعلام الشعراء القدامى والمحدثين حتى عام **(١٩٥٠ م)** ، ثم في الجزء الثاني ، يستعرض اتجاهات الشعر التي مثلها شعراء المراحل الثلاث الذين ترجم لهم الكاتب ، ثم الاتجاهات الأخرى . . والخصائص الفنية لأشعارهم .

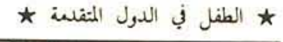
أسابيع ثقافية خارج الكويت

في أوائل مارس / آذار ١٩٧٩ م ، سيقيم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، أسابيع ثقافية في المغرب والسودان . . والمجلس يستعد منذ الآن لهذه الأسابيع الثقافية .

كتب جديدة

● **« العلم . . ومشكلات الإنسان المعاصر »** تأليف **زهير الكرمي** ، وقد صدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، والكتاب يعتبر عمل أكاديمي لربط مشكلات الإنسان الحالية بالعلم والتكنولوجيا الحديثة .





★ الطفل في الدول المتقدمة ★



★ الطفل في الدول النامية ★

الباكستان

نسخة نادرة من القرآن الكريم

عرضت في مدينة كراتشي ، بالمتحف الوطني الباكستاني نسخة نادرة من **(القرآن الكريم)** ، يرجع تاريخها إلى عهد **الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه** ، والنسخة مكتوبة بالخط الكوفي الجميل ، على جلد الغزال .

فرنسا

سرقة فنية

استطاع لصان أن يسرقا لوحة زيتية ، قيمتها **(٦٧٥ ألف دولار)** ، من احد المتاحف في ضواحي باريس .. وقد استخدم اللصان اطلاق الغاز المسيل للدموع على كل من حاول القبض عليهما أو اللحاق بهما .

جائزة فرنسية لكاتب سوفييتي

الكاتب ، المفكر ، والأستاذ الجامعي السوفييتي **« الكسندر رينوفييف »** ، منحته فرنسا **جائزة ميديثي** ، وذلك عن روايته **« المستقبل المشرق »** .

والكسندر من مواليد روسيا عام (١٩٢٢ م) ، وتعد أشهر مؤلفاته « الارتفاعات الشاهقة » **(١٩٧٥)** ، وقد ترك روسيا فراراً من جحيم الحكم الشيوعي .

● **« المؤامرة الروسية والأميريكية الكبرى »** ، تأليف **جاك برجييه** ، الناشر دار « ألبان ميشال » ، والكتاب يتناول توقع المؤلف ، حول إمكانية حصول اتفاق بين الدولتين الكبريين ، يؤدي في النهاية إلى اتحادهما في إمبراطورية واحدة تسيطر على العالم بأسره ، وذلك انطلاقاً من الفضاء الخارجي .

الاحتفال بشاعرة !

احتفلت الأوساط الثقافية والأدبية في باريس بصدور المجموعة الشعرية الجديدة لـ **« شادية صنبر »** ، كما أفردت جريدة « لوموند » مكاناً لتسليط الضوء في صفحتها الثقافية على الشاعرة وأشعارها .

وفاة كاتب موسوعي

توفي بباريس في أواخر العام الماضي ، الكاتب الموسوعي ، والباحث الاجتماعي **« روجيه كايوا »** عن عمر يناهز الخامسة والستين ، على أثر إصابته بنزيف في المخ .. والمعروف أن **« روجيه »** ، كان عضواً بمجمع الأكاديمية الفرنسية واليونسكو .. وله **ثلاثون مصنفاً من أدب**

حدث في مثل هذا الشهر

(الأحداث التالية بالتاريخ الميلادي الموافق للشهر الهجري الذي تصدر فيه المجلة)

١ فبراير

١٥٥٢ مولد عالم القانون الانجليزي ادوارد كوك .

١٩٤٦ انتخاب « تريجفي لي » ، أول سكرتير عام للأمم المتحدة .

٢ فبراير

١٩٧٠ وفاة الفيلسوف البريطاني برتراند رسل .

٣ فبراير

١٤٦٨ وفاة جوتنبرج (مخترع آلة الطباعة) (طالع شخصية عالية) .

٤ فبراير

١٨٨١ وفاة الكاتب الانجليزي توماس كارليل .

٥ فبراير

١٨٤٠ مولد المخترع (هيرام ستيفنس مكسيم) ، مخترع مدفع مكسيم وبعض أنواع المفرقعات .

٧ فبراير

١٨١٧ مولد الأديب الانجليزي تشارلز ديكنز (طالع تاريخ وفاته في العدد الأول - السنة الثانية من هذه المجلة في هذه الزاوية) .

٨ فبراير

١٨١٩ مولد الكاتب الانجليزي جون رسكن .

١٨٣٨ مولد الكاتب الفرنسي جون فرن .

٩ فبراير

١٨٧٤ وفاة المؤرخ والكاتب الفرنسي جول ميشيليه .

١٨٨١ وفاة الروائي الروسي دستويفسكي (طالع تاريخ مولده في العدد ١٨ من هذه المجلة في هذه الزاوية) .

١٩٣٤ قيام حرب البلقان (بين تركيا واليونان ورومانيا ويوغوسلافيا) .

١٠ فبراير

١٧٧٥ وفاة الكاتب والفيلسوف الفرنسي مونتسكيو .

١٧٦٣ توقيع معاهدة باريس التي أنهت حرب السنين السبع (بين بريطانيا وإسبانيا وفرنسا) .

١٨٣٧ وفاة الشاعر بوشكين (طالع تاريخ مولده في العدد الأول - السنة الثانية من هذه المجلة ، في هذه الزاوية)

١٨٩٠ مولد الكاتب بوريس باسترناك صاحب رواية « دكتور زيفاجو » الشهيرة .

١٨٩٨ مولد الشاعر الألماني بيرتولد بريخت (طالع تاريخ وفاته في العدد ١٥ من هذه المجلة في هذه الزاوية) .

١٩٢٣ وفاة العالم الألماني (ويلهلم رونتجن) ، مكتشف أشعة اكس .

١١ فبراير

١٦٥٠ وفاة الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت .

١٨٤٧ مولد المخترع توماس أديسون .

١٩١٦ وفاة الأديب الأميريكي هنري جيمس .

١٢ فبراير

١٨٠٤ وفاة الفيلسوف الألماني ايمانويل كانت .

١٨٠٩ مولد أبراهام لينكولن أحد رؤساء الولايات المتحدة الأميريكية .

١٤ فبراير

١٧٦٦ مولد الاقتصادي الانجليزي توماس مالتس .

١٧٧٩ وفاة المخترع الانجليزي جيمس كوك .

١٩٢٢ افتتاح محكمة العدل الدولية الدائمة في لاهاي .

١٦ فبراير

١٨٣٨ مولد المؤرخ الأميريكي هنري آدمز .

١٩٧١ أطلقت اليابان قمرها الصناعي الثاني « تانسي » .

١٧ فبراير

١٦٧٣ وفاة الأديب الفرنسي موليير .

١٨ فبراير

١٥٦٤ وفاة الفنان مايكل أنجلو .

١٩ فبراير

١٤٧٣ مولد العالم نيقولا كوبرنيكوس ، صاحب نظرية دوران الأرض .

١٩٥١ وفاة الكاتب الفرنسي أندريه جيد .

٢١ فبراير

١٨٥٢ وفاة الكاتب الروسي جوجول .

٢٢ فبراير

١٧٣٢ مولد جورج واشنطن .

١٧٨٨ مولد الفيلسوف الألماني شوبنهاور (طالع تاريخ وفاته في العدد ١٦ من هذه المجلة في هذه الزاوية) .

٢٣ فبراير

١٨٢١ وفاة الشاعر الانجليزي جون كيتس .

٢٥ فبراير

١٨٥٢ وفاة الشاعر الإيرلندي توماس مور .

٢٦ فبراير

١٨٠٢ مولد الأديب الفرنسي فيكتور هوغو .

٢٧ فبراير

١٧٨٣ مولد الأديب الإيطالي جابريل روسيتي .

١٩٠٠ تأسيس حزب العمال البريطاني .

١٩٠٢ مولد الأديب الأميريكي جون شتاينبك .

١٩١٢ مولد الأديب البريطاني لورنس دوريل .

جنوب أمريكا ، وفن الشعر ، وعلم الاجتماع .. وتأملات الأحجار الكريمة ، التي كان يعشق جمعها .. وأيضاً ، تعتبر أعماله الكتابية محاولات فريدة في الفكر المعاصر ، فهو حاول البحث في أسرار الكون دون تنكر لتراث الإنسانية العقلي .

متحف ومعهد إسلامي

سيقام في باريس **متحف ومعهد إسلامي** ، حيث قام الرئيس **جيسكار ديستان** بتكليف الدبلوماسي الفرنسي « **جان بازديفو** » بمهمة التمهيد لذلك المشروع في البلدان العربية ، وذلك من أجل معرفة ما يمكن أن تقدمه هذه البلدان من تعاون في هذا الشأن .

جائزة جونكور

« **باتريك موديانو** » حصل على جائزة جونكور ، وهي كبرى جوائز الرواية في فرنسا ، وذلك عن روايته « **شارع الدكاكين المظلمة** » ، وتمتاز هذه الرواية في رأي لجنة التحكيم ببساطتها الكبيرة .

الفن الهندي .. من القرن الرابع إلى التاسع

في إحدى قاعات الفن في العاصمة الفرنسية ، أقيم معرض للفن الهندي خلال خمسة آلاف سنة ، حيث ضم المعرض نماذج مختلفة من نقش على الحجارة المحروقة والتماثيل المنقوشة ، في الفترة ما بين القرن الرابع ، إلى القرن التاسع .

معرض للأطفال .. فقط !

مع بداية **عام ١٩٧٩ م** ، أقيم في متحف اللوفر معرض يضم ألعاب الأطفال .. والتطور الذي طرأ عليها منذ القرن السادس عشر حتى هذا العصر ، والغرض منه ، إعطاء الطفل صورة واقعية للتطور الزمني .. وكيف كان يلعب الأطفال في الماضي ، حتى وصلت هذه اللعب الآن إلى تشغيلها الكترونياً .

ثلاث لوحات مزيفة بـ ٦ ملايين فرنك !

الفنان التجريدي .. « موندريان » الذي توفي **عام ١٩٤٤ م** ، يثير هذه الأيام مشكلة لمتحف الفن الحديث في باريس ، فقد أراد المتحف شراء **٣ لوحات** له بمبلغ ستة ملايين فرنك فرنسي ، إلا أنه في آخر لحظة ، اكتشف أن الثلاث لوحات مزيفة .. لكنها تحمل توقيعه .

* أحدث الكتب *

● عن دار « **جاليمار** » صدرت أطول سيرة حياة ، تناولت بالتفصيل حياة الكاتب الفرنسي **ألبير كامي** ، قام بتأليفها الكاتب الأمريكي **هربرت لوتمان** .

● « **فلسفة الأخلاق عند ابن باجة وتأثيرها في الفكر الغربي** » تأليف **جورج زيناتي** ، باللغة الفرنسية إصدار دار **فران** الباريسية للطباعة والنشر .. تضم صفحات الكتاب دراسة تأثير الفكر الأندلسي على الفكر الغربي في العصور الوسطى .. وعصر النهضة الأوروبية وعلى الأخص في القرن السابع عشر الميلادي .

● « **مختارات من الصوفية** » تأليف دي فيتري ، وهو يهتم بإلقاء الضوء على أعلام التصوف .

● « **عشاق البندقية الثلاثة** » رواية تدور أحداثها عن الكاتبة الفرنسية « جورج صاند » **(١٨٠٤ - ١٨٧٦ م)** .

● « **من الفرات .. إلى جبال أطلس** » تأليف المستشرق **جاك بيرك** ، في جزءين ، دراسة في أصل الجنس البشري في الدول الإسلامية العربية .

● « **نيجيريا الدولة الأسطورية** » تأليف الكاتب المسرحي والسينمائي النيجيري **أولابالوجوم** .

● « **الكتاب الذهبي للديوان** » ديوان شعري ترجم إلى الفرنسية للشاعر الفارسي حافظ الشيرازي الفيلسوف المتصوف الذي اشتهر في القرن الرابع عشر .

● « **القافلة الأخيرة** » تأليف الصحفي الفرنسي جان لايف مونتجو ، الذي عمل سائقاً على سيارات الشحن في المملكة العربية السعودية حتى العام الماضي .

● « **فوق إفريقيا** » تأليف **جون زيبلر** ، الناشر دار لوسوي .. يتناول المأساة التي تعيشها القارة الإفريقية وما تعانيه من تمزق .



اللغة العربية في الأبحاث التكنولوجية

بدأت الشركات الأوروبية بإضافة اللغة العربية إلى اللغات الأوروبية المستخدمة في أبحاثها التقنية والتكنولوجية .. وقد بادرت شركة « **سيمنز** » الألمانية بارسال خطاب إلى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية ، تبلغها فيه ، بأنها **قد قررت ادخال اللغة العربية إلى بنك المعلومات الالكتروني التابع لها** .. والذي كان يحتوي على ثمان لغات أوروبية فقط .

مركز إسلامي جديد

السفراء العرب في « **بون** » قرروا إقامة مركز إسلامي في العاصمة ، سوف يضم المركز الجديد مدرسة .. ومكتبة ودارا للضيافة .. ومسجداً .

تكاليف هذا المشروع تزيد عن عشرة ملايين مارك ألماني ، من ضمن هذا المبلغ ، يستخرج جزء قدره **٢,٥ مليون مارك** ، لشراء قطعة الأرض التي تصل مساحتها إلى ١٢ ألف متر مربع .

الاحتفال بأول روضة أطفال في العالم

أول روضة للأطفال في العالم ، قد مر على تأسيسها مئة عام .. هذه الروضة بمدينة « **ستوتجارت** » وهي تحمل اسم « **رومنجر** » نسبة إلى **يوهانس رومنجر** ، الذي قام بتأسيسها ، وقد أقيم مهرجان للأطفال بهذه المناسبة ، وقد كان مؤسسها يهدف من إنشائها ، إلى توفير عش دفء ، وأمان وترفيه للأطفال الذين أصبحوا ضحية لموجة التصنيع التي جذبت الآباء والأمهات إلى العمل .

الرجل ذو المروحة في الرأس !

« **ويلي مستر سميت** » مخترع أول طائرة نفاثة في التاريخ ، توفي أخيراً عن **(٨٠ عاماً)** ، وقد كان يطلق عليه « العبقري ذو المروحة في الرأس » .. وأول طائرة من صنعه ، ظهرت **عام ١٩٢٦ م** ، وقد كانت كلها مصنوعة من المعدن .. وفي **عام ١٩٣٥ م** ، صنع الطائرة المطاردة الشهيرة « M 109 » .

شخصية عالمية



يوهان جوتنبرج
(١٣٩٧ - ١٤٦٨ م)

★ اسم أبيه : جينز فليش .

★ أخذ اسم « جوتنبرج » عن أمه .

★ يعتبر أول أوروبي استخدم حروف الطباعة المنفصلة على الرغم من أن الريادة في هذه القضية تنسب إلى « لورنس يانسون كوستر » و « بامفليو كاستالدي » وغيرهما .

★ قام باختراع آلة الطباعة عام ١٤٣٦ - ١٤٣٧ م .

★ استطاع إنشاء مطبعة في مايتز بألمانيا (مسقط رأسه) حيث قام بطبع إنجيل مازارين .

★ بسببه أصبحت « مايتز » المدينة ، مركزاً للطباعة .

أشعة الليزر على النوتة الموسيقية

الموسيقار **ريتشارد فاجنر (١٨١٣ ـ ١٨٨٣ م)**، الذي كان يستلهم مؤلفاته الموسيقية من خلال الأساطير الشعبية، تجري الآن عملية فحص لبعض أعماله المكتوبة على النوتة الموسيقية، ويقوم العلماء وخبراء الموسيقى باستعمال أشعة الليزر، تساعدهم في العمل زوجة **«فاجنر»**.. للكشف عن نصوص كثيرة لم تنشر بعد.

الفن المصري المعاصر

أقيم معرض «للفن المصري المعاصر» في مدينة **«ليفركوزن»** الواقعة على مسافة **(٦٠ كيلو متراً)** من بون العاصمة.. اشترك في المعرض عدد من الرسامين والمثالين والخفارين المصريين، منهم سيف وانلي. وصلاح طاهر.. ووصل عدد المشتركين إلى **٢٩ فناناً**. الدعوة لإقامة هذا المعرض كانت كلها على نفقات المدينة الألمانية.

* أحدث الكتب *

● **«حياة بريخت»** تأليف **كلوس فولكر**، تناول فيه الجوانب الخفية في حياة بريخت الكاتب المسرحي، الذي اشتهر بمسرحياته الملحمية.. صدر هذا الكتاب **بمناسبة مرور ٨٠ عاماً على مولده**.

● **«نيتشه.. مؤلفاً موسيقياً»** تأليف **كورت بول جنز**، كتاب يكشف من خلاله المؤلف، أن الفيلسوف نيتشه قد مارس التأليف الموسيقي، ويشير أيضاً إلى الصداقة بالموسيقار فاجنر الذي كان معاصراً له.



الخط العربي.. في أمريكا

استمر معرض الخط العربي لمدة شهرين، والذي كان قد أقيم في مكتبة الكونجرس في العاصمة الأمريكية، ضم المعرض العديد من اللوحات القديمة والمعاصرة، كما اشترك في المعرض الخطاط الأمريكي محمد أوريك زكريا.. وكانت من أبرز اللوحات الخطية التي عرضت في المعرض لوحة الخطاط الفنان **محمد إبراهيم طولها (٣٦,٥ بوصة)** وعرضها **(٢٥ بوصة)**، وقد كتبت عليها جميع الآيات القرآنية بالخط الفارسي.. وتقع كلمات اللوحة في **(٧٢,٤٣٠)**، كلمة.. ويرجع تاريخ اللوحة إلى **عام ١٩٤٦ م**.

عقل الكتروني للترجمة !

توصلت إحدى الشركات الأمريكية إلى صنع عقل الكتروني صغير الحجم، يستطيع القيام بعملية الترجمة من لغة إلى أخرى، أطلقوا عليه اسم **«جهاز استعمال الكلمات في عدة لغات»**، سوف يعرض هذا العقل بصورة رسمية على المؤتمر السنوي المقبل لجمعية المترجمين الأمريكيين.

ثلاث سنوات وراء.. «الغريب» !

بعد ثلاث سنوات بحثاً وراء الشهادات الحية عن حياة وسيرة الروائي الفرنسي الكبير **ألبير كامي**، من خلال مقابلاته مع زملائه ومن صادقوه أيام شبابه في الجزائر، تمكن الصحفي الأمريكي **هربرت لوتمان**، من تكوين دراسته في **(٧٠٠ صفحة)**.. واختار لها عنواناً مشتقاً من أعمال كامي نفسه.. وهو: **«كامو.. ذلك الغريب»**.

لوحة.. قيمتها أكثر من ثلاثة ملايين !

«الحسناء» إحدى لوحات الفنان العالمي الهولندي **رمبرانت**، والتي كان قد رسمها في أوائل حياته، وقد رست في المزاد العلني الذي أقيم في نيويورك بمبلغ ثلاثة ملايين وربع مليون دولار على الدكتور أرمان هومر رئيس اتحاد شركات النفط الغربية.. والغريب أنه، بعد شرائها، أهداها على الفور إلى متحف لوس انجلوس.

الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجري

احتفالا ببدء القرن الخامس عشر الهجري، عقد مؤتمر إسلامي تحت اشراف هيئة **مسجد توسان** بالولايات المتحدة الأمريكية، وذلك للتخطيط والدراسة والبحث عن الطرق والوسائل التي تؤدي إلى استمرارية نشر الدعوة الإسلامية وحقائق الدين الإسلامي وتعريف العالم بها.

وجهت الدعوة من قبل الهيئة باسم المسجد، للعلماء والمنظمات الإسلامية في الشرق الأوسط وأوروبا للمساهمة في هذا الاحتفال.



■ ■ أزمة الترجمة في العالم العربي

مرت الترجمة بمراحل عديدة من التفوق والانحطاط. ولكنها ظلت مرتبطة بطبيعة الظروف التي تزدهر فيها أو تنحسر، وترتفع أو تنحط.

وفي كل مرة، كانت هذه الظروف المؤثرة كبيرة السيطرة على المضمون الفكري للأعمال المترجمة. **أو بمعنى آخر، فإن عنصر الاجادة بهدف إثراء المكتبة الأدبية بالأعمال الرفيعة، قد تلاشى في ظل الأهداف المادية، لاحراز الكسب والذيوع.**

وكانت الغزارة في الإنتاج مظهراً من مظاهر هذا التفوق، لعاملي الكسب والانتشار. وتلاشت في ظل هذه الحقيقة، الكثير من المضامين الفكرية في تضاعيف العمل التجاري البحت.

وقد ظهر خلال العشر سنوات الأخيرة، العديد من المترجمين، وظهرت معهم أو من خلال نشاطهم أعمال كثيرة في الآداب العالمية المختلفة، ولا سيما في الأدب الفرنسي، وبعض الآداب العالمية الأخرى.

وظهرت بعض الترجمات لأعمال كبيرة نقلاً عن لغة وسيطة، كالانجليزية أو الفرنسية من الآداب الألمانية والروسية والإسبانية والإيطالية.

وكانت **بيروت**، مركز هذا النشاط ومصدره الرئيسي، وبتعرضها لأحداث العنف، تضاءلت نسبة الترجمات، وأغلق باب الاطلاع على الفكر الإنساني. وكأن المهمة لم تكن مسؤولية عامة، يجب أن يضطلع بها كل المفكرين القادرين، وأصبحت ـ حتى بالنسبة للمركز الثقافي بيروت ـ محصورة في عدة أسماء شهيرة في عالم الترجمة.

وبإغلاق سوق الترجمة، أو سوق بيروت الثقافية بكل ما كانت تعطيه وتقدمه، تضاءل نصيب الترجمة للأعمال الكبيرة، وأصبح القارىء العربي محصوراً في إطار الاصدارات العربية، إلا من أوتي مهارة الاطلاع بلغات أخرى، وهذه فئة محدودة يندر وجودها بين مثقفينا بصورة خاصة.

لقد تذكرت هذه الحقيقة. حقيقة الجفاف الذي يعيشه سوق الترجمة إلى العربية، وأنا أطالع «قوة الأشياء» لسيمون دي بوفوار: وكنت قد خرجت من قراءتي لهذا العمل بانطباعين:

● أولهما: أن الأسماء الشهيرة في عالم الفكر المعاصر تظل أكثر حظوة لدى المترجمين العرب. وليس مبدأ الجدة والجودة في طبيعة الأعمال.

● وثانيهما: أن الترجمة لم تعد تلوناً بقدر ما صارت تجارة، تخدم أهدافاً مادية بحتة. ولا تتلاقى مع الأهداف الفكرية التي تركز عادة على النوعية المتفوقة أكثر من التركيز على الكم مع غثاثته ورداءته.

وإلا فماذا يمكن أن يفهم القارىء من عبارات كهذه:

«فور صدور **«المثقفون»**، كتبت **ناتالي ساروت**، مقالا تدين فيه النزعة التقليدية، ونقدها في رأيي لا محل له، لأنه يفترض ميتافيزيقية لا تنهض على ساقيها».

وتقول كاتبة هذا الكلام: سيمون دي بوفوار في الصفحة (٣٦٦) من كتابها قوة الأشياء (الجزء الأول).

«ليس من المستحيل أن نكتب انطلاقاً من نزعة بسيكولوجية باطلة، كتباً جديدة. ولكننا بكل تأكيد لن نستطيع أن نستخرج منها جمالية ذات قيمة».

وتقول: «إنني موافقة على أن الحوار يطرح مشكلة على الروائي، ولكني لا أعتقد على الاطلاق، أن الكلمة هي امتداد الحركات الخفية».

لقد ذهب المعنى، واختفت الفكرة الفلسفية لـ «سيمون دي بوفوار من وراء تحديد القيمة الجمالية للمضمون الإنساني للعمل الأدبي، وتلاشت الصور الحية للأبعاد الفكرية لهذا التقييم الدقيق لتأثير الشحنات الداخلية للأديب على الشكل أو القالب الخارجي للعمل الأدبي.

تلاشى كل هذا، لأن القدرة على نقل الفكرة اعتماداً على معرفة مسبقة، لما يريد صاحب العمل أن يقول، هذه القدرة غير موجودة. **وأصبحت الترجمة نقلاً للعبارات من لغتها المجردة إلى لغة أخرى، دون الالمام بما يريد أن يعبر عنه من مضامين وصور جمالية.**

إن **«عايدة مطرجي إدريس»** هي المترجم لهذا العمل، وهي من أكثر المترجمين العرب نشاطاً. وربما قدرة على استخلاص الأفكار الكلية للأعمال الأدبية، ومع هذا فقد تضاءلت الأفكار الرئيسية وراء عملية الترجمة النصية، فشوهتها إلى حد التناقض بين ما تريد سيمون أن تقوله، وبين ما ذهبت إليه المترجمة.

إن أزمة الترجمة العربية، ما تزال قضية خطيرة في الوسط الثقافي العربي. خطيرة لأنها فقدت مضمونها الفكري أولا.. ولأنها تكاد تكون معدومة في الوقت الراهن ثانياً.

ولا ندري كيف يمكن أن نعالج هذا النقص وذلك القصور، إذا نحن لم نعش بالترجمة دراسة، واستخلاصاً وتخصصاً.

هاشم عبده هاشم
جدة

بـريـطـانـيـا :

عدد هائل من الكتاب .. في كتاب واحد

السير الذاتية للمؤلفين والكتّاب البريطانيين ، وكذلك الأميركيين ، وكل ما كتبوه ، تم اقتباسه وترتيبه أبجدياً .. وطبقاً للموضوع ، وذلك في قاموس تتعدى معلوماته عشرة آلاف معلومة .. أما المواضيع التي فيه ، فيصل عددها إلى **١٣٠٠ موضوع** ، وعدد الكتّاب المختارين **٢٧٠٠ كاتب** معاصرين وقدامى .. اشترك في إعداد هذا العمل الضخم «جاستين ونيل» من بريطانيا . **وريتشارد كينين** من أميركا ، عاونهم في ذلك مجموعة تتكون من سبعة عشر عالماً وباحثاً .

*** أحدث الكتب ***

● «**لحظات عظيمة في تاريخ الهندسة المعمارية**» تأليف الرسام الانجليزي **دافيد ماكولي** ، الذي يعمل مؤرخاً للهندسة ، وقد طرح في كتابه قضية ، أساسها أن المهندسين السابقين قد أخطأوا في فهم تاريخ العالم ، ولكي يتم تصحيح أعمالهم ، لا بد وأن توضع هذه الأعمال في موضع الانسجام مع مسيرة التاريخ الماضي ، والمستقبلي .

● «**العميل الإنساني**» رواية جديدة ، تأليف الكاتب الانجليزي **جراهام جرين** ، الناشر دار **روبرت لافون** ، التي قامت بترجمتها إلى الفرنسية .

● «**خفايا ديورر**» هو اسم الكتاب الجديد الذي صدر بمناسبة الذكرى الـ ٥٠٠ على مولد الرسام الكلاسيكي «**ديورر**» .. وقد ضم الكتاب عدد من رسومات واسكتشات الفنان ، الذي يعتبر من أحب الفنانين جاذبية بأعماله في القرن الخامس عشر .

● «**البندقية وغصن الزيتون**» تأليف الصحفي البريطاني **دافيد هيرست** ، عن منشورات **فابر آند فابر** .. ويقع الكتاب في ٣٧٠ صفحة .

● «**رجال بلا ظلال**» رواية ، تأليف **حسين القباني** ، صدرت منها طبعة بالانجليزية ، ترجمة اللواء **محمد شلبي** .

● «**دليل اكسفورد عن الأدب الإسباني**» أحدث موسوعة عن الأدب والفكر في الدول الناطقة بالإسبانية .. من تأليف **فيليب وارد** .

● «**حقوق الإنسان**» تأليف **ديفيد أوين** ، وزير الخارجية البريطاني .

اسـبـانـيـا :

مهرجان ثقافي

في عام ١٩٨٠ م ، سيقام مهرجان الأندلس الثقافي في غرناطة .. الهدف منه إلقاء الضوء

سرقة ثلاث لوحات قيمتها ثلاثة ملايين دولار

سرقت ثلاث لوحات قيمتها **ثلاثة ملايين دولار** لأحد الرسامين الفرنسيين . **اللوحات لم تكن معروضة** في أحد المعارض .. **لكنها كانت مودعة في أحد المخازن** ، بمعهد الفنون بشيكاغو ، وقد اكتشف أحد الموظفين هذه السرقة .

*** أحدث الكتب ***

● «**وهم الكنيلا**» تأليف الباحث الفيلسوف **وليم بارت** ، حيث يتعرض في كتابه للتكنولوجيا ، وكيف تمكنت من الحد من قدرات الإنسان . وقد هاجم **وليم بارت** ، فكرة قيام التكنولوجيا والدعوة لتعميمها لأنها تحد من حرية الإنسان .

● «**روبرت كينيدي .. وعصره**» تأليف **آرثر سليزنجر** .

● «**آراء في النفس الإنسانية عند الفلاسفة المسلمين**» ، تأليف **الدكتور ديمتري جوتاس** ، الأستاذ المساعد في قسم الدراسات العربية والإسلامية في جامعة «**ييل**» .

● «**مجلة الأدب العربي**» التي تصدر مرة في كل عام ، صدر منها العدد الثامن .. وكان أول عدد صدر منها عام **١٩٧٠ م ..** يشرف عليها عدد من المستشرقين في جامعات أوروبا ، ضم العدد مجموعة من الدراسات والمراجعات لعدد من الكتب العربية والأجنبية .

● «**كتاب الأصدقاء**» المجلد الثالث ، انتهى من كتابته المؤلف الأميركي هنري ميلر **(٧٧ عاماً)** ، وسوف يصدر مع بداية العام المقبل .

● «**آرثر ريكس**» تأليف **توماس برجر** .

قالوا عن الفيصل

● «ولئن رحل زعيمنا قبل أن يؤدي الصلاة في أولى القبلتين فسوف يؤديها عنه كل أفراد شعبه ، وكل المؤمنين ، تنطلق من هناك دعواتهم له بالرحمة والرضوان» .

جلالة الملك خالد بن عبد العزيز

● «إن المملكة العربية السعودية باعتبارها قبلة المسلمين ، وبلد المقدسات هي الأمينة على مقدسات هذه الأمة الإسلامية ، ولهذا نعتقد اعتقاداً جازماً ، وأكيداً بأن وسيلتنا لإظهار قوة هذا العالم الإسلامي من خلال تضامنه حتى نستطيع الوصول إلى أهدافنا بأن نكون شركاء في رسم السياسة الدولية ، هذه الدعوة التي رفع لواءها شهيدنا الغالي الملك فيصل ، ويسير على منهجه جلالة الملك خالد الذي أخذ على عاتقه القيام بهذا الدور بإيمان ورحابة صدر ، حتى يصل العالم الإسلامي إلى ما يريد من عزة ورفعة وقوة ، وهو أمر نرجو من الله عز وجل أن يوصلنا إليه لتكون كلمة الله هي العليا» .

صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز
ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء

● «من الصفات التي كان يتصف بها رحمه الله ، البساطة في العيش ، والتعامل مع أبناء عشيرته بتواضع ، بالإضافة إلى ما كان يتحلى به من رأي سديد . فهو لا يحب العنف ولا يستعمله وإن كان حازماً في مواقفه ، كما كان مربياً عظيماً ، لا يتسامح حتى مع أفراد عائلته في النواحي التي يعتقد أنها أساسية .. وكنا كأبنائه ينظر إلينا نظرة عادية جداً ، لا على أساس الإمارة ، أو أن والدنا ملك ، بل على أساس المساواة والاعتماد على الذات في صنع المستقبل ، والتعامل مع الناس ، هذا إلى جانب عدائه للهو وتفضيله الجدية والاتزان في تصرفات الجميع» .

صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل
أكبر أنجال الشهيد

● «بعد أن تدرب على الدبلوماسية وتعلم من الصحراء ، لا يصبح غريباً أن يقود الملك فيصل حركة التقدم في المنطقة العربية بأسرها» .

الزعيم الفرنسي الراحل «شارل ديجول»

● «لا شك أن الملك فيصل يتمتع بمزايا رجل الدولة» .

الرئيس الأميركي الأسبق «ليندون جونسون»

● «لم أجيء إلى العربية السعودية لأتكلم فيها عن النفط كما هو شأن أكثر

على الثقافة الإسبانية العربية في الفترة ما بين **القرن العاشر، إلى القرن الخامس عشر الميلادي**، ودراسة الآفاق المستقبلية لتوثيق التعاون الثقافي بين إسبانيا والوطن العربي .

«أوراق» .. مجلة جديدة

المعهد الإسباني العربي للثقافة، أصدر حديثاً مجلة ثقافية تحمل اسم **«أوراق»** .. حيث تقوم بالاشراف عليها تحريرياً الدكتورة **مانويلا مارين** .. يعاونها مجموعة من الأساتذة والباحثين من الوطن العربي .. وإسبانيا .

أحدث الكتب

● **«القصائد التي كتبها الشاعر الشيلي بابلو نيرودا عام ١٩٤٥ م»**، صدرت في مجلد .

بابلو نيرودا من الشعراء الذين حصلوا على جائزة نوبل **(١٩٧١ م)**، وتعتبر أشهر أعماله، وهو ديوانه الذي صدر في **(١٩٥٠ م)، تحت اسم «الأغنية الشعبية»** .

إيطاليا

دكتوراه .. في «الوشم» !

حصلت الايطالية **ماتيلدا جاليياردي** على رسالة الدكتوراه، وكان موضوع الرسالة عن مسار القصة العراقية الحديثة، وقد بنت - ماتيلدا - رسالتها على رواية **«الوشم»** للكاتب العراقي **عبد الرحمن مجيد الربيعي** .

أحدث الكتب

● «نشر مكتب الجامعة العربية في روما كتاباً **للدكتور عيسى الناعوري**، باللغة الايطالية عن **«فدوى طوقان، شاعرة المقاومة العربية»** .. وهو يشتمل على تسع عشرة قصيدة من أشعارها، وقد وزع الكتاب في حفل توزيع الجوائز، وقد حل هذا الكتاب بالتعريف - أكثر - بالشاعرة الفلسطينية التي فازت بالجائزة ولم تتمكن من حضور الحفل، وهي تعيش داخل الأرض المحتلة .

● **«الحياة السفلى»** تأليف البرتو مورافيا، المعروف بمناصرته للقضية العربية وعلى الأخص القضية الفلسطينية .

سويسرا

وفاة روائي إسباني

عن ٩٢ عاماً، توفي الروائي الإسباني **سلفادور دي مادرياجا**، ولقد كان سلفادور ضمن الفنانين الذين تركوا إسبانيا في عهد حكومة فرانكو، مثل **بيكاسو** وغيره من المهاجرين والهاربين .. وقد عمل **سلفادور** في انجلترا أستاذاً للغة الإسبانية وآدابها في **جامعة اكسفورد** .

يتحول إلى الرسم بحثاً عن الراحة من عناء الكتابة

«المأساة» آخر أعمال الروائي السويسري **فريد ريشن ديرنمات**، لكن هذا الاسم ليس على إحدى روايات أو مسرحيات الكاتب، **وإنما هو اسم لوحة زيتية ممزوجة أيضاً بألوان الجواش، مقياس (٨٢×٦١ سم)** .

هذه أول مرة يعلن فيها الكاتب السويسري أنه يمارس فن الرسم عندما يريد الاستراحة من متاعب التأليف، وقد غامر الكاتب في إقامة معرض تشكيلي لأكثر من مئة لوحة من أعماله المرسومة بالزيت .. **لكن المعرض لم يلاق في ذلك النجاح الكبير الذي حققته من قبل مسرحياته وأعماله الأدبية** .

دليل مصور

البعثة السويسرية الموفدة عن دار النشر **«بيرلتز»** انتهت من تصوير المعالم الأثرية والسياحية في صعيد مصر، وذلك لطبع دليل مصور في تسع لغات أجنبية، وسوف تهدي الدار السويسرية حوالي ألفي نسخة من ذلك الدليل إلى وزارة السياحة المصرية لتوزيعها في مكاتبها بأنحاء العالم .

بلجيكا

«مجريت» شاعر الألوان !

سوف يتم نقل لوحات - **عددها ٢٠٠ لوحة** - من قصر الفنون الجميلة ببروكسل إلى مركز جورج بومبيدو بباريس .

اللوحات للفنان **رينيك مجريت**، الذي ظل لمدة خمسين عاماً يرسم كل ما في العالم من أشياء، وحتى أطلقوا عليه شاعر الأشياء اليومية، وهو بالفعل يملك روح شاعر، فهو عندما يرسم شيئاً فإنه يريد أن يقول شيئاً آخر .

رينيك مجريت من مواليد (١٨٩٨م) .

الناس، لقد جئت لأستفيد من حكمة الملك فيصل ..» .

الرئيس الأميريكي الأسبق «ريتشارد نيكسون»

● «وأخيراً .. وجدنا «الرجل المعتدل» فيصل ..» .

رئيس وزراء بريطانيا الأسبق «هارولد ويلسن»

● «في عهد فيصل بدت المملكة العربية السعودية كواحة للسلام والحكمة .. ولكنها لا تشبه أبداً سويسرا بعزلتها الطبيعية والتاريخية والسياسية» .

الكاتب الفرنسي «مارسيل جرو»

● «كان المعروف منذ زمن طويل أن المملكة العربية السعودية تلعب دوراً ثانوياً في مشكلة الشرق الأوسط، أما الآن فهي تلعب دوراً كبيراً .. والسبب أن لديها رئيساً يعرف ما يريد، هو الملك فيصل ..» .

الصحفي الألماني «ماجالي فون برنتانو»

● «إن فيصلاً من بين كل الحكام هو الذي قابل خلال حياته السياسية أكبر عدد من رجال السياسة ورؤساء الدول» .

الكاتب الانجليزي «جيرالد دوجوري»

● «إن هذا الرجل ذو الوجه النحيل والخطو المتشامخ هو فيصل بن عبد العزيز آل سعود، ملك الجزيرة العربية وحارس المدينتين المقدستين، أحد أكثر الحكام غنى وأقواهم في الأرض، في ذلك النصف الثاني من القرن العشرين» .

الكاتب الفرنسي «بنوا ميشان»

● «تحت حكم مليكها الجديد (فيصل)، سوف تؤكد المملكة العربية السعودية أن الانتقال من دولة تقليدية إلى دولة حديثة لا يتطلب بالضرورة ثورة أو اشتراكية عربية» .

الصحيفة البريطانية «ديلي تلليجراف»
١٩٦٤ م

● «فيصل سيد الساعة» .

المجلة البلجيكية «ملاحظات إفريقية»
١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

● «فيصل هو رجل العام» .

المجلة الأميريكية «تايم»
١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

النمسا

قانون يمنع الصبية من الغناء !

هناك رجل استطاع أن يجبر السلطات النمساوية على تطبيق قانون يمنع الصبية من الغناء ، وقد حدث ذلك لأول مرة خلال (٤٨٠) **سنة** . . « جوقة الصبية المغنين » المشهورة في العالم . . ويرجع السبب في ذلك ، أن ابن ذلك الرجل رسب في الامتحان عندما تقدم للانضمام إلى هذه « **الجوقة** » . . وقد طبق القانون بعدم ممارسة « **جوقة الصبية** » للغناء ، لأن هناك قانون يمنع الصبية الذين تحت سن (١٥) سنة من العمل خلال العطلات وأوقات الراحة .

*** أحدث الكتب ***

● « **انطباعات عن تونس** » مجموعة من القصائد الشعرية للشاعر النمساوي **هوجو شنوفسكي** ، صور فيها الحياة اليومية التي عاشها في تونس . . في صور شعرية .

كندا

*** أحدث الكتب ***

● « **دور المرأة في الأدب الروائي المعاصر في شمالي إفريقيا والعالم العربي** » . . كتاب باللغة الانجليزية للمغتربة اللبنانية « **إيفلين عقاد** » . . وهو نص رسالتها التي تقدمت بها إلى جامعة أنديانا في الولايات المتحدة الأمريكية .

اليابان

معرض تشكيلي عن عصر نابليون الثالث

أقيم بأحد القصور في طوكيو ، معرض للفن الفرنسي في عصر الإمبراطورية الثانية ، يضم مجموعة مختارة من الأعمال الفنية المختلفة التي توضح ملامح المجتمع الفرنسي في ذلك الوقت تحت حكم نابليون الثالث .

وقد كانت لوحة « **الإمبراطور والإمبراطورة** » من أشهر الأعمال التي عرضت ، والتي اشترك في رسمها الفنانان « فلندران » و« ترهولتز » ، وكذلك لوحة « **السيدة ذات الرداء الأحمر** » التي رسمها « لتيسوو » .

الصين

اكتشاف مدينة تاريخية

في مقاطعة « **فوشان** » شمالي الصين ، اكتشفت مدينة تاريخية ، تعود « إلى العصر الأنيوليتي » . . حيث عثر أعضاء البعثة العلمية الصينية على **٤٠٠ وعاء** ، وعدد من الهياكل العظمية . . **و٧٧ مدفناً** . . ويجري العلماء بعض الدراسات حول هذه المكتشفات التي تدل على وجود آثار أخرى مختلفة .

روسيا

*** أحدث الكتب ***

● « **الصمت والموت** » مختارات من قصص الكتاب السوريين ، ترجمت إلى اللغة الروسية ، تحت اشراف **م . ماليشييف** ، بتقديم **ف . شاجال** .

عنوان المجموعة مأخوذ من أحد القصص للكاتب السوري **فاضل السباعي** تم طبع (٥٠) ألف نسخة منها .





تيم TIM



● لوي ميتلبرج تيم ولد في ٢٩ يناير/كانون الثاني عام ١٩١٩م بمدينة كالوزين ببولندا .

● درس العمارة بالمدرسة القومية العليا للفنون الجميلة بباريس .

● نشر رسوماته الكاريكاتيرية الأولى بجريدة « فرانس » اللندنية .

● وضع الرسومات الداخلية لأعمال كافكا وزولا الكاملة .

● أصدر كتالوجين لرسوماته المتنوعة ، الأول عام ١٩٦٠م ، والثاني عام ١٩٦٩م .

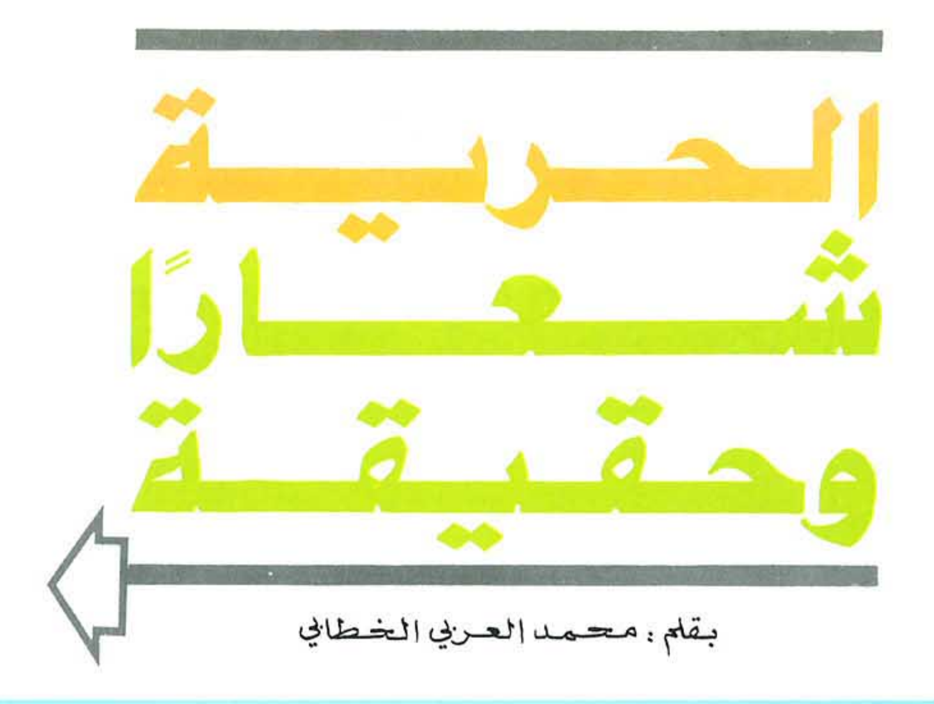
●● تقترب رسومات « تيم » الكاريكاتيرية من التصوير الفوتوغرافي وخاصة في رسمه للوجوه « البورتريه » .

●● وتميل أغلب رسوماته إلى التعبير عن المواقف السياسية لدى الشخصيات الرسمية والتعبير عن المواقف الإنسانية لدى الشخصيات الأدبية والفنية .

●● له رسومات معروفة تصور ديجول وبومبيدو وخروشوف من ناحية ومالرو وسيزان وبيكاسو من ناحية أخرى .

●● ويمثل الرسم المنشور هنا الفنان بيكاسو في مرسمه ، فإذا تأملنا شكل بيكاسو وتكوينه لوجدنا أوجه الشبه كبيرة بينه وبين الفنان « تيم » .

●● و « تيم » هو أحد البولنديين القلائل الذين برعوا في فن الكاريكاتير وانطلقوا عبر آفاق الفن الرحبة في باريس .



الحرية شعارًا وحقيقة

بقلم : محمد العربي الخطابي

قال تيوسيديد : «**لا سعادة بدون حرية ولا حرية بدون شهامة**» ، فإذا كان هذا القول يعني أن الشهامة هي قوام الحرية والسعادة معاً فإننا نعلم أن الشهامة ليست ، ويا للأسف ، من حظ كل الناس .

فالمخلوقات البشرية فيها الضعيف والمستضعف والجبان ، وفيها عبد الهوى والمادة ، وهؤلاء جميعاً تعوزهم الشهامة حتماً ، أضف إلى هذا أن المجتمع كثيراً ما يفرض ضروباً من القسر الفكري والسياسي والاجتماعي والاقتصادي ، بل وحتى التكنولوجي ، يفقد معها الإنسان حرية الاختيار فتصبح الشهامة آخر ما يحرص سواد الناس على التحلي به .

ونحن نعلم أن الإنسان في عصرنا هذا - **ولا سيما في الدول المتقدمة صناعيا** - يتعرض لضغوط من النوع الذي ذكرناه تجعله يفقد قسطاً كبيراً من حريته ، هذه الحرية التي طالما تغنى بها الناس ونصبوا لها التماثيل ورفعوا شعاراتها في كل مكان ، والتي هي - كما قال الشاعر والمفكر **بول فاليري** - «من تلك الكلمات البغيضة التي تفوق قيمتها معناها» .

حرية السراب والجريمة

إن وسائل الاتصال الجماعي - التي هي حق من حقوق الناس في هذا العصر - تمد يدها الناعمة لتنال في رفق وإصرار من «حرية» الأفراد وهم مذعنون راضون .

فالإنسان المعاصر يحرص على الاستماع إلى الاذاعة ومشاهدة التلفزيون والسينما ويقرأ فيما يتاح له من خلوة أو في زحام الحافلات واكتظاظ المقاهي صحيفته المفضلة فيتكون عنده «رأي» عن أمور الحياة والناس ، رأي يُوحَى به إليه في الغالب فيسري في فكره وقلبه بعذوبة فلا يلبث أن يؤثر في سلوكه العام وتصرفاته اليومية .

ويمر المرء في الشوارع متفسحاً أو ساعياً إلى عمله أو بيته فيشاهد عشرات الاعلانات الملونة والمضيئة ترشده إلى نوع القهوة التي ينبغي له أن يشربها أو الصابون الذي يستحسن أن يغتسل به أو الهيئة السياسية أو النقابية التي يجب عليه أن يمنحها ثقته ، وبذلك تسري في نفسه - لا شعورياً - قناعة «حرة» لا تلبث أن تؤثر في اختياراته من حيث مواد الاستهلاك وأماكن الاستجمام والراحة والمتعة بل حتى من حيث المشرب السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي ينبغي له أن ينحوه .

ويضطر هذا المرء نفسه ، بحكم الضرورة اليومية ، إلى استقلال وسائل النقل الجماعي المتوفرة في بلده فيختلط بالناس في زحام شديد يكاد يمنعه من الحركة والتنفس ، ثم يقضي معظم يومه في مصنع تتحكم في سيره آلات مزعجة الضجيج أو في مؤسسة تثقله فيها آلات الأضابير والجذاذات والآلات الكاتبة والحاسبة ، وتوجه عمله وتفكيره نظامات إلكترونية (كومبيوتر) تحلّل له المعطيات وتستخلص النتائج وترسم سير العمل واتجاهاته .

وفي أيام الفراغ يجتهد الإنسان - إن هو أسعفته الوسائل - في البحث عن **أسباب الراحة والترفيه** في شواطىء البحار أو في قلب الغابات ورحاب الحقول أو في بعض الأندية وأماكن اللهو ، فلا يكاد يجد بقعة هادئة يستجمع فيها أنفاسه ويُروّح فيها عن أعصابه المهدودة ، فالطرق مخنوقة بقوافل السيارات ، وأماكن الاستجمام مكتظة بالناس مصدوعة بالصخب ، والأنهار والبحيرات ملوثة وشبه آسنة تفسد على الناس متعة الصيد والاسترخاء فضلا عما تحاط به الأماكن الهادئة القليلة من سياجات وحواجز تعلوها إعلانات ولافتات تمنع الدخول من هنا وتحظر الجلوس أو التفسح هناك .

هذا ويمتلىء فضاء الدنيا الواسع بالتوابع الصناعية تجري في مدارات معلومة وتتجسس على الأرض وتلتقط آلاف الصور عن موارد الطاقة والمعادن وعن تحركات الجيوش وأسلحة الدمار وعن حركات البشر وسكناتهم فتحصي عليهم الأنفاس .

أضف إلى ذلك كله هذه الموجات العارمة من الإباحية والانحلال والهمجية الجديدة التي تجتاح كثيراً من أقطار الأرض وتتجلى فيما يعرض في القاعات والأسواق من أفلام وكتب ومجلات تخاطب أحط الغرائز وتمجد العنف والدعارة والارهاب ونبذ القيم الخلقية والروحية ، وبذلك تكثر الجرائم ويتفشى الانتحار

وإدمان المخدرات بين الشبان والشابات وتروج بينهم العقائد الإعراضية المدمرة للأسرة والفرد والمجتمع .

كل هذا يجعل من حرية الإنسان ضربا من السراب ويحيل الأفراد إلى عبيد من نوع جديد . وما أصدق تلك القولة التي فاهت بها **مدام رولان** وهي تقاد إلى المقصلة إبان الثورة الفرنسية : « **أيتها الحرية ، كم من جرائم تقترف باسمك** » قالتها وهي تواجه تمثال الحرية المنتصب أمامها في **ساحة الثورة بباريس** ، وما أكثر ما تطابق هذه القولة حالة الحرية في هذا الزمان المعاصر .

* * *

ما هي ، اذن ، هذه الحرية التي يتحدثون عنها كثيرا ، هل هي فكرة وقيمة أم أنها نظام سياسي واجتماعي واقتصادي ، أم أنها محض حلم ما زال يراود الفلاسفة وأهل الفكر ؟ ذلك ما سنحاول بحثه فيما يلي من كلام ننتهي به أو ينتهي بنا إلى تحليل مفهوم « الحرية » في الفكر الاسلامي .

الحرية .. في اللغة

أصل الحرية في **اللغة** حالة يكون فيها الفرد سيد نفسه لا يملكه غيره بسبي أو بيع أو شراء أو سخرة ، والحرية بهذا المعنى نقيض الرق والعبودية تتفق في ذلك اللغة العربية واللغات الأخرى .

يقول **ابن منظور** في (**لسان العرب**) : « والحرُّ ، بالضم ، نقيض العبد ، والجمع أحرار وحِرَار . . . والحرَّة نقيض الأمة ، والجمع حرائر . وحرَّره : أعتقه ، والمحرَّر الذي جُعل من العبيد حُرًّا فأُعتق » .

ولفظ الحرية في اللغات الأوروبية مشتق من كلمة LIBERTAS اللاتينية ومعناها ـ حسب المعاجم الفرنسية التي رجعنا إليها وأهمها (**روبير الكبير**) و (**معجم لاروس الموسوعي**) « حالة الشخص الذي لا تربطه تبعية مطلقة لأحد . . . وهي خلاف العبودية » .

وتلخص **الموسوعة البريطانية** معنى الحرية بقولها : « الحرية تناقض ، على الخصوص ، سياسة الإخضاع والحبس والرقّ » .

لقد كانت المجتمعات القديمة عموماً مؤلفة من سادة (أحرار) وعبيد (أرقاء) ومع الزمن اكتشف الناس ، بالمقارنة بين حالتي الحرية والعبودية ، أن لفظ الحرية يمكن أن ينطوي على معاني أخرى تذهب أبعد من دلالته الأصلية المحدودة ، وفي هذا يقول پول فاليري : « **كانت جل المجتمعات المنظمة مؤلفة ، طوال قرون ، من فئتين من الأفراد : العبيد والأحرار ، ثم أصبحت الحرية بعد ذلك مثلا وأسطورة وخميرة . . . وغدت كلمة الحرية مليئة بالوعود مجللة بالأخطار . . . هذه الحرية التي يبدو من الصعب فصلها عن مفاهيم المساواة والعدل** » .

وقبل النظر في التطور الذي آل إليه مفهوم الحرية مع الزمن نعود ، برهة ، إلى صاحبنا ابن منظور لنكتشف معه بعض المعاني التي كان العرب القدامى يعطونها للفظ الحرية فضلا عن المعنى الذي أشرنا إليه من قبل ؛ جاء في (لسان العرب) : « وتحرير الولد : أن يفرده لطاعة الله عز وجل وخدمة المسجد ، وقوله تعالى : ﴿ إني نذرت لك ما في بطني محرّراً فتقبل مني ﴾ ، قال **الزجاج** : هذا قول امرأة عمران ومعناه : جعلته خادماً يخدم في متعبداتك ، وكان ذلك جائزاً لهم وكان على أولادهم فرضاً ولم يكن ذلك النذر في النساء إنما كان في الذكور . . . » .

ويضيف (لسان العرب) : « والحرُّ من الناس أخيارهم وأفاضلهم ، وحرية العرب أشرافهم ، وقال **ذو الرمة** :

فصار حياً وطُبِّق بعد خوف
على حرية العرب الهزالى

أي على أشرافهم . . . ويقال هو من حرية قومه أي من خالصهم . والحرُّ كل شيء فاخر من شعر أو غيره ، والحرَّة والحر : الطين الطيب . . . وحرُّ الرمل وحر الدار : وسطها وخيرها . . وطينٌ حرٌّ : لا رمل فيه ، ورملة حرّة : لا طين فيها ، والجمع حرائر ، والحرّ : الفعل الحسن ، والحرَّة : الكريمة من النساء » .

ويلخص (**المعجم الوسيط**) كل ذلك بقوله : « الحر الخالص من الشوائب ، والحرية الخلوص من الشوائب والرق واللؤم » . وهكذا نرى أن الحرية عند العرب الأقدمين كانت حالة اجتماعية أو مجرد صفة مادية أو حلية فلم يكن هذا اللفظ بذاته يدل على قيمة معنوية أو مبدأ سياسي واجتماعي .

الحرية .. والقانون

وفي هذا العصر قد يدل لفظ الحرية بمعناها الواسع على حالة من لا يعاني نيوداً أو أنها القدرة على التصرف دون قسر أو إكراه . . إلا أن الأمر في الواقع ، ليس على هذا القدر من البساطة .

فهذا (**لالاند**) في معجمه الفلسفي يقول لنا بأن الحرية هي « انعدام أو زوال كل قيود تعتبر شاذة وغير مشروعة ولا أخلاقية » .

وتتدخل **الاعتبارات القانونية والسياسية والاجتماعية في أمر الحرية** وبذلك يمكن تعريفها بأنها قدرة الإنسان على أن يتصرف ، داخل مجتمع منظم ، بملء إرادته وفي حدود القوانين القائمة .

ويبسط **القانون والعرف** السائد سلطتها على الحرية فيسمحان للأفراد بممارستها باعتبار أنها حق من حقوقهم المضمونة ، لكن في حدود معلومة لا يجوز لهم تعديها .

ألم يقل المفكر **مونتسيكو** بأن الحرية هي « الحق في فعل أي شيء تبيحه القوانين » وذلك بعد أن أكد أنه « لا توجد كلمة أُعطي لها من المعاني أكثر مما

أعطي للحرية ، وبعد أن وصفها بأنها « خيرٌ يتيح لنا الاستمتاع بالخيرات الأخرى »؟ جاء ذلك في كتابه (روح القوانين).

وإذا ربطنا الحرية هكذا بالقانون وما يتيحه من حقوق ويقدمه من ضمانات فإن نقيض الحرية يكون الفوضى والإباحية ، وقديماً زعم **أفلاطون** أن الحرية الفردية هي ما يمكن الإعراب عنه دون حدود ، وسماها **الديمقراطية المباشرة** أو الفوضى ، وهذا ما يزعمه في عصرنا هذا قوم من الفوضويين يرفضون سلطة الدولة والقانون وينكرونها .

* * *

جاء في **التصريح العالمي لحقوق الانسان** أن « الحرية هي القدرة على عمل أي شيء لا يضر بالغير . وهكذا فإن ممارسة الحقوق الطبيعية لكل إنسان لا يحدها إلا ما يضمن لأفراد المجتمع الآخرين الاستمتاع بنفس الحقوق ، وهذه الحدود لا يمكن أن يقيمها سوى القانون » .

وعلى كل فان أوصافا ونعوتا شتى تضاف إلى الحرية لتحدد دلالالتها المختلفة في القانون والاجتماع والسياسة والاقتصاد ، بل في الفلسفة وعلم النفس والأخلاق كذلك .

فالحرية الطبيعية فطرة في نفس الإنسان تجعله يتصرف باختياره لا بإكراه خارجي ، وحرية الاختيار أن يكون في مستطاعك أن تقرر بنفسك شؤون نفسك بمعزل عن العلة والدافع .

والحرية المعنوية (**أو الخلقية**) حالة الكائن الذي يتصرف بملء وجدانه وبعد تفكيره ، وهي بهذا المعنى نقيض الطيش والاندفاع وعدم التبصر . **قال أوغست كونت : «أفضل الحرية ما يجعلنا نعمل جهد المستطاع من أجل أن تتغلب نزعات الخير على نزعات الشر»** ، وينطوي هذا المفهوم على عين الحكمة وكأنه قد استنبط من **فلسفة الاسلام** الذي : يربط الحرية بالعقل والخلق كما سنرى .

ومن سفاهة الرأي ما ذهب إليه **فولتير** حينما قال : « الحرية عندي هي القدرة على التفكير في شيء أو عدم التفكير فيه ، كما أنها القدرة على التحرك أو عدم التحرك طبقاً لاختيار فكرك » . فهذه هي السفسطة بعينها ، وإلا فكيف يكون الموقف السلبي حرية والحال أنها شيء إيجابي ، وهي لا تتحقق إلا بالتفكير والحركة والفعل ، وعكس ذلك لا يمكن أن يكون إلا ضلالا وعدماً .



★ أحمد شوقي ★
وللحرية الحمراء باب



★ فولتير ★
الحرية : القدرة على التفكير أو عكسها

هذا وللحرية معناها الخاص في الفلسفة وعلم النفس ، فهي الطابع اللاحتمي لارادة الإنسان أو هي استقلال الارادة ، وقد لخصها **سارتر** في شيء واحد هو « **استقلال الفكر** » . ويقول **ديكارت** : « ان حرية الارادة فينا تعرف بدون أدلة بل يكفي ما يحصل لدينا عنها من تجارب » .

واذا انتقلنا إلى ميدان **القانون والسياسة والاجتماع** نجد أن الحرية في القانون العام تنحصر في قدرة الفرد على فعل أي شيء لا يضر بالآخرين ، ويمكننا أن نميز في هذا الميدان نوعين من الحرية هما :

١ ـ **الحرية المدنية** : وهي انعدام القيود التعسفية وضمان حقوق الأفراد المدنية في نطاق احترام القانون .

٢ ـ **الحرية السياسية** : ويقصد منها حق الأفراد في المساهمة في الحكم عن طريق التصويت وتولي الوظائف العمومية ، حسب المفهوم الانجلوسكسوني ـ أو هي حق الشعب والمواطنين في وضع القوانين مباشرة أو بواسطة ممثلين يختارونهم ـ أو هي ، بايجاز ، حق الأفراد في أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم ـ حسب المفهوم الفرنسي ـ .

والحريات العمومية (أو العامة) عبارة شائعة في هذا العصر خاصة : حرية الفرد ، والحرية البدنية ، وحرية الاجتماع وتأسيس الجمعيات والانخراط فيها ، وحرية الرأي والتعبير والصحافة ، وحرية الضمير والاعتقاد ، وحرية التعليم والشغل والتبادل ، وحرية الحياة الخاصة (أي حرمة البيت والمراسلة) .

وهذه الأنواع من الحريات العمومية معروفة ومنصوص عليها في الدساتير والقوانين السائدة في معظم دول الغرب والشرق كما ينص عليها التصريح العالمي لحقوق الانسان وغيره من المواثيق الدولية والاقليمية .

وقد اتسع مدلول الحرية ، لا سيما بعد الحرب العالمية الأولى وما خلفته من تدهور اقتصادي ، فأخذ يتجه للدلالة على ما يتاح للناس من فرص وأمن في الميدان الاقتصادي ؛ وتأثير الحركات المذهبية الاقتصادية في ذلك واضح كما تقول (الموسوعة البريطانية) .

هذا وتدل الحرية أيضاً على وضع الشعوب التي لا ترزح تحت نير سلطة طاغية أو سيطرة أجنبية ، وبهذا المعنى ورد ذكرها في البيت المشهور **لأحمد شوقي** : وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة تدق .



الحرية .. في الاسلام

بعد هذه الجولة يجدر بنا الآن أن نبحث بـإيجاز في مفهـوم الحـرية في الحضارة والفكر الإسلاميين .

لقد سبق أن لاحظنا أن لفظ الحرية لم يكن سائداً عنـد العـرب القـدامى بمدلوله السياسي والاقتصادي والاجتماعي والفلسفي الذي نعرفه اليـوم ، غـير أن هذا لا يعني أنه لم تكن هنالك ألفاظ أخرى تؤدي بعض هذه المعاني التي أشرنا إليها وذلك في قالب يتفق مع روح الإسلام ومقاصده .

على أن الجذر . . حرر . . وارد في سبعة مواضع من **القـرآن الـكريم** بالصيغ الثلاث التالية : الحر ، تحرير ، محرر .

ففي **سورة البقرة / ١٧٨** نقرأ قـول الله تعـالى : **﴿ كتـب عليـكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ﴾** والحر هنا نقيض العبد كما هو واضح .

أما لفظ **« تحرير »** فقد تكرر ثـلاث مـرات في **سـورة النسـاء / ٩٢** : **﴿ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبـة مـؤمنة وديـة مسـلمة إلى أهله ﴾** . « وورد نفس اللفظ في **سورة المائدة / ٨٩** و**سورة المجادلة/٣** ، وتحرير هنا بمعنى العتق والفك .

وجاء لفظ «محرراً» في **سورة آل عمران / ٣٥** :

﴿ رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً ﴾ . وقد عرفنا معنـاه في مـوضع آخر .

هذا وقد ورد في كلام العرب القديم ، شعراً ونثراً ، لفـظ الحـرية بمختلف الصيغ إلا أن المعنى كان منحصراً فيما سبق أن بيناه نقلاً عن صـاحب (لسـان العرب) .

وفي هذا الصدد لا نملك إلا أن نقف مبهورين أمام تلك القـولة المشـهورة المأثورة عن **الخليفة عمر بن الخطاب** رضي الله عنـه : **« متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ »** ومعناه العميق أن الحـرية فـطرة يولد الناس عليها ، وأنهم لم يخلقوا عبيداً وأن العبودية شذوذ يخالف القـاعدة . فأين هذا الكلام النافذ الحصيف مـن تلك الآراء الـتي كان يعتقـدها بعض مفكري الغرب ومنهم **السير روبرت فيلر** الانجليزي الـذي كان لـه مـوقف يتلخص في أن البشر ولدوا عبيداً وأنهم ليسوا أحراراً بـالفطرة ؛ وقـد رده إلى الصواب معاصره **جون لوك** وفند مـزاعمه في كتـابه المشـهور (**في الحـكم المدني**) الذي نقله إلى العربية الأستاذ **مـاجد فخـري** ضـمن مجمـوعة (**الروائع الانسانية**) .

* * *

ومهما يكن من أمر فليس المهم أن يكون لفظ الحرية بذاته قد استعمل في الفكر الإسلامي للدلالة على المعاني التي نفهمها منـه اليـوم ، إنمـا قصـدنا أن نتعرف على المفهوم الإسلامي للحرية بوصفها قيمـة خلقيـة وممـارسة فعليـة لا مجرد لفظ وتعريف ، وربما يكون من المناسب أن نتمعن في مدلول بعض الألفاظ والمصطلحات التي قد استعملت للدلالة على الحرية بمعنـاها الـواسع كما يـراها مفكرو الإسلام .

واللفظ الأول الذي لفت نـظرنا هـو **« الارادة »** وقـد عـرفها **الشريف الجرجاني** في كتابه **« التعـريفات »** كما يلي : « الارادة صفـة تـوجب للحي حالا يقع فيه الفعل على وجه دون وجه » وأنهـا « **ميـل يعقـب اعتقـاد** النفع » .

ويعرفها **الراغب الأصفهاني** في مفرداته بقـوله : « والارادة في الأصـل قوة مركبة من شهوة وحاجة وأمل ، **وجعل اسماً لنزوع النفس إلى الشيء مع الحكم فيه بأنه ينبغي أن يفعل أو لا يفعل** ، ثم يستعمل مـرة في المبدأ وهو نزوع النفس إلى الشيء وتارة في المنتهى وهو الحكم فيه بأنه ينبغي أن يفعل أو لا يفعل » .

والجمل التي وضعنا تحتها خط تجعل مدلول الارادة يقارب الحـرية المعنـوية أو الخلقية التي قلنا بأنها حالة الكائن الـذي يتصرف بمـلء وجـدانه وبعـد تفكيره ، ففي كلّ « ميل وشهوة وحاجة » وفي كلّ « ميل واعتقاد النفع » .

هذا وقد قرأنا **لشيخ الاسلام ابن تيمية** في رسالة لـه عـن الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر : « وكل بشر على وجه الأرض فلا بد له مـن أمـر ونهي ، ولا بد أن يُؤمر ويُنهى ، حتى لو أنه وحده لكان يأمر نفسه وينهاها إما بمعروف وإما بمنكر » ثم قال : فإن الأمر هو طلب الفعل وارادته ، ولا بد لكل حي من إرادة وطلب في نفسه يقتضي بها فعل نفسه ويقتضي بها غيره إذا أمكن ذلك ، **فان الانسان حي يتحرك بارادته** وبنو آدم لا يعيشون إلا بـاجتماع بعضهم مع بعض » .

في هذه « الارادة » ـ كما فهمها مفكرو الاسلام ـ تـكمن حـرية عاقلة متحركة تقود خطوات الانسان وتـرشده وتـدله على الخير



والشر ليفعل أو يترك ويكون على نفسه حسيباً رقيباً في ظل الارادة الاهية المطلقة ، فالحرية بهذا المعنى تستوجب المسؤولية وهما متكاملتان ، قال الله تعالى : ﴿ قد جاءكم بصائر من ربكم ، فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها ﴾ (الانعام/١٠٤) .

وهنا نتطرق إلى مسألة « **الاختيار** » وهو نوع من الحرية الفطرية التي ينبغي ألا تتقيد إلا بارادة الله ، يقول الله تعالى : ﴿ **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون** ﴾ (النحل/٧٨) وقال ﴿ **إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا** ﴾ (الانسان/٢) فالسمع والبصر والفؤاد وسائل جعلها الله للإنسان كي يستعين بها على الاختيار ؛ والابتلاء دليل على هذه الحرية الفطرية التي أشرنا إليها ، المقصود أن يعرف الإنسان طريق الخير والشر بنفسه وأن يختار أيها يسلك مستعيناً بما يملكه من عقل وإحساس وبصيرة ؛ ويتضح هذا المعنى في الحديث الشريف : « **إن الدنيا حلوة خضرة ، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون** » (صحيح مسلم) .

ولا حاجة بنا إلى الاطالة في مسألة « الاختيار » هذه التي هي من دلالات الحرية المرتبطة بارادة الله ، وحسبنا أن نذكر بهذه الآيات الكريمة : ﴿ **وأن ليس للانسان إلا ما سعى** ﴾ (النجم/٣٩) ﴿ **إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا** ﴾ (الانسان /٣) ﴿ **ألم نجعل له عينين ، ولسانا وشفتين ، وهديناه النجدين** ﴾ (البلد /٨-٩-١٠) ومعنى « **النجدين** » طريقا الخير والشر .

ولست أرغب في أن أخوض فيما خاض فيه أهل الجدل والكلام من أمور **الجبر والاختيار** ، فليس هذا هو قصدنا ولا موضوع حديثنا إنما **أريد أن ألفت النظر إلى قاعدة أخرى من قواعد الحرية في مفهوم الاسلام ، تلك هي « الهداية » التي قال عنها الراغب الأصفهاني في مفرداته إنها « تختص بما يتحراه الانسان على طريق الاختيار إما في الأمور الدنوية أو الآخروية ، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة يمكن أن نفهم منها أن الهداية نوع من حرية الاختيار ، ميز الله بها الانسان بما وهبه من عقل وإدراك وتمييز** ؛ من ذلك قوله تعالى : ﴿ **ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى** ﴾ (طه/٥٠) ﴿ **الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم** ﴾ (يونس/٩) فالهداية - كما قال الشريف الجرجاني - « طريق يوصل إلى المطلوب » . وهي تبعد الإنسان عن الضلال واتباع الهوى وتجعله خاضعاً بالعبودية لله وحده ، وهو بذلك يتحرر ويحقق استقلال ذاته وارادته .

قرأت لاستاذنا المرحوم **علال الفاسي** في كتابه (**النقد الذاتي**) : « إن الفكر الديني في الإسلام معناه الحرية الكاملة ، والتفكير المطلق في اعتداد بالمثال الأعلى ، ومراقبته في كل الشؤون وعدم الخضوع لأحد أو لجماعة تريد أن تعطي لنفسها مكان التمثيل الالهي في الأرض وتعبيد الخلق باسم الدين لأهوائها » .

هذا وان احترام حرية الآخرين داخل الجماعة يتحقق بقاعدة عملية من قواعد السلوك في الاسلام هي : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي قاعدة قوامها الشريعة وغايتها جلب المنافع للفرد والجماعة ودرء المفاسد عن الجميع أي حماية الحرية وضمان الحقوق .

والتقوى خلق آخر من أخلاق الاسلام يلازم الحرية ويدلها على حدودها ، فالتقوى صوت الضمير يكتسبها الإنسان بالتربية ولا يُكره عليها ، فهي ، إذن ، اختيار حر - إن صح التعبير - يهتدي إليه الإنسان المؤمن ويهتدي به في طريق الحياة .

وهناك مبدآن آخران من مبادىء الإسلام يكملان الحرية بمفهومها الصحيح وأقصد بها : **الإخاء والمساواة** فهما يجعلان المرء يحس بقيمته وكرامته بين أمثاله ، **الكل سواسية أمام الله لا يفرق بينهم العنصر أو اللون أو النسب أو اللغة ، مقياس المفاضلة الوحيد هو التقوى** ، والأمر في ذلك راجع إلى الله وحده : ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ .

وبعد ، فإن الحرية الحق هدى من الله ، وهي حرية مسؤولة عاقلة متحركة قوامها الفرد نفسه ، والفرد بالجماعة : لا ضرر ولا ضرار ، ولا عدوان ولا جبروت ، ولا حكم لهوى أو طاغوت .

والإنسان الحر يرتبط أمره بالله وحده لا واسطة بينه وبينه في دعاء أو طلب أو رغبة في الهداية ، وصلاح الحياة حرية تقوم على الإخاء والمساواة والتعاون والعدل ، وكل شيء يقضي به الله فهو الأصلح ولا حرية بعد ذلك ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** ﴾ .

تحديات أمام الشباب المسلم المعاصر

بقلم: د. محمود أحمد إبراهيم

دور الانسان في حياة الأمم

لقد كان الإنسان، وما يزال، هو العامل الأول في رقي الأمم وتقدمها. وهذه حقيقة لا يغيرها أبداً اختلاف الظروف والأحوال، وتطور وسائل الإنتاج وشيوع استعمال الآلة، إذ إن أي تطور في مجتمع من المجتمعات، يكون للإنسان الدور الأول في إحداثه. ولذا لم يكن من الغريب أن يركز **القرآن الكريم** على الإنسان في مواضع كثيرة من سوره وآياته، وأن يجعل التغير الذي يصيب قوماً من الأقوام، رهناً بتغير النفس الإنسانية **﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾**.

والذي يتعمق في دراسة **الحضارة الاسلامية**، يجد أن من معالمها البارزة، التركيز على الإنسان، دون أن تهمل بيئة الإنسان، على عكس **الحضارة الغربية** الحديثة، التي تركز على بيئة الإنسان أكثر من تركيزها على الإنسان نفسه. فلم يكن عجيباً والحالة هذه، أن أخرجت الحضارة الإسلامية نماذج إنسانية، ربما كانت أروع النماذج التي عرفها تاريخ البشرية، من حيث تكاملها وتوازنها وتوافر نواحي العظمة المختلفة فيها، في حين أن الحضارة الغربية، لم تنتج مثل هذه النماذج الإنسانية المتكاملة المتوازنة، وإنما أنتجت أعظم ما قدمه الإنسان حتى الآن من معطيات البيئة الطبيعية التي يعيش فيها الإنسان، ممثلة في آلات وأدوات كانت تطبيقاً لنظريات العلوم الطبيعية الحديثة.

والواقع، أن الدعوة الإسلامية الأولى، وما تلا هذه الدعوة من مناشط وأعمال ومنجزات، تقيم الدليل القاطع على دور الإنسان في حياة الأمم. ذلك أن **رسول الاسلام صلوات الله عليه**، قد جند الطاقة البشرية المحدودة في الجزيرة، على أحسن وجه ممكن، حينما دعا بدعوته، ثم جاء **الخلفاء الراشدون** من بعده، فجندوا هم الآخرون تلك الطاقات البشرية المحدودة، المتمثلة في جماعة المسلمين الصغيرة نسبياً، إذا ما قورنت بالشعوب المجاورة للجزيرة، فكان أن حققت هذه الطاقة البشرية من المنجزات، ما لا يتناسب اطلاقاً مع الطاقات المادية المتوافرة للمسلمين حينئذ، لا سيما إذا قيست تلك الطاقات بطاقات **الفرس والروم** وغيرهما من الأمم التي وقفت موقف المواجهة للإسلام الوليد، والجماعة التي آمنت به.

وفي المقابل، فإن أي تعثر يصيب أمة من الأمم في وقتنا هذا أو قد أصابها في وقت ماض، لا بد أن تكون علته هي الانسان قبل أية علة أخرى. وإن مشكلة العالم الاسلامي في وقتنا هذا هي مشكلة الانسان المسلم المعاصر، لا مشكلة الموارد والاقتصاد والسلاح، إذ إن هذه كلها أمور يمكن للانسان الصالح أن يتدبرها بعقله وحكمته وحسن تصرفه وتأتيه.

الأهمية الخاصة للشباب

وإذا كان هذا هو دور الإنسان بصورة عامة في حياة الأمم، فإن للشباب بصورة خاصة، دوراً أكبر من أدوار غيرهم في حياة أممهم، وفي حياة الأمة الإسلامية على وجه الخصوص، وذلك لعدد من الأسباب.

فالشباب في الأمة الإسلامية، كما في الأمم النامية بصورة عامة، يكوّنون نسبة كبيرة من الناحية العددية، إذا ما قورنوا بنظرائهم في الأمم التي تدعى متقدمة. وذلك لأسباب لا تخفى، منها كثرة المواليد في الأمم النامية، وانخفاض معدل عمر الإنسان فيها.

وغنيٌّ عن البيان، أن هذه الطاقة العددية الكبيرة، تستمتع بطاقة جسدية كبيرة كذلك، إذ إن مرحلة الشباب في حياة الإنسان، هي مرحلة القوة والقدرة على الاحتمال، وهما من لوازم الفاعلية والإنتاج في ميادين الإنتاج المختلفة كما لا يخفى على أحد. وفي ميدان القتال والدفاع عن الأمة، يكون للشباب الدور الأول، إذا أحسنت الأمة إعدادهم وتهيئتهم.

ومع الطاقة الجسدية في الشباب، تكون **الطاقة الفكرية**، لا سيما في زمن انفتحت فيه أبواب الثقافة كما لم تنفتح من قبل، وأصبح جزء مهم من فترة الشباب ينقضي في التحصيل العلمي، وشحن الطاقة الفكرية، باعتبار هذا التحصيل والشحن، مقدمة للعطاء في ميادين الحياة المختلفة، التي أصبحت جميعها تعتمد على العقل المثقف المدرب.

وفي مرحلة الشباب، لا يكون الإنسان منشداً إلى مركز أو مصلحة قد يعوقانه عن الانطلاق في سبيل قيم أو مثل يؤمن بها، لا سيما أن هذه المرحلة، هي المرحلة التي يتطلع فيها الإنسان إلى المثل والقيم، ويحاول أن يلتزم بها، دون التفكير كثيراً فيما قد يجره التزامه بها عليه من خسارة وضرر.

ومع التطلع إلى القيم والمثل، يكون تطلع إلى الانتماء. فمرحلة الشباب، هي مرحلة البحث عن انتماء إلى دعوة من الدعوات، أو جماعة من الجماعات، ولذا فهي المرحلة المناسبة جدا لأن نضمن انتماء الشاب فيها إلى دعوة الاسلام وجماعة المسلمين، لأن غياب الانتماء السليم عن حياة الشاب، سينشأ عنه قطعا انتماء من نوع آخر، قد يكون انتماء أنانيا إلى الذات، أو انتماء إلى دعوة خاطئة، أو جماعة منحرفة.

ومرحلة الشباب، هي مرحلة الآمال والطموحات الواسعة العريضة، ولذا فهي أنسب المراحل لتوجيه الإنسان وجهة يحقق فيها آماله الواسعة من ناحية، وتستغل فيها هذه الآمال استغلالاً إيجابياً لمصلحة الأمة جمعاء من ناحية أخرى. ومعلوم أن الآمال، والتطلعات، والنظرة المتفائلة المستبشرة للحياة، كلها عوامل حافزة للعمل والإنتاج، على عكس التقوقع والقنوط، وانعدام الأمل في المستقبل.

ثم إن من نافلة القولة، أن نذكر أن الشباب هم الذين سوف يتولون الأمور في بلادهم في مختلف المواقع، حين يتسلمونها من القائمين عليها حالياً، وبالتالي فإن إعدادهم لما ينتظرهم من مهام، هو شكل من أشكال التخطيط السليم لأمر آت لا ريب فيه.

التحديات القائمة

فإذا سلّمنا بأهمية الإنسان في حياة الأمم، وبأهمية الشباب بصورة خاصة في حياة أممهم، فإن من الواجب أن نشخص **الصعوبات والتحديات** التي تواجه هؤلاء الشباب. **ونحن معنيون هنا بالتحديات التي تواجه الشباب المسلم المعاصر**، لعل ذلك يساعد على تلمس الحلول وتخطي المصاعب، في سبيل الوصول بالأمة المسلمة إلى المستوى الذي أراده الله لها، منذ أنزَلَ على نبيّ الإسلام قرآناً حدَّد المسيرة لها وللإنسانية جمعاء.

والتحديات والمصاعب التي تواجه الشاب المسلم المعاصر، هي من الكثرة، بحيث يتعذر استقصاؤها في أوراق معدودة، إذ قد تحتاج إلى كتاب ذي فصول كثيرة لشرحها وإيضاحها. ولذا فإننا بحكم الضرورة، سنلمح إلماحاً إليها، أو إلى بعض منها فحسب.

ومن هذه التحديات التي تحيّر الشاب المسلم وتؤذي مشاعره، **واقع البلاد الاسلامية المؤلم**، في ميادين الحياة المختلفة: **فمن تمزق سياسي، إلى ضعف عسكري، إلى اضطراب اقتصادي، إلى ظلم اجتماعي، إلى ضياع نفسي**، إلى غير ذلك من ألوان الضعف والمعاناة والتعثر، التي يقاسي منها المجتمع الإسلامي بصورة عامة. ويزيد الألم ويتفاقم في نفس الشاب المسلم، حين يتذكر أن الطاقات الكامنة في العالم الذي ينتمي إليه، هي طاقات هائلة، من حيث

موقعه وإمكانياته الاقتصادية والبشرية وعقيدته ، وتراثه الحضاري والتاريخي ، والتجانس الكبير بين أبنائه . وفي المقابل ، ينظر هذا الشاب إلى شعوب في الغرب لم تتوافر لها كل هذه الإمكانيات ، فيرى أنها في الغالب الأعم ، متفوقة على الشعوب الإسلامية في ميادين السياسة والاقتصاد والقدرة العسكرية ، وبالتالي فهي أعظم تأثيراً من المسلمين في توجيه الأحداث في العالم الذي نعيش فيه .

ويصل شعور الألم عند الشاب المسلم إلى حد الإحساس بالذلة والهوان ، حين يرى هذا الشاب ، أن الأمر قد وصل إلى حد احتلال أجزاء من أراضي المسلمين ، لها قيمة خاصة في تاريخ الإسلام ، على أيدي جماعة من الغرباء ، نتيجة التفكك الذي يعاني منه المسلمون . وما [illegible] المجتمع الانتماء إليها . ولذا لم يكن غريباً في المقابل أن يتصور الكثيرون من شباب المسلمين ، وجود رابط بين الازدهار الذي يستمتع به الغرب في نواحي الحياة المختلفة ، وبين الأسس التي تقوم عليها الحياة في الغرب ، فيتجهوا نتيجة لذلك إلى الإيمان بتلك الأسس ، بدلاً من البحث عما هو غائب من الأسس الإسلامية الصحيحة في حياة المجتمعات المسلمة .

ويرتبط هذا الأمر ارتباطاً طبيعياً عضوياً بظاهرة غير سليمة ، ما فتئت المجتمعات المسلمة تعاني منها منذ قرون ، وتترك انطباعاً سيئاً في نفس الشاب المسلم : تلك **هي الفجوة القائمة بين النظرية الاسلامية في الحياة ، وبين ممارسات المسلمين الواقعية في حياتهم .** إذ المعروف أن المجتمعات الإنسانية ، إذا آمنت بنظرية خاصة في طريقة العيش ، تمارس هذه النظرية فعلاً في حياتها . فإذا لم تعد تؤمن بها ، فإنها تعلن اطراحها لها وإيمانها بنظرية أخرى تتخذ منها قاعدة لممارساتها المعيشية ، ولكن الذي حدث في المجتمع الإسلامي ، أنه ظل يعلن عن إيمانه بالإسلام طريقة حياة ، مع أنه منذ قرون عديدة ، لا يتخذ من الإسلام فعلاً قاعدة لممارساته ، إلا في جوانب محدودة فقط ، مما أوقع الشاب المسلم في حيرة واضطراب ، بين نظريات ينادي بها ، وممارسات يُعْمَلُ بها مخالفة لتلك النظريات .

بل إن الأمر ليزداد تعقيداً أمام الشاب المسلم ، حين يرى في أكثر من حالة واحدة ، أن بعض دعاة الإسلام أنفسهم ، لا يلتزمون بالإسلام سلوكاً وممارسة في تصرفاتهم وعلاقاتهم مع الآخرين . وعبثاً يحاول المرء أن يبين لهذا الشاب وأمثاله ، أن الخطأ خطأ الإنسان ، وليس خطأ الفكرة التي ينادي بها ، إذ إنه وأقرانه من الشباب ، يتمثلون الفكرة في إنسان يمارسها ، وليس في نظرية تجريدية لا ترى من خلال التطبيق . وشيئاً فشيئاً ، قد ينساق هذا الشاب إلى ما انساق إليه الشباب الأوروبي والأميريكي ، إلى الفكرة القائلة بفصل الدين عن الحياة ، وبأن الدين قضية شخصية ضميرية تخص دخيلة الفرد ، ولا علاقة لها بممارسات الإنسان وعلاقاته وطريقة عيشه وعيش المجتمع الذي ينتمي إليه . وما أشد أثر هذه الفكرة على الحياة والسلوك ، كما برهنت التجربة الغربية .

والحديث عن النظرة الغربية هذه إلى الحياة ، تجر تلقائياً إلى أثر الحياة الغربية نفسها على حياة شبابنا . وهذا الأثر لم يعد مقتصراً على نفر محدود من شبابنا يعيشون في الغرب فترة من حياتهم للدراسة أو لأسباب أخرى . بل أصبح عاماً لا يكاد ينجو منه أحد ، بعد أن أصبح العالم كله متصلة أجزاؤه بوسائل الاتصال والمواصلات ، ونقلت الحياة الغربية إلى المسلمين في بيوتهم مرأى ومسمعاً عبر أجهزة التلفزيون .

ولسنا بالطبع من دعاة الانغلاق والانطواء على الذات ، ولكننا بكل تأكيد ، لا نقبل لهويتنا الحضارية أن تنطمس ، ونصبح تبعاً من الناحية الحضارية للآخرين ، وذلك من أجل أمتنا المسلمة والناس جميعاً ، لأن الحضارة الغربية ، على ما فيها من إيجابيات كثيرة ، ليست حضارة متوازنة وبلا ثغرات خطيرة . **ونحن نؤمن أن حضارة تقوم على الأسس الاسلامية الأصيلة [illegible] هي وحدها الحضارة المتوازنة المتكاملة ، بل هي أمل البشرية في التخلص من عدم التوازن الذي تعاني منه مجتمعات اليوم .**

ومن الأمور الخطيرة التي تنبئ على ضياع الشخصية الحضارية لأمة ما ، اضطراب المعايير والمقاييس التي يحكم بها على الأمور . إذ من الضروري جداً أن يكون لأبناء المجتمع الواحد ، مقاييس أساسية واحدة للحكم على الأشياء بالصحة أو الخطأ . والشباب بصورة خاصة ، محتاج وهو يتلمس طريقه في الحياة ، إلى هذه المقاييس الواحدة . واندغام حضارة ما في حضارة أخرى يجعل مقاييس الحكم متعددة ، بل ومتناقضة أحياناً ، فيصبح ما هو خطأ عند قطاع من الناس ، [illegible] اجتماعية ، واصطدام في المواقف ، وتبريرات للمزالق والأخطاء ، ثم انقسام المجتمع الواحد إلى مجتمعات متعددة ، ينعدم بينها التآلف والتعاطف .

وهذا التباين في المواقف والحكم على الأمور بين شباب المجتمع الإسلامي الواحد ، يذكر بنمطين من الثقافة يتلقاهما الشباب المسلم في طول العالم الإسلامي وعرضه : نمط قائم على الثقافة العربية الإسلامية ، ونمط قائم على الثقافة الغربية ، دون أن يكون بين النمطين جسر يعبر عليه ، بل ومع وجود شعور من عدم الاطمئنان وعدم الثقة قائم بين فريقي المثقفين . وقد أدى ذلك إلى منهجين في التفكير ، وطريقتين في الحياة ، بل ونمطين من المواطنة في البلد الواحد .

وقد يتوقع المرء أن تخفف مخاطر الثقافة التي لا تقوم على أسس إسلامية ، عن طريق **البيت المسلم** ، الذي يوجد الجو الإسلامي لأبناء من خلال الممارسات اليومية من عبادات ومعاملات وعلاقات ، فيعوض البيت بهذه الطريقة ، ما قد يكون الشاب يفتقر إليه من ثقافة إسلامية .

ولكن هذا الأمر لا يمكن التأكد منه في وقتنا الحاضر ، فليست كل بيوت المسلمين الآن أمكنة تمارس فيها الحياة الإسلامية ، ويوجد فيها الجو الإسلامي . بل قد يحدث كثيراً ، أن يكون الشاب المسلم الطيب ، يعاني من انعدام القدوة الحسنة في بيت أبويه ، حتى لقد لقي شباب وشابات ما يشبه الاضطهاد من آبائهم وأمهاتهم لأنهم أرادوا أن يلتزموا في مسيرة حياتهم بالإسلام . وقد لا يقتصر غياب القدوة الحسنة على البيوت ، إذ قد يتعداها إلى المدارس والجامعات كذلك .

ومنذ عشرات السنين فقط ، كان من الممكن أن لا يتعرض الشاب المسلم للمزالق ، بسبب البيئة الخاصة أو العامة التي يعيش فيها ، لأنها كانت في الغالب بيئة محافظة ، قد لا يجد فيها الشاب ، حتى لو أراد ، مجالاً للانحراف والانزلاق ، ولكن الأمر الآن مختلف جداً . فالمغريات التي يتعرض لها الشاب الآن أكثر من أن تحصر ، لا سيما إذا اجتمع له المال والفراغ . ولذا لم يبق بعد أن توافرت للشاب المسلم كل أدوات الإغراء وتسهيلاته ، إلا أن يوجد فيه وازع ذاتي من داخل نفسه هو ، دون الاعتماد على رادع من خارج نفسه ، وفي فورة الشباب واندفاعه ، يكون من الصعب كبح جماح الرغبات والانفعالات العنيفة ، حين تتهيأ لها الظروف المساعدة . ومن هذه الظروف المساعدة **التبرج ، والاختلاط الذي لا حدود له بين الجنسين** في جميع مراحل العمر ، كما هي الحال في عدد من البلاد الإسلامية ، وفي المقابل ، تقوم في زمننا هذا مجموعة من العوامل المعوقة للزواج المبكر ، مثل تكاليفه الباهظة وندرة المساكن ، وارتفاع أجورها ، مما يزيد الأمر تعقيداً ، حتى إن العفة تصبح تحدياً شديداً لإرادة الشاب وصلابة عقيدته وإيمانه .

ثم إن علينا أن نتذكر ، ونحن نعالج التحديات التي يتعرض لها الشباب المسلم ، أن هذا الشباب جزء من الشباب في العالم الكبير ، الذي ترابطت أجزاؤه على نحو لم يسبق له مثيل ، كما أوردنا سالفاً . ولذا فهو معرض لما يتعرض له هذا الشباب ، أو لجزء منه على الأقل . ومن ذلك انحسار **الحس الديني** في كثير من المجتمعات ، وفي قطاع الشباب بوجه خاص ، أو عدم ربط الحس الديني بالحياة ، وشعور الاثرة والفردية ، وغياب الانتماء الكبير إلى الأمة ، وعدم ثقة الشباب

بالكبار ، وثورة الشباب العالمية على النظم والتقاليد والقيم المتعارف عليها ، في محاولة للانفلات من جميع ضوابط المجتمع ، والانطلاق إلى آفاق جديدة غير واضحة ، حتى للكثيرين من الشباب أنفسهم . وهذه الثورة أدت بمجموعات منهم إلى نظرة ساخرة للحياة ، صورتها بلا غاية أو هدف ، وقادت إلى نظرة عبثية أو عدمية هدامة مدمرة ، تتراءى في أشكال أصحاب هذه النظرة وملابسهم وتصرفاتهم التي توحي بالتيه والحيرة والضياع .

أفكار حول سبل العلاج

ما أسهل على المرء أن يشخص الداء ! بل قد يسهل عليه كذلك أن يصف الدواء نظرياً ، ولكن يبقى بعد ذلك أصعب المراحل وأشقها ، وهي ممارسة العلاج وتطبيقه لكي ينتهي الأمر بالشفاء وزوال الداء ! والحديث الذي يلي ، هو من أجل ذلك ، وصف نظري لسبل العلاج اللازمة للتحديات والمصاعب التي تواجه الشباب المسلم ، في حين يبقى تطبيق العلاج في أيدي المؤسسات المسؤولة في كل بلد من بلاد الإسلام .

إن المتتبع لدعوة رسول الإسلام صلوات الله عليه ، يدرك أنه قد ابتدأ رسالته الخالدة بتثبيت العقيدة الجديدة في نفوس المؤمنين من أصحابه ، حتى إذا ما ثبتت هذه العقيدة وترسخت ، انطلق بهم إلى ممارسات تتسق مع عقيدتهم . ونحن مدعوون بحكم النص القرآني الخالد إلى أن نتخذ من الرسول الكريم قدوة لنا وأسوة : **﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾** ، وصحيح أن الظروف الآن هي غير الظروف في زمن رسول الإسلام ، ولكن تغير الظروف إنما يستلزم تغير الأساليب والطرق في احتذائنا للرسول عليه الصلاة والسلام ، لا تغير الأسس والمبادىء . ولذا ، فإن **مهمتنا الأولى بالنسبة إلى الشباب المسلم في الربع الأخير من القرن العشرين ، هي إعادة ترسيخ العقيدة الاسلامية في نفوسهم** ، لكي تصل إليهم قوية صافية ، خالية من أية شوائب ، ولكي تكون القاعدة الفكرية التي ينطلقون منها في جميع أمورهم . والهدف من ذلك ، إيجاد **الضمير المسلم** في نفس كل واحد من هؤلاء الشباب ، ثم تربية هذا الضمير ، صعوداً مع سني الحياة .

وبما أن ظروف نهاية هذا القرن ، هي غير ظروف فترة الرسالة ، فإنه ينبغي أن ندرك أن تربية الضمير المسلم هذه ينبغي أن تكون عملية متسلسلة متصلة ، تبدأ بالبيت المسلم وتسير مع الصغير إلى مدرسة ابتدائية فالمدرسة الثانوية فالجامعة ، مع الحرص ، ضمن أقصى حد مستطاع ، على توفير الجو المناسب لفتياتنا وفتياننا عن طريق **وسائل النشر والاعلام** ، ووسائل التثقيف والتأثير المختلفة ، من **مسجد وناد وجمعية** ، إلى آخر هذه الوسائل .

ومع تربية الضمير المسلم هذه ، ينبغي أن تسير جنباً إلى جنب ، تنشئة **الفكر المسلم** . وإذا كان الضمير هو الذي يحكم على صحة الأمور وخطئها في إطار معين من الاعتقاد ، فإن الفكر هو الذي تنبثق منه نظرة الإنسان إلى الحياة في منشئها ، ومسيرتها وغايتها ومناشطها المختلفة . وإذا كانت الأمم في زمننا هذا ، تحرص على أن تقوم ثقافتها وحضارتها على أسس فكرية معينة ، كما هي الحال في كثير من الدول ، وتسير بمناهجها وموادها التثقيفية وفق هذه الأسس ، فإن من الضروري في البلاد التي تريد لشبابها أن ينطبع بالطابع الإسلامي ، أن تخطط لجميع وسائل التثقيف فيها ، لأن تخرج الشاب المثقف المسلم . وهذا يقتضي أمرين :

● **أولهما** ، ألا تغيب الثقافة الإسلامية في مستويات مختلفة ، عن المتعلم المسلم ، في أية مرحلة من مراحل الدراسة ، وفي أي تخصص من التخصصات .

● **وثانيهما** ، أن تكون القاعدة الفكرية لأي لون من الدراسات ، هي القاعدة الإسلامية . وبهذه الطريقة نقيم الجسور بين مختلف الثقافات والاختصاصات ، ونتخلص من وجود شاب مثقف بالثقافة الإسلامية ، وهو يجهل العلوم الحديثة ، أو شاب مثقف بالعلوم الحديثة ، وهو يجهل الثقافة الإسلامية .

وينبغي على ذلك وجود نوع واحد من المواطنين في البلد الاسلامي ، ركيزته الفكرية إسلامية ، بغض النظر عن المادة التي تخصص بها . وهذا التجانس في الركائز الفكرية ، يقيم في الواقع وحدة ثقافية بين البلاد الاسلامية ، بغيرها لا يمكن أن تقوم أية وحدة . وغني عن البيان أن ما تبثه المدرسة والجامعة في نفوس الطلاب والشباب من أفكار ، ينبغي ألا يلغيه ويبطل أثره ما تبثه **وسائل الاعلام ووسائل التثقيف** الأخرى ، وذلك لكي تكون عملية التثقيف متكاملة يعطل بعض منها عمل بعض .

ومن الآثار التي سوف تنشأ عن عملية كهذه ، لو حصلت ، انتماء الشباب المسلم انتماء قوياً واعياً إلى أمته . فغير خاف أن قسماً كبيراً من هذا الشباب يعاني الآن من هجرة إلى الذات ، بمعنى **الانتماء إلى ذاته ، بدلا من الانتماء إلى الأمة** التي ينتسب إليها ، والعقيدة التي يدين بها . وقد أثبت تاريخ الحضارات ، أن الإنسان الذي لا ينتمي إلى شيء ، لا يبدع في شيء ، بل لا يستطيع أن يقوم بعمل ذي أهمية . والتاريخ الحديث يثبت من ناحية أخرى أن الذين يوجد فيهم انتماء قوي ، حتى إلى فكرة غير صحيحة ، يستطيعون أن يعملوا الكثير . والمثال الصارخ على ذلك ، أثر الانتماء التعصبي الأعمى في الإنسان **اليهودي** إلى **صهيونيته** ، وما تركته عملية الشحن الفكرية عبر القرون الطويلة في نفس هذا الإنسان ، حتى أصبحت صهيونيته جزءاً من دينه وعقيدته ، وانطلق منها لكي يفعل ما فعل في **فلسطين** وغيرها من البلاد الإسلامية ، والانتماء القوي في العدو ، لا يقف أمامه إلا انتماء أقوى في الطرف المقابل ، لا سيما إذا كان انتماء الخصم قائماً على التعصب والعدوان والزيف والتزوير ، في حين أننا نريد شباباً إسلامياً يقوم انتماؤه على الحق والصدق والعدل والانصاف .

وقد يقال هنا ، إننا قد نتحكم في ثقافة الشاب ، ما دام مقيماً في بلده ، ويتلقى دراسته في مؤسساتها الثقافية ، ولكن أعداداً كبيرة جداً من الشباب المسلم ، يتلقون الثقافة في بلاد غير إسلامية ، لها فلسفات ثقافية وتربوية ، مختلفة عن الفكرة الإسلامية . وهذا بالطبع أمر واقع ، ولا يمكن تلافيه كلية . غير أن من المعقول والممكن ، أن تتبع سياسة ثقافية عامة في البلاد الإسلامية ، تقضي بألا يتوجه الشاب إلى الخارج للدراسة ، إلا من أجل التخصص بعد الشهادة الجامعية الأولى ، لأنه يكون إذ ذاك قد قارب الخامسة والعشرين من عمره ، واكتسب من الثقافة وتجارب العمر ما يجعله في الغالب مستقراً على قاعدة فكرية ، ويحسن حتى في هذه الحالة ، أن يتزوج الشاب قبل سفره إلى الخارج ، كلما كان ذلك ممكناً . والواقع ، أن **الحكومة الباكستانية** مثلاً تحرص الآن ، كما سمعت من مجموعة رؤساء جامعاتها مؤخراً ، على أن تؤمن الدراسات العليا التالية للشهادة الجامعية الأولى ما أمكن ، في جامعاتها نفسها ، باعتبار أن ذلك يحقق مجموعة من الأهداف ، من بينها ضمان بقاء متفقيها فيها بدلا من البقاء في الخارج بعد الانتهاء من دراستهم ، وتوفير مبالغ كبيرة على البلاد كانت ستصرف في الخارج . ونحن ندرك بالطبع ، أن هذا الأمر لا يمكن أن يكون مستوعباً شاملاً لجميع الحالات ، فثمة تخصصات نادرة قد لا توجد في جامعة البلاد الإسلامية ، مما يستوجب دراستها في الخارج .

لقد عانى الشاب المسلم كثيرا من شعور النقص ، وانعدام الثقة بالنفس ، وساعدت عوامل كثيرة في زمننا هذا على هذا الشعور الممض . ونحن ، إذ نبث في نفس هذا الشاب الروح الاسلامية الصحيحة ، عن طريق معتقده وتربيته وفكره ، فإنما نقضي بذلك على شعور النقص هذا ، وانعدام الثقة بالنفس ، ونستبدل بها شعوراً بالاستعلاء بالعزة : **﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾** . وبالطبع ما نقصده هنا بالاستعلاء ، وهو الاستعلاء عن الزيف والباطل والمظاهر الكاذبة ، وليس الاستعلاء المبني على العُجب والكبر والزراية بالناس . وإذ ذاك ، فإن هذا الشاب يتخلص من نظرة **العبثية والعدمية** التي يعاني منها قطاع كبير من الشباب ، ويشعر أن هذه الحياة لها غاية عظيمة ، وأنها ليست عبثاً ، وأنها بالتالي تستحق أن تمارس للوصول من خلالها إلى الغاية العظيمة التي خلق الله هذا الكون من أجلها . ومنذ تنزل القرآن الكريم ، نفى فكرة العبثية في الخلق والحياة : **﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾** .

وغير خاف أثر هذه النظرة على نشاط الإنسان وسلوكه وعلاقاته مع الناس ، وإذ يصل الشاب المسلم إلى هذه النظرة إلى الحياة ، فإنه يحس بأنه صاحب رسالة يؤديها للناس جميعاً ، بدءاً بأقرب الناس إليه ، وانتهاء بأقصى الناس عنه . ولقد شهدت بعيني في **أوروبا وأميريكا** ، أنماطاً من هذا الشباب المؤمن ، الذي يحس ، وهو يعيش في بلاد غير إسلامية ، أنه يحمل رسالة عليه أن يبلغها للناس ، وأحسست بنفسي ، كيف أن الناس من حول هؤلاء الشباب ، وجدوا بالفعل في هذه الرسالة شيئاً يسعى إليه ، لا سيما أن حَمَلة الرسالة هؤلاء ، كانوا يمارسون ما يدعون إليه ، مما أكسب دعوتهم طابع الصدق المؤثر في النفوس .

وحين نتحدث عن هذا النمط من الشباب المؤمن ، لا نريد أن ننتقص من الشباب الآخرين الطيبين ، الذين ينتمون إلى أمم وعقائد أخرى . **ولكن مزية الشباب المسلم الملتزم بعقيدة الاسلام وما ينبثق عنها من طريقة حياة ، هي هذا التوازن والتكامل في شخصيته ، الذي لا يجعله جيدا في ناحية من النواحي ، سيئا في ناحية أخرى** ، في حين أننا نجد اختلالا في هذا التوازن في شباب لم يلتزموا هذا الالتزام في مجموع تصرفاتهم .

ويجرنا الحديث عن الشباب المسلم المغترب ، إلى حديث عن **ضرورة التواصل والتعاون بين الشباب في نطاق العالم الاسلامي** ، وحيثما وجدت مجموعة من هؤلاء الشباب خارج العالم الإسلامي ، ذلك أن العمل الجماعي ، دونه بكثير العمل الفردي ، بل **إن العمل الجماعي سمة من سمات النشاط الاسلامي** ، تتبدى في العبادات والممارسات على السواء ، والدعوة إلى هذا النوع من العمل ، مبثوثة في أكثر من مكان في **القرآن الكريم والسنة النبوية** على السواء ، وكلاهما يحذر من الفردية ، ويدعو إلى التكامل والتواصل والتعاضد في كل شيء . **من أجل ذلك ، ينبغي أن تعزز فكرة لقاءات الشباب المسلم ، سواء أكانت هذه اللقاءات في مخيمات كشفية ، أم معسكرات صيفية ، أم مؤتمرات تعقد داخل البلاد الاسلامية وخارجها** . ولا يخفى على إنسان ، ما تثيره روح الجماعة في نفس الإنسان من حماس

وإقبال على العمل وثقة في نجاحه ، وشعور بالانتماء الكبير إلى جماعة كبيرة تشاركه أفكاره وآماله وتطلعاته .

وفضلاً عن الفوائد الجلية التي تجلبها مثل هذه اللقاءات بين الشباب المسلم ، فإنها تقضي على الشعور بالفراغ عندهم ، والفراغ كان وما يزال هدراً للطاقة ، وتبديداً للزمن ، ومدعاة إلى الفساد ، وكلها أمور يتحاشاها الشاب المسلم ويرفضها . ولذا ، فإن من الواجب أن يوضع تخطيط واع للقضاء على الفراغ وعلى الشعور به بين الشباب . والعالم الإسلامي في حاجة إلى كل ساعة من ساعات شبابه ، لكي تنفق في أمور كثيرة يحتاج إليها هذا العالم . فبالإضافة إلى ما ذكر من لقاءات الشباب في مؤتمرات ومخيمات ومعسكرات ، فإن الحاجة إلى مجاهدة المعتدين على تراب الأرض الإسلامية ، تقتضي من الشباب إعداداً وتدريباً ، ثم مقارعة فعلية لهؤلاء المعتدين تستوعب الكثير من الجهد والوقت . فضلاً عن ذلك ، فإن المجتمعات الإسلامية بحاجة ماسة إلى شباب يعملون في وقت فراغهم في معسكرات عمل ، في قطاعات مختلفة ، وما أكثر المعسكرات التي يقيمها العدو في أرضنا المغتصبة ، ويتوافد للعمل فيها خلال الصيف الشباب اليهود من مختلف أنحاء العالم ، بل قد يجتذبون كذلك شباباً من غير اليهود من أوروبا وأميريكا ، تجتذبهم الدعاية الصهيونية ، ويفيد العدو منهم في معسكرات العمل التي يقيمها في أنحاء مختلفة من أرضنا المحتلة . والذي لا يملأ فراغه جهاد أو إعداد لجهاد ، أو عمل في معسكرات عمل ، سيجد حتماً ما يشغل فراغه ، حين يخطط له التخطيط السليم ، في شكل طموح علمي ، يستلزم الدراسة أو القيام بتجارب ، أو في مؤسسة ثقافية أو رياضية تقوم على أسس سليمة هادفة ، وتجمع ما بينه وبين من يشاركونه فكره وغاياته .

والذين عرفوا الشباب الأوروبي والأميريكي ، يعرفون أن هذا الشباب قد يعمد إلى استثارات فكرية أو شعورية مصطنعة ، لأنه قد كفي التفكير في أشياء عملية تمس متطلبات حياته وحياة المجتمع الذي ينتمي إليه . فهذا الشاب في أوروبا أو أميريكا ، يعيش في بلاد غير مهددة بالعدوان الخارجي ، وغالباً ما يكون مكفياً احتياجاته من الغذاء والكساء ، مؤمناً اجتماعياً وصحياً ، مضمونة له ثقافته الجامعية ، مطمئناً على مستقبله . وكل هذه الضمانات قد تبعث فيه شعوراً بالاسترخاء ، بل وربما بالملل ، يبعثه على أن يتلمس الاستثارات المصطنعة في حياته ، لأن الإنسان بطبعه لا يرتاح إلى حياة رخية لا يوجد فيها شيء مثير ، فيكون في تلك البلاد ما نسمع عنه من تصرفات وممارسات للشباب تبدو لنا غريبة شاذة لا معنى لها ، ولا يقصد منها إلا إضفاء عنصر الاستثارة على الحياة .

لكننا في العالم الإسلامي ، لسنا بحاجة إلى استثارات اصطناعية لشبابنا ، لأن متطلبات حياتنا العملية ، على نطاق الفرد والأسرة أو المجتمع ، كافية لاستيعاب نشاطنا كله ، ونشاط فوق نشاطنا كذلك . ويكفي أن يتذكر الشاب المسلم أن بلاده مهددة ، وحضارته مهددة ، وأنه بحاجة إلى تأمين أساسيات الحياة لنفسه وأسرته والجماعة التي ينتمي إليها ، وبحاجة إلى أن يؤمن ثقافته ومستقبله ، وغير ذلك ، مما يحتاج إلى وقته كله وجهده كله ، ولا يبقي مجالا للبحث عن أية مشغلة لا طائل تحتها ، ولا تقدم حلولا لمشكلاته .

ومما يرتبط بما ينبغي أن يشغل الشباب المسلم المعاصر ، استغلال الطاقات الكامنة الهائلة في العالم الإسلامي ، التي نلجأ في استغلالها حتى الآن إلى العقل الأجنبي ، واليد الأجنبية **والخبرة الأجنبية** ، ويكلفنا ذلك من المال الكثير ، مما كان يمكن أن يستعمل في تنمية البلاد ، بدلا من أن يتسرب إلى الخارج ، فضلاً عن أننا قد لا نكون مطمئنين تماماً لهذه الأعداد الكبيرة من الخبراء والفنيين ، الذين لا ينتمون إلينا من باب من الأبواب ، بل قد يكونون ممن يحقدون على هذه الأمة وتراثها وحضارتها ، ويتمنون لها تبعية دائمة لبلادهم من أجل مصلحتهم ومصلحة بلادهم . وليس سراً أن عدداً كبيراً من شبابنا المثقف ، ومن ذوي الاختصاص المطلوب جداً في بلادنا ، يعملون الآن في أوروبا وأميريكا ، في حين أننا نستورد من هم أقل منهم علماً وخبرة ومعرفة من الأجانب ، ونأمنهم على استغلال ثرواتنا ، وكان الأولى أن تستغل موارد عالمنا الإسلامي بأيدي أبنائه المنتمين إليه ، والذين يرتبط مصيرهم بمصيره . والمسؤولية في غياب هؤلاء الشباب عن أوطانهم ، مسؤولية مشتركة فيما بينهم وبين حكومات هذه البلاد جميعاً ، إذ إنهم يجب أن يتنازلوا عن بعض ما يتوافر لهم في الغرب ، مثلما يجب أن تهيأ لهم في بلادهم الظروف المواتية المشجعة . ولا يقبل أبداً من هؤلاء الشباب أن يعملوا في المدن الأوروبية أو الأميريكية ، ثم يكتفوا بنقد الأوضاع في بلدانهم ، إذ المفروض أن يقوموا هم ، من خلال مواقع المسؤولية ، باصلاح ما ينبغي اصلاحه في البلاد ومواجهة المشكلات القائمة فيها .

هذا ، ومن الانصاف أن نعترف ، بأن الشاب المسلم في زمننا هذا ، قد تعرض **للشعور بالاحباط** وخيبة الأمل في نصف القرن الأخير نتيجة انتكاسات متوالية واجهتها الأمة خلال صراعها مع الصهيونية ومن يوالونها . وكان للفرقة بين المسلمين وتقصير المسؤولين عن أمورهم دور كبير في هذه الانتكاسات ، مما جعل الشباب يقفون موقف الساخط على أمتهم في حاضرها ، المتشكك في مستقبلها ، غير المؤمن بماضيها ، واستغلت فئات مختلفة هذا الشعور ، لا سيا بعد **عام ١٩٦٧ م** ، فنفخت في النار ، وحاولت أن تنسف إيمان الشاب المسلم بأمته كلية . وكان بعض هذه الفئات يعمل من الداخل ، وبعضها من الخارج ، حتى لقد خيل إلى بعض هذه الفئات أن الحضارة الإسلامية قد أصبحت شيئاً من الماضي ، ولم يعد لها وجود في الحاضر ، وبالطبع ، لن نزيل شعور الاحباط هذا عند شبابنا بأن نشتم الآخرين ونكيل لهم الاتهامات ، فإن ذلك لا يجدي شيئاً ، خاصة أننا نتعامل الآن مع شباب مثقف واع . والواقع ، أن تاريخ هذه الأمة ، كثيراً ما كادت معالمه الحقيقة تختفي ، بين متحمسين له يكتبون بعواطفهم لا بعقولهم ، وبين ناقمين عليه همهم تشويهه وابراز ما هو مستنكر فيه . ولذا ، فإننا بحاجة إلى كتابة تاريخ هذه الأمة من جديد ، ماضيه وحاضره ، كتابة موضوعية علمية تعتمد على الحقائق المجردة ، وتبين ما فيه من مآثر ، وما خالطه من أخطاء ، لأن الإنسان يستفيد من أخطائه مثلما يستفيد من نجاحه ، وكذلك الأمم . وإن كتابة كهذه لتاريخنا ، تضع شبابنا أمام رؤية واضحة لا زيف فيها ، وتوقفهم على الأسس التي قامت عليها الحضارة الإسلامية . وإنني لمطمئن أن مثل هذه الكتابة الموضوعية ، ستكون فائدتها كبيرة ، لأن في تاريخ هذه الأمة من الخير والعطاء للإنسانية كلها ، أكثر مما فيه من الأخطاء والانحرافات ، وإن كان هذا التاريخ ، كتاريخ أية أمة أخرى ، لا يخلو من أخطاء وانحرافات ، يجب الاعتراف بها بشجاعة ، والاستفادة منها في تجاربنا اللاحقة .

ومن التحديات التي تواجه الشباب المسلم الملتزم بإسلامه في زمننا هذا وجود جماعات مسلمة مخلصة ترى كل واحدة منها أن السبيل الصحيح للنهوض بالإسلام والمسلمين ، هو السبيل الذي اختارته هي لنفسها ، وأن السبل الأخرى ، مهما أخلص لها أصحابها ، هي سبل خاطئة ، بل ، قد يصل الأمر ، بهذه الجماعات ، أن يقف بعضها موقف العداء من الآخرين ، لأن الآخرين اتبعوا في دعوتهم سبيلاً غير سبيلهم ، وتكون النتيجة بطبيعة الحال تناحراً مدمراً ، فتلغي كل فئة نشاط الفئة الأخرى وتعطله بدلا من أن تكون الواحدة منها ردفاً للأخرى وعوناً لها . وينسى هؤلاء المتناحرون ، أنه حتى الدعوة الصادقة ، يبطل مفعولها وينعدم أثره ، عندما يختصم القائمون عليها ، لأنهم يظهرون أمام الناس في مظهر المتعادين المنقسمين ، والناس لا يؤمنون بدعوة ينقسم القائمون عليها فيما بينهم . كما أن هؤلاء ينسون أنه لم يحدث في تاريخ الدعوات كلها ، أن كان الناس نسخاً كربونية متشابهة ، بعضها عن بعض ، وأنه يكفي أن تكون الخطوط العريضة متوافقة ، حتى يتآزر السائرون عليها ويتعاونوا . ولا بد من أن نتعظ بتاريخ **الفرق الاسلامية** التي تعصب كل منها لما يدعو إليه ، ووقف موقف العداء من الآخرين ، فكانت هذه الفرق المتجادلة عامل تمزيق للمجتمع الإسلامي ، وصرف له عن الجهاد ، بلاد من أن تكون عامل توحيد وحث على العمل الجدي .

فإذا أخذنا العبرة من الماضي ، فإنه ينبغي لدعاة الاسلام حيثما كانوا في العالم الاسلامي أن يتواصلوا ويتعاونوا ويتكاتفوا ، ويملأ كل منهم الثغرة التي قد توجد عند أخيه ، لا سيا أنهم جميعا ، لا يكونون إلا نسبة صغيرة في العالم الاسلامي كله .

ويجمل القول إننا نتطلع إلى شباب مسلم يعي مشكلات عصره ويعيش في زمانه ويكتسب العلم والمهارة اللذين توفرهما ثقافة العصر ، فيكون إنساناً معاصراً لا يعيش في الماضي ويكتفي باجترار ذكرياته ، ولكنه يدرك في الوقت نفسه ، أن الحاضر امتداد للماضي ، وأن تجربة الماضي يجب أن تكون مصدر فائدة وإرشاد للحاضر .

كما ينبغي أن يدرك كذلك ، أنه ابن أمته ، في جميع أحوالها وأوضاعها ، وأن معاناة أمته ينبغي ألا تدفعه إلى التنكر لها ، بل على العكس من ذلك ينبغي أن تدفعه إلى التشبث بها ، كما يتشبث الإنسان البار بأسرته عندما تكون هذه الأسرة في حالة ضيق وكرب . وإذ ينتمي إلى أمته وعقيدتها وحضارتها على هذه الشاكلة ، فإنه ينبغي عليه أن يسهم في استغلال طاقات هذه الأمة المادية والحضارية على أفضل وجه ممكن ، وأن يكون على بصيرة لما يمكن أن تعطيه من جديد لبني البشر ، لأن النهوض الصحيح بأمة من الأمم ، هو عطاء للبشرية كلها ، والأمة التي تريد مشاركة الأمم الأخرى ، في حضاراتها وعطاءاتها ، دون أن تعطي هي شيئاً من عندها ، هي كالتاجر المفلس الذي يطلب مشاركة مع تجار موسرين ، دون أن يسهم هو في مال التجارة المشتركة المنشودة .

ولقد كانت الحضارة الاسلامية عطاء كبيرا للانسانية في زمن مضى ، ولا بد لهذه الحضارة من أن تعطي مرة أخرى ، فالانسانية الآن محتاجة فعلا إلى حضارة عطاء ، تنتفع بمواد هذه الأرض ، دون أن تنقطع صلتها بالسماء .



حــول
البلاغة النبوية

بقلم: د. أحمد عمر هاشم

إن الحديث عن البلاغة النبوية ، حديث متسع الجوانب ، لا يحيط به بحث ، ولا يحصره كتاب .. وذلك لأن الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، مبلغ عن ربه سبحانه وتعالى ، وداع إلى سبيل ربه ، ومبعوث في وقت وصلت فيه البلاغة والفصاحة إلى مكانة عالية ، فلا بد أن يرسل بلسان قومه ، وأن تكون معجزته الكبرى وهي : « القرآن الكريم » من جنس ما برع فيه القوم ، فإذا عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن ، وهم أهل الفصاحة والبيان ، وأدرى الناس بفنون الألفاظ والعبارات ، كان ذلك من أقوى الأدلة على صدق صاحب الدعوة ، وأنه مرسل من ربه ، وأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .

ولقد أوتي رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، جوامع الكلم ، وفصل الخطاب ، وكان يعجب **الصديق رضي الله عنه** ، من فصاحته عليه الصلاة والسلام ، ويقول له :

« لقد طفت في العرب ، وسمعت فصحاءهم ، فما سمعت أفصح منك فمن أدّبك » ؟

قال : **« أدبني ربي فأحسن تأديبي »** .

وقال رضي الله عنه : يا رسول الله ، مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا ؟ قال :

« كانت لغة إسماعيل قد درست ، فجاء بها جبريل فحفظتها » .

وهذا يدل على أن عناية السماء ، ورعاية الله تعالى ، وراء هذا الإعداد والاستعداد .

وناهيك بمن كانت عناية الله معه ، وفضل الله ورحمته عليه ، ومن أنزل الله عليه الكتاب والحكمة وعلمه ما لم يكن يعلم ، فما لا شك فيه ـ والحال كذلك ـ أن يكون أفصح العرب ، وأقوى الناس حجة ، وبياناً ، قال الله تعالى : **﴿ ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً ﴾ سورة النساء (١١٣) .**

ولقد عصم الله تعالى رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، من الخطأ ، ومن الهوى ، وعصمه من الناس ، وكيف لا ، وهو المبلغ عن رب العزة سبحانه وتعالى .

وقد أقسم الله سبحانه ، بأن رسوله على الحق والعلم والهدى ، وأنه بعيد كل البعد عن الضلال والغواية ، وعن النطق عن هوى نفسه ، فقال تعالى :

﴿ والنجم إذا هوى ، ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى ﴾ سورة النجم (١ ـ ٦) .

فرسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، لا ينطق إلا حقاً ، ولا يقول إلا حقاً ، في كل أحواله ، حتى في وقت الغضب ، وحتى إذا مزح فلا يقول إلا حقاً .

روى **الإمام أحمد** ـ بسنده ـ عن **عبد الله بن عمرو** قال : كنت أكتب كل شيء أسمعه من **رسول الله ﷺ** ، أريد حفظه ، فنهتني قريش ، فقالوا : إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب ، فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال :

« أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق » .

إنه يلازم الحق ، والحق يلازمه ، فلا يتخلى عن ذلك في وقت من

الأوقات ، ولا في حال من الأحوال ، حتى في وقت الغضب ، ووقت المزاح والمداعبة .

بل إن الأمر الذي يخبر به ، هو الذي لا شك فيه ، ولا ريبة تحوم حوله ، وهذا جانب هام من أهم جوانب الفصاحة والبلاغة والبيان . .

فالفصحاء والبلغاء وأهل البيان ، والشعراء والكتّاب ـ من سائر البشر ـ تتميز تعبيراتهم بطابع من الخيال الخصب والعاطفة الجياشة ، والمبالغة التي تكسب أساليبهم ضخامة في المعنى ، وقد تغرق في الخيال والمبالغة فتبعد عن الحق والواقع ، بل أكثر من ذلك : وهو أنها كثيراً ما تكون مشوبة بالكذب ، حتى أنه قيل : « أعذب الشعر أكذبه » .

وأما البلاغة النبوية ، وفصاحة صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه ، فطابعها الأساسي : ﴿ إن هو إلا وحي يوحى ﴾ .

وسماتها المعروفة الواضحة الحق والصدق ، **فهو الصادق الأمين .**

عن **أبي هريرة** عن النبي ﷺ قال : « ما أخبرتكم أنه من عند الله فهو الذي لا شك فيه » . رواه **البزار .**

وقال صلوات الله وسلامه عليه : « لا أقول إلا حقاً » ، قال بعض أصحابه :

فإنك تداعبنا يا رسول الله ؟

قال : « إني لا أقول إلا حقاً » .

ولقد اجتمعت أسباب أخرى لفصاحة الرسول ﷺ وبلاغته ، سوى ما تقدم .

وأهم تلك الأسباب وأولها ، ما سبقت الاشارة إليه من تعليم الله تعالى له ، وتأديبه إياه .

● كذلك : نشأته في **بني سعد بن بكر** ، فهو من قريش ، ولسانه لسان بني سعد بن بكر . . ومثل هذه الأسباب كفيلة أن تبعد عنه أدنى خيط من اللحن ، وكفيلة باستقامة اللسان في الفصاحة والبلاغة .

ولقد أشار صلوات الله وسلامه عليه ، إلى بعض هذه الأسباب :

أخرج **ابن عساكر عن محمد بن عبد الرحمن الزهري** ، عن أبيه ، عن جده ، قال : قال رجل : يا رسول الله أَيُدَالِكُ الرجل امرأته ؟

قال : نعم إذا كان مُفْلجاً ، فقال له أبو بكر : يا رسول الله ما قال لك ، وما قلت له ؟

قال : إنه قال : أَيُمَاطِلُ الرجل أهله ؟ قلت له : نعم إذا كان مُفْلساً .

قال أبو بكر : يا رسول الله ، لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم ، فما سمعت أفصح منك؟

قال : « أدبني ربي ، ونشأت في بني سعد بن بكر » .

وأخرج **الطبراني عن أبي سعيد الخدري** قال : قال رسول الله ﷺ : « **أنا أعرب العرب ، ولدت في قريش ونشأت في بني سعد ، فأنى يأتني اللحن؟** » .

● وبالحكمة والموعظة الحسنة ، دعا الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، إلى ربه ، وبالتي هي أحسن جادل المعرضين والمعارضين ، مستجيباً لأمر الله تعالى ، القائل له في محكم التنزيل :

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ سورة النحل (١٢٥) .

● ولقد ألقت البلاغة إلى رسول الله ﷺ زمامها ، فكان كلامه عليه الصلاة والسلام واضحاً لا غموض فيه ، وافياً لا قصور حوله ، مناسباً بيناً لا فضول ولا تقصير ، ولا افراط ولا تفريط ، وعن **عائشة رضي الله عنها** ، قالت : ما كان رسول الله يسرد كسردكم هذا ، ولكن كان يتكلم بكلام بين فصل ، يحفظه من جلس إليه .

وروي أنها قالت : إنه كان يحدث حديثاً لو عدّه العادّ لأحصاه ، ويقول **الجاحظ**، عن بلاغة الرسول ﷺ ، وعظمة كلامه : **ألقى الله على كلامه المحبة ، وغشاه بالقبول ، وجمع له المهابة والحلاوة ، وهو مع استغنائه عن إعادته ، وقلة حاجة السامع إلى معاودته ، لم تسقط له كلمة ، ولا زلت له قدم ، ولا بارت له حجة ، ولم يقم له خصم ، ولا أفحمه خطيب ، بل يبذ الخطب الطوال بالكلام القصير ، ولا يلتمس اسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ، ولا يحتج إلا بالصدق ، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً ، ولا أصدق لفظاً ، ولا أعدل وزناً من كلامه ﷺ .**

وكان لديه المقدرة الفائقة لأن يخاطب كل جماعة أو قبيلة بلهجتها . عن **عاصم الأشعري** قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليس من أمبر امصيام في امسفر » يريد : ليس من البر الصيام في السفر ، وهي لغة الأشعريين يبدلون اللام ميا .

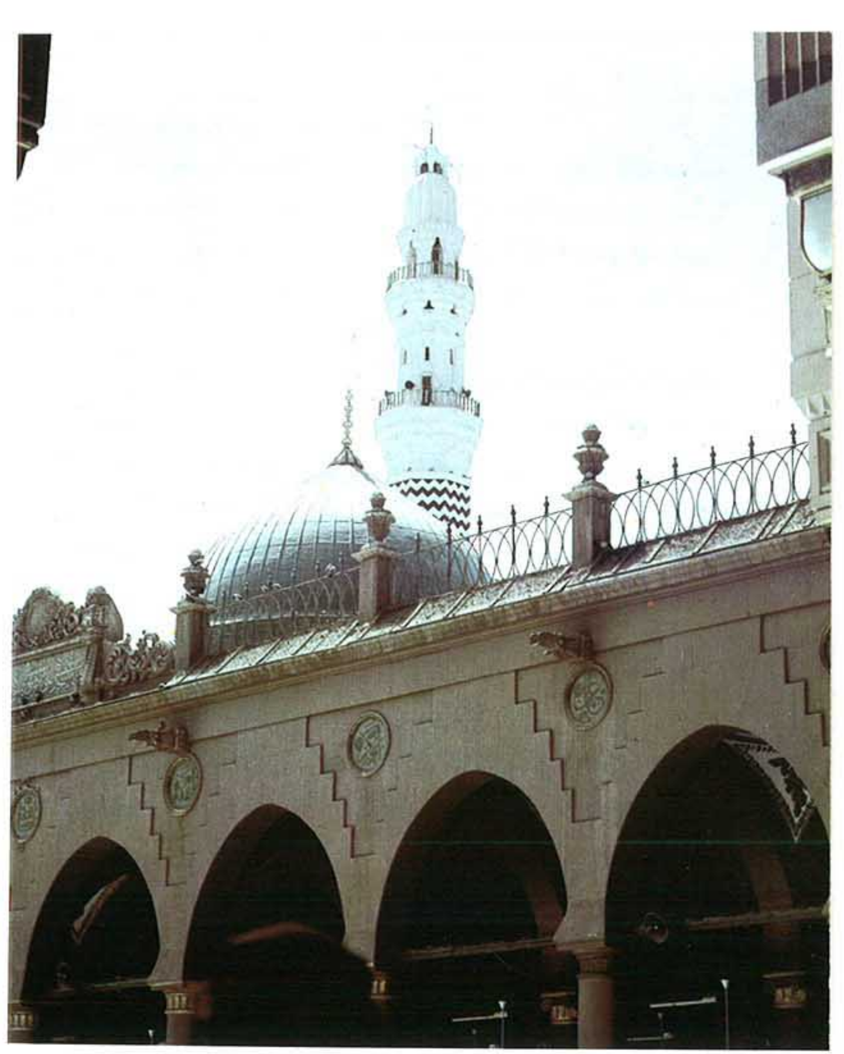
● وتميز الأسلوب النبوي الحكيم بالايجاز مع كثرة المعاني ، وبالبعد عن الصنعة والتكلف ، يستعمل المبسوط في موضع البسط ، والمقصور في موضع القصر ، ويهجر الغريب الوحشي ، ويرغب عن الهجين السوقي ، فلم ينطق عن ميراث حكمه ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة ، كما وصفه الجاحظ .

وقد وصف **الرافعي** ، كلام الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، فقال : « كان أفصح العرب ، على أنه لا يتكلف القول ، ولا يقصد إلى تزيينه ، ولا يبغي إليه وسيلة من وسائل الصنعة ، ولا يجاوز به مقدار الابلاغ في المعنى الذي يريده ، ثم لا يعرض له في ذلك سقط ولا استكراه ، ولا تستزله الفجاءة ، وما يَبْدَه من أغراض الكلام عن الأسلوب الرائع ، وعن النمط الغريب ، والطريقة المحكمة ، بحيث لا يجد النظر إلى كلامه طريقاً يتصفح منه صاعداً أو منحدراً ، ثم أنت لا تعرف له إلا المعاني التي هي إلهام النبوة ، ونتاج الحكمة وغاية العقل ، وما إلى ذلك مما يخرج من الكلام وليس فوقه مقدار إنساني من البلاغة والتسديد ، وبراعة القصد والمجيء في كل ذلك من وراء الغاية » .

● وإذا حاولنا تعليلاً لبلاغة الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، فإن أول ما يُطالعنا هو توفيق الله تعالى له ، وتوفيقُه ، حيث بعثه في العرب أهل الفصاحة والبيان ، فكان أبلغهم وأفصحهم ، فقد كاشفته اللغة بأسرارها ، فملك زمامها وحقائقها ، فكان يخاطب كل قوم بلهجتهم ويخاطبهم على قدر عقولهم .

كما كانت له فطرته النقية الصافية ، وحسه الدقيق ، ونفاذ بصيرته ودقة حكمته .

هذا بالإضافة إلى نشأته الخصبة بالفصاحة والبلاغة والبيان ، وتقلبه في أقوى القبائل منطقاً ، وأسلسهم لساناً ، وأعذبهم بياناً ، قال ﷺ :



★ مسجد الرسول ﷺ في المدينة المنورة وتبدو القبة الخضراء حيث يثوي تحتها قبره الطاهر ، وقبرا صاحبيه ، الصديق والخطاب ★

« أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ، ونشأت في بني سعد بن بكر » .

ويقول الرافعي : وليس في العرب قاطبة من جمع الله تعالى فيه هذه الصفات ، أعطاه الخالص منها ، وخصه بجملتها ، وأسلس له مآخذها ، وأخلص به أسبابها كالنبي ﷺ ، فهو اصطنعه لوحيه ، ونصبه لبيانه وخصه بكتابه ، واصطفاه لرسالته ، وماذا عسى أن يكون وراء ذلك في باب الإلهام . .

ولقد عقد ـ **الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله** ـ فصلاً في كتابه « **زاد المعاد** » عن هدى الرسول ﷺ ، في حفظ المنطق ، واختيار الألفاظ ، فقال :

« كان يتخير في خطابه ، ويختار لأمته أحسن الألفاظ وأجملها وألطفها وأبعدها من ألفاظ أهل الجفاء والغلظة والفحش ، فلم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ، ولا صخَّاباً ولا فظاً ، وكان يكره أن يستعمل اللفظ الشريف المصون في حق من ليس كذلك ، وأن يستعمل اللفظ المهين المكروه في حق من ليس من أهله . فمن الأول : منعه أن يُقال للمنافق « سيد » وقال : « فإن لم يكن سيداً فقد أسخطتم ربكم عز وجل » .

ومَنْعُه أن تسمى شجرة العنب كرْماً ، ومنعه تسمية أبي جهل بأبي الحكم ، وكذلك تغييره لاسم أبي الحكم من الصحابة بأبي شريح ، وقال : « إن الله هو الحكم وإليه الحكم » .

ومن ذلك نهيه للمملوك أن يقول لسيده أو لسيدته : ربي وربتي ، وللسيد أن يقول لمملوكه : عبدي ، ولكن يقول المالك : فتاي وفتاتي ، ويقول المملوك : سيدي وسيدتي ، وقال لمن ادعى أنه طبيب « أنت رفيق وطبيبها : الذي خلقها » أخرجه أحمد .

والجاهلون يسمون الكافر الذي له علم لشيء من الطب : حكيماً وهو من أسفه الخلق .

ومن هذا قوله للخطيب الذي قال : « من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى » : « بئس الخطيب أنت » ـ أخرجه مسلم ـ ومن ذلك قوله : لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا : ما شاء الله ، ثم ما شاء فلان . وقال له رجل : ما شاء الله وشئت ، فقال : أجعلتني لله نداً ؟ قل : ما شاء الله وحده اهـ .

وهكذا يتضح لنا عناية الرسول ﷺ ، ببلاغة الكلام ، وسلامة العبارة ، وفصاحة اللسان المسلم ، بحيث لا يزلّ بكلمة فيها خروج عن مبادىء الإسلام وتعاليمه ، أو فيها إسفاف وضعف ، فالإسلام هو دين العلم والمعرفة ، قام على عقيدة صحيحة ، تغرس العزة والكرامة في نفوس المسلمين ، وتجعل منهم خير أمة أخرجت للناس .

وإذا كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، قد ملك زمام البلاغة والفصاحة ، وكان أفصح العرب . . فإنه عليه الصلاة والسلام دعا إلى انتشار البلاغة والفصاحة ، وإلى تهذيب العبارة ، واختيار الكلمات والأساليب ، بالنسبة لغيره من المسلمين .

فكان للبلاغة النبوية آثارها الطيبة على لغة التخاطب بين الناس ، وعلى تعبيرات المسلمين ، حيث أكسبتهم ، دقة في التعبير ، وحسن اختيار للألفاظ والكلمات .

كما أنه عليه الصلاة والسلام . . قد دعا المسلمين ، إلى هجر الكلمات التي لا تتفق مع عقيدتهم الإسلامية ، ولا تساير معنى التوحيد والتنزيه .

فطهر الرسول عليه الصلاة والسلام ، محيط اللغة العربية من بعض الرواسب التي خلفتها عهود الجاهلية . . كما نقّى اللغة من بعض ما كاد يشوبها من شوائب أخرى .

● ولقد كان صلوات الله وسلامه عليه ، يوجز القول ، حيث كان المقام يستدعي الايجاز ، ويطيل القول إن لم يكن من الاطالة بد ، فكما يقول العلماء : لكل مقام مقال . وفيما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ ، خطب بعد العصر ، فقال :

« ألا إن الدنيا خضرة حلوة ، ألا وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، ألا لا يمنعن رجلاً مخافة الناس أن يقول الحق إذا علمه . . » .

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : ولم يزل ﷺ ، حتى لم يبق من الشمس إلا حمرة على أطراف السعف ، فقال ﷺ :

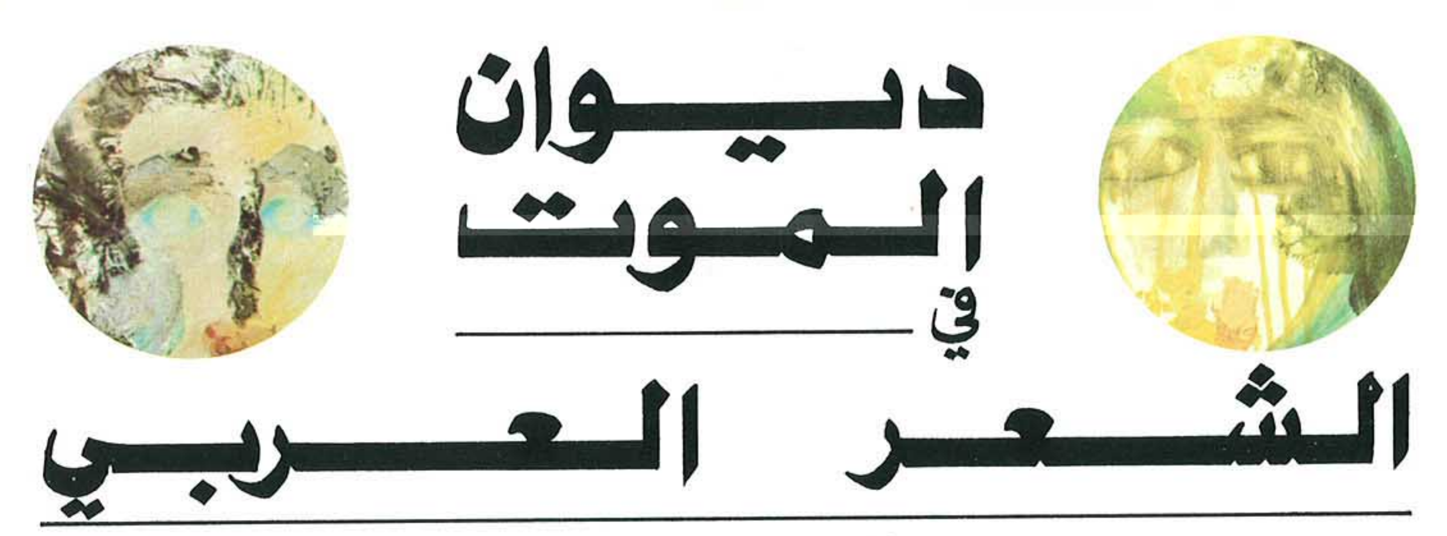
« إنه لم يبق من الدنيا إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى » رواه الترمذي .

وقد روي عن **علي بن أبي طالب رضي الله عنه** :

« ما سمعت كلمة غريبة من العرب إلا وسمعتها من رسول الله ﷺ ، وسمعته يقول :

« مات حتف أنفه » وما سمعتها من عربي قبله .

فصلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله ، يا أبلغ الناس وأفصحهم ، ويا خير من نطق بالضاد .



ديوان الموت في الشعر العربي

بقلم: د. يوسف نوفل

يقول العقاد: «فداؤنا الحديث، داء الانتحار وداء كل عجز ونكوس، هو أننا نهاب ألم الجسد ولا نصبر على عنت البلوى وتبريح العذاب»[1].

ومع هذا فهناك وجهة نظر أخرى لا تنفر من الموت ولا تعشقه وإنما تسلم به كضرورة من ضرورات الحياة ولوازمها. وتتمثل هذه الفكرة في سطور خطها **هيدجر** قائلاً: «عندما نرى أن الوجود الإنساني وجود نحو الموت يصبح الموت عنصراً ضرورياً من عناصر الوجود الإنساني».

ويقول الخيام:

أترى الدنيا سوى دار سفارْ
ذات بابين ظلام ونهارْ
كم وكم من ملك جم الفخار
حل فيها برهة وارتحلا
حين لبى دعوة الداعي المطاع

فالحياة حلقات تؤدي كل منها إلى لاحقتها، وهي تطور هابط نحو غاية محتومة لا معدى منها ومن هنا كان تسليم متصوفة الإسلام بهذه الظاهرة على أنها شيء ينال الصورة المحسوسة دون أن يخترق الجوهر، فالموت كما يرى **ابن عربي**: (تفريق لا إعدام). **ومن هنا يمكن أن نركز النظرة إلى الموت في معنيين: رضا، وخوف، ويمكن أن ننتقل بتلك النظرة إلى مجال الأدب لنتعرف على وجهة نظر الشعراء المحدثين كما يمكن قبل ذلك كله التعرف السريع على وجهة نظر الأدب الجاهلي ثم الإسلامي.**

نظر **الشاعر الجاهلي** إلى الموت نظرة استسلام ورضا وصبر. يقبل التضحية ويستعذبها، وكان ذلك إذعاناً منه للأقوى منه فكانت نظرته **رواقية**، وأحس الجاهلي دائماً أنه قابل للهزيمة وبالرغم من إحساسه هذا فإنه كان يقبل على الموت، متخذاً من رهبته دافعاً للقائه فلا يفكر إلا في الموت، إما أن يموت وإما أن يميت، هذا **لبيد** يقول عن نفسه:

تراك أمكنة إذا لم أرضها ... أو يعتلق بعض النفوس حمامها

أما **الشاعر الاسلامي** فلم تقتصر نظرته على الموت فحسب بل تعدتها إلى شيء آخر هو ما بعد الموت، فلقد حذر الإسلام من ذوبان الإنسان في دولة الحياة دون أن ينتبه لما بعدها من بعث وحساب، فأصبح خوف الشاعر مما بعد الموت لا من الموت ذاته، ولعل ذلك وحده هو ما يصلح أساساً لتفسير دوران ذكر الموت في شعر **عمر بن أبي ربيعة** على الرغم من شهرته الناعمة اللاهية، إذ يكثر من ذكر الحين والحتف، وأنه سوف يقبر وسيهلك، كما يتمنى قائلاً: يا ليتني مت، ويتمنى أن يفتدي محبوبته بالنقص من عمره، كما يصطحب السيف، ويكثر من ذكره.

وهذا هو **أبو العلاء المعري** (ت ٤٤٩ هـ) رهين المحبسين نجده شديد الشعور بمأساة الحياة منذ مات والده فهو يقول:

تحطمنا الأيام حتى كأننا ... زجاج ولكن لا يعاد له سبك

وله قصيدته الشهيرة ومطلعها:

غير مجد في ملتي واعتقادي ... نوح باك ولا ترنم شاد

وفيها يكثر ذكر الموت في قالب فكري فلسفي تأملي عرضه بنجاح وهو يرثي بعض الفقهاء فهو يقول:

صاح هذي قبورنا تملأ الرحب فأين القبور من عهد عاد
خفف الوطء ما أظن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد

ويقول:

رب لحد قد صار لحداً مراراً ... ضاحكا من تزاحم الأضداد

ويقول:

إن حزنا في ساعة الموت أضعا
ف سرور في ساعة الميلاد
خلق الناس للبقاء فضلت
أمة يحسبونها للنفاد
إنما ينقلون من دار أعما
ل إلى دار شقوة أو رشاد
ضجعة الموت رقدة يستريح الجسم
فيها والعيش مثل السهاد

فهو ينطلق من فلسفة تشاؤمية، وإيمان بتفاهة الحياة وضآلة الإنسان وإيمان بالحياة الآخرة.

وقد ظهرت صورة الموت كعاصفة تحرم الإنسان من لذاته ونعمائه، ومن هنا رأينا في معظم **رباعيات الخيام** تحذيراً منها وتجسيداً لخطرها الجليل:

لا تؤجل فرصة اليوم لغد ... وامصابي من غد إن أقبلا
ورفاقي هامة تعوي بقاع

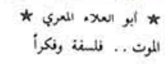
ويعتبر النشيد الثاني من الرباعيات نشيد الموت:

وإذا بساقي المنايا أوجبا ... شربة مضت ومرت علقما
فاحس جلدا خمرة الموت الزؤام

أما **شاعر اليوم** فالموت في نظره نهاية صراع عنيف مرير. صراع بين أطماع البشر وأحقادهم، صراع بين الإنسان والزمن بمآسيه ومشاكله، صراع يخلقه تعقد الحياة، واستبداد ضراوتها.

وتلك النهاية تعبر عن هزيمة الإنسان أمام كل شيء حتى نفسه، وتلك في الحقيقة مشكلة كل مثقف فما بالك بالفنان؟ فلنقرأ أبياتاً **لالياس فرحات** تصور الموت كنهاية حيث يقول:

إن الخلائق أنهر
تجري إلى البحر الوسيع
يصل البطيء إليه كرهاً

★ أبو العلاء المعري ★
الموت .. فلسفة وفكراً



★ نازك الملائكة ★
الخيط المشدود في شجرة السرو



★ عباس محمود العقاد ★
ألم الجسد وعنت البلوى

مثلما يصـــل السريـــع
فــالشاة تفتـك بــالكلا
والـــذئب يفتــك بـــالقطيع
والصـــقر يفتـك بـــالقطا
والموت يفتـــك بـــالجميع

ولقد شاع ذكر الموت وذاع لدى الكثيرين برز منهم **الشرنوبي** ، **والزهاوي** ، الذي يقول :

يا ويلتـا ســأموت بعـد قليـــل وأفـارق الـدنيا وكل جميـل

لكن هذه النظرة لا تمثل نظرة **الشعراء المحدثين** بوجه عـام ، ولعـل أصـدق منهـا تمثيلاً لنظرة شعر اليوم نظرة القبول لا الرفض ونظرة الترحيب لا الامتعاض .

إن شاعراً **كبدر شاكر السياب** يرفع ألـوية الموت السـوداء في جنبـات دواوينـه : **أزهار ذابلة** م (١٩٤٧ م) ، **وأساطير** (١٩٥٠ م) ، **المومس العمياء** (١٩٥٤ م) ، **والأسلحة والأطفال** (١٩٥٥ م) ، **حفار القبور** ، **وانشودة المطر** (١٩٦٠ م) ، **والمعبد الغريق** (١٩٦٢ م) ، **ومنزل الأقنان** (١٩٦٣ م) ، **وشناشيل ابنة الجلبي** (١٩٦٤ م) ، **واقبال** (١٩٦٥ م) ، إلى جانب ما لم يجمع من شعره في ديوان .

ويدير عينيه فيما حوله فيرى : الموت . . . الموت ، يختطف الموت زوجته وفيقة ، وأخـاه حميداً ، كما يختطف بودلير ، ثم يخرب جيكور ديوان شعره ومسقط رأســه ومــراح آمــاله وأغانيه .

وهو يهمس إلى ابنه حين دار حديث حول قيام الساعة سنة ١٩٦٢ م ، على لسان عالم هندي يقول : وتجهل أن موتك فيه بعثك .

إن للدنيا نهاية سلم
يفضي إلى أبد من الملكوت

ثم يتجه إلى زوجته في قصيدة الوصية[٢] :

لا تحزني إن مت أي بأس
أن يحطم الناي ويبقى لحنه حتى غدي ؟
لا تبعدي لا تبعدي لا . . .

ويتعجل نهاية الصراع العنيف بينه وبين آلامه فيقول :[٣]

يا رب لو جدت على عبدك بالرقاد
لعله ينسى من عمره الأمسا

ثم يختتمها بقوله :

يا رب لو جدت على عبدك بالرقاد
لأنه يذكره السهر
بأنه أقل من بشر

وفي رثائه لأخيه حميد يقول :[٤]

إذا ما رأى الله رأي العيان
وقد سار زحفاً على صدره
فأي انسحاق وأي انكسار
يشعان من عينه الضارعة

وقد كتب الشاعر عدة قصائد في **الكويت** حيث كان يعالج مـن داء الصـدر ، وكان من عادته ، دائماً ، أن يذيل كل قصيدة بتاريخ ومكان ميلادها ، وتلك ميزة كبرى يفرح بها رجال الأدب ونقاده ، لأنها تعين الدارس على فهم مراحل نمو الشاعر وتـطوره ، وتـطلعنا على ما خفي من ملابسات وظروف العمل الفني كما قدمنا ، لقـد ذيـل قصـائده بـالتاريخ والمكان وكان من ذلك القصائد التالية :

● **ليلة الوداع** : صفحة ٦٤٩ وذيلت بالكويت في ١٩٦٤/٨/٢١ م .
● **وفي غابة الظلام** : صفحة ٧٠٤ وذيلت بالكويت في ١٩٦٤/٧/٩ م .
● **ورسالة** : صفحة ٧٠٧ وذيلت بالكويت في ١٩٦٤/٨/٣ م .
● **ونفس وقبر** : وذيلت بالكويت في ١٩٦٤/١١/١٠ م .

ثم قصيدة **إقبال دليل** صفحة ٧١٦ ولم تذيل بشيء ، ممـا جعـل مقـدم الـديوان الأستاذ **ناجي علوش** ، الذي أسهم إسهاما كبيراً في الديوان ، جعله يذهب ، بحق ، إلى أن هذه القصيدة قد تكون آخر ما كتبه الشاعر ، وتضاف إلى ما كتبه بالكويت .

في قصيدة ليلة وداع يضيف الشاعر إلى العنوان : (إلى زوجتي الـوفية) ، ومـن الجلي إذن أن هذه القصيدة تمزج بين الخاص والعام ، فهو ينطلق من مشكلة مـرضه المستعصي على العلاج ، إلى مشكلة الفراق الموقوت الذي سينتهي إلى قرار حتى بينـه وبـين زوجتـه ، يقول :

أوصدي الباب فدنيا لست فيها
ليس تستأهل من عيني نظرة
سوف تمضين وأبقى .. أي حسرة ؟
أتمنى لك ألا تعرفيها ؟
آه لو تدرين ما معنى ثوائي في سرير من دم
تأكل الظلماء عيناي ويحسوها فمي
تائهاً في واحة خلف جدار من سنين
وأنين

. . . . . .

في غد تمضين صفراء اليد
لا هوًى أو مغنًى نحو العراق
وتحسين بأسلاك الفراق

إلى أن يقول :

أوصدي الباب غداً تطويك عني طائرة
غير حب سوف يبقى في دمانا

ولست أدري بأي قلم كتب السياب هذه القصيدة الأليمة ، مخاطباً زوجته . ولعله يحس أنها المرة الأخيرة في مجال مخاطبتها ، أن القصيدة على غير ما تعود السياب ، لكنها تحمل حرارة عالية ونبضاً صارخاً .

أما قصيدته « في غابة الظلام » ، فتصور الموت الذي ينتظر الشاعر ، ومن خلال رؤيته يرى قبره وجمجمته ، ويرى العراق حزيناً ، يقول :

عيناي تحرقان غابة الظلام
بجمرتيهما اللتين منهما سقر
ويفتح السهر
مغالق الغيوب لي فلا أنام
وأسبرُ الأرض إلى قرارها السحيق
ألمّ في قبورها العظام
فطالعتني - كالسراج في لظى الحريق -
تكشيرة رهيبة رهيبة
تلمحها جمجمتي الكئيبة

. . . .

عيناي من سريري الوحيد
تحدقان في المدى البعيد
الليل وحش تطعنانه مع النجوم
بخنجريهما وخنجر السحر
الليل خنزير الردى العنيد
يشق خنجراهما إهابه الغشوم
لألمح العراق مرّغ القمر
على ترابه البليل ضوءه الحزين

. . . .

★ السياب ★
ألوية الموت السوداء

ويبلغ بنا الشاعر أوج الفجيعة في قصيدته « **رسالة** » ويستدر دموعنا بقسوة بالغة حين يصور لنا رسالة من زوجته إليه وهو على فراش موته **بالمستشفى الأميري بالكويت** ، وفيها نرى حبه وحب زوجته ، ونرى طفلته (آلاء) ونكاد نسمع صوتها ، ويستحضر الشاعر صورة عودته وقرعة الباب (فتفتحين ، وتخفي ظلنا الستر!!) .

يقول الشاعر :

رسالة منك كاد القلب يلثمها
لولا الضلوع التي تثنيه أن يثبتا
رسالة لم يهبّ الورد مشتعلا
فيها ولم يعبق التاريخ ملتهبا
لكنها تحمل الطيب الذي سكرت
روحي به ليل بتنا نرقب الشهبا

إلى أن يقول :

ويا حديثك عن « آلاء » يلذعها
بُعْدي فتسأل عن بابا « أما طابا »
أكاد أسمعها
رغم الخليج المدوي تحت رغوته
أكاد ألثم خديها وأجمعها
في ساعدي
كأنني أقرع البابا . . .

. . . .

إن هذه القصائد ، مع غيرها من إنتاج الشاعر ، تمثل بعض أروع ما حفل به ديوان الشعر العربي من شعراء الفجائع واللوعة . إن الشاعر ينجح نجاحاً واضحاً في تحويل الخاص عنده إلى عام ، فيه شمولية واضحة ، فكثيرون يمرضون ، وكثيرون يموتون ، وكثيرون لهم حياة زوجية وعائلية وأطفال ، لكن السياب حين يتناول هذه الأمور كأنه يتناول أمراً فريداً وحيداً ، وكأنه ينقلنا إلى مأساته ، أو بمعنى آخر يحلنا محله ، ويجرعنا كأسه .

ويتحدث **كمال نشأت** في قصيدته « الشاعر والموت » في ديوان **(ماذا يقول الربيع)** :

يا شاعر الكون المعانق في الدجنة أدمعه
حوم على هذا الوجود على المجالي الممتعه
فغداً ستمضي ذرة مسكية في الزوبعه

. . . .

يا شاعر الشفق الحزين خبا الضياء ولن يثوب
ومضى الزمان وملء كفيه جراحات الشعوب
وغدوت جمجمة وحفنة تربة وفراغ كوب

يتناول الشاعر الموت تناولا هادئاً ثابتاً وكأنه حدث عادي من أحداث الزمان يستنيم إليه ويرتضيه .

وكتبت **نازك الملائكة** قصيدة « **الكوليرا** » حيث أفلحت الشاعرة في نقل تجربة الشعب المصري مع هذا الوباء وتجسيدها .(٥)

وقد بدأت من الأدنى إلى الأعلى متدرجة متطورة فتدعوك (اصغ إلى وقع صدى الأنات) وتقول (في كل مكان روح تصرخ في الظلمات) وتقول :

عشرة أموات عشرونا
لا تحص أصخ للباكينا

. . . .

موتى . . موتى ضاع العدد
موتى . . موتى لم يبق غد

فانتقلت الشاعرة من الأنات والآهات إلى الموت ، ثم إلى تأثر الناس ثم إلى تضاعف أعداد الموتى ، وأخيراً إلى فقدان الثقة في المستقبل .

وهي تصور الكوليرا تصويراً مفزعاً مريراً قائلة :

هبط الوادي المرح الوضاء
يصرخ مضطرباً مجنونا
لا يسمع صوت الباكينا

. . . .

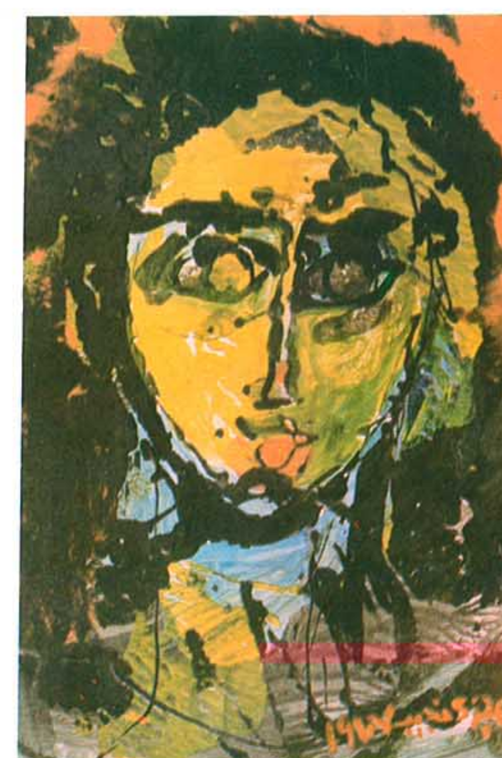
حتى حفار القبر ثوى لم يبق نصير
الجامع مات مؤذنه
الميت من سيؤبنه ؟ . . الخ

ثم تنتقل بالموت إلى صورة عاطفية في قصيدتها : **(الخيط المشدود في شجرة السرو)** ، حيث فوجىء شاب بمصرع حبيبته ، فشرد عقله وبدأ يتعلق بشيء تافه وهو الخيط المشدود في شجرة سرو تقوم قرب القبر ، وهي تعمد إلى تجسيد الموت ليسمع ويرى :



★ ابن عربي ★
الموت . . تفريق لا إعدام

★ هيدجر ★
الموت . . والوجود الإنساني





ويرن الصوت في سمعك : ماتت

إنها ماتت . .

فترى الخيط حبالا من جليد

عقدتها أذرع غابت ووارتها المنون

ولكي تجعل رؤيته قاسية مفزعة تقول :

وصدى مطرقة جوفاء يعلو ثم يفنى

إنها ماتت ، صدى يصرخ في النجم السحيق

وتكاد الآن أن تسمعه خلف العروق

وهكذا تتعدد صور تناول الموت لدى الشعراء ما بين الإقبال والنفور ، والدنو والبعد ، امتياحاً من معين نفسي لدى الشاعر تمتزج فيه عاطفته ورؤاه بمكنون العاطفة والرؤى لدى مجتمعه ومن حوله من الناس ليكون الشاعر ، من موقعه الفني ، معبراً عمن حوله .

ومن تأمل تلك التجارب الفنية بوجه عام نجد أن السمة العامة ، وأن باعث قصائد الموت أو أبياته لدى الشعراء غالباً ما يكون باعثاً ذاتياً . أي مرتبطاً بظروف شخصية مرت بالشاعر كمرض أو ألم ، أو موت حبيب أو قريب عزيز ، أو ضيق وتبرم بالحياة . . وهو باعث أشبه ما يكون بمثير فني موقوت ، **ولهذا قل أن نجد في قصائد الموت فلسفة أو موقفاً فكرياً يعتمد على وجهة نظر ذات أسباب وقرائن وأدلة ، وذات نتائج محددة** . وإنما هو شيء أشبه بالخواطر والانفعالات ، فهذا هو الشاعر **محمد أحمد العزب** يكتب سنة ١٩٦٤م ، قصيدة **(موت أمي)** قائلاً :

« أمي ماتت »

وأحدق خلف عيون الناس فلا أبصر حزنا

يا قسوة عين لا تبكي أحزان الناس !!

« أمي ماتت »

لكن حمائم جارتنا تمضي عني

مثنى مثنى

وأنا أتحسس كلمات ذابلة الوجه بلا معنى

« ماتت . . . متنا » !

ويتمتم شيخ ثلجي الإحساس :

« أجل . . يرحمها الله »

★ عمر الخيام ★

نشيد الموت

وهو هنا يأخذ على الناس برود عواطفهم نحو المصابين على الرغم مما يظهرونه من باب المشاركة الوجدانية ، وليس هذا تعميقاً فكرياً لتأمل ظاهرة الموت ، كما نرى لدى الشاعر في القصيدة ذاتها إذ يثير تساؤلات حول الموت ، وعن مصير كل إنسان ، وعن خلوده بعد موته :

يقول في المعنى الأول : **ما جدوى أن أحيا أو يحيا الآخر ؟**

هذا غدنا . . أن يحملنا محمولين !!

ويقول في المعنى الثاني : **« المؤمن يحيا خلف جبال الموت هناك بلا موت » .**

وأنا أتساءل :

ولماذا لا نحيا دنيانا الحلوة في هذا البيت؟

وكان من الممكن أن يستثمر الشاعر هاتين الفكرتين الرائعتين ويجلوهما ويعمق مدلولهما ، مثل كثير من الشعراء حين تأملوا معنى الموت كالمعري ، لكنه أوجز في خاطرتيه ، وانساق إلى الانفعال الصارخ في قالب احتجاجي غير معقول وغير مقبول في لهجة غير مؤمنة !! قائلاً :

لو نملك . . قلنا للقابع في أعمق أعماق الجرح

جادلنا بالحرف

واسقط من يدك سكاكين الذبح

وما يمكن أن نتجه به من حديث نحو الشاعر العزب قد نتجه به أو بمعظمه لسائر الشعراء الذين تناولوا الموت من خلال نظرة ذاتية جعلت شعرهم غنائياً ينقل خواطرهم وانفعالاتهم الثائرة لا نظرتهم ورؤياهم الشعرية المتأنية المتكاملة .

هوامش

(١) ساعات بين الكتب ص ٣٧ .

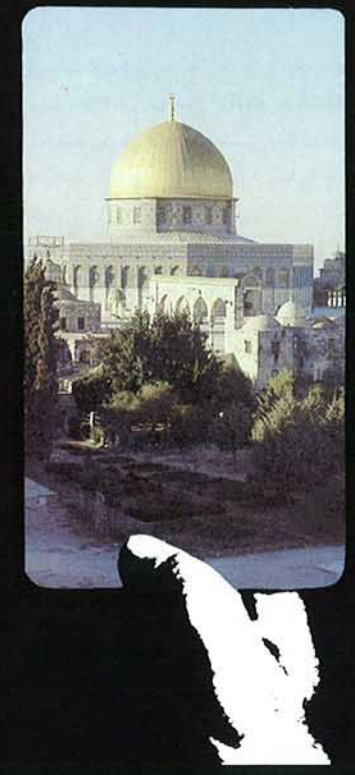
(٢) العبد الغريق ص ٣٦

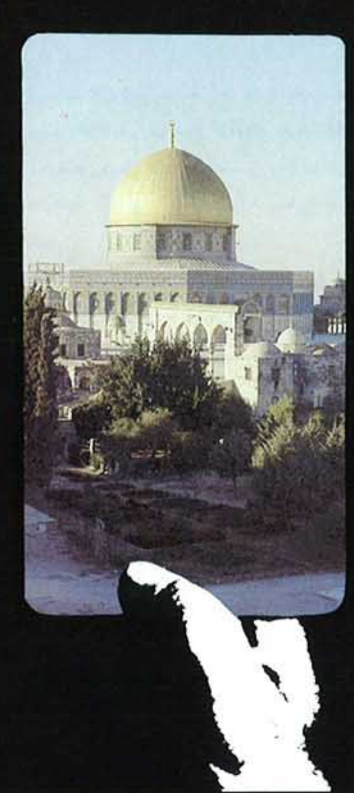
(٣) أقبال : ص ٢١

(٤) نفسه .

(٥) شظايا ورماد ص ١٢١ .

مدينة وتاريخ





★ باب الذهب ، من أبواب سور المسجد الأقصى ★

القدس مدينة السلام

★ لمدينة القدس مكانة فريدة تتميز بها عن مدن الأرض قاطبة ، فهي المدينة الوحيدة التي تستأثر بتقديس قرابة ثلثي سكان الأرض من أتباع الديانات السماوية الثلاث : المسلمون ، النصارى ، واليهود ، وعوضاً عن أن تكون «مدينة السلام» التي تنعم ، هي والأرض التي بارك الله تعالى حولها لا تسفك فيها الدماء ، كما كانت أيام الخليفة عمر الفاروق ومن بعده صلاح الدين الأيوبي ، فقد كان من قدرها أن تكون في معظم حقب تاريخها ميداناً للنزاعات والحروب والمجازر الرهيبة والآلام ★

والقدس هي المدينة الثالثة في قدسيتها عند المسلمين لعدة أسباب :

● الطابع الإبراهيمي للديانة الإسلامية ، فقد جاء في القرآن الكريم **﴿ ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ، ولكن كان حنيفاً مسلماً ﴾** ، لأن قبوله بتضحية ابنه كان أسطع برهان على إسلامه لربه .

● وإلى المسجد الأقصى في القدس أسري بالرسول الكريم محمد عليه الصلاة والسلام ، وكانت من قبل **القبلة الأولى للمسلمين** ، لأنهم كانوا قبل الهجرة يتجهون أثناء صلاتهم إلى المسجد الأقصى بالقدس ، ثم أمر الله رسوله محمد عليه الصلاة والسلام ، بأن يولي وجهه شطر المسجد الحرام في مكة المكرمة . . قال تعالى : **﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ، فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾** ، ولا يزال هناك في **حي بني سلمة** ، في المدينة المنورة ، شاهد على الفترة التي كان فيها المسلمون يتجهون بصلواتهم نحو بيت المقدس ، هو (**مسجد القبلتين**) ، والذي لا زال يحتفظ ببقايا محراب قديم يتجه نحو الشمال ، في مواجهة المحراب الأحدث الموجه نحو الجنوب ، نحو مكة المكرمة ، وقيل إن تحويل القبلة إلى مكة المكرمة ، كان يوم الثلاثاء في منتصف شهر شعبان ، وقيل في شهر رجب من السنة الثانية للهجرة .

● وسيظل الإسراء الحدث العظيم ، الذي يصل رسالة محمد ﷺ ، بالأمكنة المقدسة في القدس ، وإلى هذا يشير القرآن الكريم ، في قوله تعالى : **﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا ﴾** . والمسجد الأقصى هو حرم القدس ، أي المسجد الواقع إلى جنوبي الصخرة .

وقد أسْرِيَ بالرسول الكريم ﷺ ، من مكة المكرمة إلى القدس ، ومن فوق الصخرة امتطى البراق ، الذي صعد به إلى السماء السابعة ، وقابل أثناء صعوده كل الرسل والأنبياء الذين سبقوه ، وعلى الأخص إبراهيم وموسى وعيسى ، وقد كان إمامهم في الصلاة إلى أن أصبح لوحده في حضرة رب العالمين جل جلاله .

وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « أتيت بالبراق فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء ، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم عرج بي إلى السماء » . وقد كان المعراج بالنسبة للرسول توكيداً على أن بعثته هي في الخط التوحيدي العظيم ، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين .

● الأحاديث النبوية التي تدلل على عظم مكانة القدس كثيرة ، فقد روى ابن منده بسنده عن أنس بن مالك قال : **« إن الجنة لتحن شوقاً إلى بيت المقدس ، وبيت المقدس من جنة الفردوس ، وهو سرة الأرض »** . وقد ثبت في الصحيح : « أن المسيح عليه السلام يقتل الدجال بباب لدّ » . وقالت ميمونة مولاة رسول الله ﷺ : **« قلت لرسول الله ﷺ ، أفتنا عن بيت المقدس ، قال : « نعم المصلى ، هو أرض المحشر وأرض المنشر ، ايتوه فصلوا فيه ، فإن الصلاة فيه كألف صلاة »** . قلت : بأبي أنت وأمي أنت ، ومن لم يطق أن يأتيه ، قال : فليهد له زيتاً يسرج فيه فإن من أهدى إليه كان كمن صلى فيه » .

وقال **أبو ذر** : سألت رسول الله ﷺ ، عن أول مسجد وضع في الأرض قال المسجد الحرام ، ثم قلت : ثم أين ؟ قال : المسجد الأقصى . وجاء في الحديث : **« لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى »** .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من مات في بيت المقدس فكأنما مات في السماء » ، وعن ابن عباس قال : « من حج وصلى في مسجد المدينة والمسجد الأقصى في عام واحد ، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » ، وروي أيضاً ، قال رسول الله ﷺ : **« من أراد أن ينظر إلى بقعة من بقع الجنة فلينظر إلى بيت المقدس »** .

كما قدم الخليفة العادل عمر بن الخطاب بنفسه لبيت المقدس عند الفتح وصلى فيه .

● **وقد دفن في بيت المقدس عدد كبير من الصحابة والتابعين والمجاهدين ، منهم الصحابي عبادة بن الصامت الأنصاري ، والصحابي شداد ابن أوس ، والزاهدة أم الخير رابعة العدوية ، والمتكلم محمد بن كرام ، صاحب الفرقة الكرامية ، والمحدث بكر بن سهيل الدمياطي .**

● وكانت أم الدرداء زوجة الصحابي الجليل أبي الدرداء ، تقصد بيت المقدس من دمشق ، وتقيم نصف السنة في بيت المقدس . وكانت في زيارتها للقدس تجالس الفقراء والمساكين وتحن عليهم . وقد خطبها **معاوية** ، بعد وفاة أبي الدرداء فأبت . وحدث أنها كانت في مسجد الصخرة ، بينما كان **عبد الملك بن مروان** جالساً في ناحية منه ، فأذّن المؤذن لصلاة المغرب ، فقامت أم الدرداء تتوكأ على عبد الملك ، حتى أدخلها مكان النساء في المسجد ومضى فصلى بالناس .

● وقدم **معاوية بن أبي سفيان** إلى بيت المقدس سنة ٤١ للهجرة . وقال الليث : « بويع معاوية بإيلياء في رمضان ببيعة الجماعة » . كما قدم **الخليفة عبد الملك ابن مروان باني قبة الصخرة ببيت المقدس** وصلى فيه ، كما سبق وذكرنا . مثلما كان يتردد عليه **الوليد بن عبد الملك** ، ويقول المقدسي : « كان الوليد يعطيني قصاع الفضة أقسمها على قراء مسجد بيت المقدس » .

● وأتى الخليفة **سليمان بن عبد الملك** إلى بيت المقدس ، وقدمت الوفود إليه بالبيعة ، وكان يجلس في صحن بيت المقدس فيما يلي الصخرة ، فيدخل إليه الناس لقضاء حوائجهم . وكان سليمان قد همّ بالإقامة في بيت المقدس واتخاذه منزلا وعاصمة لدولته بدلا من دمشق .

● وجاء **أبو جعفر المنصور** بعد قرن من قدوم **معاوية** ، أي عام **١٤١هـ** ، واجتمع بالإمام **الليث بن سعد** . وقدم **الخليفة المهدي** ، ابنه ، إلى القدس وأمر ببناء ما تشعث من المسجد الأقصى .

وقصد معظم الحجيج بيت المقدس في ذهابهم إلى بيت الله الحرام ، وفي عودتهم منه ، حتى أضحت المدينة المقدسة مزاراً يتبرك به المسلمون تبركهم بالكعبة المشرفة ، مثلما استحبوا الاحرام بالحج والعمرة منه .

في سنن **ابن داوود** من حديث أم سلمة قالت : قال رسول الله ﷺ : **« من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى غفر الله له ما تقدم من ذنبه »** .

وجاء في كتاب الأنس الجليل : **« بيت المقدس سرة هذا الوطن المقدس وملتقى أقطاره ومعراج النبي عليه الصلاة والسلام ، ومقصد الأنبياء ، ومدفن الرسل ومهبط الوحي ، ومنزل ينزل به الأمر والنهي ، وهو البلد الذي بعث الله إليه عبده . . عيسى الذي أكرمه برسالته وشرفه بنبوته »** .

جغرافية القدس

تقع القدس فوق إحدى فقرات تلك السلسلة الجبلية الممتدة من الشمال إلى الجنوب ، والتي تواكب الساحل الشرقي **للبحر الأبيض المتوسط** ، إذ لا تبعد القدس عن ساحل هذا البحر أكثر من خمسة وعشرين كيلو متراً على خط مستقيم ، **أو ٥٩ كيلو متراً** على الأرض ، في حين يقل بعدها عن ساحل **البحر الميت** ، عن عشرة كيلو مترات على خط مستقيم أو ٣٣ كيلو متراً ، على الأرض . وتتراءى من ساحله بالأفق مآذن وأبراج المدينة المقدسة ، هذا إذا كان الطقس صحواً ولا سيما قبيل الغروب .

وتقع على خط العرض الشمالي **٣١ درجة و٤٦ دقيقة** ، وخط الطول **٣٦ شرقاً** ، على ارتفاع يبلغ **٧٩٠ متراً** وسطياً ، فوق سطح البحر ، ولكنها تطل على البحر الميت من الشرق على ارتفاع يقارب ١١٧٣ متراً .

وتتراوح أمطارها السنوية بين ٥٠٠ و٩٠٠ م ، تهطل في مدة تتفاوت بين ٤٠ و٦٥ يوماً ، ولكن المعدل السنوي للأمطار خلال فترة امتدت على ٦٣ سنة ، كان **٥٨٤,٢ م** ، أي تعادل أمطار باريس وأكثر من ثلاثة أضعاف كمية أمطار دمشق . وقد تتغطى أسطحة منازل المدينة في بعض السنوات برداء الثلج الأبيض ، وذلك في حالة تعرض المنطقة لرياح شمالية قارسة قادمة من أواسط آسيا وشرقي أوروبا ، ولكن يندر أن يبقى الثلج على الأرض أكثر من يومين أو ثلاثة .

وقد بلغ معدل الحرارة السنوي في القدس **١٧,٤ درجة** ، ويبلغ معدل الحرارة العظمى السنوية **٢٢,٦ درجة** ، ومعدل الصغرى **١٢,١** ، ومتوسط الرطوبة النسبية **٦٤,٥** . ولكن يهبط معدل شهر كانون الثاني (يناير) إلى **٨,٧ درجات** ، ويرتفع متوسط شهر آب (أغسطس) إلى ٢٤,٨ درجة .

وكتب المقدسي يصف مناخها : **« لا شديد البرد وليس بها حر وقل ما يقع**

بها الثلج ..»، وسألني القاضي أبو القاسم ابن قاضي الحرمين عن الهواء بها فقلت : سجسج لا حر ولا برد شديد، قال : «هذه صفة الجنة».

ويتألف النبات الطبيعي في منطقة القدس من بقايا الغابة البدائية التي استؤصلت ولم يبق منه سوى النزر اليسير الذي يشهد عليها، كأشجار السنديان والخروب والصنوبر والسرو والحور والسدر والسريس والزعرور واللوز البري، وقد أدخلت إليها أشجار (الاوكاليبتوس)، أما الأشجار المثمرة المزروعة فتتألف من الزيتون والتين واللوز والعنب.

مياه القدس

عرفت القدس منذ القدم بشح مائها، وكان توفير الماء لها على مر الأزمنة أمراً شاقاً، لأنها تقوم فوق تلال مرتفعة لا ينبع منها الماء، مؤلفة من صخور كلسية تتصف بشدة نفاذيتها للماء، هذا فضلاً عن وقوعها على خط تقسيم المياه بين حوض البحر الأبيض المتوسط وحوض البحر الميت، إذ سرعان ما تنساب مياه الأمطار نحو الخاصرتين الجبليتين مما لا يدع لها الوقت الكافي للترسب في باطن الأرض والاستقرار فيه كي تكون في متناول الناس فيما بعد.

وهكذا كان جل اعتمادها في العصور الغابرة على مياه الأمطار وعلى الينابيع الضئيلة الواقعة في سلوان في الجنوب الشرقي من المدينة والتي يذكرها أبو العلاء :

ولعين سلوان التي في قدسها طعم يوهم أنه من زمزم

ولذلك كانت البرك من أهم مصادر مياهها، وهي البرك التي تتجمع فيها مياه الأمطار والسيول المنحدرة من المرتفعات المجاورة، وكان أهمها «**بركة سلوان**» إلى الجنوب من **عين أم الدرج**، والبركة التحتانية إلى الجنوب الشرقي من بركة سلوان، ويسمونها «**البركة الحمراء**»، وبئر أيوب على مسافة ٢٨٠ متراً تقريباً من البركة الحمراء، والتي يتفجر منها الماء في فصل الشتاء. ومن جملة عيون القدس نذكر «**عين اللوزة**» الواقعة على مسافة **٥٠٠ متر**، من بئر أيوب إلى الجنوب.

وفي القدس **صهاريج** كثيرة تتجمع فيها مياه الأمطار، **وفي كل بيت صهريج**، وفيها برك كبيرة أيضاً، حفرها الأقدمون لهذا الغرض. ومن هذه البرك **بركة ماملا، وبركة السلطان، وبركة حزقيا**. ويذكر المقدسي قبل عشرة قرون من الزمن : «قل دار ليس بها صهريج وأكثر. وبها ثلاث برك عظيمة، بركة بني اسرائيل، وبركة سليمان وبركة عياض، عليها حماماتهم، ولها دواع[1] من الأزقة. وفي المسجد عشرون جباً متبحرة، وقل حارة وليس فيها جُبٌ مُسَبّل. غير أن مياهها من الأزقة، وقد عمد إلى واد فجعل بركتان يجتمع إليها السيول في الشتاء، وشق منها قناة إلى البلد توحل وقت الربيع فتملأ صهاريج الجامع وغيرها.

وظلت مشكلة المياه الجيدة نوعاً والوفيرة كماً الشغل الشاغل لمدينة القدس، لا سيما بعد أن تكاثر سكانها. وفي ١٩٢٩م، وجدت حكومة الانتداب حلاً في **عين فارة**، على مسافة **١٤ كيلو متراً**، شمال شرقي القدس، فجرت مياهها للمدينة. وبعد عامين أضافت إليها مياه **عين الفوار**، التي تبعد **٦ كيلو مترات** شرقي عين فارة. وفي **١٩٣٥م**، راحت القدس تستقي الماء أيضاً من **عين القلط**، إلى أن بلغ المجموع الكلي للماء الواصل إلى القدس في العام المذكور **٥٩٣** مليون غالون. ولكن المشكلة لم تحل تماماً فقامت الحكومة، بمشروع جر مياه **نبع رأس العين** الذي يبعد عن القدس **٣٧ ميلاً** إلى الشمال الغربي، والذي يقدم ألف غالون بالساعة. وذلك بواسطة أنابيب بلغ طولها **٦٠ كم، وقطرها ١٨ بوصة**. وبعد احتلال اليهود للقدس العربية عام **١٩٦٧م**، ارتبطت بشبكة المياه العامة، أو القطرية كما يسمونها، والتي تعتمد إلى حد بعيد على مياه نهر الأردن وروافده، وتتطلع إسرائيل حالياً لجر مياه نهر الليطاني.

الجبال المحيطة بالقدس

وقد دعيت بهذه الصفة ولكنها ليست في الحقيقة أكثر من تلال مرتفعة.

●● **جبل المشارف** : ويرتفع حوالي ٨٥٠م، عن سطح البحر وسمي بهذا الاسم لأنه يشرف على القدس، ويبتدىء من شمالي شعفاط وينتهي بجبل الزيتون. ويقع في شمالي بيت المقدس بانحراف قليل نحو الشرق، على مسافة تقل قليلاً عن كليو مترين، وفي شرق **قرية العيسوية**. ويقوم جبل المشارف على الطريق المؤدية إلى **مدينة رام الله**. ويقال له أيضاً **جبل المشهد وجبل الصوانة**. وكان معظم الفاتحين يقيمون معسكراتهم عليه كالقائد **تيتوس الروماني** عام ٧٠م، والفرنجة **الصليبيون** بعد ألف عام تقريباً أي سنة **١٠٩٩م**، ويمتعون أنظارهم بمرأى هذه المدينة المقدسة. والناظر إليها من هذا الجبل يرى لها منظراً أخاذاً. كما يرى على يساره **سهل الغور والبحر الميت وبلاد الكرك**، وغيرها من مرتفعات الضفة الشرقية. ويسميه الأوروبيون **جبل سكوبوس**، ومعناها باليونانية ملاحظ أو مراقب. ويسميه اليهود **هارها تسوفين**، وهي ترجمة حرفية للتسمية العربية. وقد أقام اليهود عليه **جامعتهم العبرية** فوق أرض اشتروها من **السير جون غراي الانكليزي** عام ١٩٢٧م.

ويعتبر الكثيرون جبل المشارف امتداداً لجبل الزيتون لجهة الشمال الشرقي. وبين جبل المشارف والقدس يقع **وادي الجوز**، الذي طغت عليه المساكن فراحت تمتد أيضاً على سفوح الجبل.

●● **جبل الزيتون** : ويدعى أيضاً **جبل الطور**، ويقع إلى الشرق من القدس، وهو المواجه لأسوار الحرم من الجهة الشرقية يفصله عنه واد عميق سريع الانحدار هو وادي «**قدرون**» وامتدادهما من الجنوب إلى الشمال. ويقع إلى الجنوب من جبل المشارف وارتفاعه **٨٢٥م**، عن سطح البحر. ويكشف المدينة المقدسة قديمها وحديثها واسمه مأخوذ من شجر الزيتون الذي كان منتشراً عليه بكثرة.

وكثيراً ما كان المسيح (عليه السلام)، يصعد على جبل الزيتون، لا سيما عندما كان اليهود يحاولون إلحاق الأذى به.

وذكر أن الزيتون الوارد في الآية الكريمة، «**والتين والزيتون وطور سينين**»، هو جبل الزيتون عند بيت المقدس. ويسميه اليهود هار هازيتيم، ترجمة للاسم العربي، ويفصل جبل الزيتون عن القدس **وادي الست مريم** المعروف أيضاً **بوادي جهنم، ووادي النار، ووادي سلوان**. وعلى هذا الجبل تقوم قرية تدعى الطور. وقد كان هذا الجبل مكسواً قديماً بالزيتون والبطم والتين والسنديان والنخل في بعض المواقع كالعيزرية. وقد كان بالقرب من قمته شجرتان من الأرز، ولكن لم يبق شيء من كل ذلك سوى الزيتون والتين.

ولما نزل **الأسقف أركولفوس** القدس سنة **٦٧٠م**، في أيام خلافة معاوية، ذكر مزروعات هذا الجبل بقوله : «**ليس على جبل الزيتون من أشجار سوى العنب والزيتون، ولكن يزرع فيه نوع جيد من القمح**».

ويقع في أعلى قمة في جبل الزيتون مقام الشيخ والعالم الصالح **محمد بن عمر العلمي، وجامعه المؤرخ ٩٦٤هـ، أو ١٠٣٨م**.

●● **جبل بطن الهوا** : وهو امتداد لجبل الزيتون في الزاوية الجنوبية الشرقية من القدس ويفصله عنها وادي سلوان.

●● **جبل صهيون** : ويقع في جنوب غربي القدس القديمة، وكانت تقع عليه قلعة اليبوسيين التي انتزعها منهم النبي داوود حرباً.

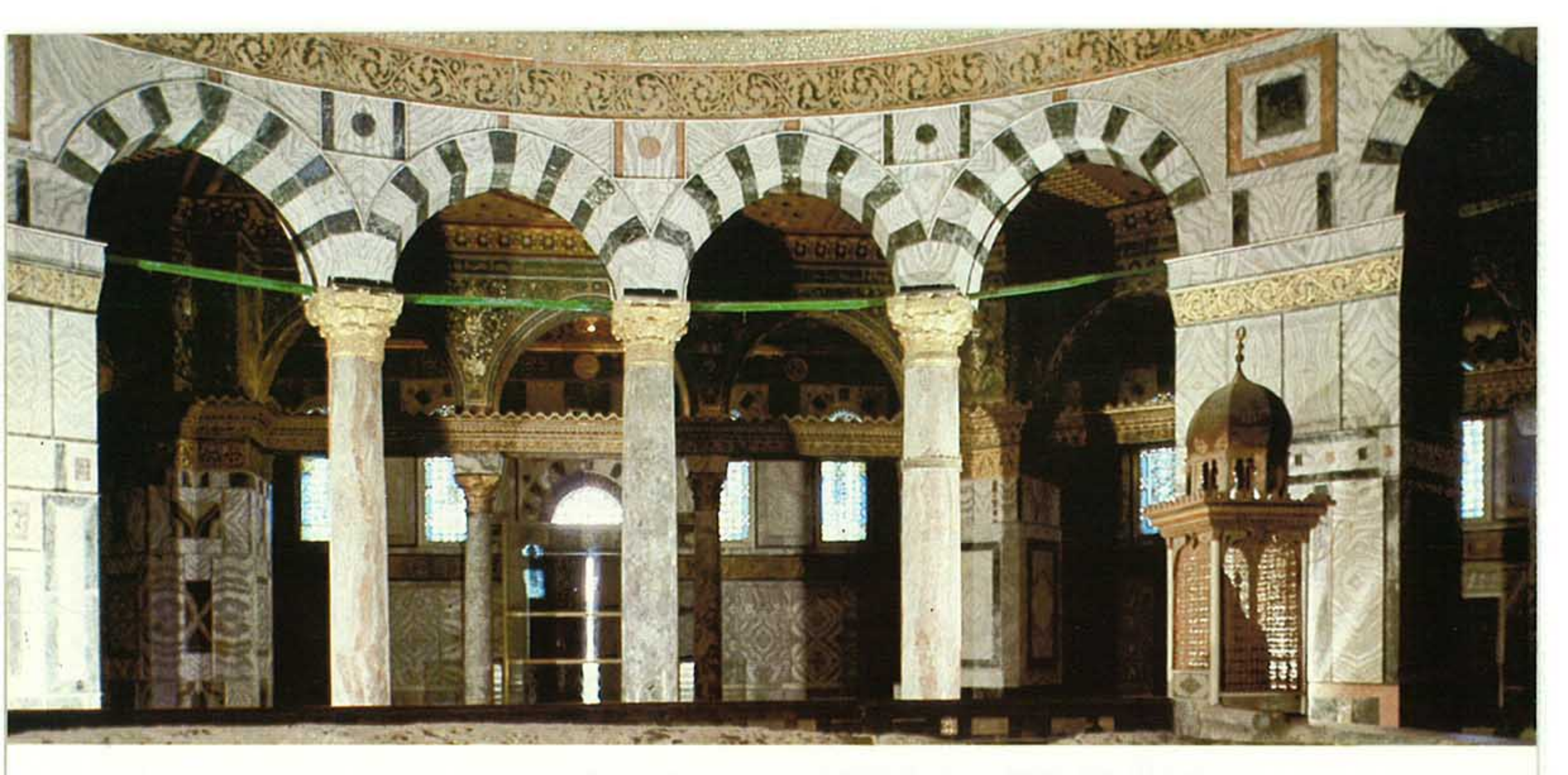
●● **جبل موريا** : وهو الجبل الذي يقوم عليه الحرم الشريف، وهو الجبل الذي نزل عليه كبش الفداء ويدعى الكبش في بعض اللهجات المحلية مرباع.

●● **جبل المكبر** : وسمي بهذا الاسم لوقوف الخليفة الثاني عمر بن الخطاب عليه، يطل على المدينة المقدسة قبل تسليمها له، وكان يقول : الله أكبر، وترددها من خلفه جموع المسلمين.

أسماء القدس

القدس مدينة كنعانية عربية، اسماً ووطناً منذ خمسين قرناً من الزمن، ولكنها اتخذت أسماء عديدة على توالي العصور تبعاً للأمم والشعوب التي استوطنتها أو حكمتها ومن هذه الأسماء :

● «**يبوس**»، وذلك نسبة **لأول قوم سكنها، وهم اليبوسيون الكنعانيون**، في نحو الألف الثالث قبل الميلاد، حين هاجر الكنعانيون من جزيرة العرب إلى فلسطين، وكانت لهم مدنيّة عريقة، وسجل التاريخ عدداً من أسماء ملوكهم، ودام كيانهم السياسي فيها قرابة **٢٠٠٠ عام**. إلى أن احتلها النبي داوود في أوئل الألف الأول قبل الميلاد.



★ مسجد الصخرة من الداخل ، حيث تبدو الصخرة المقدسة ★

★ السجاد والنقوش ، داخل قبة الصخرة ★



وحرفت يبوس في السجلات الهيروغليفية إلى يابيتي ويابتي ، وذلك قبل عهد موسى بعدة قرون . ولا تزال هناك قرية على طريق دمشق بيروت تدعى إلى اليوم «كفر يبوس» أي قرية يبوس .

وكان للمدينة عند اليبوسيين اسم آخر فقد سموها **أورسالم** ، كما يظهر ذلك في رسائل تل العمارنة التي تعود للقرن الخامس عشر قبل الميلاد ، أي قبل ظهور مدونات **التوراة** بأكثر من ألف عام . ومعنى **أورسالم** مدينة السلام **وشالم** اسم آله اليبوسيين الأكبر . وقد بنوا له هيكلاً على مرتفع الضهور . فنسبوا مدينتهم له تمجيداً لاسمه .

ويتضح أن تسمية أورشليم هي في الحقيقة كلمة كنعانية آرامية أصيلة . وبعد أن ظهر اليهود وتكونت لهجتهم العبرية المشتقة من الآرامية صار اليهود يسمونها بالعبرية بروشلايم . وقد ذكرها العرب في الجاهلية في أشعارهم بهذه التسمية فقالوا أوريشلم كما جاء في **معجم البلدان لياقوت** ، أو كقول **الأعشي** :

وطوفت للمال آفاقه ... عمان فحمص فأوريشلم
أتيت النجاشي في داره ... وأرض النبيط وأرض العجم

وكتبت أيضاً على شكل أورشالم ، وأورشاليم ويروشالم ويروشلم . وذكرها **الفيروزابادي فقال : إن شالم وشليم وشلم اسم بيت المقدس** . وقال ياقوت إن شاعراً من شعراء الجاهلية أسماها أورسلمو .

وتعترف التوراة صراحة بأن ليس لليهود أية صلة بتاريخ أورشليم القديم . فلما خاطب حزقيال أورشليم قال : «أبوك أموري وأمك حثية» ، وذلك على اعتبار أن ملوك أورشليم كانوا من العموريين على ما جاء في التوراة التي اعتبرت آدوني صادق آخر ملوك أورشليم في عداد الملوك العموريين . **وتؤكد التوراة أن اليهود لم يستطيعوا طرد اليبوسيين من أماكنهم في أورشليم «فسكنوا معهم إلى هذا اليوم» ومما يؤكد أن الملك داوود لما أراد أن ينشىء الهيكل في أورشليم اضطر إلى شراء الأرض التي اختارها لبناء الهيكل من اليبوسيين .**

وأسماها **اليونانيون** يروسالم . وقد أضفى عليها المؤرخ اليهودي يوسيفوس طابعاً هلينياً ، فأسماها **هيروسليما** ، وكانت تدعى في أوائل الفتح الروماني **هيروسليما** ، ثم صارت **هيروساليما** ، ومنها أخذت **الأمم الأوروبية** اسمها المعروف جيروسالم .



★ لقطة عامة لمدينة القدس مأخوذة من أعلى جبل الزيتون ★

وعندما حاصرها **تيتوس** عام ٧٠ م ، كان **الرومان** ، يسمونها **سوليموس** . وفي عام ١٧٥ م ، كانوا ينادونها **سوليما وسماها المكابيون يروسوليما** . وسميت آريئيل ، ومعناها أسد الله مثلما دعيت مدينة الله وعرفت باسم مدينة يهوذا .

وفي سنة **١٣٩ م** ، أسماها **الإمبراطور هادريان ايليا كابيتولينا** ، أي ايليا العظمى ، وظلت محتفظة بهذا الاسم حتى أوائل العهد الإسلامي ، كما ورد اسمها على هذه الصورة في العهدة العمرية وتاريخها **١٥ هـ ، أو ٦٣٦ م** . وقال «ياقوت» : إن ايلياء أو الياء اسم لبيت المقدس ومعناه بيت الله ويقول الفرزدق :

وبيتان بيت الله نحن ولاته — وقصر بأعلى ايلياء مشرفا

إلا أن **الإمبراطورة هيلانة والدة الإمبراطور قسطنطين** ، حاولت عبثاً إعادة اسم أورشليم إلى هذه المدينة ، وقد زارتها سنة **٣٢٤ م** ، ولكن المدينة ظلت محتفظة باسمها ايلياء . ومن اسمائها كما جاء في اتحاف الاحصا ، للسيوطي بيت ايل ، ومعناها بيت الرب ، ومن أسمائها القرية وإلى ذلك تشير الآية الكريمة : ﴿ **ادخلوا هذه القرية ، فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم** ﴾ .

● **القدس** : وبعد الفتح الإسلامي غلب على المدينة المقدسة اسم «**القدس**» وبيت المقدس والبيت المقدّس ودار السلام وقرية السلام ، ووصفت تأدباً وتكريماً لها بكلمة الشريف ، وصار المسلمون لا ينطقونها إلا موصوفة بها . وقد ذكر **المعري** اسم القدس في شعره فيقول :

يا شاكي النوب انهض طالباً حلباً — نهوض مضني لحسم الداء ملتمس
واخلع حذاك إذا حاذيتها ورعاً — كفعل موسى كليم الله في القدس

تاريخ القدس

يبدو تاريخ القدس شديد التعقيد ، كثير التداخل ، حتى ليبدو وكأنه مخطوط استعمله النساخ مرات عديدة ، فأصبح من المتعذر فك رموزه وتحليل عناصره ، ولا غرابة في ذلك ، فموقعها الجغرافي والاستراتيجي وتطلع معظم الأمم القريبة والبعيدة للاستحواذ عليها حرمها كل هذا من أن تكون في عداد المدن السعيدة .

ومن المؤكد تاريخياً أن اليبوسيين هم مؤسسو القدس ، وكانت تدعى في أيامهم يبوس ، واليبوسيون بطن من بطون أوائل العرب ، نزحوا عن جزيرتهم مع سواهم من القبائل الكنعانية واستقروا في ديار فلسطين على ما يبدو منذ الألف الثالث قبل الميلاد .

ومن ملوكهم **ملكي صادق** ، وهو أول من اختطها وبناها بعد أن ظل قومه من سكان الكهوف لفترة طويلة من الزمن ، وعرف بالتقوى ، لما غشي امرأة ، ولا أراق دماً ، وما أكل سوى الخبز ، وكان محباً للسلام ، حتى أطلق عليه **ملك السلام** ، ومن هنا جاء اسم المدينة سالم وشالم .

ومن ملوكهم **سالم اليبوسي** ، الذي زاد في بنيان القدس ، وشيد على التل الجنوبي المعروف في أيامنا بجبل صهيون برجاً بقصد الدفاع عن المدينة . وكان الكنعانيون في بادىء الأمر من رعاة الشاة . ولما طلب لهم المقام في هذه البقعة سميت باسمهم كنعان . وكانوا على درجة من المنعة والقوة ، بحيث تمكنوا من صد العبرانيين ، فقد صدوهم وقاوموهم زمناً طويلاً ، لأنهم كانوا متحدين . وكانت مدينة يبوس على درجة من **الأهمية التجارية** ، إذ كانت تقع على طريقين تجاريين هامين ، الأولى تصل البحر بالبادية الشرقية ، والثانية تربط **حبرون** (خليل الرحمن) ببيت ايل القريبة من رام الله الحالية ، وفي بيت ايل كانت الطريق تسلك اتجاهين : الواحد نحو شكيم ، أي **نابلس** ، والآخر نحو **أريحا** ووادي الأردن .

وبقيت قلعة أورشليم ، التي كانت تسمى **حصن يبوس** ، أي حصن صهيون ، صامدة أمام سائر الغزاة قبل عصر **النبي موسى** بنحو الفي عام ، وقد بقيت ثابتة أمام **الموسويين** ، حتى تمكن الملك داوود من احتلالها بعد الاستيلاء على مصدر مائها من غير قتال على الأرجح .

وتعترف التوراة أنه ليس لليهود أية صلة بتاريخ أورشليم القديمة لا من حيث التسمية ، ولا من حيث القومية . فقد اعتبرت أدوني صادق آخر ملوك أورشليم في جملة الملوك العموريين . **وتؤكد التوراة أن اليهود لم يستطيعوا اجلاء اليبوسيين عن أماكنهم في أورشليم «فسكنوا معهم إلى هذا اليوم» ..**

ويؤكد ذلك أن الملك داوود لما أراد أن ينشىء الهيكل في أورشليم ، كما رأينا ، اضطر لشراء الأرض التي اختارها لبناء الهيكل من أدونة اليبوسي ، وعاش اليهود أقلية بينهم حتى تم سبيهم إلى بابل في عهد الكلدانيين .

القدس .. وبنو إسرائيل

سنة ١٠٤٩ ق . م ، بعد انتقال موسى عليه السلام لجوار ربه وعلى أثر انقضاء ٤٠ سنة في صحراء التيه ، تولى قيادة بني إسرائيل **يشوع بن نون** ، فعبر بهم الأردن سنة ١١٨٩ م ، واحتل أريحا فدكها دكاً ، بعد أن أباد سكانها عن بكرة أبيهم ، ولكنه لم يفلح في الاستيلاء على يبوس التي لم تسقط إلا بعد ظهور النبي داوود ملكاً على بني إسرائيل سنة ١٠٤٩ ق . م ، فزحف من حبرون بجيش يضم ثلاثين ألف مقاتل . وسقطت المدينة بعد أن استولى ابن أخته يوآب على عين روجل المورد الرئيسي لأهل المدينة ، وعلى أثر ذلك اقتبس العبرانيون مدنيّة اليبوسيين ، وأخذوا يكتسون بالأقمشة الصوفية ، وخلعوا عنهم الجلود التي كانوا يلبسونها واتخذ **داوود** أورشليم عاصمة له وبنى قصره الملكي فيها . ثم حكم **سليمان** من بعد أبيه مدة أربعين سنة بين ٩٦٣ - ٩٢٣ قبل الميلاد . **وبنى سليمان الهيكل سنة ١٠٠٧ ق . م ، واستغرق بناؤه سبع سنوات ، بأيدي البنائين والمعماريين من الكنعانيين ، وكلمة هيكل ذاتها كنعانية . وقد دمر وأحرق هذا الهيكل عدة مرات في التاريخ ولا وجود له في الوقت الحاضر ، رغم كل المحاولات التي جرت للعثور على بقاياه . وهكذا لم تدم دولة اليهود سوى فترة قصيرة امتدت من سنة ١٠٢٠ إلى سنة ٩٢٣ ق . م ، أي أقل من قرن من الزمن أي نفس الفترة التي حكم فيها الصليبيون بعد ألفي عام .**

القدس والفراعنة

وقد حكم مملكة يهوذا تسعة عشر ملكا . واستغل **شيشنق فرعون مصر** ، خلافاً وقع بين ولدي سليمان ، فزحف على أورشليم واحتلها سنة ٩٧٠ ق . م ، وعاد إلى مصر بعد أن نهب خزائنها كغنائم حرب . وكانت فترة حكم العبرانيين للقدس مشحونة بالدسائس والمكائد . ثم تعرضت إلى غزو شمالي في عهد الملك **بحدد الأول** ، وكان ذلك حوالي سنة ٨٣٩ - ٨٤٣ ق . م .

القدس وآشور

من المؤكد أن أقدم غزو تعرضت له الأرض المقدسة في الشمال بعد الانقسام الذي وقع عام ٩٢٢ . م ، كان على يد **الآشوريين** . فقد حاول **الملك شلمنصر** القضاء على يهود السامرة ، منطقة نابلس ، ولكنه مات قبل أن تستسلم له . وقد أعلن ملك إسرائيل خضوعه التام للفاتحين بتقديم الهدايا الثمينة لهم والجزية . وحاول **هوشع ابن ايله ، آخر ملك إسرائيلي** (٧٣٣ - ٧٢٢ ق . م) ، أن يستعين بفراعنة مصر ضد الآشوريين فزحف هؤلاء على السامرة وتمكن **سرجون** سنة ٧٢٢ ق . م ، بعد حصار استمر ثلاث سنوات أن يدك أسوارها وسبى نخبة أهلها وأرسلهم إلى بلاده . وقدر عدد السبي بحوالي ٢٧٣٠٠ نسمة ، ثم ارتحلوا عنها ، وعادوا واحتلوها مرة ثانية ، واعتقلوا ملكها منسّه وأرسلوه إلى بلادهم مصفداً بالأغلال سنة ٦٧٨ ق . م ، لكنهم عادوا فأطلقوا سراحه فعاد إلى أورشليم وبنى سورها الثاني .

القدس والكلدان

سنة ٥٩٩ ق . م ، راح **البابليون** من جهة والمصريون من جهة أخرى ، يتنازعون على السيطرة على أورشليم . فسلم حاكمها **يهويا قيم مملكته لنبوخذ نصر** ، بما في ذلك المدينة سنة **٥٩٩** ق . م ، وعاش عبداً له ، ومن ثم تمرد فنفاه مع ابنه ووجهاء قومه إلى بابل وبلغ عددهم **٨٠٠٠ نسمة** ، مكبلين بالحديد وسمي هذا **السبي الأول** . وبعد فترة تمرد الملك صدقيا على البابليين فحاصرها نبوخذ نصر واحتلها عام **٥٨٧ ق . م ،** فدمرها وأحرق الهيكل وسلب الخزائن ونقلها إلى بابل وأخذ من أهلها **٤٠٠٠٠ أسير** ساقهم مقيدين بالأصفاد إلى بابل . أما الملك وأتباعه ، فقد نقبوا السور وهربوا فلحق بهم الكلدان وأتوا به إلى نبوخذ نصر فقتل أبناءه جميعاً أمامه ، ثم سملت عيناه واقتاده إلى بابل .

القدس والفرس

٥٣٨ ق . م ، احتل **كورش ملك الفرس** بابل سنة ٥٣٩ ق . م م ، ومن ثم احتل أوروسالم سنة ٥٣٨ ق . م ، وكانت زوجته هي استير فطلبت منه أن يأذن لقومها المنفيين في **السبي الأول** سنة ٥٩٧ ق . م ، **والسبي الثاني** ٥٨٦ ق . م ، في العودة إلى فلسطين لمن أراد منهم مثلما سمح لهم ببناء المعبد . وأعادوا بناء الهيكل سنة ٥١٥ ق . م ، في عهد **الملك الفارسي داريوس** ، وتولى أمرهم عزرا ملكاً ، ثم تلاه **شمعون الصديق** ، الذي ظل تحت السيادة الفارسية وكان يدفع لهم الضرائب إلى أن احتل أوروسالم **الاسكندر المقدوني** سنة ٣٣٢ ق . م .

القدس في عهد اليونان

دخل الاسكندر يروشاليم بعد انسحاب الفرس منها ، فسماها اليونانيون **هيروسليما** . وبعد موت الاسكندر كانت فلسطين من حصة **سلوقوس** ، وصارت مصر من حصة **البطالسة** . ولما تولى **بطليموس الملك** وجد جماعة من الأسرى الاسرائيليين يناهز عددهم الثلاثين ألفاً ، فحررهم وطردهم ، ثم غزا فلسطين وقتل عدداً كبيراً من اليهود ، ثم آلت لحكم السلوقيين بعد أن احتلها **انطيوخوس ابيفانس** سنة ١٦٨ ق . م . وفي عهده تمرد اليهود بزعامة يهوذا المكابي وفازوا باستقلالهم تحت حكم سمعان .

القدس في عهد الرومان

٦٣ ق . م ، كانت فترة شديدة الاضطراب . وقد **دخلت القدس في دائرة النفوذ الروماني** عام ٦٣ ق . م ، عندما غزا **بومبيني** أورشليم ودمرها . وعمل نائبه على سورية **غابينوس** على تجريد المملكة اليهودية من كثير من مظاهرها وقسمها إلى أقاليم . وعمل الإمبراطور أنطيونيو على اسناد شؤون الشرق إلى **الأسرة الهيرودية** ، وهي أسرة أدومية الأصل اعتنقت اليهودية . وبرز منها **هيرودس** عام ٣٧ ق . م ، فقضى على **المكابيين** ، وراح يدير هيروساليما باسم روما . وعرفت المدينة في عهده حركة عمرانية نسبية كجر المياه بواسطة القناة من برك سليمان ، وبنى القلعة بباب الخليل ، **وهو الذي أمر بقتل كل طفل يولد في بيت لحم ، وكان من هؤلاء المسيح ولهذا هربت أمه به إلى مصر .** وبعد قلاقل متعددة **قضى الرومان على آخر مظاهر السيادة اليهودية** ، وتم حكم بيلاطس المدينة في أيام بعثة السيد المسيح .

وعلى أثر موت الإمبراطور نيرون حل محله **فسباسيان** ، الذي حاصر أورشليم بعد تمردها ودمر الهيكل من قواعده ، وثار اليهود مرة ثانية في عهد **هادريان** ، فسحقها بعنف وأبدل اسم أورشليم بإيلياء . وعلى أثر ظهور المسيحية لحق باليهود قتل شديد وسبي وتشريد ، وازدهرت إيلياء في عهد **قسطنطين** ، وكانت والدته نصرانية ورعة . **وقد شيد قسطنطين كنيسة القيامة وهدمت هيلانة كل المعابد اليهودية نهائياً .** وفي عام ٥٢٧ ق . م ، قام **الملك ستينيان** بانشاء عدد من الكنائس ولا سيما **كنيسة العذراء** ، في موضع المسجد الأقصى الحالي ، وفي أيامه ثار اليهود والسمرة فقمع ثورتهم . ولكن ضعف **ملوك بيزنطة** ، أدى إلى اجتياح الفرس للبلاد فاحتلوا إيلياء سنة ٦١٤ م ، وذبحوا ألف مسيحي وهدموا كنيسة القيامة واشترك اليهود بالعملية ، وقتلوا الكثير من النصارى ، ولكن **هرقل** استرد القدس في ١٤/٤/٦٢٩م ، واسترد الصليب من الفرس .

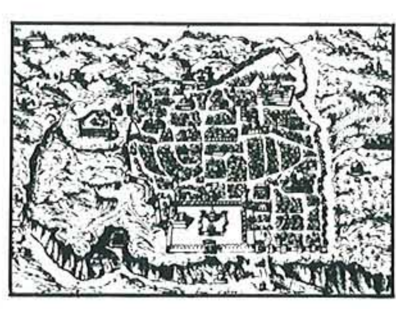
القدس الإسلامية

١٥هـ ، أو ٦٣٦م ، على أثر **معركة اليرموك** المظفرة ، وقعت **معركة اجنادين** ، التي انتصر فيها المسلمون أيضاً وانهزم **الأرطبون** ولجأ إلى القدس وتحصن بها فتركه **أبو عبيدة** ، موقتاً ، وراح يفتح مدن فلسطين الأخرى ، مثل **غزة ويافا ونابلس وعمواس ويافا ورفح** ، وتلقى الرسالة التالية من الخليفة عمر :

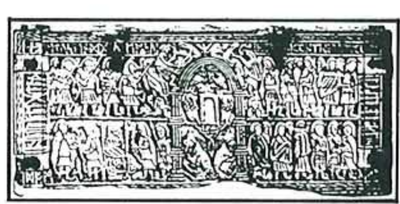
«بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر إلى عامله بالشام أبي عبيدة : أما بعد فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه . فقد وصلني كتابك تستشيرني إلى أي ناحية تتوجه ، وقد أشار ابن عم رسول الله بالمسير إلى بيت المقدس ، فإن الله يفتحها على يديك والسلام» .



خطة لتطوير القدس أيام العثمانيين



خارطة للقدس وضعت في القرن السادس عشر وهي أول خارطة تبين الطبوغرافية الصحيحة للمدينة



حفر على عظم التمساح يبين سقوط القدس في أيدي الرومان

ولما ذهب أبو عبيدة لمحاصرة القدس ، ووصل إلى الأردن بعث الرسل إلى القدس مع الانذار التالي :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من أبي عبيدة بن الجراح إلى بطاركة أهل إيلياء وسكانها ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وبالرسول ، أما بعد : فإنا ندعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، فإن شهدتم بذلك حرمت علينا دماؤكم وأموالكم وذراريكم ، وكنتم لنا إخواناً ، وإن أبيتم فأقروا لنا بالجزية عن يد وأنتم صاغرون ، وإن أنتم أبيتم سرت إليكم بقوم هم أشد حباً للموت منكم لشرب الخمر وأكل لحم الخنزير . ثم لا أرجع عنكم إن شاء الله أبداً حتى أقتل مقاتليكم وأسبي ذراريكم » .

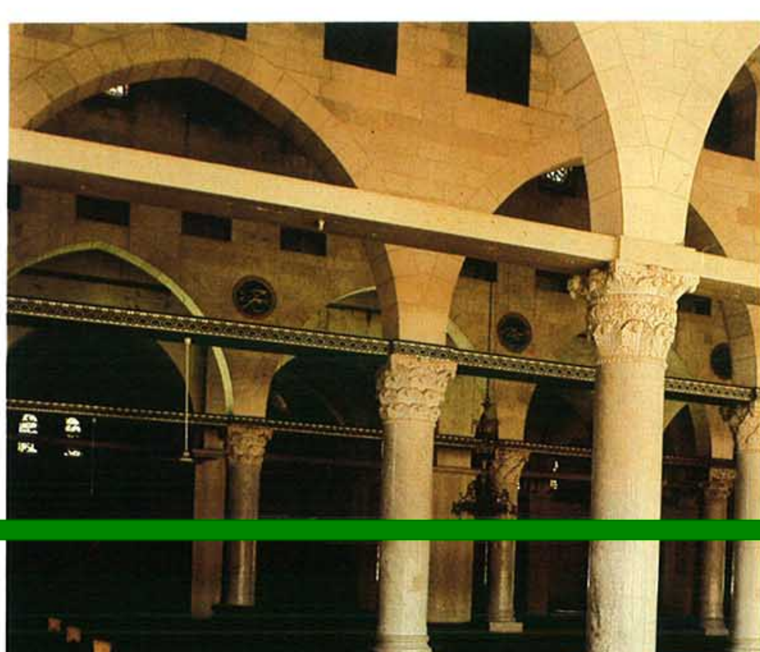
وتقدم جيش المسلمين لمحاصرة إيلياء ، وكان أول من برز للقتال **بنو حمير ورجال اليمن** ، فتلقاهم الروم بالنبال ، ثم جاء الآخرون ونشبت معارك متعددة ، وفي اليوم الحادي عشر أشرقت راية « أبي عبيدة » وفي رفقته **عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق** ، فاستقبلهم المسلمون بالتهليل والتكبير ، ودام الحصار أربعة أشهر ولم يمر يوم دون قتال إلى أن قنط السكان وحل بهم الضنك والجوع . ونزل أهل إيلياء على شروط القائد المسلم ولكنهم اشترطوا أن يتولى العقد الخليفة بنفسه . وأمر جنده بالكف عن القتال . ثم أرسل أبو عبيدة يبلغه بالأمر . وبعد أن استشار **الخليفة عمر بن الخطاب** أهل الحل والعقد من المسلمين غادر المدينة المنورة ميمماً بيت المقدس . ولما وصل إلى معسكر المسلمين على مقربة من السور ، وفي قول على جبل الزيتون بالقدس ، استقبله المسلمون بخيلهم ورماحهم وقد اصطفوا راكبين خيولهم متقلدين سيوفهم يهللون ويكبرون . وكان الخليفة على قلوص ولم يكن معه سوى خادمه . وبعد أن استراح قليلاً ، قص عليه أبو عبيدة الخبر اليقين عما جرى منذ أن افترقا . فأمر الخليفة من فوره أن يبلغوا **البطريرك صفرونيوس** بقدومه ففعلوا . وجاء البطريرك في الحال حاملاً الصليب ومن ورائه القساوسة والشمامسة والرهبان حاملين الصلبان ، ولما انتهوا إلى مقام الخليفة خف للقائهم وقبلوا بشروط التسليم وكتب لهم وثيقة الأمان التالية التي اشتهرت بالعهدة العمرية :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم . وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ، أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بإيلياء أحد من اليهود وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية ، كما يعطي أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم - أي أهل إيلياء - فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا أمانهم ، ومن أقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعه وصلبه فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم ، حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان ، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله ، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصاده ، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء ، وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية ، شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وكتب وحضر سنة خمس عشرة (أي ٦٣٦م) » .

وبعد أن تبادل الفريقان العهود والأيمان دخل الخليفة القدس فاستقبله صفرونيوس بطريرك الروم ودخل من ورائه المسلمون مهللين مكبرين ، وذكر أن من دخل منهم يومئذ أربعة آلاف ، وكانوا متقلدين سيوفهم ، **ثم زار الخليفة عمر بن الخطاب كنيسة القيامة ، ولما كان داخل الكنيسة حان وقت الصلاة فأشار عليه البطريرك أن يصلي حيث هو ، فامتنع وصلى خارجها ، كي لا يتحول مكان صلاته مسجداً للمسلمين فيما بعد .**

ثم زار مكان الصخرة فوجده عبارة عن مستودع للقمامة ، فراح ينظفها ويحمل بردائه الأوساخ وعمل سائر المسلمين مثله إلى أن تم تنظيفها تماماً . وبعد إقامة استغرقت عشرة أيام في جبل المكبر قرب بيت المقدس ، عاد عمر بن الخطاب إلى عاصمته بعد أعطاه أهل إيلياء عهداً جاء فيه ما يلي :

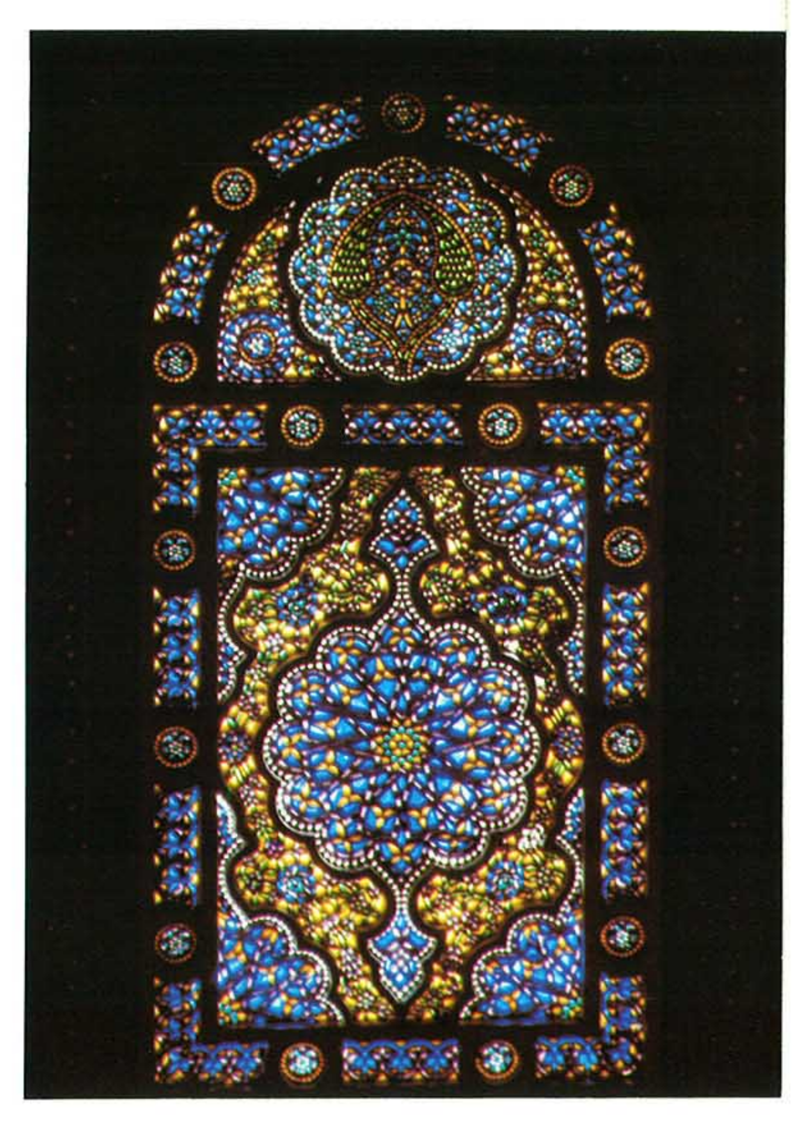
« هذا كتاب لعبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين من نصارى مدينة إيلياء . . إنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وذرارينا وأموالنا وأهل ملتنا . وشرطنا لكم أن لا نحدث في مدينتنا ولا فيما حولها ديراً ولا كنيسة ولا قلاية (مسكن الأسقف) ، ولا صومعة راهب ، ولا نجبس منها ما كان في خطط المسلمين ، ولا نمنع كنائسنا أن ينزلها أحد من المسلمين في ليل ولا نهار . وأن نوسع أبوابها للمارة وابن السبيل . وأن ننزل من مرّ من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا نواري في كنائسنا ولا في منازلنا جاسوساً ، ولا نكتم غشاً

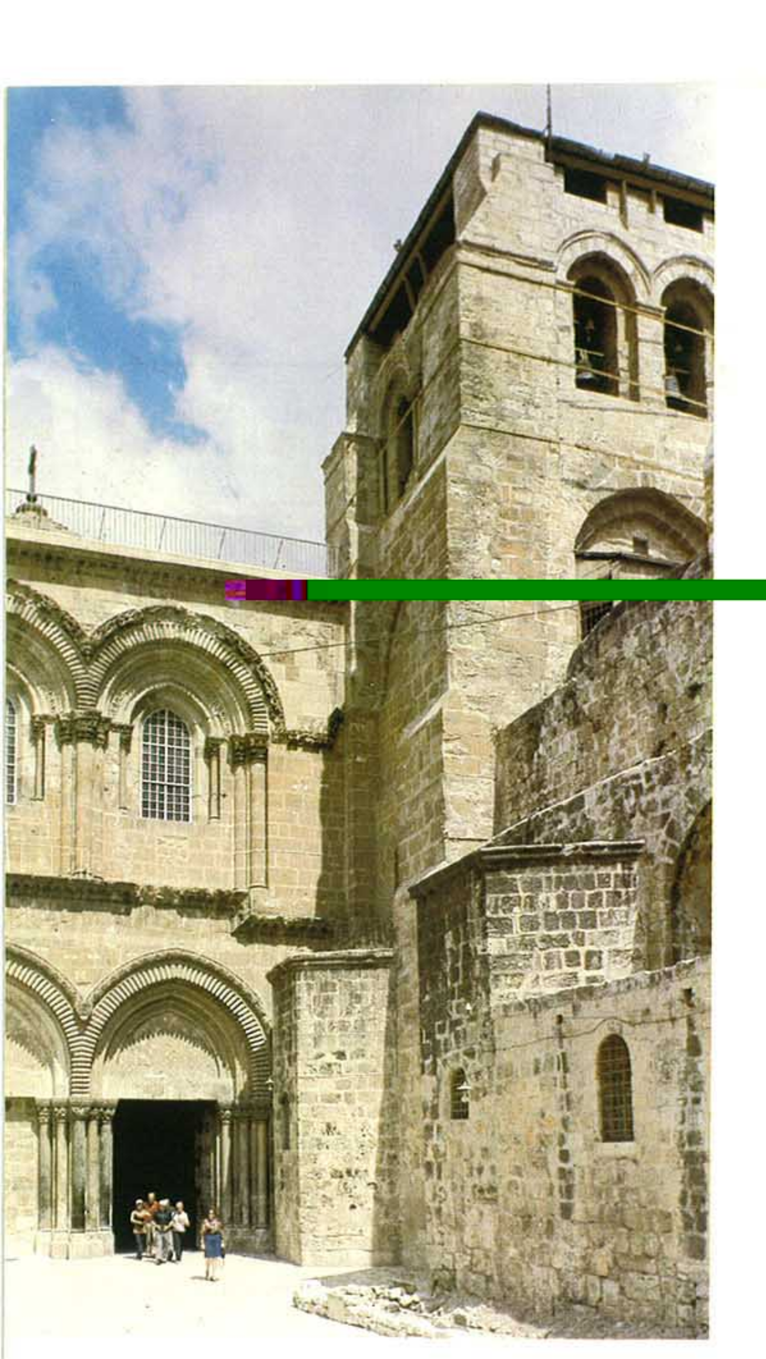




★ أروقة المسجد الأقصى ★

★ إحدى نوافذ المسجد الأقصى ★





★ كنيسة القيامة ★

للمسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن ، ولا نظهر مشركاً ، ولا ندعو إليه أحداً ، ولا نمنع أحداً من ذوي قرابتنا الدخول في الإسلام ، إن أراده وأن نوقر المسلمين ونقدم لهم من مجلسنا إذا أرادوا الجلوس ولا نتشبه في شيء من لباسهم من قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر . ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكنى بكناهم ، ولا نركب السروج ، ولا نتقلد السيوف ، ولا نتخذ شيئاً من السلاح ولا نحمله معنا ، ولا ننقش على خواتمنا بالعربية ولا نبيع الخمور ، وأن نجز مقادم رؤوسنا ، وأن نلزم زينا حيث كنا ، وأن نشد زنانير على أوساطنا ولا نظهر الصلب على كنائسنا ولا نظهر صلباننا ولا كتبنا في شيء من طرق المسلمين ولا في أسواقهم . ولا نضرب نواقيسنا في كنائسنا إلا ضرباً خفيفاً ، ولا نرفع أصواتنا على موتانا ، ولا نتخذ الرقيق مما جرت عليه سهام المسلمين ولا نطلع عليهم في منازلهم » .

وضمت القدس إلى الشام في العصر الأموي ، وأصبحت مع سائر فلسطين جزءاً من الإمبراطورية الإسلامية ، وفي عهد الخليفة عبد الله بن مروان ، تم بناء المسجدين ، قبة الصخرة والمسجد الأقصى .

القدس في العصر العباسي

٧٥٠ م ، قصد أبو جعفر المنصور بيت المقدس ، وكان المسجد الأقصى مدمراً



★ منظر عام لمدينة القدس ، مأخوذ من جنوب سور المسجد الأقصى ، وقد هدم اليهود جميع الأبنية الواقعة في الجانب الغربي من سور المسجد ، واتخذوه مبكى لهم ، وهذا القسم من السور ، هو حائط البراق ★

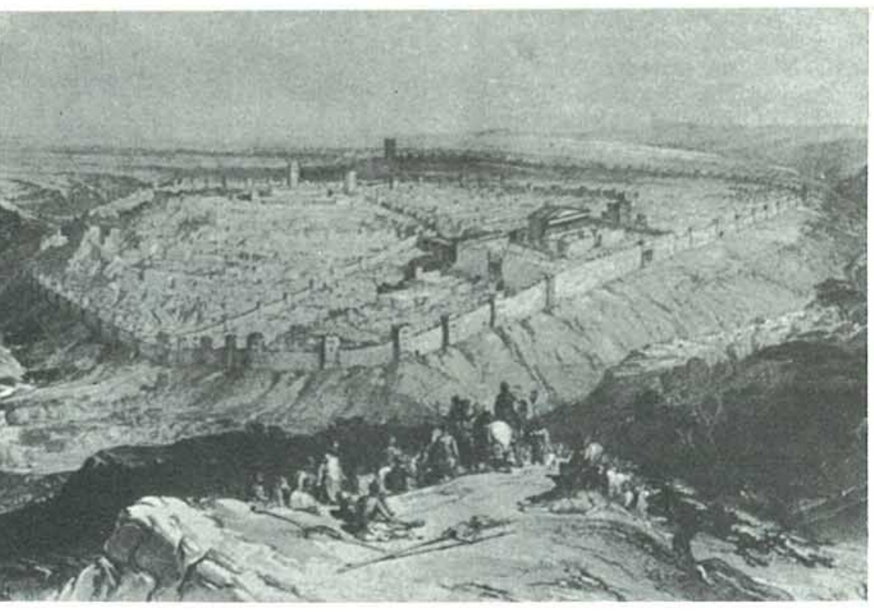
بتأثير زلزال عام ٧٤٧م ، فعمل على عمارته عام ٧٧١م ، وتخرب بزلزال ثان عام ٧٧٤م ، فأمر **المهدي بن المنصور** بتجديد عمارته سنة ٧٨٠م ، وفي عام ٨٧٠م ، زار القدس العالم المعروف **برنارد الحكيم** ، بعد أن نال موافقة **البابا** في روما فكتب : **«إن المسلمين والمسيحيين فيها على تفاهم تام ، وأن الأمن العام مستتب للغاية ، حتى أن المسافر ليلاً يفرض عليه أن تكون بيده وثيقة تثبت هويته ، وإلا زج في السجن حتى يحقق في أمره ، وإذا سافرت من بلد إلى بلد ونفق جملي أو حماري وتركت أمتعتي مكانها ، وذهبت لاكتراء دابة من البلدة المجاورة عدت فوجدت كل شيء على حاله لم تمسسه يد»** .

وفي ٨٧٨م ، حكم القدس **الطولونيون** ، ثم آلت إلى **الأخشيديين** في ٩٣٨م ، وزارها أحد الرحالة فكتب يقول : **«إنه كان في القدس يومئذ ٢٠,٠٠٠ نسمة ، وإن فيها أسواقاً جميلة وعالية وإن أرضها مرصوفة بالحجارة ، وإنه يوجد على حافة سهل معروف بالساهرة مدافن كبيرة فيها مقابر كثيرة من الصالحين»** .

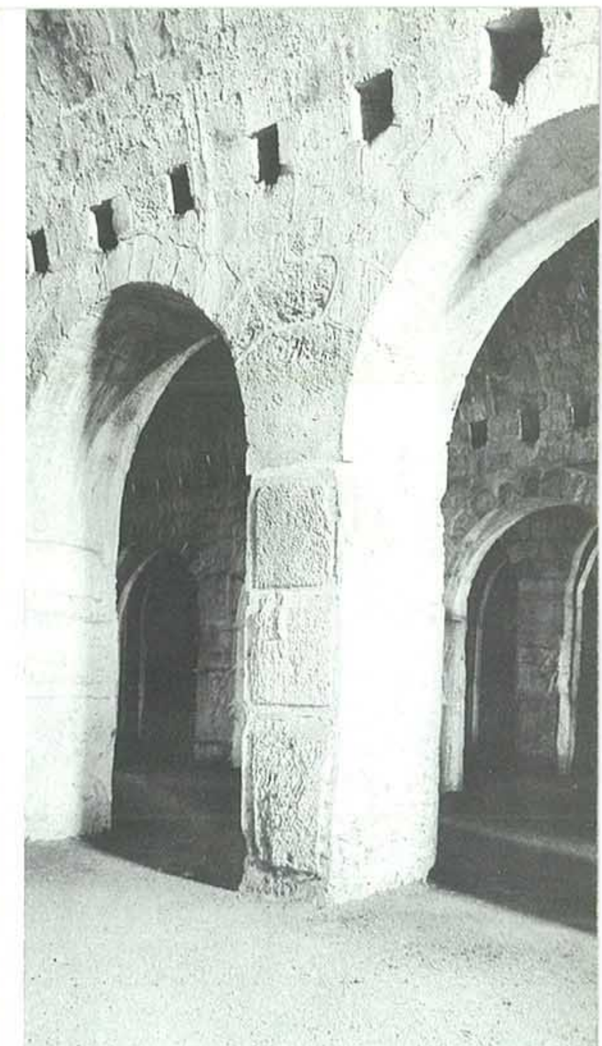
وفي ٩٦٦م ، استولى **جوهر الصقلي** ، قائد المعز الفاطمي على هذه البلاد ، وكانت مشهورة بزيتها وزيتونها وصابونها وتينها وقطنها وعنبها وزبيبها وتفاحها وخروبها . ولكنها كانت تأتي بالدرجة الثانية من حيث الأهمية بعد الرملة ، وفي هذا العصر يصف المقدسي هذه المدينة ويعدد أبوابها ويأخذ على حماماتها قلة النظافة لشح الماء . وزارها **ناصر خسرو** عام ١٠٤٧م ، فكتب في سفرنامه يقول : **«مدينة القدس مزروعة زرعاً جيداً ينبت فيها القمح والتين والزيتون ، كما ينبت فيها أنوع كثيرة من الأشجار ، أسعارها معتدلة ، وزيتها كثير ، وكثيراً ما يملك الواحد من رؤسائها ٥٠٠٠٠ منّ من زيت الزيتون ، ويحفظ الزيت في الآبار والأحواض ، ويصدر إلى خارج البلاد ، ويستعملون القار المجموع من مياه البحر الميت في طلاء الأجزاء السفلى من الأشجار لحفظها من الديدان ويستعمله العطارون من أجل صيانة العقاقير من الحشرات ، ويحيط بالمدينة سور منيع مبني بالحجارة وللسور أبواب من حديد ، ويقطن بين سكانها كثير من الصناع ولكل صنعة سوق خاصة بها»** .

القدس والأتراك السلاجقة

في عام ٤٦١هـ ، (١٠٧٢م) ، استولى على القدس **ألب أرسلان** وانتزعها من



★ لوحة
تصور حصار الرومان
لمدينة القدس ★



★ منظر من داخل المسجد الأقصى ★



★ الحلفاء في القدس . في الوسط الجنرال اللنبي ، وعلى يمينه الكولونيل بيباب قائد المفرزة الفرنسية في فلسطين وسورية وعلى يساره ضابط إيطالي كبير ، ثم جورج بيكو سفير فرنسا ، ويقوم الجنرال جرائيل باشا حداد بالترجمة وفي مقدمة الصورة وجهاء القدس ★

الفاطميين . ولما ثار أهلها على نائبهم القائد **آقسز بن أوحد الخوارزمي** ، وقتل أهلها حتى الذين احتموا بالمسجد الأقصى ، وفي ١٠٧٧م ، آلت إلى الأرتقيين التركمان . وفي ١٠٩٨م ، استردها الفاطميون بقيادة **الأفضل** ، بعد أن حاصرها وانتزعها من حاكمها الـ كماني . ولكن هذا لم يدم طويلاً إذ استولى عليها الصليبيون بعد عام واحد .

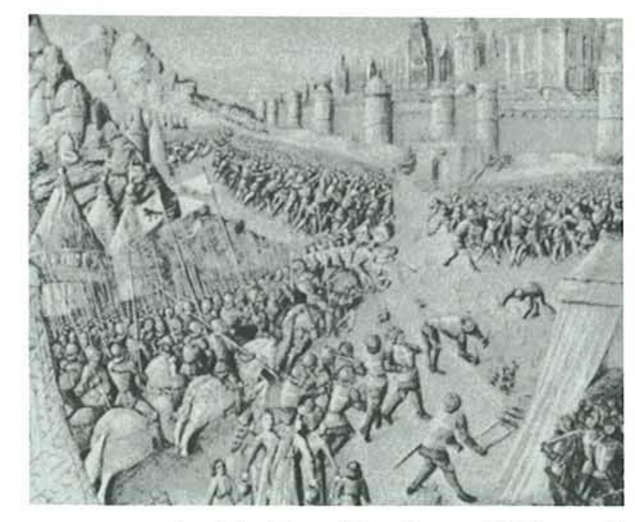
القدس .. والصليبيون

في تاريخ ١٠٩٩/٦/٧م ، ظهرت جحافل الفرنجة فجأة أمام أسوار القدس ، وكان عدد المدافعين عنها ٤٠,٠٠٠ رجل ، ونشبت معارك رهيبة بالسلاح الأبيض ، وكان على رأس المهاجمين **غودفروا دوبويون** ، أمير اللورين **والكونت روبرت أمير نورماندبا ، وروبرت أمير الفلاندر ، وتانكرد أمير طولوز والكونت سان جيل** ، (صنجيل) وغيرهم كثير . وفي سبيل احتلال المدينة صنع الفرنجة سلالم هائلة وأبراجاً خشبية متحركة استطاعوا بواسطتها الاشراف على الأسوار . وكانت أولى هجماتهم عقيمة ، لأن الحامية الفاطمية كانت تستعمل النار الإغريقية بشكل كثيف أحرقت سلالمهم وأبراجهم ، وعندها لجأ القائد عودفروا إلى تغطية برجه بجلود حيوانات مسلوخة حديثاً لوقاية الأعمدة الخشبية من الحريق . فاستطاع أن يمد جسراً على السور واقتحمه مع أخيه ، في حين سمحت السلالم العديدة الأخرى لأفواج الجنود الفرنجة باقتحام السور من كل أطرافه . وعندما لم يعد بمقدور المدافعين الاستمرار في القتال ، فلجأوا **للمسجد الأقصى** واضطروا للاستسلام بعد معركة ضارية ، في ١٠٩٩/٧/١٥م ، في الساعة الثالثة بعد الظهر ، وفي نفس الوقت كان تانكرد يحتل قبة الصخرة ، حيث وجد الأهالي المدنيين ملتجئين إليها . **ويذكر مؤرخو الفرنجة أن تانكرد وضعهم تحت حماية رايته ، التي نصبها فوق القبة ، ولكن أفواج الفرنجة قامت ليلاً بذبح كل الأسرى من مدنيين وعسكريين ، وتعتبر هذه من أكبر المذابح في التاريخ ، إذ قدر مجموع من قتل في حرم المسجد الأقصى سبعين ألفاً ، مثلما احرقوا معبد اليهود بمن فيه منهم ، وتوجوا غودفروا ملكاً على مملكة القدس الممتدة من بيروت حتى العقبة ، حيث أوجدوا أسطولا بالبحر الأحمر ، وكانت تجبى الأتاوات من القوافل الذاهبة إلى الحجاز .**

وأصبحت القدس عاصمة مملكة صليبية لمدة ثمان وثمانين سنة ، إلى أن دقت ساعة الخلاص في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي ، وكان **صلاح الدين** من ألمع رجالات الإسلام ، إذ استطاع بعد القضاء على خلافة الفاطميين المتهالكة ، واعادة الخطبة لبني العباس أن يكرس كل جهوده للكفاح ضد الفرنجة . وعاشت القدس ملحمتها الرائعة على



★ رسم لمدينة القدس قبل ثلاثمئة عام تقريباً ★



★ رسم من القرن الخامس عشر يمثل حصار القدس على أيدي الصليبيين ★





★ باب دمشق ، أحد أبواب المدينة السبعة ★



★ القدس من الجو ★

أثر استردادها على أيدي الجيوش الإسلامية عام **١١٨٩ م** ، وأحب صلاح الدين تجنيب المدينة المقدسة ويلات الحصار ، ولكن الفرنجة رفضوا التسليم فأمر صلاح الدين بالهجوم المدعوم باثني عشر منجنيقاً . ففتحت ثغرة في السور ، وعندها قبل الفرنجة بالتفاوض وراحوا يدفعون جزية خفيفة فردية ، وكان عدد المدافعين عن القدس **(٦٠) ألف مقاتل** ، وكان يوم الفتح هو ٢٧ رجب ، أي ليلة ذكرى المعراج ، من عام **٥٨٣ هـ ، (١١٨٧/١٠/٢ م)** .

ويعترف كل المؤرخين اللاتين بما لاقاه الأسرى الفرنجة من نبل صلاح الدين الأيوبي وشهامته . فما إن دخل جنوده المدينة ، حتى جعل الطرق الرئيسية بأيدي رجاله التقاة لحماية النصارى من أية معاملة قاسية ، فحرر الفقراء والعاجزين عن دفع الفدية وترك الأديرة والكنائس النصرانية سليمة . وعندما طلب منه أحد رجال الحاشية تدمير كنيسة القيامة قال : لنحذو حذو أوائل الفاتحين المسلمين الذين احترموا الكنائس . وقد افتدى **١٠٠٠٠ أسير** ، من جيبه الخاص ، وافتدى أخوه **٧٠٠٠ شخص** ، وأخذ أمناؤه عشرة دنانير عن كل رجل و٥ دنانير عن كل امرأة وديناراً واحداً عن كل طفل ، ثم قصد مسجدي الصخرة والأقصى وأزال ما بهما من آثار صليبية ، ونقل للأقصى المنبر الذي أمر نور الدين بصنعه في حلب .

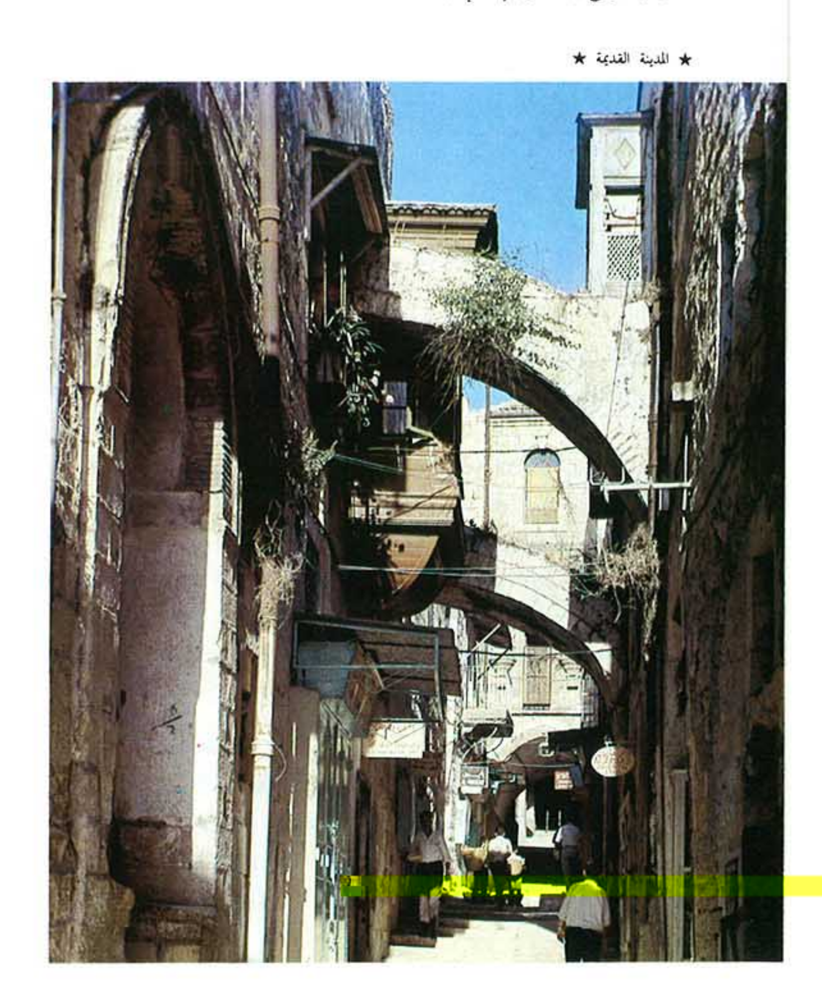
وأضاف صلاح الدين وأسرته الأيوبية العديد من الأبنية في القدس ، هذا عدا ترميم الأبواب والسور والأدراج الحجرية وشيد في المدينة الخانقاه الصلاحية ، ومدارس ومساجد وبرك مياه .

ولكن عقد الصليبيون في عام **١٢٢٨ م** ، هدنة مع **الملك الكامل** مدتها ١٠ سنوات وخمسة أشهر وأربعون يوماً ، سمحت للإمبراطور **فريدريك باسترداد القدس من المسلمين ، على أن يظل المسجد وقبة الصخرة بأيديهم وعلى ألا يحصنوا المدينة ، وفي عام ١٢٣٩ م ، هاجمها الناصر داوود** واستردها بعد حصار دام مدة ثلاثة أسابيع ، واستغل الفرنجة خلافاً وقع بين أهل مصر والشام فاحتلوا القدس ، واستنجد أهل مصر بالخوارزمية الأتراك ، فاحتلوها وقتلوا من الفرنجة أكثر من ثلاثين ألفاً ، وحاول **لويس التاسع** احتلال القدس ولكن دون طائل .

وآلت القدس سنة ١٢٥٠ م ، للماليك فأكثروا فيها المدارس ، والرباطات ، مثل دار الحديث على طريق باب السلسلة ، والمدرسة الأباصيرية ورباط قلاوون والمسجد القلندري والكبكبة ورباط الكرد والمدرسة الداوودية والوجيهية والموصلية والأرغونية الخ .

★ زخارف توضح جمال الفن الإسلامي ★

★ المدينة القديمة ★



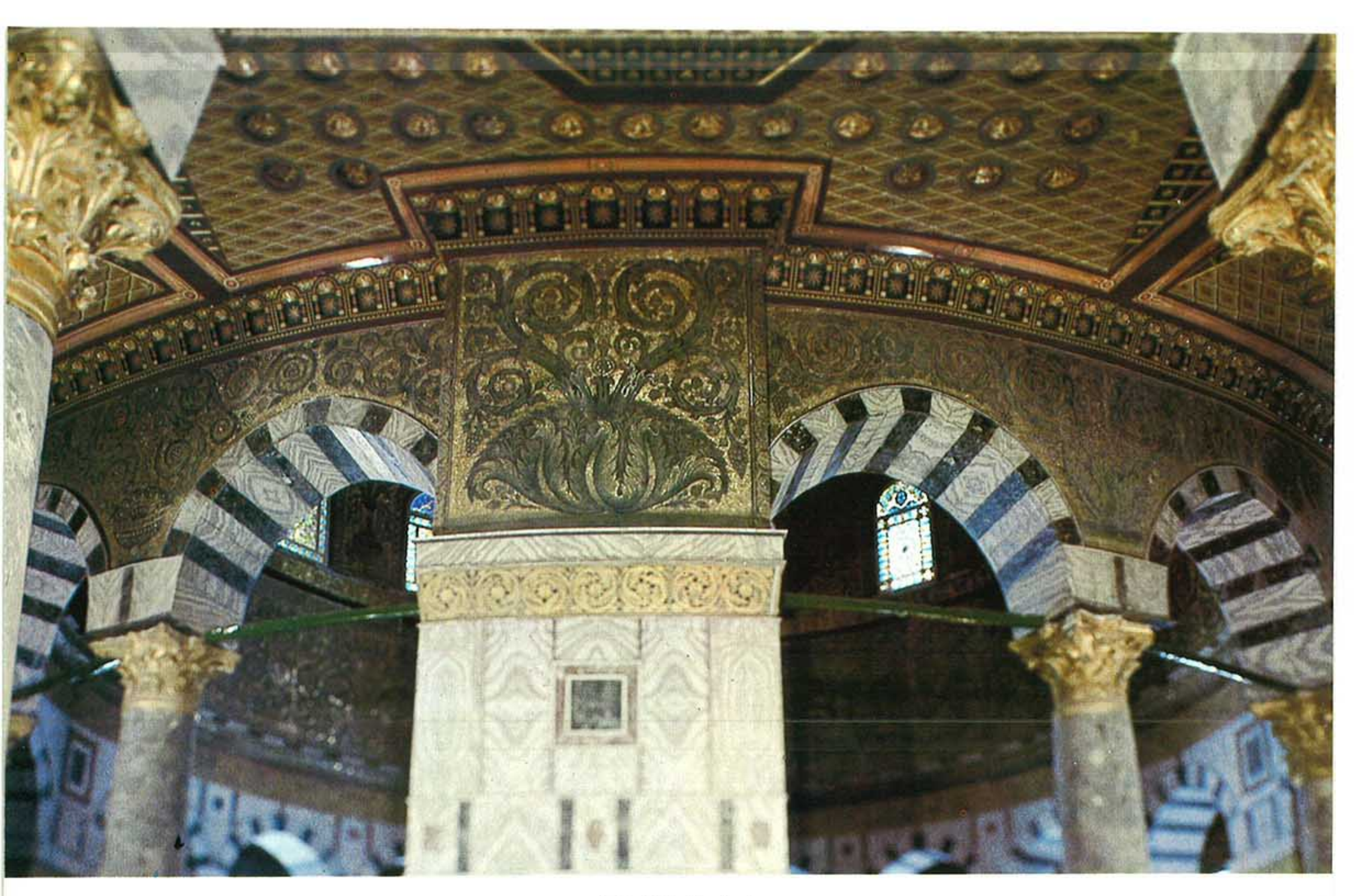


القدس في العهد العثماني (١٥١٧ ـ ١٩١٧ م)

بعد معركة **مرج دابق** ، زار **السلطان سليم** مدينة القدس ونالت منه ومن خلفائه السلاطين كل رعاية . أما ابنه **سليمان القانوني** ، فقد جدد بناء السور وزوده بأبواب عالية . وزين السلاطين من بعده الحرم الشريف بقساطل جديدة للمياه وآبار وأبنية صغيرة على شكل قباب ، ومحاريب ، مثل محراب محمد بك سنة **١٥٣٨ م** ، ومحراب علي باشا سنة **١٦٣٧ م** ، وفتحوا أبواباً جديدة في سور الحرم ، وتابعوا أعمال اصلاح أعمدة القناطر ومنبر الساحة ومنبر برهان الدين .

هذا كما كانت قبة الصخرة موضع عنايتهم وإليهم ينسب تجديد الزجاج الملون في ٣٦ نافذة في أول مثمن تحت القبة ، كما جعلوا بداخلها نماذج هندسية تشبه الزهور . ولا سيما كسوة البناء بالقيشاني البديع سنة ١٥٥٠ م ، وهناك كتابات تشهد على أعمال اصلاح في المسجد الأقصى تعود لعامي ١٨١٧ و١٨١٨ م .

وبنى سليمان الأول في المدينة جامعاً سنة ١٥٢٤ م ، وزوده بعدة موارد للماء ، مثلما رمم القلعة سنة ١٥٣١ م ، وأحسن وصف للقدس في العهد الثاني ، نجده عند **أوليا جلبي** ، الذي زارها سنة ١٦٧٠ م ، فامتدح خبزها وثمارها وخضارها ، ويبدو أنها كانت تشتهر يومئذ بمسكها وبعطرها وبمباخرها النحاسية ، وكان فيها ٢٠٤٥ دكاناً ، و٦ خانات كبيرة ، ومحتسب وأسواق ، و٤٣٠٠٠ كرم ، وقدر عدد المناظر في هذه الكروم زهاء ١٥٠٠ منظرة . **وكان يسكن القدس ٤٦٠٠٠ نسمة ، أكثرها عرب مسلمون وكان فيها كنيسة للأرمن ، و٣ كنائس للروم وكنيسان لليهود ، و٢٤٠ محراباً للصلاة ، و٧ دور للحديث و١٠ دور لتعليم القرآن الكريم وتحفيظه ، و٤٠ مدرسة للبنين و٦ حمامات و١٨ سبيلاً للماء ، وتكايا لسبعين طريقة منها**



★ عقود داخل قبة الصخرة ★

الكيلانية والبدوية والسعدية والرفاعية والمولوية .

وقد تخللت فترة الحكم العثماني ، الممتدة على أربعة قرون كاملة عشرة أعوام ، حكم فيها **إبراهيم باشا المصري** ، أي بين ١٨٣١ - ١٨٤١ م ، وكانت فترة ثورات عليه بسبب نظام **التجنيد الاجباري** . وفي عهده أنشىء **طاحون الهواء** ، وهو أول طاحون يطحن فيه المقدسيون قمحهم (١٨٣٩ م) ، وبنيت الزاوية الإبراهيمية إلى الشمال من ضريح النبي داوود على جبل صهيون . **وقد رفض إبراهيم عرض مونتيفيوري اليهودي الانكليزي في ١٨٣٦ م ، الذي حاول عبثاً استئجار أرض مساحتها ٥٠ فداناً و٢٠٠ قرية من قرى فلسطين لمدة ٥٠ عاماً .**

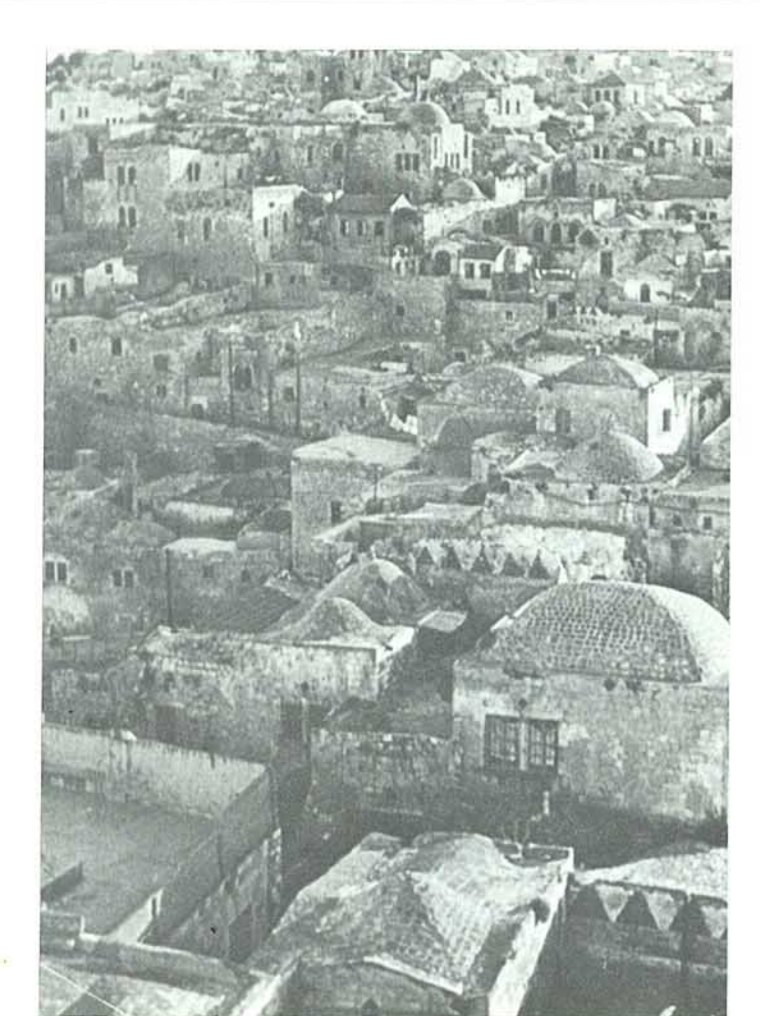
وبعد عودة العثمانيين للقدس استأنفوا اهتمامهم بها فأنفق **السلطان محمود الثاني** ٢٠٠٠٠ ليرة تركية ، سنة ١٨٦٠ م ، على عمارة الحرم القدسي . وفي عهد **السلطان عبد الحميد** صدر قانون عام ١٨٨٢ م ، الذي يحرم هجرة اليهود وشراء الأراضي في فلسطين ، ولا سيما القدس ، ولكن سمح لهم بزيارة لمدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر ، وفي عام ١٨٩٢ م ، ربطت القدس بيافا بخط حديدي ضيق وأنشئت **المدرسة الرشيدية** ، تجاه السور عند باب الساهرة عام ١٩٠٦ م ، وزار القدس في عهده **إمبراطور ألمانيا غليوم** سنة ١٨٩٨ م ، ففتحوا له ثغرة في السور بجانب باب الخليل واستفحل التنافس بين الدول الأوروبية بالقدس ، ففتحت فيها قنصليات أجنبية عديدة .

واشتهرت القدس في العهد التركي بالزيت الجيد وبصناعة العلب الخشبية والأدوات المدرسية والمصنوعات اليدوية من خشب الزيتون ومن الصدف ومن الشموع ، وكان يصدر منها القمح إلى انكلترا وبعض البلدان الأوروبية ، وكذلك السمسم والصابون وزيت الزيتون ، وكانت تستورد بضائعها عن طريق مرسيليا وتريستا كالمنسوجات الصوفية والحريرية والزجاج والخشب والأثاث المنزلي .

القدس .. والانجليز

بعد أربعة قرون من حكم الخلافة العثمانية الإسلامية ، احتل الانجليز مدينة القدس ، بقيادة **الجنرال اللنبي** ، الذي كان تحت امرته مائة ألف مقاتل ، وذلك بتاريخ ١١ كانون الأول ١٩١٧ م ، ولكن قبل شهر ونيف من ذلك كان **اللور روتشيلد** ينتزع من **بلفور وزير الخارجية البريطانية** وعده المشؤوم : « يسرني جداً أن أبلغكم ، بالنيابة عن حكومة جلالته التصريح التالي الذي ينطوي على العطف على أماني اليهود الصهيونية ، وقد عرض على الوزارة وأقرته : « إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يغير الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين ، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى » » .

وفي نفس اليوم الذي دخل فيه اللنبي مع مفارز فرنسية وإيطالية من القطعات الملتحقة به دعيت الشخصيات المسؤولة في القدس بموجب بطاقات خاصة ، وهم رؤساء الطوائف والمجلس البلدي والوجهاء والأعيان وكبار الموظفين وممثلي القرى ، للاجتماع في الساحة الواقعة بين القلعة والقشلة قرب باب الخليل بالقدس لاستقبال الجنرال والسلام عليه والاستماع إلى خطاب يلقيه من فوق منصة اقيمت له أمام مدخل القلعة الرئيسي . فلما وصل موكب الجنرال إلى الساحة انطلقت الأكف بتصفيق كان له هدر عميق ، وترجل اللنبي ورهطه عن خيولهم ، وصافح **مفتي القدس الشيخ كامل الحسيني** ورئيس بلديتها **حسين سليم الحسيني** وبطاركة النصارى وحاخام اليهود . وبعد أن لوح بيده إلى جمهود المجتمعين صعد إلى المنصة وأخذ يلقي خطابه ، وكان **الجنرال جبرائيل باشا حداد** يترجم إلى اللغة العربية . وبعد أن أخذ المستمعون يصفقون له بعد كل فقرة ، توقفوا فجأة



★ منظر عام للقدس القديمة ★

عن التصفيق ولما أنهى خطابه ساد هرج ومرج ، وانسحب مفتي القدس غاضباً دون أن يصافح الجنرال وتبعه الكثير من الحضور عندما تفوه بقوله : «الآن انتهت الحروب الصليبية» والذي رد عليه الشاعر شوقي بقصيدة يقول فيها :

يا فاتح القدس خل السيف ناحية
ليس الصليب حديداً كان بل خشبا

وتلفظ **الجنرال غورو الفرنسي** بعد ثلاثة أعوام ، بنفس القول تقريباً عند وقوفه عند قبر صلاح الدين الأيوبي ، وضربه الضريح بالسيف «أنا من أحفاد غودفروا دو بويون ، فأين أحفادك يا صلاح الدين ؟» .

وكانت فترة الانتداب البريطاني التي استمرت ثلاثين عاماً ، أي حتى ١٩٤٧م ، عبارة عن فترة اضطرابات ابتدأت بالأحكام العرفية التي فرضها اللنبي ، ومن ثم بتعيين أول مندوب سام على فلسطين هو هربرت صموئيل الصهيوني الانكليزي ، الذي صرح بالعبارة التالية امعاناً في اهانة العرب فقال : «**أخطأ من قال إن العرب هم أبناء الصحراء ، إنهم آباؤها**» ، أي يزعم حسب قوله أن العرب هم الذين يخلفوا الصحارى وراءهم حيثما حلوا .

وفي ١٩١٩/٢/١٢م ، حدثت صدامات بين العرب واليهود في يافا وسقط العديد من القتلى وتلتها اعتداءات على المقدسات الإسلامية في القدس ، وبلغت الحوادث أوجها في اضراب عام ١٩٣٦م ، الذي استمر ١٦٧ يوماً ، وبلغت ضحاياه ١٩٣ شهيداً من العرب عدا الجرحى . واستفحلت عملية انتزاع الأراضي الزراعية من أصحابها العرب . وتعاقبت اللجان للعثور على حل مزعوم للمشكلة الفلسطينية وكلها كانت بلا نتائج ملموسة ، إنما كان يقصد بها التمييع والتخدير إلى أن بلغت الأمور ذروتها **بقرار التقسيم** بتاريخ ١٩٤٧/١١/٢٩م ، ومن ثم **اعلان دولة اسرائيل واعتراف روسيا وأميريكا بها**

وجرت **معركة القدس** في سنة ١٩٤٨م ، التي انتهت بانتزاع القسم الأعظم من المدينة وبقاء المدينة العربية ، أي الواقعة ضمن السور مع بعض الأحياء الشمالية والجنوبية بيد العرب ومنطقة محرمة في الشمال الشرقي باشراف **الأمم المتحدة** . وفي حزيران (يونيو) ١٩٦٧م ، احتل اليهود القدس الشرقية برمتها .

سكان القدس

عندما تم فتح القدس على يد صلاح الدين سنة ١١٨٧م ، لم يكن فيها من السكان سوى ٤٤٠٠٠ نسمة ، ويقول السائح اليهودي بتاحيا ، الذي زار القدس عام ١٢٠٠م ، إنه لم يكن فيها يهودي واحد ، كما لم يجد السائح اليهودي موسى بن نحمان جيروندي بعد قرن كامل ، أي في ١٣٠٠م ، سوى عائلتين يهوديتين لا غير .

وفي زمن **السلطان محمد الرابع** (١٦٧٠م) ، كان عدد سكانها ٤٦٠٠٠ نسمة ، منهم ١٥٠ يهودياً فقط .

أبنية القدس

تتألف القدس من قسمين هما : **القدس القديمة** ، التي يحيط بها السور الكبير القديم ، وهي التي تضم كل المقدسات ، الصخرة المشرفة ، والمسجد الأقصى وكنيسة القيامة ، وتتصف بطراز عمراني شرقي كالشوارع الضيقة والمتعرجة والمسقوفة أحياناً ، أو التي تجتازها القناطر ، وفيها أسواق التجارة التقليدية والحرف الصغيرة ، وكانت مقسمة إلى أحياء حسب الطوائف الدينية أو القومية كالحي الأرمني والحي اليهودي .

أما **القدس الجديدة** ، فهي الواقعة خارج السور وتتميز بالعمران الحديث والأحياء الجديدة والشوارع المشجرة . وهي التي احتلتها أيدي اليهود في حرب عام ١٩٤٨م .

هذا وتحفل القدس القديمة بأبنية عديدة تتمتع بالتقديس لدى أبناء الديانات الثلاث ، ولها وضع لا مثيل له بين سائر المدن المقدسة في العالم . ففيها الحرم الشريف الذي يقوم فوق جبل موريا .

وفيه جمع داوود مواد بناء الهيكل الذي أقامه سليمان الحكيم ، وفيه ظهر السيد المسيح وقام بنشر تعاليمه ، وفيه قبة الصخرة المباركة .

أما **مسجد الصخرة** ، فقد رصد لبنائه خراج مصر لسبع سنين ، وبني للمسجد قبة جميلة ، أفرغت فيها روائع الجمال والهندسة والذوق العربي الإسلامي ، ممزوجاً بشيء من الأنماط الفارسية والبيزنطية . ويعتبر المسجد من أجمل الآثار التي بقيت عبر التاريخ ، ويقع المسجد وسط فناء واسع مرتفع عن أرض الحرم ، ويبلغ ارتفاع قبته ثلاثين متراً ، وهي أبرز ملامح مدينة القدس ، وتتألف من طابقين : العلوي مكسو بصفائح الرصاص واستبدل بعد ضربه بقنابل اليهود عام ١٩٤٨م ، بصفائح من الألمنيوم المذهب . والبناء مثمن الشكل طول كل ضلع ٢٠ متراً وارتفاعه ١٠ أمتار ، والقسم السفلي مصفح برقاق الرخام الأبيض الجميل ، وفوقه ترابيع بلاط القيشاني الأزرق . وكتبت عليه سورة يس بالأبيض ، وقد أمر بتركيبه السلطان سليمان القانوني . وفي هذه الواجهات الثماني عدة نوافذ فيها الزجاج الملون . وتحت الصخرة تقع «**مغارة الأنبياء**» التي ينزل إليها بإحدى عشرة درجة ، وللمسجد أربعة أبواب مزدوجة ومجموع نوافذه ٥٦ نافذة ويحوي ١٦ عموداً مختلفة الألوان .

ووصف قبة الصخرة **العالم الأثري فان برشم** بقوله : «لعل روعتها وجمالها يعودان لما في تخطيطها وتصميمها من بساطة وتناسق ... حقاً إنها **مفخرة العمارة الإسلامية**» ، وقال عنها **غوستاف لوبون** : «إنه أعظم بناء يستوقف النظر ، إن جماله وروعته لا يصل إليه خيال الإنسان» .

وقد شرع ببناء المسجد الأقصى في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ، ولكن البناء لم يتم إلا في أيام ابنه الخليفة الوليد ، **وكانت أبوابه أيام الأمويين مكسية بصفائح الذهب والفضة** . ويبلغ طول المسجد ٨٠م ، وعرضه ٥٥م ، وهو قائم على ٢٣ عموداً من الرخام و٤٩ سارية مربعة الشكل مبنية من الحجارة ، وللمسجد أحد عشر باباً ، سبعة منها إلى الشمال .

وكان في المسجد الأقصى منبر فخم صنع في حلب . وقد أمر صلاح الدين بنقله من حلب على إثر استعادة القدس .

وقد أحرق المنبر وجزء هام من المسجد الأقصى ، في صيف عام ١٩٦٩م ، (شهر

آب) بتدبير يهودي ، حيث اتهم بالجريمة الشنعاء شخص استرالي ، وزاد الفعلة دناءة تباطؤ الاطفاء الاسرائيلية في انقاذ المسجد من النيران .

وللحرم الشريف الذي يضم مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى عدة أبواب هي : **باب الأسباط ، أو** باب الملك الظاهر بيبرس ، **وباب حطة ، وباب العتم ،** من الشمال الذي سمي باب فيصل عندما دخل منه الملك فيصل بن الحسين لأول مرة سنة ١٩٣٣ م ، **وباب التوبة** من الشرق ، والباب المفرد **والباب المثنى والباب المثلث** من الجنوب ، ومن الغرب **باب المغاربة وباب السلسلة وباب القطانين وباب الحديد وباب الناصر وباب السراي وباب الغوانيمة ،** وبعض هذه الأبواب هي أبواب المدينة القديمة ذاتها .

وفي القدس **حائط البراق** وهو الجدار الذي وصل إليه الخليفة عمر بن الخطاب عند فتحه القدس سنة ٦٣٦ م ، وفي هذا الجدار كان النبي ﷺ قد ربط براقه عندما عرج إلى السماء . وهو جدار معبد الشمس الذي بناه الإمبراطور هادريان بعد أن دك أبنية الهيكل اليهودي الذي اجتثه من أساساته . **ومع الزمن سمح لليهود بالاقتراب من القدس للزيارة وليس للسكن . أما التسامح الإسلامي ، فقد أجاز لمن أراد منهم بالإقامة فيها ولم يحاول المسلمون منع اليهود من البكاء خارج سور هادريان ، وكانوا إذا سئلوا أجابوا إنهم يتوبون إلى الله ويطلبون منه الغفران ، وكان طول حائط المبكى نحو ٣٠ م . وبعد الانتداب البريطاني أخذ اليهود يجلبون المقاعد والحصر والمصابيح والستائر إلى الساحة الواقعة أمام حائط المبكى ، وأخيراً ادعوا ملكية هذا الوقف الإسلامي ، وعمل المسلمون على منعهم ونشبت معارك شديدة بين الطرفين سنة ١٩٢٢ م ، وامتدت الاشتباكات حتى سنة ١٩٢٩ م ،** وكان أول ما فعله اليهود عند دخولهم القدس سنة ١٩٦٧ م ، أن هدموا حي المغاربة بالجرافات وهدموا الكثير من المباني التابعة للوقف الإسلامي بغية توسيع حائط المبكى من ٣٠ إلى ١٠٠ م .

أبواب القدس

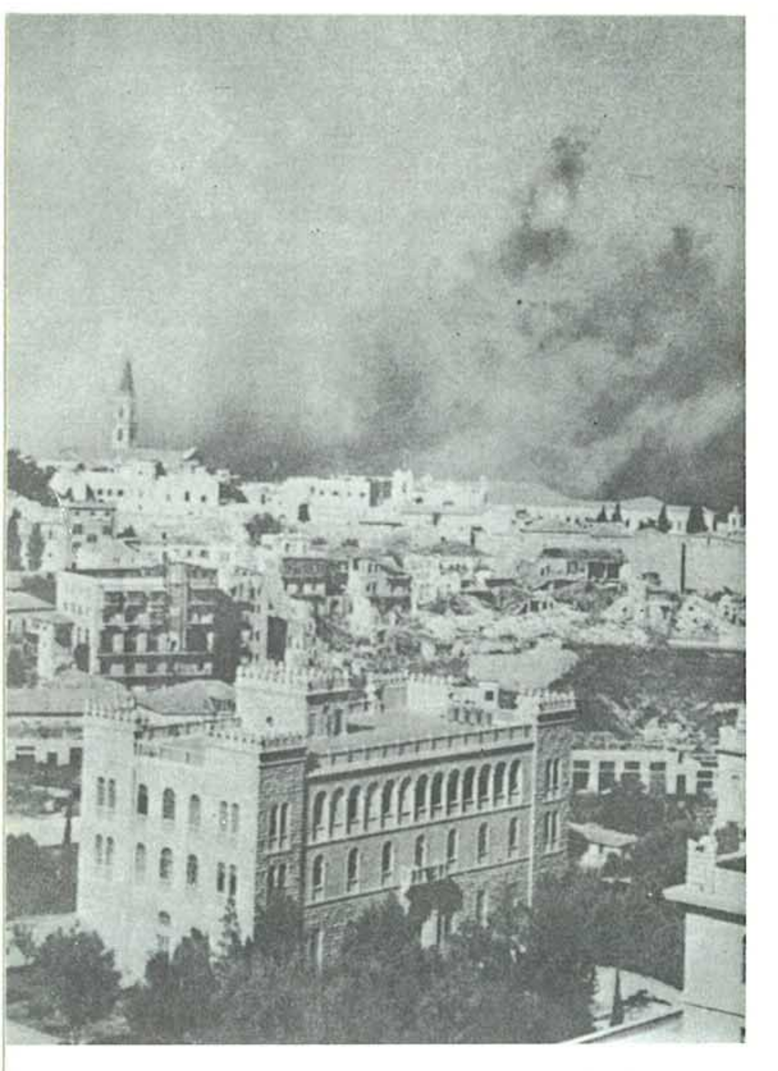
ولمدينة القدس القديمة سبعة أبواب ، هي باب المغاربة من الجنوب ، وقد أنشأه السلطان سليمان في محرم ٩٤٧ هـ ، وباب النبي داوود الذي ينفتح نحو الجنوب وارتفاعه ١٢ ذراعاً ، وتقع القلعة إلى شماله . ويقع باب الخليل من الغرب وارتفاعه عشرة أذرع ، وله باب حديدي ذو مصراعين ، وهو من بناء السلطان سليمان القانوني ، وهناك باب العمود أو باب النصر ، ويقع من الشمال وإلى الشرق منه باب الساهرة ، وفي الجنوب باب الأسباط أو باب الملك الظاهر ، وباب السلسلة .. وهي أهم الأبواب التي يدخل منها الناس إلى الحرم .

وتقع القلعة بين باب الخليل وباب النبي داوود ، ويعود أساسها إلى أبنية قديمة من الحجارة الضخمة ، وفيها دور كانت مخصصة لسكن الدزداد (الحاكم) ، والكيخيا (نائبه) والإمام الواعظ والمؤذن ، ويعود بناؤها للملك الأيوبي **عيسى بن الملك العادل** سنة ٦١٠ هـ ، أو ١٢١٣ م .

وأهم الأبنية المقدسة عند النصارى **كنيسة القيامة ،** التي تمثل ترف البناء ممثلاً بتيجان الذهب وفي الجواهر الكريمة الثمينة ، فكل ما في الكنيسة بلغ حد الروعة الفنية والترف المادي ، وفي غرفة كبيرة قام قبر ارتفع عن الأرض أكثر من متر . ويقول الدليل إن عيسى دفن فيه بعد أن صلبه اليهود ، ثم قام وصعد إلى السماء . وفي الفقرة الأخيرة تتفق الروايتان الإسلامية والمسيحية أي في قضية الصعود وتختلفان في أن المسلمين يقفون عند قوله تعالى : ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ﴾ ، وفي أرجاء الكنيسة يوجد عدد من الصور الفنية وتماثيل للمسيح والعذراء وغيرهما ، وهناك تمثال للمسيح صنع من الزمرد والياقوت . وعلى صورة أخرى مطعمة بالجواهر ، يصعب وصفها للسيدة مريم **العذراء . وسدنة هذه الكنيسة وحملة مفاتيحها ينتمون إلى أسرة نسيبة الصحابية الجليلة بنت كعب ، وهم مسلمون يتوارثون هذا المنصب منذ عهد صلاح الدين الأيوبي ، بعد اختلاف الطوائف المسيحية على إدارة كنيسة القيامة .**

ومن الأماكن المقصودة بالقدس :

● **مقبرة ماملا** وقد كتب عنها **عبد الغني النابلسي** في رحلته إذ يقول : « وفيها



★ القدس عام ١٩٤٨ م ★

خلق كثير من الأكابر والأعيان والشهداء والصالحين والتابعين . **ويروى أن فيها قبور ٧٠٠٠٠ شهيد ، استشهدوا في الحروب الصليبية ، بينهم طائفة من العلماء والقادة والصالحين الذين استشهدوا بداخل الحرم الشريف ، ومنذ حرب ١٩٤٨ م ، وضع اليهود نصب أعينهم طمس معالمها فشقوا في وسطها قنوات للمجاري ، وفتحوا فيها الشوارع وأخرجوا عظام من فيها ، وداسوها تحت الأقدام وسحقتها عجلات سياراتهم .**

● **قبر ازدمير : وهو ضريح الأمير صلاح الدين محمد أزدمير السلحدار أخو الناصر وأخو المقر الأشرف السيفي المتوفي سنة ٦٩٧ هـ .**

● **مقبرة باب الرحمة :** خلف السور الشرقي وفيها أضرحة جماعة من الصحابة الذين سكنوا القدس وقضوا فيها ، منهم **شداد بن أوس الصحابي** وعالم القدس ، وقبر **عبادة بن الصامت الأنصاري ،** أول قاض مسلم في القدس ، أما ضريح **عكاشة الصحابي ،** ففي الغرب من القدس ، وكان عرضة لأول هجوم اسرائيلي في حرب جدار البراق سنة ١٩٢٧ م ، فهدموه بالمعاول ومزقوا ستائره وأتلفوا مصاحفه الأثرية .

تهويد القدس

لقد بدأت عملية تهويد القدس من اليوم الذي أصبح فيه عدد سكانها اليهود يفوق عدد المسلمين والنصارى مجتمعين . وبعد حرب عام ١٩٤٨ م ، استطاع اليهود تهجير كل العرب من شطرها الغربي ، وفي السابع من حزيران ١٩٦٧ م ، احتلت المدينة العربية وتعرض سكانها للقتل والاعتقال والتدمير والنهب ، مما أدى إلى نزوح ٥٠٠٠ شخص ، من المدينة معظمهم من اللاجئين سابقاً .

وفي نفس اليوم وصل حاخام القوات المسلحة **شلومو غورين** إلى حائط المبكى .

وفي صباح ٢١ آب (أغسطس) ١٩٦٩م، أحرق المسجد الأقصى، وقد اشتعلت النار في الجناح الشرقي من المسجد الأقصى، وشب حريق آخر في المنبر الأثري الذي لا مثيل له. وقد احترق معظم السجاد وتلكأت عملية الاطفاء، كما احترق معظم الخشب المنقوش الثمين في السقف وأدى الحريق إلى انصهار الرصاص الذي يغطي القبة، ولم ينقذ باقي ما في المسجد من الدمار غير سكان القدس الذين أقاموا من أنفسهم جداراً بشرياً في محاولة لحصر النار وعاونتهم اطفائية الخليل ورام الله.

وفي نهاية شهر حزيران (يونيو) ١٩٦٧م، أصدر الكنيست قانوناً بتوحيد القدس تحت السيادة الإسرائيلية، وفي نفس الوقت جرى توسيع حدود مدينة القدس بدرجة مفرطة فوصلت لجوار بيت لحم جنوباً وضمت إليها **مطار قلندية** بالقرب من رام الله شمالا. وفي ٤ تموز (يوليو) من نفس العام اتخذت الأمم المتحدة قراراً بغالبية ٩٩ صوتاً ضد صوت واحد باعتبار الضم غير قانوني، وفي نهاية العام نفسه فَقَدَ ٤٠٠٠ عربي من أهالي القدس منازلهم ولا سيما في حي المغاربة بجوار جدار البراق والذي أزيل تماماً مع ما فيه من أوقاف إسلامية.

وفي شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٦٨م، صادرت السلطات الاسرائيلية ٨٠٠ فدان من الأراضي في الجزء العربي، وأعلنت عن خطط لبناء مساكن عند منحدرات جبل سكوبس المطلة على القدس القديمة. ثم استملكت ٧٠٠ دونم، في ضواحي القدس قرب ضاحية البريد، مثلما استملكت مستشفى القدس الجديد ضمن هذه الأراضي، وجعلت منه مقراً عاماً لدائرة الشرطة.

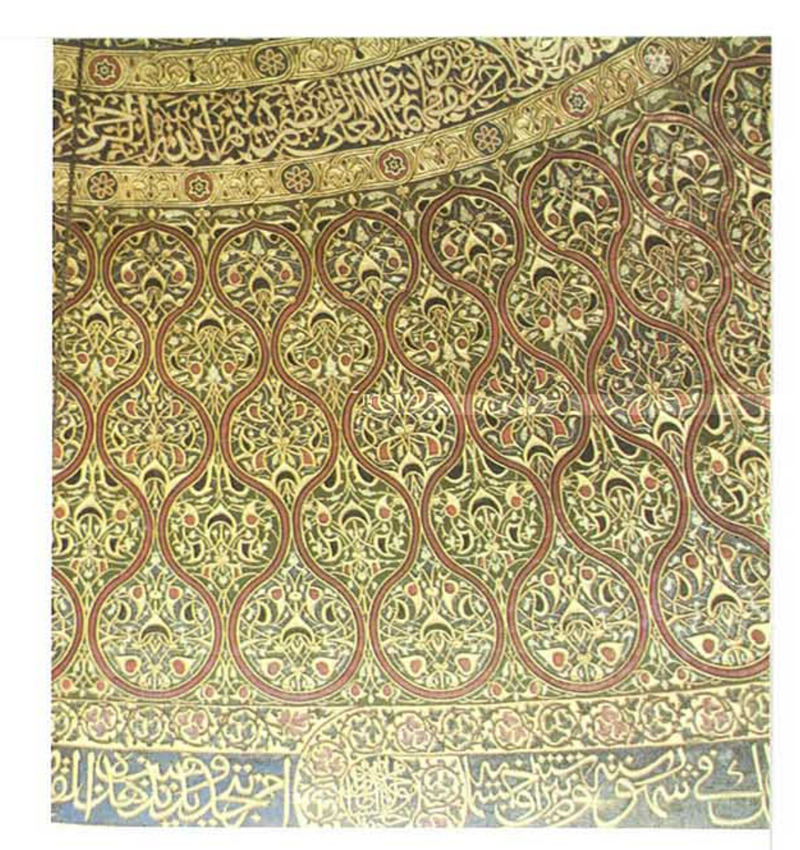
أما الأراضي المصادرة في جبل الزيتون فقد ألحقت بالجامعة العبرية، وأطلق عليها اسم (هحوشت)، وباشرت السلطات اليهودية فعلاً ببناء مساكن لسبعمائة طالب. ولتحقيق هذا الهدف تبرع ثري يهودي يدعى مكس، بمبلغ مليون دولار لانشاء مختبر لكلية العلوم فيها. ولما رفض المسؤولون عن القضاء الشرعي والأوقاف الإسلامية في القدس الانضمام لوزارة الأديان اليهودية، امتنعت السلطة عن تنفيذ قرارات المحاكم الشرعية في القدس ورفضت الاعتراف بعقود الزواج التي يصدرها قاضي القدس، أو مندوب عنه وطردت **الشيخ عبد الحميد السائح**، رئيس محكمة الاستئناف الشرعية من القدس إلى عمان.

وامتدت يد التهويد للتعليم فاستلمت السلطة جميع المدارس الأميرية، أي الرسمية، وجعلت قسم التعليم في البلدية، يشرف على إدارة هذه المدارس وتعيين معلمين ومعلمات لها دون النظر لكفاءة الموظفين. وانتسب عدد كبير من الطلاب للمدارس الأهلية والأجنبية. وصادرت الحكومة مدرسة الأقصى للبنات في حي المغاربة والمدرسة المولوية، وأوقفت بناء المعهد الكويتي العربي في أبو ديس بالقدس بحجة أن أرض المعهد أو قسم منها يملكها أشخاص يهود.

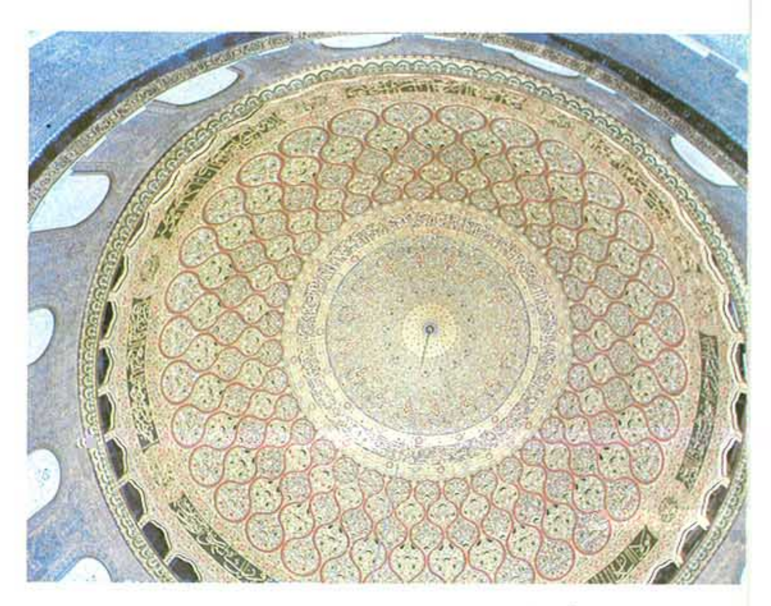
وألغت دائرة معارف بلدية القدس تدريس المنهاج الأردني والكتب المطبوعة بالعربية، ووزعت على الطلاب والطالبات الكتب المقررة لأبناء العرب في القطاع الاسرائيلي، وفرضت تعلم اللغة العبرية على الطلاب والمدرسين والموظفين.

وفي ١٩٧٠/٨/٣م، أصدرت اسرائيل أمراً باستملاك ١١٦٨٠ دونماً، من الأراضي العربية الواقعة في شمالي وجنوبي القدس وحول أسوارها وأنشأت ٣٠٠٠ وحدة سكنية في شرقي القدس، وقد فرغت بنهاية عام ١٩٧٠م، من بناء ٦٩٨ وحدة سكنية أخرى، في ضاحية (رامات أشكول) الواقعة بين حي الشيخ جراح وشعفاط في شمالي القدس. كما بنت ١٥٠٠ وحدة سكنية أخرى على جبل سكوبس (المشارف)، و١٢ عمارة متعددة الطوابق في كرم لويز شمال شرقي القدس، وبعبارة أخرى كان اليهود في سباق مع الزمن كي يضعوا العالم كله أمام الأمر الواقع.

هذه هي مدينة القدس العربية النشأة، الإسلامية التاريخ، ومهما طال ظلام الاحتلال الإسرائيلي الغاشم لها، فإن فجراً عربياً إسلامياً سوف يشرق عليها، ليعيد إليها أهلها الشرعيين، وتعود كما شاء لها أن تكون مدينة السلام، والظلم لا يدوم مهما كانت قوته، وجبروته، وعنجهيته.



★ نقوش من داخل القبة ★



★ سقف القبة ★

وبعد أن نفخ بالبوق وجه رسالة إلى القوات المسلحة قال فيها: «أخاطبكم من حائط المبكى آخر أثر لهيكلنا. هذا هو اليوم الذي طالما تقنا إليه. دعونا نفرح ونبتهج». وفي مطلع آب (أغسطس) من تلك السنة وجه دعوة للمتعصبين من اليهود، لكي يحضروا إلى مدينة القدس لإقامة الصلاة في صحن الحرم الشريف. وفي ١٩٦٨/١٠/٦م، **ذكرت جريدة هاآرتس اليهودية أن فريقاً مكوناً من ١٦ جندياً غالبيتهم من رجال الحاخامية الاسرائيلية العسكرية وعلى رأسهم ضابط هو مدير مكتب الحاخام شلومو غورين أقاموا الصلوات في يوم الغفران على جبل البيت (ساحة الحرم)، وقالوا إنها أول صلاة منذ ٢٠٠٠ سنة.**



المنهج التجريبي ماضيه .. وحاضره

بقلم : د. أحمد سعيدان

في سجل التاريخ كلمات كان لها يوم قيلت دوي كبير عقبه انعطاف في مجرى التاريخ حاد . ومن هذه الكلمات ما هو مشهور مأثور ، ومنها ما لا يعرفه إلا أوساط محدودة لقلة ما سلط عليه من أضواء . ومن هذا النوع الأخير كلمة لأفلاطون بدأ فيها المنهج العلمي إذ قال : « ما يقوم عليه دليل أقبله في حظيرة العلم وما لا يقوم عليه دليل أبعده عنها » .

كان العلم من قبل ذلك حشداً من حقائق وأباطيل ، قناعات يتناقلها الناس وبها يعملون ، إما لأنها كانت تعطي في حياتهم اليومية المحدودة نتائج مقبولة ، أو لأن ثقة من الثقات قالها فلم يعد من العرف التنكر لها مهما غايرتها التجربة وخالفها الواقع . فجاءت كلمة أفلاطون كغربال يغربل هذه القناعات فما قام دليل قبل ، وما لم يقم عليه دليل رفض .

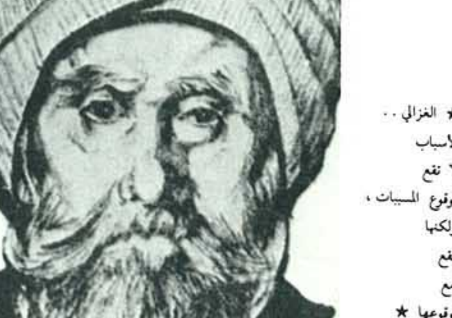
ومن لم يأخذ نسبة أفلاطون أو لم يصل خبرها إليه ظل العلم عنده حشداً من قناعات ، ومن هؤلاء **الهنود** . أما **الاغريق** ومن سار على نهجهم فقد أخذوا بها والتزموا بالبحث عن الدليل . **لقد كان طلب الدليل هو الميزة التي ميزت الفكر الاغريقي عن غيره ، وبسببه أينعت العلوم في العصر الاغريقي وتقدم الفكر ، ومن جرائه يحلو لبعض الباحثين أن يصفوا المنجزات العلمية الاغريقية بالمعجزات .**

ولكن الدليل الذي التزم به الفكر الإغريقي كان هو الدليل الاستنتاجي المحض مجرداً عن الدليل العملي التجريبي . **والدليل الاستنتاجي قد يكفي ويغني في العلوم النظرية ، كالرياضيات والمنطق ، ولكن لا يكفي في العلوم التجريبية كالفيزياء والطب .** فهنا لا بد من الاعتماد على دليل تجريبي تستشعره الحواس من سمع وبصر وذوق وشم ولمس .

ولقد رفض الفكر الإغريقي الدليل التجريبي في حقول العلم بدعوى أن الحواس قد تخدع ، ولقد تمادى الفكر الإغريقي في رفضه لكل منهج عملي ، حتى أن العمليات الحسابية كان يعدها ألعاب أطفال ، فهو يعنى بنظرية الأعداد ولا يعنيه كيف تجرى على هذه الأعداد عمليات الجمع والطرح والضرب والقسمة والتجذير . وانتقل رفض المنهج التجريبي إلى الحضارات التي تلت الحضارة الإغريقية . ولقد كرسه رجال الكنيسة لأنهم وجدوا به حماية للعقيدة ، لأن في العقيدة معجزات لا تؤيدها التجربة ولا يقوم على صحتها دليل ، وتناقلت الأجيال الأوروبية هذا الرفض للدليل التجريبي جيلاً بعد جيل بعد جيل ، حتى صار رفضهم له ضرباً من ضروب العبادة .



★ الغزالي .. الأسباب لا تقع لوقوع المسببات ، ولكنها تقع مع وقوعها ★



★ فرانسيس بيكون .. كان يحسب أن حقائق الكون محدودة ★

المسلمون .. بين الاستنتاج والتجريب

أما في العالم الإسلامي فقد قبل الدليلان الاستنتاجي والتجريبي ولم يقم تناقض بين العلم والدين . أما الدليل الاستنتاجي فقد وجدوه في الفكر الإغريقي ، فأعجبوا به وتقبلوه ، ومن أجله فضلوا العلم الإغريقي على العلم الهندي الذي كان ما يزال تلقينياً ، لا يعنى بدليل ، وأما الدليل التجريبي فقد اهتدى إليه المفكرون المسلمون بفطرتهم ، فتقبلوه في غير العلوم المنطقية الإغريقية الأصل ، تقبلاً تلقائياً عفوياً ، فإن عمدوا إلى تبرير اختلاف المنهج قالوا : تلك تعاليم رياضية أداتها الدليل الاستنتاجي ، وهذه حقائق اعتبارية حسية أداتها الدليل الاستقرائي التجريبي ، وإن تخدع التجربة في حال فهي لا تخدع في كل حال ، وفوق كل ذي علم عليم .

لم يجهلوا أن الحواس قد تخدع ، ولكنهم وجدوا في خداع الحواس دعوة ، لا إلى الرفض ، بل إلى مزيد من التجربة والاعتبار ، بغية الحصول على مزيد من اليقين .

وثمة أمر على أعظم جانب من الأهمية جعل **الفكر الاسلامي** يرحب بالدليل التجريبي مغايراً للفكر الإغريقي والكنيسة الكاثوليكية : ذلك أن الدين الإسلامي ، عدا أنه لم يتطلب إيماناً بمعجزات لا يؤيدها الواقع ، تطلب أن يستند الإيمان بالله على النظر والاعتبار ، وأن يتعمق بمزيد من النظر والاعتبار . ان الدليل على وجود الله في الإسلام دليل تأملي اعتباري يدعو المرء إلى أن يصيخ السمع وينعم النظر في الكون والأشياء وفي نفسه ، ليستدل على وجود الله من دقة الأثر وعلى قدرة الله من بديع خلقه وعظيم نعمائه . فلا عجب أن قام في ديار الإسلام من اعتبروا متابعة البحث العلمي عبادة وفريضة ، في وقت كانت فيه الكنيسة تعتبر من يتابع البحث العلمي كمن يبيع نفسه للشيطان . ولا عجب أن بنى الفكر الإسلامي وأقام من العلوم على ما يرى العاقل ويسمع بقدر ما بنى الفكر الإغريقي وأقام على ما يستنتج العقل ويستخلص . **بالدليل المنطقي الاستنتاجي مضى الفكر الاسلامي يطور العلوم الرياضية وبالدليل الاستقرائي التجريبي مضى يبني العلوم العملية فتم له ركنان أساسيان يتساندان ولا يتعارضان ، فما يستنتجه يبحث له عن سند تجريبي ، وما تهدي إليه التجربة يبحث له عن تفسير منطقي .**

وفي القرن الثالث عشر الميلادي عاش **روجر بيكون** ، رائد المنهج التجريبي في أوروبا . لم يتعلم روجر بيكون في مدارس عربية ، ولكنه تعلم في **أكسفورد** ، واتصل بجامعات **فرنسا وإيطاليا** ، فكانت هذه الجامعات كلها حديثة العهد ، بنيت على غرار **الجامعات الاسلامية .** كانت لغتها **اللاتينية** ، لكن مناهجها ومراجعها كانت كلها عربية الأصل إسلامية الطابع تتردد فيها أصداء فلسفات **الكندي والفارابي وابن رشد .**

فإن لم يتعلم روجر بيكون على العرب مباشرة فهو قد نهل ما شاء له الله أن ينهل من الفكر العربي الاسلامي منقولا إلى اللاتينية . ولقد اتصل بالمجتمعات الإسلامية وعرف طرائق حياتها ومناهج تفكيرها ولغتها ، ومن هذا الذي تعلمه وعرفه خرج بقناعة جعلها رسالته في الحياة ، هي التبشير بالمنهج التجريبي سبيلاً للتقدم ، تماماً كما نبشر اليوم في الشرق ، بالمنهج العلمي الغربي سبيلاً للغلبة في صراع البقاء .

المناهج العلمية في أوروبا

ولم يكن الطريق في أوروبا ممهداً أمام **المنهج التجريبي** ولا أمام **المنهج الاستنتاجي** ، فقد كانت هنالك **المدرسية** ترفض كل ما عارض أحكامها مهما سندوه من أدلة منطقية أو تجريبية ولذا دخل المنهج العلمي في أوروبا معركة طويلة مريرة هي معركة الاصلاح الديني وهي معركة الصراع بين العلم والدين . وانجلت هذه المعركة عن أشياء كثيرة منها توطيد المنهج العلمي بركنيه الاستنتاجي والتجريبي . وكان من أهم بواكيره **اختراع المايكرسكوب** الذي فتح العيون على عوالم الأحياء

الدقيقة فبدأ بذلك العهد الحديث في **علوم الأحياء والصيدلة والطب** .

وبعد مضي ثلاثة قرون على دعوة روجر بيكون جاء **فرنسيس بيكون** ليجعل من المنهج التجريبي فلسفة يدخل على متنها حلبة الفلاسفة الخالدين .

ولكن ما أبعد الفرق بين المنهج التجريبي كما تصوره فرنسيس بيكون ، وبين ما نعرفه اليوم ! كان فرنسيس بيكون يحسب أن حقائق الكون محدودة ، ما علينا إلا أن نجري بعض مئات من التجارب فينجلي كل شيء ، ولا يبقى بعد ذلك زيادة لمستزيد . وقد حسب أن ما تفضي إليه التجارب هو حقائق مطلقة يمضي تفسيرها كأنما هو حتمية تربط الأسباب بالمسببات وفق نظام يطرد أطراد قواعد اللغة القياسية . لقد كان **نيوتن** أعمق فهماً لحقائق العلم عندما تخيل نفسه كشخص يقف على شاطيء البحر ينقب في ما يطرحه الموج من محار ، فإن هو لقي بين الفينة والفينة درة فلا مكنونات البحر تنقص ، ولا غياهب الجهل تنزاح .

ونحن اليوم في عصر تفجر المعرفة التكنولوجية ، طورنا منهج التجربة حتى غدا نظاماً يمارسه العشرات والمئات والآلاف بروح الفريق ، وطورنا ثماره ونتاجه حتى فجرنا الذرة وسخرنا الإلكترون وجبنا الفضاء ، وقهرنا أمراضاً كثيرة ، وابتكرنا من وسائل المواصلات والاتصال والإعلام ما كان حتى قبل سنوات من قبيل الاغراق في الخيال . ثم إن لتقنيتنا في كل يوم فتوحات جديدة حتى ليعجز المرء عن اللحاق بالتطورات التقنية وبرصد ما يجد وما يستجد ، فما رأينا في المعارف العلمية التي حسبها فرنسيس بيكون حقائق محدودة مطلقة حتمية تربط أسبابها بمسبباتها برباط وثيق ؟

لقد عرفنا بعد قرون من البحث العلمي على المنهجين الاستنتاجي والتجريبي أن لا حتمية في العلم ولا حقائق مطلقة فيه ، وإنما هي تصوراتنا تتغير بتغير مداركنا واهتماماتنا ، ومن ثم فمن طبيعتها أن تبقى قاصرة لأننا بشر .
مثلنا كمثل أطفال صغار تحيط بهم باحة رحبة تعج بالكنوز ولكنهم لا يدركون من هذه الكنوز إلا ما تنشد إليه أبصارهم وهذا الذي تتركز أنظارهم عليه إنما يفقهون من كنهه على قدر مداركهم . أو نحن كهباءات منثورة في غابة ترى الواحدة منها ما يقع عليها أو تقع عليه . حتى العلوم الرياضية الاستنتاجية ليست حقائق مطلقة وإنما هي نتائج تنتج من مسلمات معينة ، فإذا تغيرت المسلمات تغيرت النتائج ، فلا صواب مطلقاً ، ولا خطأ مطلقاً ، وإنما الصواب ما وافق المسلمات والخطأ ما عارضها .

فلا حتمية في العلم . وليس فيه من سببية ، فالأسباب لا تصنعها المسببات ، ولكنها ، على مدى ما نرى وما نعرف ، متزامنان ، يقعان معاً . إنها كما وصفها **الامام الغزالي** بقوله : « إن الأسباب لا تقع لوقوع المسببات ، ولكنها تقع مع وقوعها » .

أي إن بينهما بلغة الرياضيات اقتراناً كأي اقتران يربط بين متغيرين .
لقد أدرك الغزالي رحمه الله بثاقب بصيرته ما جهد العلماء طويلاً حتى توصلوا إليه .

فالكون كما يعرفه الإنسان هو مجموعة تصوراته وأوهامه وخيالاته ، يبنيها على أرضية من نقاط ضعفه وقوته ومن طبيعة خلقه وكيانه ، وحقائق الكون هي أشبه بتلك النماذج التي تصنع للآلة أو المبنى ، فنموذج السيارة فيه ما في السيارة وفيه ما ليس فيها ، وفي السيارة ما في النموذج وفيها ما ليس فيه ، وقل مثل ذلك في النموذج الذي تصنعه للبيت أو المعمل . وما جهد الإنسان ودأبه وما منهجه العلمي بركنيه الاستنتاجي والتجريبي إلا لتقريب النماذج من الأصل . أما الأصل فالله وحده الذي يعلم ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم .

جهود العالم

ومن أجل أن يقترب النموذج من الأصل يجري العالم التجارب مرة بعد مرة بعد مرة ويتفنن في تنويعها وتقليبها على شتى الوجوه فحيث أثبتت التجارب أن النموذج بحاجة إلى تعديل جهد الإنسان في تعديله حتى يتسق النموذج والتجربة ويتفقا . والتعديل يفضي إلى نظرية جديدة والنظرية تستدعي تجربة جديدة ، وهكذا دواليك . والنتيجة ثراء العلم الإنساني بتكاتف الدليلين التجريبي والاستنتاجي .

ومن عجيب المفارقات أن الدليل التجريبي الذي استبسلت الكنيسة في محاربته خوفاً على العقيدة لم يحمل معول الهدم إلا لما ثبت بالدليل بطلانه ، ذلك أنه لا يقول ما قال أفلاطون : ما لا يقوم عليه دليل أرفضه ، ولكنه يقول : ما لا أستطيع أن أثبته اليوم أو أنقضه قد أثبته أو أنقضه في غد عندما تتحسن وسائلي وتتسع مداركي .

ومن سمات المنهج التجريبي الحديث أنه إحصائي : يرى أن من حقائق الكون ما تؤيده كل تجاربنا الحاضرة ، ومنها ما يؤيده بعض التجارب في حالات تكثر أو حالات تقل حتى تندر .

وفي مطلع هذا القرن ، عندما شرع المنهج التجريبي يتخذ طابعه الإحصائي هذا ، استنكر ذلك الفلاسفة الاستنتاجيون ، فقال شيخهم **برتراند رسل** متهكماً : مثل أولئك الاحصائيين كمثل شخص يسأل مجموعة من الأطفال أن يحسبوا حاصل ضرب ٧ في ٨ . فإذا هو تلقى اجاباتهم حسب متوسطها واعتبره هو الجواب المقبول . ولا يخفى ما في هذا القول من سخرية ، فالطريق الإحصائي لا يكون إلا حيث ينعدم اليقين فيلجأ الدارس إلى تقدير مرحلي يرى به أنه أقرب إلى الصواب منه إلى الخطأ ، وفوق كل ذي علم عليم .

***







أجمع الفلاسفة والنقاد والباحثون أن رسول الله ﷺ كان أكمل الناس خلقا وخلقا، وأنه كان في شبابه مثال الاستقامة والرزانة، يحسن القول، ويجيد التصرف في غير ما كبر أو فخر، أو عنجهية.

وكان في حداثة سنه فتى يقصر عن ادراكه كل الناس لكنه قدوة يحتذى ويسلك نهجه.

وهذه تربية ربانية خص بها الله عبده ورسوله سيدنا محمداً ﷺ ليؤهله لقيادة الأمة، وهداية البشرية.

وكلكم يعلم الدور الذي مر به رسول الله ﷺ في رضاعته وحضانته وكفالته، وما إن بلغ الثانية عشرة من عمره حتى دخل دور الجد وخاض غمار الحياة فشارك في حرب ضروس تشيب الوليد هي حرب (**الفجار**) شهدها مع أعمامه وشاهد فيها الكر والفر، والنزال والقتال، وكان يجمع السهام، ويعين المصاب، ويساعد أهله وقومه.

فصلب بذلك عوده وقويت نفسه واشتد جسمه واستعد لتحمل مسؤوليات الحياة، ثم بعد الحرب حضر السلم فشهد (**حلف الفضول**) الذي انتهى بتحالف **هاشم وزهرة وتيم** على دفع الظلم وأخذ الحق من الظالم، وألا يتركوا عند أحد مظلمة لأحد إلا أخذوها، وهو الذي يقول فيه: (**لقد شهدت مع عمومتي حلفاً في دار - عبد الله بن جدعان - ما أحب أن لي به حمر النعم ولو دعيت به في الاسلام لأجبت..**).

وبعد ذلك شارك في البيع والشراء، والتعامل مع الناس، حتى حاز لقب (**الأمين**) ثم سافر وتفكر في الأرض ومن فيها ورأى طباع الناس وحياتهم وبلادهم.

وشهر ﷺ بعقله وأمانته وأحبه الناس جميعاً حتى كانت له المنزلة العظيمة باحتكام القرشيين والقبائل المتنازعة على **الحجر الأسود** إلى مكانه.. وحينما جعلوا الأمر إليه تصرف بأناة ورجاحة عقل وإدراك تام فبسط رداء ووضع الحجر وسطه وطلب إلى كل قبيلة أن تأخذ بطرف الرداء ورفعوه جميعاً ثم تناوله بيده ووضعه مكانه.

فوصل إلى المطلوب وأرضى الجميع، وأبعد النزاع والشقاق، ولما اكتمل عقله واستعد لما أراده الله له، أنزل عليه الوحي، أمر بتبليغ الرسالة.

وهكذا ينتهي دور اكتمال شخصيته فيتفرغ لتربية أمته.

وقد بذل في ذلك دمه وجهده فصبر وثابر وسلك كل الطرق حتى استطاع أن يبلغ رسالته ولقد كان للشباب دور فعال في هذه الرسالة في تحملها وفي تبليغها، وفي تنفيذ تعليمات رسول الله.. فعاش معه عدد من الشباب آسوه وآزروه فرضي عنهم ورباهم وأرشدهم وقوم شخصيتهم حتى غدوا أئمة المسلمين، وأبطال الجهاد، وقدوة اللاحقين.

وسأستعرض عدداً من الشباب من هذا الجانب الذي برزت فيه تربية رسول الله لهم.

كان رسول الله ﷺ على جلالة قدره وانشغاله بإبلاغ الدعوة يلاطف الصغار ويمازحهم ويهبهم من حنانه الشيء الكثير.

ويبدو ذلك في (**الحسن والحسين**) ابني **فاطمة بنت رسول الله**، زوجها **علي بن أبي طالب رضي الله عنه** فقد كان رسول الله ﷺ يحملهما ويقبلهما، ويدخل السرور على قلبيهما.

فقد روى **البخاري** عن **أبي هريرة** رضي الله عنه قال: «قبل رسول الله الحسن بن علي وعنده **الأقرع بن حابس**، فقال الأقرع إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: **«من لا يرحم لا يرحم»، وكثيرا ما كان يثب الحسن والحسين على ظهره الشريف فيرفعهما وينزلهما حتى يجلسا على الأرض ثم يجلسهما في حجره».**

وكان يشجعهما ويدعوهما للعب والسرور فعن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان قاعداً، فطلع الحسن والحسين فاعتركا فقال رسول الله - وعلي جالس - ويها حسين خذ حسناً، فقلت: تؤلب على حسن وهو أكبرهما يا رسول الله، فقال رسول الله هذا **جبريل** قائم وهو يقول ويها حسن خذ حسيناً. **وكان ﷺ يفرج بين رجليه حتى يمر الحسن أو الحسين من بينها وهو قائم يصلي، ويحمل أمامه إذا قام ويضعها إذا جلس، في صلاة النفل.**



بقلم: عبد العزيز المسند

هذه معاملة رسول الهدى لأولاده، وليست قاصرة عليهم بل لكل الصغار الذين يراهم فهذا أسامة بن زيد مولى رسول الله يعيش في بيت رسول الله ويعامله معاملة كريمة كلها لطف وحنان، فقد روت عائشة قالت: (عثر أسامة بعتبة الباب فشج في وجهه فقال رسول الله: أميطي عنه الأذى فقدرته فجعل رسول الله يمص الدم ويمجه عن وجهه.

وكان ﷺ يصف عبد الله وعبيد الله وكثير بني العباس ويقول من سبق إلي فله كذا فيستبقون على ظهره وصدره فيلزمهم ويقبلهم.

هذه تربيته ﷺ للصغار، تشجيع وترويح، وتعويد على الأعمال الطيبة التي تنفعهم في حياتهم، وحب وحنان يغسل به عن قلوبهم أدران الشر ويكسبها الطهر والصلاح والرقة والمودة.

وفاطمة بنت رسول الله ﷺ يربيها رسول الله على العبادة والعمل، والاعتماد على نفسها.

فيقول: يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً، نعم.. لا يغني عنها شيئاً ولا بد أن تعبد الله وتطيعه وتقوم بالتكاليف الشرعية حتى يقبلها الله وحده.. ولن يغني عنها كونها بنت رسول الله.

ويقول مرة وقد تشفع أحد الصحابة بحد من حدود الله.. وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها، فاطمة الزهراء بنت رسول الله وحبيبته مثل أي فتاة من بنات المسلمين لها حقوق وعليها واجبات فلو أخلت بشيء منها لأقيم عليها الحد ولم يمنع من تنفيذه كونها بنت رسول الله، نعم الناس سواء في الحقوق والواجبات، قريبهم وبعيدهم أسودهم وأبيضهم.. إنها شريعة العالم كله.. فلا بد أن تكون عادلة.

وفي إحدى زيارات رسول الله لبيت ابنته فاطمة زوج علي بن أبي طالب، تشكو إلى والدها أعمال البيت وكثرتها عليها تريد أن تعرض بطلب خادمة تساعدها فيرشدها هي الأمة إلى تسبيحات واستغفارات تساعدها على أعمالها وهي خير لها من خادمة.

لم يكن رسول الله يعجز عن تأمين خادمة لابنته، لكنه أراد أن يعلمها هي، وأن يضع درساً لأمته بالاعتماد على النفس والاستغناء عن الناس، وبالعمل والجد.. والتغلب على الكسل والعجز.

بعد أن هزم المشركون في **غزوة بدر** الفاصلة أعدوا عدتهم وجاؤا بقضهم وقضيضهم لينتقموا من رسول الله وصحابته وليقضوا على هذا الاشعاع الذي بدأ يهددهم في عقر دارهم.. كانوا يريدون إخماد هذه الجذوة حتى لا تقوم للإسلام قائمة.

وعندما بلغ رسول الله ﷺ الخبر تجهز سريعاً وكان المكان قريباً من المدينة، في ذلك الوقت كان المحارب الواحد يساوي مئات عند رسول الله. وبينا هو يتفقد جيشه ويستعد للمسير إذا هو بصبيين يعرضان نفسيهما على رسول الله ويطلبان إجازتهما للانضمام إلى المجاهدين، فينظر إليهما، ويرى أنهما صغيران لم يبلغا الخامسة عشرة من عمرهما، فيردهما، ولكنهما قد صمما على المضي في الجهاد.. فيبذلان كل محاولة للوصول إلى هدفهما.

ويكلم أحد الصحابة رسول الله في أحدهما ويخبره بأنه يجيد الرماية فيقبله فيبكي الآخر ويطيل البكاء حتى يبلغ الرسول ذلك فيجيزه، قال[1] **ابن هشام**: (وأجاز رسول الله ﷺ يومئذ **سمرة بن جندب الفزاري** ورافع **ابن خريج** أخا بني حارثة وهما ابنا خمس عشرة سنة، وكان قد ردهما فقيل يا رسول الله إن رافعاً رام فأجازه فلما أجاز رافعا قيل يا رسول الله فإن سمرة يصرع رافعاً فأجازه).

وهذه تربية النبوة على الجهاد والكفاح وتحمل المشاق، لم يكتف رسول الله بكلام من بلغه بأن سمرة يصرع رافعاً بل طلب منهما أن يتصارعا حتى صرع سمرة أخاه وأثبت للرسول وللحاضرين كفاءته، وأنه أهل لخوض حرب قارضة، تطير لها القلوب، وترتعد من هولها الفرائص.

وهكذا أراد رسول الله أن يعلم أمته بأن القول لا يكفي بل لا بد من العمل، وأن العمل هو السبيل إلى الجهاد والنصر.

وخاض الصبيان الحرب، ووقفا مع الشجعان الأشاوس جنباً إلى جنب، وانتهت الحرب بالنصر للمسلمين وهما سليمان، لم يصبهما أذى، بل أوتيا مناعة واستعداد لخوض معارك جديدة.

إننا بحاجة إلى شباب مثل هذين الشابين وإلى شباب يتسابقون إلى المعالي، ويتنافسون لادراك النصر وانتزاعه من بين فكي الأسد، ويومها نستطيع أن نقف في المقدمة وأن نتولى قيادة العالم.

وفي **غزوة أحد** اشتد الأمر على المسلمين، فسلك رسول الله ﷺ طرقاً لدفع المسلمين إلى القتال والمقاومة ومن ذلك أنه رفع سيفه وقال: (من يأخذ هذا السيف بحقه؟) فقام رجال فأمسكه عنهم، حتى قام إليه **أبو دجانة** (سمال بن خرشه) أخو بني ساعدة فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: أن تضرب به العدو حتى ينحني. قال: أنا آخذه بحقه فأعطاه إياه.

وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب، وكان إذا أعلم بعصابة له حمراء فاعتصب بها علم الناس أنه سيقاتل، فلما أخذ السيف من يد رسول الله أخرج عصابته تلك فعصب بها رأسه ثم جعل يتبختر بين الصفين ويتقدم إلى صف العدو فلما قرب منهم أخذ ينشد:

أنا الذي عاهدني خليلي

ونحن بالسفح لدى النخيل

الا أقوم الدهر في الكيول[٢]

أضرب بسيف الله والرسول

وهجم على الأعداء كالأسد الكاسر وقتل منهم خلقاً كثيراً، وقاتل وجالد حتى انحنى السيف بيده.

وبعد كل هذا هل تدرون نهايته؟ نعم لقد خرج من كل هجماته سالماً، وانتهت الحرب ونجا هو وحضر فتوحاً إسلامية كثيرة.

هكذا يكون الرجال، إن العزم والاقدام يهبان الحياة، وإن الخوف والخور يجران إلى الهاوية والموت الذي يقتنص الأبطال في المعارك يخمد أنفاس المتقلبين على وسائد الحرير، وفرش الديباج، **ولأن يموت المرء مسلما عزيزا، خير من أن يموت ذليلا خائفا قد فقد كل معاني الرجولة**، ويذكرنا هذا كلمة **خالد بن الوليد** المشهورة عندما حضرته الوفاة: (**لقد شهدت مائة وقعة وما في بدني موضع شبر إلا وفيه طعنة أو ضربة وها أنذا أموت كما تموت العنز فلا نامت أعين الجبناء**).

إننا حينما فقدنا أمثال هؤلاء الشباب، وصل المسلمون إلى الحال التي لا يحسدون عليها.

أبو طالب عم النبي ﷺ كان له ولد كثير وكان يعولهم بالانفاق عليهم إلى أن اشتدت السنون، وضاق به الأمر وثقل العيال عليه فأحس بذلك أقاربه وأبناء عمه، فأقبلوا يخففون عنه، ويأخذون من أولاده.. وكان **علي بن أبي طالب** من نصيب رسول الله ﷺ. فضمه إليه وكان غلاماً صغيراً.. عاش في كنف رسول الله، يراه كل ساعة والنظر إلى أعماله ويسمع ما يقول.

وكان الذكاء والفطنة قد طبع علي عليهما منذ صغره فدخل مرة على رسول الله ومعه زوجه **خديجة** فوجدهما يعملان شيئاً لم يتعود أن يراه.. فدهش وقال: يا محمد ما هذا.. وكانا يصليان.. فقال رسول الله هذا دين الله الذي بعث به رسله وإني أدعوك إلى الإيمان بالله وأن تكفر **باللات والعزى**. فقال علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاض أمراً حتى أحدث والدي. فخشي النبي أن ينتشر الخبر وأن يؤثر الناس على علي وكره أن يظهر أمره في ذلك الوقت. فقال لعلي: إن لم تسلم فاكتم.. فكتم ولكنه بات يفكر في هذا الدين الجديد. فلما طلع الصبح بادر إلى النبي فأسلم.

انغرست هذه البذرة الأولى في قلبه واستمر يرتوي من معين النبوة، يختلط ذلك بدمه ولحمه ويشب عليه عظمه وقلبه.

ورسول الله يدرك بثاقب نظره تفتح قلب هذا الشاب واستعداده لتحمل هذا الأمر العظيم وتنزل على رسول الله آية ﴿**وانذر عشيرتك الأقربين**﴾[٣] فيجمع بني عبد المطلب في دار والد علي ويبلغ عددهم خمسة وأربعين رجلاً. فلما اكتمل عقدهم قال رسول الله (يا بني عبد المطلب إن الله قد بعثني إلى الخلق كافة وبعثني إليكم خاصة وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان **شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله!** فمن يجيبني إلى هذا الأمر ويؤازرني على القيام به؟ فسكت القوم.. وقام علي فقال: أنا فقال له النبي اجلس!

ثم أعاد النبي ﷺ قوله ثانياً فسكت القوم. وقام علي فقال: أنا فقال له: اجلس. ثم أعاد النبي ﷺ قوله ثالثاً. فسكت القوم وقام علي فقال أنا يا رسول الله!

فقال له النبي ﷺ اجلس فأنت أخي! وانتهى الاجتماع ولم يعلن تأييد محمد بما جاء به أحد منهم سوى هذا الشاب القوي الشكيمة الذي لم يخش في الحق لومة لائم. ولم يدار فيما يعتقد.

علي أحب الرسول من كل قلبه جمع بينهما الإيمان.. وتعلق بنبي الله لسبب المعاملة الكريمة التي يلقاها منه، وبسبب الوحي الإلهي الذي يصل إلى القلوب فيهزها ويخرجها من الظلمات إلى النور.. إن علياً يفدي رسول الله بنفسه وبأهله وبكل الدنيا. وحانت ساعة الفداء.

تآمرت قريش على رسول الله ليقتلوه وليخلصوا مما جاء به بعد أن خابت كل الوسائل المادية والحسية في صرفه عن هذا الدين الجديد.. وأعدوا العدة لاغتياله في فراشه. واجتمع نفر من قبائل مختلفة من قريش ليضيع دمه فيهم وحاصروا البيت، وبلغ السيل الزبى واشتد الأمر وقربت الساعة الحاسمة فإما انتشار هذا الدين وإما القضاء عليه في مهده.. ويلتفت رسول الله إلى علي ويعرض عليه الأمر فيسارع علي إلى فداء رسول الله بنفسه.. ويتفقا على أن ينام على فراش رسول الله حتى يظن المتآمرون أن رسول الله ما زال في فراشه.. وينام علي ويخرج رسول الله من بينهم وهم لا يعلمون.

ويأتي الصباح ويقتحم الجهلة البيت وينزعون الغطاء فيجدون علياً.. ويرتدون خائبين خاسئين.. ويدركون فشل مؤامرتهم وذهاب تعبهم وتخطيطهم سدى.

إيه يا علي لله أنت من شاب مؤمن قوي الإيمان ثابت الشخصية إن هذا موقفاً ترتعد له الفرائص وتطير من هوله أفئدة العقلاء.

هل نمت يا علي! وأنت تتصور كيف ستقتل ويفتك بك كيف استطاع جسمك أن يثبت على الأرض وأنت تضعه على أرض المذبحة؟

نعم إنه الإيمان الذي يهيمن على كل شيء . . وإنه الشباب مع الإيمان حيث يجعله في كمال قوته وتمام حسنه .

ويقرب علي من رسول الله فيزوجه ابنته فاطمة فتكتمل كل وشائج القرابة له . . ويكون بيته بيتاً لرسول الله وأولاده أولاد رسول الله .

كل هذه الأحداث عجمت عود علي وقوته ، وشدت ساعده فاستعد للجهاد . فلقد أعطاه رسول الله ﷺ الراية في (**بدر**) وعمره إحدى وعشرون سنة . . وفي غزوة (أُحُد) ، حينما اختل تنظيم المسلمين وأرجف الشيطان في صفوفهم وعاد بعضهم إلى **المدينة** . . ثبت علي وأخذ يبحث عن رسول الله في القتلى وفي صفوف الجيش فلم يجده . فقال : والله ما كان رسول الله ليفر وما أراه في القتلى . ولكن الله غضب علينا بما صنعنا فرفع نبيه . وما بقي خير من أن أقاتل حتى أقتل ثم كسر جفن سيفه . وحمل على القوم فانفرجوا له فإذا بالنبي ﷺ بينهم . . فوقف بجانبه يدافع عنه حتى أنجاه الله .

ولقد أصابت علياً في ذلك اليوم ست عشرة ضربة كل واحدة تطرحه أرضاً فيقوم ويحمل على المشركين ولا يبالي بما فيه من الضربات .

وفي **غزوة الأحزاب** خرج (**عمرو بن ود**) الفارس المعروف من صف المشركين ونادى في المسلمين من يبارز ؟ فلم يجبه أحد . فقام علي وقال : أنا يا نبي الله . فقال له النبي اجلس إنه (عمرو بن ود) .

فنادى عمرو الثانية وجعل يوبخ المسلمين ويقول : أين جنتكم التي تزعمون أن من قتل منكم يدخلها ؟ فلم يجبه أحد ، وقام علي فقال : أنا له يا رسول الله .

فقال له النبي ﷺ اجلس إنه عمرو بن ود . فنادى عمرو الثالثة . فلم يجبه أحد فقام علي فقال : أنا له يا رسول الله فقال رسول الله إنه عمرو بن ود . فقال علي : وإن كان عمراً ! فأذن النبي ﷺ لعلي في مبارزته . فلما رآه عمرو قال له من أنت ؟ قال : علي . فقال عمرو : ابن أبي طالب ! قال : نعم ، فقال عمرو : غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أشد منك وأني أكره أن أريق دمك . فقال علي : وأنا والله ما أكره أن أهريق دمك . فلما سمع عمرو هذا منه غضب . وكان راكباً على فرسه وعلي واقف على قدميه فقال له علي : كيف أقاتلك وأنت على فرسك ولكن انزل معي . . فاقتحم عمرو عن فرسه وسل سيفه كأنه شعلة نار فعقر فرسه وضرب وجهه وأتى إلى علي فاستقبله بدرقته فضربه عمرو فيها فقدها . وأثبت فيها السيف وأصاب رأس علي فشجه ، فضربه علي على حبل عاتقه فسقط قتيلاً . . فكبر المسلمون فرحاً بقتله ، ورجع علي إلى النبي ﷺ وهو متهلل فقال له : كيف وجدت نفسك معه ؟ فقال : وجدته لو كان أهل المدينة في جانب وأنا في جانب لقدرت عليهم .

هذا علي المسلم المخلص لرسول الله يبلغ مبلغ الأبطال ويبزهم على حداثة سنه . ولا شك أن ذلك من آثار تربية النبوة التي غذته بالإيمان واليقين .

وهو بعد فاضل مطيع لله يحبه الله ورسوله .

في **غزوة خيبر** يطول الحصار ، ويشتد العدد على المسلمين فقال رسول الله ﷺ لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فبات الناس يدوكون ليلتهم كلهم يرجو أن يعطاها . فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ فقال أين علي ؟ فقيل هو يشتكي عينيه . فأرسلوا له فدعا له وتفل في عينيه فبرأ كأن لم يكن به وجع . فأعطاه الراية وقال : انفذ على رسلك حتى يفتح الله على يديك .

وهذه منقبة لم تكن لسوى علي رضي الله عنه .

ويستمر علي في التقدم وفي بلوغ الشأو الأعلى حتى يوليه رسول الله القضاء . فعن علي رضي الله عنه قال : بعثني رسول الله ﷺ إلى **اليمن** قاضياً فقلت يا رسول الله ! ترسلني وأنا حديث السن ولا علم لي بالقضاء . فقال : إن الله يهدي قلبك ويثبت لسانك فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء . فقال فما زلت قاضياً وما شككت في قضاء بعد هذا .

وبعد : فبهذا وكثير غيره ربى رسول الله علياً حتى بلغ الدرجة التي يحسده عليها كل شخص . وحتى صار الخليفة الرابع لرسول الله ﷺ . **هكذا كانت التربية ، تشجيع وترغيب وزرع للثقة بالنفس وتمكين للإيمان وتعويد على الكر والفر ، وترشيح للزعامة والرئاسة .**

من أولئك الشباب الذين حظوا بتربية النبوة صحب رسول الله في شبابه ، فارتوى من معين النبوة ، وعلمه رسول الله الحكمة والعلم حتى بلغ الذروة في ذلك .

وقد بدأه باللطف واللين والترغيب . فآساه وقربه إلى نفسه حتى اختلط حب رسول الله بقلبه ودمه ومن المعاملة النبيلة التي كان يعامل بها رسول الله الشباب ما نقله معاذ ، قال : (أخذ رسول الله ﷺ يوماً بيدي ثم قال : يا معاذ والله إني أحبك ، فقال له معاذ : بأبي أنت وأمي يا رسول الله وأنا والله أحبك فقال : (أوصيك يا معاذ : لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك) .

بهذه الكلمات اللطيفة والمقدمة البارعة استطاع رسول الله أن يفتح قلب معاذ ، وأن يجعله يتقبل ما سيعلمه إياه . . فأين هذا من معلمي وقتنا اليوم ترى هل يعون مثل هذا الأسلوب التربوي الذي يوصل المعلومات برغبة وحب ، وتسلم ، وتطبيق فعلي لا ينتهي بمجرد نهاية الدرس أو أداء الامتحان . . إننا بحاجة إلى مثل هذه الطرق التربوية التي تبني العقول ، وتكون الرجال . . **ولنا في رسول الله أسوة حسنة .**

ويستمر رسول الله ﷺ في تربيته المثلى لمعاذ فيباسطه ويناقشه ، دخل عليه معاذ مرة فقال : (كيف أصبحت يا معاذ ، قال : أصبحت مؤمناً بالله تعالى ، قال : إن لكل قول مصداقاً ولكل حق حقيقة فما مصداق ما تقول ؟ قال : يا نبي الله ما أصبحت صباحاً قط إلا ظننت أني لا أمسي ، وما أمسيت مساء قط إلا ظننت أني لا أصبح ، وما خطوت خطوة إلا ظننت أني لا أتبعها أخرى ، وكأني أنظر إلى كل أمة جاثية تدعى إلى كتابها ، معها نبيها ، وأوثانها التي كانت تعبد من دون الله وكأني أنظر إلى عقوبة أهل النار ، وثواب أهل الجنة قال : عرفت فالزم) .

ويكثر شغف معاذ بالعلم ، وانتهاز الفرص للاستفادة من رسول الله . . فيقول عن نفسه : تصديت لرسول الله ﷺ وهو يطوف ، فقلت يا رسول الله . . أرنا شر الناس فقال سلوا عن الخير ولا تسألوا عن الشر شرار الناس

شرار العلماء في الناس .

ويبلغ معاذ في العلم مبلغاً يؤهله لتولي القضاء والفصل في الأمور ، فيرشحه رسول الله لذلك وعمره عشرون عاماً فيحضره رسول الله ويخبره بما عزم عليه من أنه سيبعثه **قاضياً لليمن** ويقول له : (بم تقضي إن عرض لك قضاء ، قال معاذ : قلت أقضي بما في كتاب الله ، قال : فإن لم يكن في كتاب الله ، قلت : أقضي بما قضى به رسول الله ، قال : فإن لم يكن فيما قضى به رسول الله ، قال : قلت اجتهد رأيي ولا آلو ، قال : فضرب صدري وقال : الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي الله) .

ثم كتب رسول الله ﷺ إلى أهل اليمن كتاباً بشأن معاذ . . وقال فيه :

(إني قد بعثت عليكم من خير أهلي في علمهم ودينهم) لقد أوجد في نفس معاذ الثقة ودفعه وشجعه ليعمل فكره ورأيه ويحكم عقله ، ويبت في الأمور . . ونعمت التربية والتوجيه .

استعد معاذ للسفر وتجهز وجاء إلى رسول الله ليودعه وليلتمس منه النصيحة الأخيرة التي تساعده في مهمته الكبيرة ، فقام إليه رسول الله ، وأمره أن يبقى راكباً ، فسار راكباً ورسول الله يمشي إلى جانبه يوصيه فقال : يا معاذ (أوصيك وصية الأخ الشقيق أوصيك بتقوى الله ، وعد المريض ، واسرع في حوائج الأرامل والضعفاء ، وجالس الفقراء والمساكين واتصف من نفسك وقل الحق ولا تأخذك في الله لومة لائم) .

تواضع من رسول الله ﷺ يمشي ومعاذ راكب والناس ينظرون إليه يريد بذلك أن يعلم الناس حسن الخلق وسياسة الحاكم ، وتشجيع الوالي وإشعاره بقيمة نفسه ، ثم هو بعد يوصيه وصية تنفعه في عمله فهي دستور واضح لمعاملة الناس وإنصافهم وتفقد شؤونهم .

وهذا الشاب القاضي بلغ من علمه أن قال فيه رسول الله (**أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ . .**) وتوفي رسول الله ﷺ واستمر معاذ يفيد من علمه الذي علمه رسول الله ، وحينما خرج إلى **الشام** قال عمر : لقد أخل خروجه بالمدينة وأهلها في الفقه وما كان يفتيهم به . ولقد كنت كلمت **أبا بكر** أن يجلسه لحاجة الناس إليه فأبى علي وقال : رجل أراد جهاداً يريد الشهادة فلا أجلسه . . فقلت : والله إن الرجل ليرزق الشهادة وهو على فراشه وفي بيته .

وخطب عمر بالجابية فقال : من كان يريد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل .

وعن **أبي مسلم الخولاني** قال دخلت **مسجد حمص** فإذا فيه نحو من ثلاثين كهلاً من أصحاب النبي ﷺ وإذا فيهم شاب أكحل العينين براق الثنايا لا يتكلم ، فإذا امترى القوم في شيء أقبلوا عليه فسألوه ، فقلت لجليس لي . . من هذا ؟ قال معاذ بن جبل ، فوقع في نفسي حبه فكنت معهم حتى ترفقوا .

هكذا أثمرت التربية النبوية ، وأينعت على حداثة الغرس ، وآتت ثمرها إيماناً وعلماً وخلقاً وقضاء وقيادة .

أسامة بن زيد مولى لرسول الله ﷺ وكان أبوه كذلك عاشا في بيت رسول الله وفي خدمته ، فربوا في بيت النبوة يسمعون الوحي ويعون إيضاح رسول الله ﷺ له ولم يمنعهما كونهما من الموالي من بلوغ المنزلة السامية التي يحسدهما عليها غيرهما .

أدرك رسول الله استعداد **أسامة** للقيادة فأراد أن يجربه ويعطيه الفرصة . . فعن **الحضرمي** قال : بلغني أن رسول الله ﷺ بعث **أسامة بن زيد** على جيش وكان ذلك من أول ما جرب أسامة في قتال وعمره نحو من ثماني عشرة سنة ، فلق فقاتل فذكر منه بأس قال أسامة فأتيت النبي ﷺ وقد أتاه البشير بالفتح فإذا هو متهلل وجهه فأدناني منه ثم قال : حدثني فجعلت أحدثه فقلت : فلما انهزم القوم أدركت رجلاً وأهويت إليه بالرمح فقال الرجل (لا إله إلا الله) فطعنته فقتلته .

فتغير وجه رسول الله ﷺ وقال : ويحك يا أسامة فكيف لك بلا إله إلا الله فلم يزل يرددها عليّ حتى وددت اني انسلخت من كل عمل عملته ، واستقبلت الإسلام من جديد فلا والله لا أقاتل أحداً قال : لا إله إلا الله بعد ما سمعت من رسول الله .

في هذه المقابلة تلاحظون لونين من ضروب التربية . فقد لأن له رسول الله ورغبه حتى أدناه وسر لقربه واستمع لحديثه بشغف وشوق .

ثم بسرعة تغير الوجه المبتسم المتهلل إلى تجهم ، وإصرار لأن ذلك الشاب قد أخطأ . . وعمل عملاً لا يجوز في مبدء الإسلام فنحن أمة ندعو إلى قول (لا إله إلا الله والعمل بها) . . فإذا امتن الناس من ذلك دعوناهم وقاتلناهم وإذا قالوها عن صدق وإيمان صاروا إخواننا ، لهم ما لنا وعليهم ما علينا .

وهكذا تربية رسول الله لين في غير ضعف وشدة في غير عنف ، وقسوة وقت القسوة .

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما

فليقس أحيانا على من يرحم

وأما منزلة أسامة لدى رسول الله فإنها قريبة وذات قدر ومكانة . . فعن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمهم شأن المرأة التي سرقت ، فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ؟ فقالوا : ومن يجترىء عليه إلا أسامة بن زيد حيث رسول الله فكلمه أسامة فقال رسول الله ﷺ : يا أسامة لم تشفع في حد من حدود الله ، ثم قام النبي ﷺ فخطب فقال : **إنما أهلك من كان قبلكم أنهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها .**

وهذه تربية قاسية لأسامة فقد ظن بطبيعة البشرية أن قربه من قبل رسول الله سيمكنه من التشفع لهذه المرأة . ولكن رسول الله لا تأخذه في الحق لومة لائم حتى لو كان على أحب الناس إليه وأقربهم منه ابنته فاطمة .

ولكن هذه القسوة والإرشاد اللذين يعامل بهما رسول الله ﷺ أسامة لم ينزعا الثقة عنه بل هو تربية وتعويد على الحق . . فقد بقيت هذه الثقة حتى بعد وفاته ﷺ حيث عقد له لواء لغزو الروم . . وخرج أسامة بجيشه خارج المدينة وبقي للتجهيز والاستعداد وتلاحق بقية الجند . . وفي هذه الأثناء بلغهم نعي رسول الله فبقي إلى أن بويع لخليفة رسول الله أبو بكر . . فكلم في بعث أسامة . . وفيه شيوخ الصحابة سناً وعلماً ، وحنكة وقيادة . . فقال : والله لا أحل لواء عقده رسول الله . . وسير أسامة وفي الجيش صناديد الصحابة يطيعون هذا الشاب ويأتمرون بأمره ويجلونه . . وسار الجيش وانتصر وعاد للمدينة . ويؤكد أن رسول الله يعرف استعداد أسامة وصلاحيته للقيادة .

ولعل رسول الله قصد من ذلك تعليم أمته السمع والطاعة لولاة أمورهم وعدم مخالفتهم ولو كان في المرؤوسين من هم خير منهم وأكثر علماً ومعرفة . .



حتى ولو كان الوالي مولى وكان الرعية سادة .. وكلما كان التعليم عملاً كان أوقع وأكثر ثباتاً .

زيد بن ثابت الانصاري بدت عليه علامات الذكاء والنبوغ منذ حداثة سنه .. وقد كان من حسن حظه أن صحب (**مصعب بن عمير**) الذي بعثه رسول الله ﷺ قبيل الهجرة ليعلم أهل المدينة القرآن ، وأصول الدين . وكان زيد من بينهم وعمره ست سنين واكتشف مصعب ذكاء في هذا الغلام وقوة حافظة .

ولما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة كان زيد من أول من عرفهم رسول الله من شباب أهل المدينة فقد روي عنه أنه قال : (أتي بي إلى النبي ﷺ عند مقدمه المدينة فقيل له : هذا فتى من **بني النجار** وقد قرأ سبع عشرة سورة فقرأت عليه فأعجبه ذلك ، فقال : تعلم **كتاب يهود** ، فإني ما آمنهم على كتابي ، ففعلت فما مضى لي نصف شهر حتى حذقته فكنت أكتب له إليهم . وإذا كتبوا إليه قرأت له ..) .

اكتشف رسول الله ﷺ بفكره النير استعداد زيد للحفظ والإدراك فوكل إليه هذه المهمة الصعبة ، التي يحتاجها رسول الله ويكتفي بها شر أعدائه وكانت فرصة نادرة لزيد إذ مكنته من القرب من رسول الله فكان دائماً عنده يكتب له **بالعبرانية ، وباللغة العربية** .

ويتأدب منه بما يسمع ويرى حتى بلغ النهاية في العلم والفقه ، وخاصة في **الفرائض والحساب** حتى قال عنه رسول الله ﷺ (**أفرضكم زيد**) . وكان **من كتاب الوحي ، ومن المفتين** ، وكان يعظمه الصحابة فقد **حدث أن زيداً ذهب ليركب فقام ابن عباس وأمسك بالركاب فقال له : تنح يا ابن عم رسول الله فقال له : لا . هكذا نفعل بالعلماء والكبار .**

وفي عهد أبي بكر رضي الله عنه عهد إليه بجمع القرآن وقال له : (إنك شاب عاقل لا نتهمك) . **وكان عمر يستخلفه على المدينة إذا غاب .**

بهذه التربية النبوية بلغ زيد ما بلغ ولا غرو في ذلك فإن ذلك المجتمع كان كما ترون ، تسابق إلى الفضل ، وحرص على العلم في تعاون واحترام متبادل ، وعرفان بالجميل ولنا فيهم القدوة والسير على طريقتهم حتى يكون مجتمعنا مثالياً .

أيها الشباب إن هؤلاء الشباب ، آمنوا عن صدق واقناع فأخلصوا لعقيدتهم ، وتحملوا في سبيلها كل أذى وعنت . فقد هجروا أهلهم وأولادهم ، ومرابع صباهم ، والمواضع التي درجوا عليها وألفوا ترابها . تحملوا الجوع ، والضنك ، والحصار ، حتى باتوا يأكلون ورق الشجر . وبوسع أي واحد منهم أن يسير بضع خطوات ليتمتع بالأكل اللذيذ ، والشراب البارد ، والراحة الهادئة . ولكن آثروا البقاء مع محمد .. وضحوا بكل غال ونفيس في سبيل عقيدتهم وصبروا ولم يتحول أحد منهم عن هذا الدين الذي جاء به محمد رغم التعذيب والتنكيل . إلى أن أذن الله لهم بالخروج فخرجوا إلى بلاد غير بلادهم وأناس لم يألفوا طباعهم ولا أشكالهم ، ولا يعرفون لغتهم فعاشوا معهم .. وبقوا بعيدين عن أهلهم وبلادهم يلتذون لهذا التعب ، ويتقربون إلى الله بما يلاقون من جهد وعناء . ولما أذن الله لنبيه أن يترك مهبط الوحي إلى مكان مهاجره .. ليخرج هذا الدين عن الحدود الضيقة تنفس المسلمون الصعداء . وأخذوا يتفقهون في دينهم ويدعون له في كل مكان . يجاهدون ، ويقاتلون إن لزم القتال ، ويسافرون ويركبون البحر ويتسلقون الحواجز حتى انتشر الإسلام ولم يبق داخل حدود معينة بل صار دين البشرية كلها وكل ذلك بفضل الله وإرادته ثم بجهاد وتصميم رسول الله وأولئك النفر معه من أصحابه ومع ذلك فقد كانوا في غاية من الأدب والاحترام لرسول الله ، وفي قمة المعاملة الحسنة لبعضهم حتى بنوا مجتمعاً مثالياً يؤثر فيه الرجل أخاه المسلم على نفسه

ويقدمه على أهله وأولاده .. ويعرض عليه أن ينزل له عن نصف ماله وأحد زوجاته ويصف الله عز وجل هذه المعاني الكريمة بقوله : **﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون . والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾**[٤] .

ويصف حياتهم الإجتماعية بقوله تعالى :

﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً . سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً ﴾[٥] .

واليوم .. إن شبابنا ولله الحمد ، لا ينقصهم الفهم ، ولا ينقصهم الذكاء ، ولا الاستعداد للتحصيل والادراك .. فكل الوسائل مبذولة وميسرة ، ولا عذر لأحد في العمل والاجتهاد وإدراك المطلوب بل لا نكون مبالغين إذا قلنا إنه توافر في هذا الزمن من وسائل العلم والاطلاع ما لم يكن ممكنا قبل . فالمكتبات ملأت الدنيا ، ووسائل الإعلام موجودة ، والمدارس والمعاهد والجامعات في متناول كل فرد .

إذن ما الذي ينقص شبابنا . إن الذي ينقصهم هو الثقة ! الثقة بأنفسهم أولا وأنهم رجال مثل أولئك الرجال .

وثانيا الثقة في مبدئهم وأمتهم .. عند ذلك يستطيعون أن يعيدوا عصر أولئك الشباب . وإن من أعجب الأمور أن يكون لدى الإنسان كنزاً لا يدركه هو ، ولا يعرف قيمته . إن لدى شبابنا هذا الدين القيم الذي يبحث عنه العالم أجمع . إن قادة العلم اليوم ومفكريهم قد اقتنعوا بأن الدين الإسلامي الذي جاء به محمد هو المنقذ الوحيد لهم من هذه المبادىء الهدامة والمدنية الزائفة والحيرة المتأصلة فلقد قال (**برناردشو**) الفيلسوف الإنكليزي : (**إن العالم بحاجة إلى رجل مثل محمد يحل مشاكله وهو يحتسي فنجاناً من القهوة . نعم إن محمداً جاء هادياً للبشرية ومنقذاً لها من ورطتها ومنادياً إلى الحق ومخرجها من الظلمات إلى النور**) .

وقال (**بورت سمث**) : إنه سيأتي اليوم الذي يعترف فيه كبار القوم وزعماء النصرانية العتيقة بأن محمداً نبي هذا البشر وأن ما جاء به حق .

هؤلاء هم زعماء العالم من غير المسلمين وفلاسفته يثبتون بأن الدين الإسلامي هو أملهم الوحيد ولا غرو في ذلك فالدين الإسلامي هو الذي نزل من رب البشر الذي يعلم طباع البشر ونوازعهم وأهواءهم ورغباتهم ويعلم الزمن وما يلد من جديد . إنه مبدأ ثابت لا يتغير ولا يهتز ولا تؤثر على نظامه العوامل ولا الرغبات ولا القوات ولا كثرة الأنصار ، فهو صالح لكل البشرية يضمن المصالح ويرضي جميع الطبقات ويشبع كل الرغبات .

إذن فشبابنا مدعوون لنشر الدين الإسلامي وإبلاغه للعالم كل بحسبه وعلى قدر طاقته بالطريقة التي يفهمها العالم ، وسوف يتقبله العالم بإيمان واقتناع .. وهذه مهمة تتحملها عقول الشباب وأجسامهم وليس لهم من عذر .. ما دام معهم الدواء والعالم كله يطلب العلاج ونحن على ثقة تامة بأن شبابنا سيحملون الرسالة ويؤدون الأمانة وما ذلك على الله بعزيز .

* (محاضرة أُلقيت في « المركز الصيفي للشباب » في الطائف عام ١٣٨٩هـ)



المراجع

١ ـ كتاب الله .
٢ ـ سنة رسول الله .
٣ ـ ابن كثير .
٤ ـ ابن هشام .
٥ ـ القاموس المحيط .
٦ ـ محاضرات في الدين والتاريخ الاجتماعي ـ عبد الغني الدقر .
٧ ـ شباب قريش في بدء الإسلام ـ عبد المتعال الصعيدي .

الهوامش

١ ـ سيرة ابن هشام ص ١٠ ج ٣ .
٢ ـ الكيول : مؤخرة الصف .
٣ ـ ٢١٤ سورة الشعراء .
٤ ـ ٨ ، ٩ ، ١٠ سورة الحشر .
٥ ـ ٢٩ سورة الفتح .



★يقول اللغوي الانجليزي روبنز Robins في كتابه A Short history of Linguistics «تاريخ قصير لعلم اللغة» من أفلاطون إلى شوتسكي Chonsky ، إنه من المعقول أن يبدأ هذا الكتاب من الزمان الذي أسهم فيه الإغريق في علم اللغة .

وفعلا لقد ظهرت أول دراسات في اللغة وخصوصاً في علمي الأصوات والنحو ، في القرن الخامس قبل الميلاد ، بأعمال من عاشوا قبل سقراط Socrate ، ثم مع سقراط وأرسطو وأفلاطون .

ومن العجيب أن نلاحظ أن الإغريق في القرن الخامس قبل الميلاد كانوا يستعملون النظام الفينيقي في كتاب لغتهم ، وذلك أنهم كانوا يكتبون الحروف فقط ، وكان على القارىء أن يضيف الحركات ليفهم معنى النص . وهذا مثل العربية تماماً . وفيما بعد صار الإغريق يكتبون الحركات أيضاً بادئين بالحركة المناسبة لصوت «a» الذي استعاروه من الأبجدية العبرية .

وفي القرن السادس بعد الميلاد عندما أغلق الإمبراطور جستينان Justinien ، الأكاديمية الأثينية استقبل الإمبراطور كسرى أنو شروان الفلاسفة اليونانيين الذين كانوا قد كفوا عن العمل ★



بقلم المستشرقة: د. أوديت بيتي

وبدأت الثقافة اليونانية تؤثر على الثقافة العربية وخاصة بترجمة المؤلفات اليونانية إلى **اللغة السريانية** ثم ، إلى **العربية** . ففي ميدان **علوم اللغة** ترجم **يوسف الاحوازي** قبل وفاته ، أي قبل ٥٨٠ ميلادية ، الكتاب المسمى Techné للعالم اليوناني Dionysios Thrax .

وهنالك تراجم أخرى عديدة تبرهن على أن العرب تعرفوا على أفكار اليونانيين وعلى فلسفتهم ومناهج تفكيرهم .

لا شك في ذلك الآن ، غير أن هنالك خلافاً في القدر الذي أخذه لغويو العرب ونحاتهم عمن تقدمهم من علماء . . ففيما يخص **ميدان علوم اللغة** ، فإننا نؤيد ونوافق من يقول إن العرب تأثروا في مواضيع جزئية ، أما فيما يتعلق بالنظام الكلي ، فقد فكر العرب بعقليتهم العربية الإسلامية واعتمدوا على أصول لغتهم ليصفوها وليحللوا تراكيبها واعتمدوا على عقيدتهم الإسلامية وليفسروا تطورها ، وذلك إلى حد ما يمكننا من القول بأن علوم اللغة والنحو كانت من بين العلوم الإسلامية الأقل تأثراً من غيرها بالعوامل الخارجية .

إنني لا أريد أن أبين ما الذي ورثته العلوم اللغوية العربية من غيرها ، ولكني سأحاول **أولا** ، أن أوضح المواضيع التي بحث فيها العلماء العرب ، وهي المواضيع نفسها التي صار يهتم بها لغويو القرن العشرين من الغرب وأريد **ثانياً** ، أن أبين أن الأجوبة التي أتى بها العرب تشبه ما يبتكر اليوم من جديد في نفس الميدان .

واخترت لهذا التوضيح عمل عالم عربي شهير في القرن الخامس عشر الميلادي ، هو **عبد الرحمن السيوطي** . يقول الزركلي في قاموسه المسمى «**الأعلام**» ، في تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين : «إن جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي ، قد ولد في القاهرة سنة ٨٤٩ هـ ، وكان من عائلة فارسية الأصل ، وقيل إنه لقب بالسيوطي ، لأن أباه كان قاضي مدينة أسيوط بمصر» .

ويضيف الزركلي قائلاً : «إن السيوطي كان إماماً وبحاثة وحافظاً ومؤرخاً وأديباً» .

ويقول السيوطي عن نفسه في كتابه «حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة» : «إن الله كان قد مكنه على معرفة جيدة في سبعة علوم . . **التفسير والحديث والفقه والنحو والفصاحة والبلاغة**» ، ويضيف قائلاً : «إنه أحسن أيضاً في **أصول الفقه والجادلة وعلم الاشتقاق والانشاء وفن الكتابة وعلم الفرائض والقراءات والطب**» .

وأما الشاعر **شمس الدين القاذري معاصر السيوطي** ، الذي توفى سنة ٩٠٤ هـ ، فقد نظم قصيدة ، حيث يفخر بالسيوطي ذلك الإمام العلامة ، الزاهد المجتهد إلى آخره . . وفعلاً لقد درس السيوطي أكثر العلوم التي كانت قد ازدهرت خلال العصور الذهبية للحضارة الإسلامية .

ولقد نال منذ صباه الباكر ، إجازة تدريس اللغة العربية في أوائل سنة ٨٦٠ هـ ، من الشيخ **شهاب الدين الشرمشاجي** . . ثم رحل في طلب العلم إلى الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب ، حتى إفريقيا .

ولما بلغ الأربعين من عمره اعتزل الناس ، وخلا إلى نفسه في **روضة المقياس على النيل** ، منزوياً عن أصحابه جميعاً وألف أكثر كتبه ـ ويقال إن الأغنياء والأمراء ، كانوا يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردها .

ويروى أن **السلطان الجوري** ، بعث إليه ذات يوم عبداً وألف دينار فقبل مؤلفنا العبد ليحرره ، وقال لرسول السلطان لا تأت إلينا أبداً بهدية إذ أن الله هدانا بالكفاية .

وللسيوطي نحو ٥٠٠ مصنف ، منها الكتاب الكبير ، والرسالة الصغيرة في جميع علوم زمانه ، بل في التفسير الدر المنثور في التفسير المأثور (في ستة أجزاء) ، وكتاب في أنساب العرب وتاريخ الخلفاء . . وكتب عديدة في الحديث ، وفي طبقات المفسرين ـ والحفاظ واللغويين والنحاة ومؤلفات في النحو واللغة منها «**المزهر في علوم اللغة وأنواعها**» **الذي سأتحدث عنه الآن** .

ولقد اخترت أن أحلل هذا الكتاب ، لأنه يجمع عدداً لا يحصى من منتخبات استخرجها مؤلفنا ممن تقدموه في لغة العرب ونحوها وتاريخها .

نجد في المزهر نصوصاً طويلة أو قصيرة جمعها السيوطي حول المجادلات عن المسائل في اللغة التي ناقشها العلماء خلال العصور التي ازدهرت فيها الحضارة الإسلامية .

ومنهج السيوطي يقوم على تقديم آراء اللغويين وأهل الأصول والنحويين المختلفة ، وقليلاً ما يختم عرض المسألة ببسط رأيه فيها قائلاً وقلت . . كذا وكذا . . وهكذا يظهر المزهر كمجموعة من النصوص انتخبها مؤلفنا من كتب العلماء المتقدمين ، وذلك نوع معروف من مصنفات العصور التي أطلق عليها **عصور الانحطاط** .

غير أن ما يفرق «المزهر» من المجموعات العديدة الأخرى هو أن السيوطي لم يعتمد على ذاكرته ليقدم كل ما كتب حول موضوع ما ، بل انتخب أمثلته وبسطها بشكل يوضح مسألة ذات أهمية عظيمة في المجال الذي يبحث فيه ولعل من الأفضل أن نستمع إليه حينما يفسر غرضه .

يقول السيوطي في مقدمة المزهر عن علم اللغة : «هذا علم شريف ابتكرت ترتيبه واخترعت تنويعه وتبويبه ، وقد كان كثير ممن تقدم يلم بأشياء من ذلك . . غير أن هذا المجموع لم يسبقني إليه سابق ولا طرق مسلكه قبلي طارق» .

هذا في رأينا صحيح ويمكننا أن نضيف عليه أنه قد سلك طريقاً لم يسلك فيه أحد حي بعده ، إذ إن **السيوطي يمثل كما يقال الاشعاع الأخير للعصور الذهبية** ، وكان من نتيجة ذلك أن صار العلماء بعد خمسة قرون ، لا يفهمونه ولا يبلغون مقاصده ، بل لقد وجهوا إليه نقداً لا مبرر له .

فإذا ألقينا نظرة على **فهرس** كتاب «المزهر» ، نجد أن هناك خمسين نوعاً قد جمعهم المؤلف حول ثمانية مواضيع كلها راجعة إلى اللغة .

فالموضوع الأول راجع إلى **اللغة من حيث الاسناد** ، والثاني من حيث **الألفاظ**، والثالث من حيث **المعنى** ، وفي الموضوع الرابع يعرض فيه السيوطي **لطائف اللغة وملحها** ، والموضوع الخامس في **حفظ اللغة وضبط مفاريدها** ، والموضوع السادس **في رجال اللغة ورواتها** ، والموضوع السابع **في الشعراء** .

وفي الموضوع الأخير يعرفنا السيوطي على **أغلاط العرب** ، ثم يختم المؤلف كتابه بذكر **ملح ومقطعات من كلام فصحاء العرب ونسائهم**

وصغارهم وأمائهم .

وقد يجوز لنا أن نعتبر هذا المصنف ، دائرة معارف في مجال اللغة بسبب تعدد المواضيع التي اهتم المؤلف بها والدقة والجزالة اللتين نظم بهما كل باب .

وفي المجلد الثاني مثلاً ، يذكر السيوطي **أبنية الأفعال** ، أي ما جاء على وزن فُعَالّة وفُعْنَلَى وفاعول وأفعول وفعول أخير . . ثم يذكر الألفاظ التي جاءت على أبنية عديدة ومعان مختلفة ، ومنها الألفاظ التي تقال مثلاً للمجهول ، فيقول **ابن السكيت** في كتابه « المثنَّى » يقال للرجل الذي لا يعرف هيُّ بنُ بيّ . . هيَّانُ بنُ بيّان وهلمعةُ بن قلمعة .

ويقال للرجل الذي لا يدري من أين هو : طامِرُ بن طامر . انتهى كلام ابن السكيت .

وفي الألفاظ التي لا تستعمل إلا في النفي يقول السيوطي : « مثل هذا أن يقال ما بالدار كتيعٌ ولا بها عريبٌ ولا نافخُ نار ، وما بها وابرٌ وما بها شفرٌ » .

هذه الأمثلة شهادة على سعة المجال الذي اهتم به مؤلفنا ودقة بحثه والفوائد العديدة المختلفة ، التي يمكن أن يستفيد منها القارىء والباحث في مثل هذا النوع من المصنفات ، منها ما يرجع إلى **أبنية الكلم وتراكيب الجمل** ، ومنها أيضاً ما يرجع إلى معرفة **نظم العرب الأقدمين وثقافتهم** اللتين يمكننا أن نستخلصها من خلال كلامهم . ولنا أن نستنتج من هذا المثال الذي استشهدت به فيما يقال للمجهول ، مقدار أهمية النسب عند العرب الأوائل وقوة النظام العائلي والقبائلي داخل النظم الأخرى .

ولكن رغم أنني على ثقة من أنه لا بد لقارىء « المزهر » من أن يجني فوائد عديدة من مؤلف السيوطي هذا ، فإنني قد وجدت ضالتي في النوع الأول من هذا الكتاب ، وأريد الآن أن أقدم ثمرة بحثي .

لقد سمى السيوطي النوع الأول من المزهر : « في معرفة الصحيح ويقال له الثابت المحفوظ » . أي وفق الطريقة التي عمل بها علماء الحديث النبوي .

ويقدم السيوطي في هذا النوع ست عشرة مسألة حول اللغة ، يمكننا أن نلخصها على النحو التالي :

- المسألة الأولى ، في حد اللغة وتصريفها .
- المسألة الثانية ، في بيان واضع اللغة وهل هي توقيف ووحي أو اصطلاح وتواطؤ .
- المسألة الثالثة ، في بيان الحكمة الداعية إلى وضع اللغة .
- المسألة الرابعة ، في حد الوضع وشروطه .
- وفي المسألة الخامسة ، يناقش السيوطي السؤال التالي :

هل وضع الواضع المفردات والمركبات الاسنادية أو المفردات خاصة دون المركبات الاسنادية ؟

- المسألة السادسة ، في اللفظ والمعنى والمدلول .
- المسألة السابعة ، في هل الغرض من الوضع إفادة المعاني المفردة أو إفادة المركبات .
- وفي المسألة الثامنة ، يوضح الفرق بين مركبات اللغة والتراكيب .
- المسألة التاسعة ، يتحدث عن الكلي والمشخص .
- المسألة العاشرة ، هل هنالك مناسبة بين اللفظ ومدلوله ؟
- الحادية عشرة ، هل توضع اللغة كلها في وقت واحد ؟
- الثانية عشرة ، الطريق إلى معرفة اللغة .
- الثالثة عشرة ، هل تثبت اللغة بالقياس ؟
- الرابعة عشرة ، في سعة اللغة وهل يجوز أن يحاط بها ؟
- الخامسة عشرة ، في عدة أبنية الكلام .
- السادسة عشرة ، في أول من صنف في جمع اللغة ، أي **خليل بن أحمد** وكتابه المسمى « **بالعين** » .

ويمكننا أن نجمع تلك المسائل الستة عشرة بثلاثة مواضيع تتبع مسألة حد اللغة التي يأخذها السيوطي كمقدمة تلك الموضوعات الثلاثة ، فيرجع الموضوع الأول إلى **أصل اللغة** ، والموضوع الثاني ، إلى **نظام اللغة** ، ويرجع الثالث إلى **سعة اللغة وأول من صنف في جمعها .**

ففيما اتخذه كمقدمة لتلك الموضوعات الثلاثة ، وهو حد اللغة وتصريفها يعتمد السيوطي على **كتاب الخصائص لابن جني** الذي قال : « اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضه » .

وإذا ما قارنا هذا الحد بما قاله أول عالم غربي مشهور في علم اللغة في القرن العشرين ، وهو **ف . دوسوسور** ، فإننا سنعجب من تشابه هذين التعريفين أو الحدين إذ أن دوسوسور في كتابه المشهور المسمى بـ Cours de linguistique générale دروس في علم اللغة العام يقول :

une langue est un systéme de signes distincts correspondant à des idées distinctes.



أي « اللغة نظام من السمات المعينة تناسب معان معينة » ، وسنجد بعد تحليلنا للموضوع الثاني ، الذي أشرت إليه أن وصف السيوطي لما يسميه بـ « **الوضع** » قريب جداً مما يسميه سوسور ، ومن جاء بعده من علماء اللغة بنظام le système .

وأما فيما يتعلق بتصريف كلمة لغة ، فكان من الطبيعي أن يرجع السيوطي هذا التصريف إلى أصل عربي لا إلى أصل إغريقي ، كما فعل بعض اللغويين

الذين اشتقوا كلمة لغة من الكلمة الإغريقية Logos ، التي تعبر عن معان مختلفة منها اللغة .

أما السيوطي فيرجع إلى ابن جني الذي قال عن اللغة :

« وأما تعريفها فهي فُعلة من لَغَوْتُ أي تكلمت وأصلها لَغْوٌ ككرة وقُلّة وثبة كلها لاماتها واوات .

وكذلك اللغو قال تعالى ﴿ **وإذا مروا باللغو مروا كراماً** ﴾ ، أي بالباطل .

وفي الحديث من قال في الجمعة صه ، فقد لغا أي تكلم » انتهى كلام ابن جني .

ومهما يكن من أمر تعريف لغة للبحث الآن ، عما قيل في أصل اللغة ونظامها فهذين الموضوعين أعتبرهما ذوي أهمية كبيرة لمن يهتم بعلم اللغة عند العرب .

ففي الموضوع الأول ، **يبحث السيوطي عن أصل اللغة : هل هي توقيف من عند الله تعالى ، ووحي ، أم هي اصطلاح وتواطؤ؟** وفي هذه المسألة يعرض السيوطي وجهين ينهج في كل واحد منها المنهاج نفسه . فهو يأتي بحجج من يقولون في التوقيف ، ثم يأتي بحجج المعارضين قائلاً : قيل هذا وهذا .. الخ ، ثم يأتي بالرد على المعارضين لوجه التوقيف .

ثم بعد أن ينتهي من هذا الوجه يفعل مثل ما فعل فيما يخص الاصطلاح ويأتي أخيراً بنصوص تفصل في الأمر .

وينطلق في محاججته اعتماداً على النصوص وخاصة على ثلاثة آيات قرآنية .

- بالأولى : ﴿ **وعلم آدم الأسماء كلها** ﴾ .
- والثانية : ﴿ **إن هي إلا أسماء سميتموها** ﴾ .
- والثالثة : ﴿ **ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم** ﴾ .

ثم يتبع السيوطي تلك الآيات بحجة عقلية فيقول :

« لو كانت اللغات اصطلاحية لاحتيج في التخاطب بوضعها إلى اصطلاح آخر من لغة أو كتابة يعود إليه الكلام ويلزم ، أما الدور أو التسلسل في الأوضاع وهو محال ، فلا بد من الانتهاء إلى التوقيف » .

وكما قلنا سابقاً يجادل مؤلفنا تلك الحجج آتياً بالاعتراضات والرد عليها .

وبعد أن تجادل في وجه التوقيف ، يتجه إلى وجه الاصطلاح وإلى ابن جني الذي يقول في الخصائص : « كأنهم جاءوا إلى واحد من بني آدم فأومأوا إليه وقالوا « إنسان » ، فأي وقت سمع هذا اللفظ علم أن المراد به هذا الضرب من المخلوق ، وإذا أرادوا سمة عينه ، أو يده أشاروا إلى ذلك فقالوا : يدٌ ، عينٌ ، رأسٌ ، قدمٌ ، أو نحو ذلك . فمتى سمعت اللفظة من هذا عرف معناها وهلم جرا » .

ولأستدعي انتباهكم إلى ما يتضمن هذا الوصف من تشابه بما هو الأمر في الطرق الصوتية البصرية التي نستعملها الآن في تعليم اللغات الأجنبية والتي تنطبق تماماً على ما قاله السيوطي في نفس الميدان في القرن السادس عشر .

وفيما يتعلق بأصل اللغة بعدما يقدم السيوطي آراء العلماء من أهل السنّة ، ومن علماء الكلام والمحققين ، يؤكد لنا أنه من القائلين إن اللغة توقيف ويضيف أن كلاً من الوجهين جائز ، إذ إن هذا النوع من السؤال لا يستدرك بالعقل ولا دليل له في السمع ، وذلك لا يعني أن اللغة جاءت جملة واحدة ، إذ إنه كما قال **أحمد بن فارس** في فقه اللغة : « ولعل ظاناً يظن أن اللغة التي دللنا على أنها توقيف ، إنما جاءت جملة واحدة في زمان واحد وليس الأمر كذلك ، بل وقف الله (عز وجل) آدم عليه السلام على ما شاء أن يعلمه إياه مما احتاج إلى علمه في زمانه وانتشر من ذلك ما شاء الله ، ثم علم بعد آدم من عرب الأنبياء (صلوات الله عليهم) ، نبياً نبياً ما شاء الله أن يعلمه ، حتى انتهى الأمر إلى نبينا **محمد** ﷺ ، فأتاه الله تعالى ، من ذلك ما لم يؤته أحداً قبله تماماً على ما أحسنه من اللغة المتقدمة » .

أما فيما يخص الوضع فنبدأ بالعلاقات بين الألفاظ والمعاني . ويذكر السيوطي إن كان الأصل أن يكون بإزاء كل معنى عبارة تدل عليه ، غير أنه لا يمكن ذلك لأن الكلمات متناهية إذ أن مواردها ومصادرها متناهية فدعت الحاجة إلى وضع الأسماء المشتركة .

فالوضع الذي نراه في مجال الأسماء يفصل بين الألفاظ المتناهية والمعاني اللامتناهية بفضل الاشتراك ، نجده أيضاً في إطار أوسع إذ إن في ميدان الكلام الذي أفادته الأخبار نجد الوضع يبين الكلام المفيد وشروطه الثلاثة . الأول ، ألا يبتدأ الكلام بما يخالفه . والثاني ، ألا يختم بما يخالفه . والثالث ، أن يكون الكلام صادراً عن قصد .

وأخيراً نجد أيضاً ، الوضع في ميدان المركبات إذ إن السيوطي يفصل بين كلمة مركبات وتراكيب .

فالوضع الذي يصفه السيوطي بدقة والذي يخص بالعلاقات التي تولد الأسماء ثم الكلام ، وأخيراً تراكيب المركبات هذا الوضع أنشأ شيئاً فشيئاً علماً له نظام خاص وقواعد خاصة علماً تحولت فيه الأبنية إلى ألفاظ ، والمعاني إلى مدلولات ، حيث الكلمات هي سمات الماهية الخارجية .

وهذا العلم ليس إلا علم اللغة الذي سيخترعه من جديد علماء اللغة في بداية القرن العشرين في الغرب ، ولا يناقض الاعتقاد ، بأن اللغة توقيف ووحي ، أما نظام اللغة أي وضعها الذي حلله السيوطي فيذكرنا بالدراسات العديدة التي ازدهرت في أوائل قرننا .

ومما يستدعي العجب هو ذلك الضوء الذي يسلطه السيوطي على إسناد التراكيب اللغوية والنسب بين المفردات في الجمل ونعلم أن هذين الموضوعين اللذين يمثلان العلاقات بين الأشياء ، هما اللذان يسيطران على الفكر المعاصر في جميع الميادين ودليل هذا أن أكبر باحث في دراسة نظام الدماغ وهو Pierre L'hérumite ، يقول : إن دماغنا وقت ولادتنا يتضمن عدداً قليلاً جداً من العلاقات العصبية أو ما يسميها les connectios, L'hérumite ، التي يمكن للعالم أن يراها ، إذ أنها ليست صورية بل مادية ، ويضيف أنه بازدياد هذه العلاقات ينمو الطفل الصغير بشكل تصل الملايين من العلاقات الجديدة يومياً إذا وجد الطفل بيئة مشوقة تسهل نشأة العلاقات في دماغه .

فإذا أردنا أن نجد أجوبة للتساؤلات العديدة التي يوجهها إلينا عالمنا الحائر ، فعلينا أن نعود إلى الأقدمين ، هذا ما فعلته ، أنا بالرجوع إلى السيوطي وعلماء العرب الأوائل ، ووجدت في المزهر نفس التساؤلات التي يطرحها علينا عصرنا هذا وبعض الجواب عليها ، إذ أننا ولحسن الحظ ، نجد على مر العصور وفي كل بقاع العالم ، ثوابت تربط كل المتحولات بعضها ببعض .

قصيدة و قصة

وامق غير مائق




خرج **تميمي** في طلب ضالة له في أرض بني عذرة ، فأوى إلى بيت معتزل في كِسْره شاب مغمى عليه ، وعجوز كانت فجراً باسماً عليها بقية من جمال . وكان هذا الفتى كلف ببنت عمه منذ الصغر ، فلما كبرت حجبت عنه وتزوجها غيره .

فنحل جسمه واصفر لونه وذهل عقله !

وأخيراً أغمي عليه .

فصار التميمي ـ بناء على رغبة العجوز ـ يعظه ويقوي معنويته ، فما ترك موعظة من قرآن أو سنَّة أو أثر إلا وعظه بها .

ثم صار يعظه بالشعر فقال له :

إنهن الغواني صاحبات يوسف الناقضات العهد وقد قال فيهن كثير عزة :

هل وصل عزة إلا وصل غانية
في وصل غانية من وصلها خَلفُ

فرفع العذري رأسه ، محمرة عيناه مغضباً ، وهو يقول :

إن كثيراً رجل مائق وأنا رجل وامق .

فعاد التميمي يعظه ويقول له :

قد جاء عن **نبينا** ﷺ ، أنه قال :

من أصيب منكم بمصيبة فليذكر مصابه بي !

فأنشأ العذري يقول :

ألا ما للمليحة لم تعدني
أبخل بالمليحة أم صدودُ
مرضت فعادني أهلي جميعاً
فما لك لا تُرَىْ فيمن يعودُ
فقدتك بينهم فبكيت شوقاً
وفقد الإلف يا أملي شديد
وما استبطأت غيرك فاعلميه
وحولي من ذوي رحمي عديد
ولو كنتِ المريضَ لكنت أسعى
إليك وما يهددني الوعيد

قال الراوي : **إنه شهق شهقة وخفت فمات !**

(ذم الهوى ص ٥٠٤ ـ ٥٠٥) .

ويذكر السراج : **أن الصيحة وقعت في الحي ، فخرجت جارية كأنها فلقة قمر ، تخطت رقاب الناس حتى وقفت عليه وقبلته ، وقالت قصيدة منها :**

فأما إذ حللت ببطن أرض
وقصر الناس كلهم اللحودُ
فلا بقيت ليَ الدنيا فواقاً [1]
ولا هم ولا أثري عديد

ثم شهقت وماتت !

ويقال : إن أبا الجارية دفنها في قبر واحد وقال :
والله لئن كنت لم أجمع بينكما حيين ، لأجمعن بينكما ميتين !

(مصارع العشاق ١/١١١) .

هوامش

(١) فواقاً : ما بين الحلبتين من الوقت .

المرابطون..

تكاد تكون الدولة المرابطية فريدة في تاريخ الإسلام ببلاد العرب ، فقد نشأت نشأة إسلامية صريحة وواضحة وانطلقت في مفهوم الجهاد والرباط وظلت كذلك إلى أن أجهز عليها « **الموحدون** » .

وهي من ثمرات تجاوب الفطرة المغربية مع مدرسة العالم **أبي عمران الفاسي** ، اضطلع بقيامها طالب من نوابغ تلاميذ المدرسة العمرانية وخريج رباطاتها ، انتدبه أستاذه **وجاج** لهذا العمل لما لمسه فيه من حماس وإخلاص وتقوى وصبر وبعد نظر ، فاستجاب لأمر أستاذه في طاعة مخلصة وتحمل أعباء الدعوة الإسلامية **بالصحراء المغربية وإفريقيا الغربية** التي كانت غارقة في الجاهلية والجهل والوثنية والدين المشوه ، فكان **عبد الله بن ياسين** الطالب المسلم الملتزم أول من أسس دولة عظمى موحدة على أساس من صفاء العقيدة وبساطة الدين والإلتزام بالجهاد ، فكان لهذه الدولة أعظم الآثار في المسيرة الإسلامية المتصاعدة في هذا الجانب من العالم الإسلامي .

وكان هذا القائد ذا ميزات قيادة فذة وعندما اطمأن إلى تكوين قيادة متشبثة بالإسلام ومتصورة لمهامها ومستعدة لتحمل أعباء الدعوة الإسلامية قال لإخوانه الذين سماهم بالمرابطين ـ لأنهم كانوا في رباط منقطع يتربّون على الكتاب والسنّة ـ قال لهم : « يا معشر المرابطين إنكم جمع كثير وأنتم وجوه قبائلكم ورؤساء عشائركم ، وقد أصلحكم الله تعالىٰ وهداكم إلى صراطه المستقيم فوجب عليكم أن تشكروا نعمته عليكم وتأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتجاهدوا في سبيل الله حق جهاده » . فقالوا : « أيها الشيخ : مرنا بما شئت تجدنا سامعين مطيعين ولو أمرتنا بقتل آبائنا لفعلنا » . فقال لهم : « أخرجوا على بركة الله وأنذروا قومكم وخوفوهم عقاب الله وأبلغوهم حجته ، فإن تابوا ورجعوا إلى الحق وأقلعوا عما هم عليه فخلوا سبيلهم وإن أبوا من ذلك وتمادوا في غيهم ولجوا في طغيانهم استعنّا بالله عليهم وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين » .

لم يكن الناس إذاك يأبهون بهذه القلة القليلة من المرابطين وما كان التاريخ ليصغي إلى هذه الكلمات القليلة الصارمة لولا أنه رأى هذه الطليعة قد استطاعت أن تكون دولة عظمى تضم تحت لوائها المغرب والأندلس وجزءاً كبيراً من إفريقيا الغربية ، وهكذا شهد هذا الجناح الإسلامي لأول مرة منذ الفتح وحدة حقيقية . وقد مهد **يوسف بن تاشفين** لهذه الوحدة بأعمال حربية جليلة كان أهمها القضاء على **البرغواطيين** واستئصال شأفتهم وهم نحلة باطنية خطيرة ذات أصول يهودية وتكوين مريب !! ومن أهم إنجازات يوسف في ميدان الجهاد إنقاذه الأندلس من الانهيار والسقوط في أيدي النصارى الذين كانوا يسارعون في ابتلاع حصونها وقلاعها ومدنها وقراها مما كان ينذر بنهاية المسلمين بالأندلس في الوقت الذي كان فيه **ملوك الطوائف** منهمكين في الصراع الداخلي والحروب الاستنزافية القائمة بينهم ، ولكل بلاط بطانة السوء تزين للأمير سوء عمله وتشيد بمخازيه وتشجعه على المضي في الطريق الانتحاري التدميري وتتآمر مع العدو على تأريث العداوة بين الأشقاء واستعداء بعضهم على بعض ، وما كانت النذر لتنفع هؤلاء على كثرتها وتتابعها إذ لا تكاد تمر فترة أو لحظة دون أن تفجع الأندلس بمأساة صغيرة أو كبيرة والقوم في لهو وعبث وغفلة وغرور وصمم حتى حلت بهم الغافرة ونزلت بهم أفظع كارثة وذلك بسقوط أعظم قاعدة إسلامية وهي مدينة **طليطلة** سنة ٤٧٨ هـ ، وبسقوطها أصبحت الأندلس مع ضعف المقاومة وتخاذل الرؤساء واختلال أمور المسلمين واختلافهم على أمرائهم الذين لم يكونوا يحسون بالأخطار الحقيقية إلا بعد فوات الأوان . لكن الله قيض للأندلس دولة المرابطين التي سارعت إلى استجابة نداء الأندلسيين واستصراخهم فكان الانتصار المرابطي الساحق على النصارى في **معركة الزلاقة** سنة ٤٧٩ هـ ، وعاد يوسف وجيشه إلى المغرب تاركاً بالأندلس قوة تعزز الجيوش الأندلسية التي لم تكن تأمن غدر النصارى وهجومهم ، غير أن حكام الأندلس نسوا أمسهم القريب وتعاموا عن واقعهم الماثل فعادوا إلى ما كانوا فيه من



دولة البطولات

بقلم : د. عبدالسلام الهراس

اللهو والعبث والتطاحن الداخلي والعسف والحيف حتى ضاق الناس ذرعاً بهم فاضطر العلماء لمواجهتهم بما يجب فأفتوا بوجوب خلعهم وإنهاء حكمهم وإسناد الأمر إلى يوسف بن تاشفين ، فقام المرابطون بتوحيد المغرب والأندلس تحت راية واحدة ، وساسوا الناس بالعدل وامتشقوا دونهم الحسام ، ورابط كبار قوادهم في الثغور الصعبة واستشهد معظمهم وهم يدافعون عن الإسلام والمسلمين ، ورغم اتساع إمارة المرابطين وعظمة دولتهم وتنوع أراضيها وتعدد شعوبها فإنهم لم يشعروا بغرور أو زهو ، لذلك لم نر أحداً منهم يدعي الخلافة ، بل جروا على لقب **«أمير المسلمين»** الذي تلقب به يوسف بن تاشفين معترفين بالخلافة العباسية وبإمارة المؤمنين لمعاصريهم منها رغم ضعفهم وهزال خلافتهم .

وفي أيام المرابطين شهد المغرب العربي والأندلس نهضة علمية وثقافية كبرى ؛ ففي ظل هذه الدولة ظهرت **المؤلفات الأدبية** التي خلدت آداب الأندلس كالذخيرة **لابن بسام** وقلائد العقيان **للفتح بن خاقان** والمسهب في غرائب المغرب **للحجاري** ، وهو أصل كتاب المغرب **لابن سعيد** ، وفي ظل هذه الدولة برز نجم شاعر الطبيعة الأكبر **ابن خفاجة** ، وازدهر **فن التوشيح** فظهر كبار الوشاحين ، كما ازدهر فن الزجل وظهر شاعره العظيم **ابن قزمان** ، وازدهر النثر الديواني والفني ودونت رسائل لكبار البلغاء **كابن أبي الخصال** .

وهذا العصر كان **عصر الدواوين الشعرية والتآليف الفقهية والحديثية والنحوية واللغوية والطبية والكلامية والتاريخية والفلسفية** ، وفي هذا العصر ازدهرت **المدارس العلمية** في كل من الأندلس والمغرب العربي . ويكفي أن يكون هذا العصر هو عصر الحفاظ الكبار من مثل **أبي علي الصدفي وأبي بكر بن العربي والقاضي عياض** وأمثالهم من القمم ، وأن يكون فيها **ابن طفيل وابن زهر وابن باجه .**

وفي هذا العصر شهد الغرب الإسلامي دولة تحترم العلماء وتكرم الإنسان وتترفع عن إيذاء الخصوم حتى ولو كانوا من ألدهم . لذلك استحقوا من المؤرخين والشعراء كل ثناء يقول **أبو الحسن ابن الجد** مادحاً يوسف بن تاشفين وواصفاً أحوال الطوائف :

في كل يوم غريب فيه معتبر ... نلقاه أو يتلقانا به خبر
أرى الملوك أصابتهم بأندلس ... دوائر السوء لا تبقي ولا تذر
قد كنت أنظرها والشمس طالعة ... لو صح للقوم في أمثالها النظر
ناموا وأسرى لهم تحت الدجى قدر ... هوى بأنجمهم خسفاً وما شعروا
وكيف يشعر من في كفه قدح ... يحدو به ملهياه الناي والوتر
صحت مسامعه في غير نغمته ... مما تمر به الآيات والسور
تلقاه كالفحل معبوداً بمجلسه ... له خوار ولكن حشوه خور
من حوله كل مغتر وما علموا ... أن الذي زخرفت دنياهم غرر

فقل لمن نــام أصـبحت ، انتبــه فلقـــد
مضى بـك الليــل نجماً وانقضى الســحر
وانـــظر إلى الصـبح سـيفاً في يــديْ ملك
في الله مـــن جنــده التــأييدُ والـــظفر
يرعى الـــرعايا بـــطرف ســاهر يقــظ
كما رعــاها بـــطرف ســاهر عمـــر

وأخيراً يقول لملوك الطوائف :
أماتكم قبــل مـــوتٍ ســوءُ فعلــكمُ
وكيف بـــالذكر إن لم تحيي الســير

ويقول فيه **أبو بكر بن سدار** راثياً له :
في كل عــام غــزوة مــبرورة
تــردي عــديد الــروم أو تفنيــه
تصــل الجهــاد إلى الجهــاد مــوفقاً
حكم القضــاء بـكل مــا تقضـيه
متــواضعاً لله تــظهر دينــه
في كل مــا تبـديه أو تخفيــه
ولقــد ملــكت بحقــك الــدنيا وكم
ملك الملــوك الأمــر بـــالتمويه

ويلخص **خصائص المرابـطين ومـزاياهم** علي بـن أبي زرع في كتـاب **« الأنيس المطرب »** في هذا النص الذي ينقله عن **ابن جنون** يقول فيه : « كانت لمتونة أهل ديانة ونية صادقة خالصة وصحة مذهب ملكوا الأندلس من بلاد الافرنج إلى البحر الغربي في المحيط ومن مدينة **بجاية** من بلاد العدوة إلى **جبل الذهب** مـن بلاد السودان لم يجر في عملهم طول أيامهم رسم مكس ولا معونة ولا خراج في بادية أو حاضرة وخطب لهم على أزيد من ألفي منبر وكانـت أيـامهم أيـام دعـة ورفاهية ، ورخاء متصل وعافية وأمن ، تناها القمح في أيامهم إلى أن بيع أربعـة أوسق بنصف مثقال والثمار ثمانية أوسق بنصف مثقال والقطاني لا تباع ولا تشترى كان ذلك مصطحباً بطول أيامهم ولم يكن في عمل من بلادهم خراج ولا معونة ولا تقسيط ولا وظيف من الوظائف المخزنية (السلطانية) حاشا الزكاة والعشر . وكثرت الخيرات في دولتهم وعمرت البلاد ووقعت الغبطة ولم يكن في أيامهم نفاق ولا قطاع ولا من يقوم عليهم وأحبهم الناس إلى أن خرج عليهم مهدي الموحدين في سـنة ٥١٥ هـ .

وقد أقاموا حكم الله وأسقطوا ما دون ذلك من الأحكام الجاهلية والقبلية وردوا أحكام البلاد إلى القضاء وكانوا يحبون العلماء والفقهاء والصلحاء مما أثـار غيـظ الشعراء المرتزقة الذين تعودوا حياة البذخ والعطاء السفيه والليـالي الماجنـة أيـام الطوائف .

لكن مع ذلك فهذه الدولة قد غمط حقها في التـاريخ ؛ إذ حـاول خصـومها وأعداؤها تشويه سمعتها والنيل منها ، وفي طليعة هؤلاء الدولة الموحدية التي قـامت على أساس **المهدوية** وما يرتبط بها من إمامة وعصمة وطقوس غريبة عن المغرب ثم أنصار ملوك الطوائف من الشعراء والكتاب الذين كانوا ينتفعون من حياة السـقوط والفساد والتعفن التي كانت هذه الأنظمة غارقة فيها وأخيراً نجد **الصليبية** تشتد على المرابطين وتحمل عليهم حملات مسعورة .

أما الموحدون فقد اتهموا المرابطين في عقيدتهم ورموهم بنقـائص خـطيرة جلها مختلق وباطل ووصفوهم بالمجسمة لكونهم لم يكونوا أشاعرة !!

وقد حاول الموحدون طمس معالم التاريخ المرابطي كما شجعوا على النيـل منهـم فنجد مثل **ابن الأبار القضاعي الحافظ** يروج تهمـة التجسيم ويلمـز المرابـطين بمؤرثي الفتن (الحلة السيراء ١٩٥/٢) والعجيب أن **رسالة الشقندي** الـتي تعتبر « إنجيل » إدانة المرابطين وأقوى « صك » باتهامهم والسخرية بهم بالنسبة للمستشرقين من الذين ظلموا وأزواجهم وأشياعهم قد اهتمت بها الدوائر الموحدية واحتفظت بها المصادر إلى اليوم في حين أقبرت رسالة **ابن المعلم الطنجي** الـتي تـرد على رسـالة الشقندي وتشيد بالمغرب ولعلها دافعت عن يوسف بن تـاشفين وأعلت مـن شـأن المرابطين .

أما الشعراء الأندلسيون الذين هجوا المرابطين أو عرضوا بهـم **كابـن اللبـانة واليكي والأبيض** فإنهم كانوا مرتزقة مرفوضين من طرف دولة مجاهدة جـادة لا تستخدم في إدارتها سوى الأكفاء علماً وخلقاً ولم يكن مـن شـيم المرابـطين تشـجيع الارتزاق والتملق والـتزلف وإن لم يقصروا في الأغـداق على بعض الشـعراء والأدبـاء والكتاب الجادين ، والحقيقة التي يتعامى عنها الحاقدون على المرابطين هـي أن الأدب الأندلسي ترك لنا إنتاجاً هاماً يصور لنا عظمة هذه الدولة ومكانتها الكبيرة في تـاريخنا وإن كان قد أصاب معظم ذلك الإنتاج الضياع والاهمال في حين لا نعثر إلا على نزر يسير يطعن في المرابطين بطريقة تجعل القارىء يدرك الدوافع الحقيقيـة لهـذا الـطعن ويحكم على أصحابه بالتحيز والهوى .

وجد المستشرقون مثل **دوزي** ومن لف لفه فرصة ثمينة في هذا النزر اليسير مـن « الهجو » للمرابطين لإتخاذه قاعدة للهجوم على الدولة ووصفها بـالبربرية والـوحشية والغلظة ، وليس غريباً أن تتلاشى الموضوعية من « أدمغـة » هـؤلاء وتغيـب عنهـم الأمانة العلمية لحقد دفين وإعصار صليبي عنيف أتيا على كل تفكير علمي وأفسـدا كل خلق أمين لدى هؤلاء فانطلقوا يقدمون للدارسين الـذين يـأتمون بهـم ويثقـون بأفكارهم صوراً مشوهة عن هذه الدولة العظيمة الـتي قـدموها خـلال آرائهـم وشواهدهم المبتورة واستنتاجاتهم الفجة بأنها دولة الظلم والظلام قضت على الحضـارة الأندلسية وقوضت منتدياتها الأدبية ومـراكزها الثقـافية ، وفي أيـامهم كسـفت شمس الشعر من الأندلس ولا سيما في **اشبيلية** وتهاوت كواكب الفن والأدب مـن سمائها فأصبحت لا تهطل إلا بأمواج من الظلام تملأ السـاحات والمسـارح ، وامتـدت يـد الفناء إلى هذه البلاد لتلفها في أكفان الصمت والسكون . . وهكذا لم تعد الأنـدلس حدائق غناء يغرد خلالها العنادليب ولا أم الحسن من فـوق أغصـان أشـجار اللـوز والرمان وبين أشجار الحور والصفصاف على ضفاف الأوديـة الحالمة والمروج الـزاهية والسواقي المتدفقة ؛ فقد أصبحت الدنيا ، دنيا الأندلس خالية إلا من الغـربان الـتي ملأت وحدها الحدائق الذابلة تتناجى فقط مع أصـوات البـوم والصـدى . . آه على أزقة أشبيلية وقرطبة . . إنها تبكي بدموع الأسى لأنـها لم تعـد تشـاهد سـوى الصحراويين الملثمين يجوبونها بثيابهم البدوية ونظراتهم المخيفة . . إنهـم الحلم المزعـج الذي يثقل كابوسه صدر الأندلس ويجثم على خيالاتها . . إلى غير ذلك مما سالت بـه أقلام بعض المستشرقين الذين هالهم أن يروا الأندلس تنهض بعد عثار ، وتقوى بعد ضعف ، وتنجو من هلاك محقق . وقد صعب على هذه العقول أن تسـتسيغ الـواقع الماثل أمامها وأن تقبل وجود دولة قوية في الأندلس تقدر على إقامة كيـانها والحيلـولة دون سقوطها في أيدي النصارى . .

إن كتب بعض المستشرقين مشحونة بـالطعن على المرابـطين حـتى أولئك المستشرقين الذين يتـظاهرون بـالموضوعية ويعـرفون الحقيقـة حق المعرفة لا سيما بعد أن اكتشفت وثائق ومخـطوطات هـامة في هـذا المجال . وهم لا يعدمون الوسائل لاختلاق أسباب لذلك الطعن ، قد يبـدو بعضـها وجيهاً في نظر القارىء الساذج أو الباحث الغر ، ومن هذه الأسباب :

١ ـ خلعهم **للمعتمد بن عباد** وملـوك الـطوائف وضـمهم الأنـدلس للمغرب .

٢ ـ احراق كتاب إحياء علوم الدين للغزالي .

٣ ـ تقديرهم للفقهاء ورجال القانون والتشريع والقضاء والدين .

٤ ـ ابعادهم لبعض الشعراء والكتّاب .

٥ ـ ضعف تذوقهم للآداب .

ولسنا في حاجة إلى بسط القول في تفنيد هذه الأسباب وبيان زيف معظمها وأن البعض الآخر كان من أسباب فخارهم كتوحيدهم بين المغرب والأندلس وتكوين دولة عظمى منها . أما خلعهم للمعتمد فإنهم كانوا في غنى عن تحمل عبء مشاكل هذا القطر الذي لو كان قادراً على درء الأخطار النصرانية لأتم المرابطون رسالتهم العظمى في إفريقيا ولكن إلحاح علماء الأندلس وفتواهم بوجوب خلع ملوك الطوائف الذين لم يستفيدوا من انتصار المرابطين بالزلاقة بل عادوا إلى أسوأ مما كانوا فيه من الخلاف والشقاق واللهو والترف وعرضوا هذا القطر للضياع فكان المرابطون بين أمرين إما أن يتوجهوا بقواهم نحو الأندلس للدفاع عنها استجابة لما يفرضه الإسلام من النصرة والنجدة أو أن يتركوها طعمة سائغة للمماليك النصرانية وذلك مما لا يجبون أن يتحملوا وزره ودولتهم قامت على الجهاد وهم أيضاً قادرون على الدفاع والحرب .

ثم إن المعتمد وغيره عوملوا معاملة لائقة بالنسبة لما قاموا به من عصيان ومقاومة ، وأكثر من ذلك فإن بعض أولاد المعتمد وأنصاره كانوا يثيرون الفتن ويقومون ببعض التمردات . وقد عرف المرابطون بحسن المعاملة لخصومهم ، فقد قابلوا بعض الأدباء الساخطين بالإغضاء عنهم والعفو عن زلاتهم وتركهم احراراً يتنقلون في البلاد طولا وعرضاً مثل موقفهم من **أبي مروان عبد الملك بن أبي الخصال** الذي سلقهم بلسانه في رسالته الشهيرة مع أنه كان يعمل كاتباً معهم فلم يزيدوا على أن عزلوه ، كما أن **علي بن يوسف بن تاشفين** عامل **محمد بن تومرت** معاملة حسنة وامتنع عن سجنه أو قتله حسب إشارة بعض وزرائه .

أما احراقهم لكتاب الغزالي فإن الأمر لا يعدو أن يكون تنفيذاً لحكم أصدره القضاء وفتوى أدلى بها الفقهاء بالأندلس والمشيخة التي أفتت بالاحراق وأصدرت الأمر به مشيخة هامة ذات وزن في ميدان الفقه والدين والجهاد ، ولا نملك نص وثيقة الفتوى أو الحكم حتى نتبين الأسباب أو المسوغات الشرعية التي جعلت هؤلاء العلماء يقدمون على هذا الأمر ؛ ومع ذلك فإنه قد يكون الدافع ما عرف عن الأندلسيين من محاربة التصوف والفلسفة خوفاً على المجتمع الأندلسي من أن يصاب بداء التمزق والطائفية والفرق والشيع مثلما وقع في المشرق ، وكثيراً ما يُنْعِي الأندلسيون على المشارقة هذا التمزق وكثرة الشيع والفرق والحرية الزائدة في المجتمع المشرقي الذي يبيح بروز هذه الطوائف حامدين الله على سلامة الأندلس من هذه الأمراض .

وقد يكون السبب أن في كتاب الأحياء أحاديث لا أصل لها وقد وصف الغزالي بضعف بضاعته في الحديث يقول عنه **الذهبي** في كتابه « **سير أعلام النبلاء** » :[1]

« . . . ولم يكن له علم بالآثار ولا خبرة بالسنن النبوية العاصية على العقل ، وحبب إليه إدمان النظر في كتاب **رسائل إخوان الصفا** ، وهؤلاء عضال وجرب مرد وسم قتال ولولا أن أبا حامد من كبار الأذكياء وخيار المخلصين لتلف فالحذار الحذار من هذه الكتب . . . » .

وقال **أبو بكر الطرشوشي** :[2]

« شحن أبو حامد الأحياء بالكذب على **رسول الله** ﷺ فلا أعلم كتاباً على بسيط الأرض أكثر كذباً منه . . . » .

وقد يضاف إلى ذلك حملته على الفقهاء ووصفهم بأنهم علماء الظاهر وفقهاء الدنيا وزينة الأرض والسلاطين مجرداً إياهم من معرفتهم بعلوم الآخرة .

ومهما يكن من شيء فإن احراق كتاب الإحياء ينبغي أن ينظر إليه في ظروفه المكانية والزمانية ثم إن احراق هذا الكتاب **بأمر** من علماء الأندلس وشيخ الجماعة **ابن حمدين** لا يعني أن الدولة كانت تحارب الفكر فقد كانت الأندلس تعج بالمؤلفات وتزدهر بدراسة الفلسفة والعلوم كما ظهرت آثار ذلك أثناء الحكم المرابطي وأيام حكم الموحذين .

هذا وإن الأندلس عرفت باحراق كتب الفلسفة ومطاردة أصحابها كما وقع **لابن مسرة** وأتباعه ، وقد أحرق **محمد بن أبي عامر** كتب الفلسفة والحكمة التي كانت في خزانة **الحكم بن عبد الرحمن الناصر** تقرباً للعلماء والعامة .

لا يعاب على المرابطين تنفيذهم أمراً صادراً عن هيئة علمية وقضائية عليا فليس من طبيعة هذه الدولة أن تمتنع عن التنفيذ وقد علمنا أنهم لم يكونوا يتدخلون في شؤون القضاء والحسبة إذ كانوا يلتزمون جانب الشريعة في هذا المجال إلى حد بعيد .

أما تقديرهم للفقهاء والعلماء فإن هذا من مفاخرهم واعتزازهم لأنها دولة إسلامية قامت على الجهاد فهي بحاجة إلى أمثال هؤلاء الرجال في مجال التشريع والفتوى والقانون والوعظ والإرشاد وتحريض الناس على القتال وحثهم على التمسك بالدين لمواجهة الأخطار وللمحافظة على وحدة المجتمع وتماسكه وقوته . . وقد كان هؤلاء العلماء على رأس الأمة في ميدان الجهاد والتضحية وقد استشهد الكثير منهم .

ولا يعني هذا أنهم كانوا يبعدون عنهم الكتّاب والشعراء فقد سبق القول إنهم شجعوا على تأليف أهم الكتب الأدبية وتدوين الدواوين الشعرية حتى في ميدان الزجل والموشحات التي اعترف بها المرابطون وتبنوا شعراء هذين الفنين .

ويكفي أن يعترف خصم من خصوم المرابطين بفضلهم على الأدب ، فيقول **عبد الواحد المراكشي** صاحب المعجب :

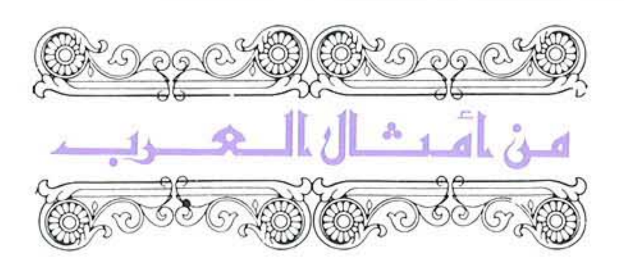
« ولم يزل أمير المسلمين من أول إمارته يستدعي أعيان الكتّاب من جزيرة الأندلس وصرف عنايته إلى ذلك حتى اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك » .

والحقيقة أن الأندلس لم تشهد نهضة فكرية وعلمية شاملة مثلما شهدته في ظل المرابطين على قصر مدة حكمهم وكثرة حروبهم الخارجية والداخلية .

إن دولة المرابطين تعد من أعظم دول الإسلام خلال التاريخ بما أسدت من خدمات جُلّى في ميادين الفكر والفتوحات ونشر الإسلام في إفريقيا وإرساء قواعده في المغرب والدفاع عنه في الأندلس ، ولكنها دولة لم تحظ بعناية البحاث والمؤرخين المسلمين المعاصرين إلا ما كان من بعض الأبحاث اليسيرة والرسائل الجامعية القليلة امتاز بعضها بالجدية والعمق والاستقلال الفكري وسيبقى تاريخنا يشكو النقص والضياع إذا نحن لم ننهض بأبحاث وأعمال عن هذه الدولة وأمثالها التي أدت دوراً هاماً في الحضارة الإسلامية العظيمة .

١ ـ سيرة الغزالي للأستاذ عبد الكريم العثمان ص : ٧ .

٢ ـ المرجع السابق وأنظر هنالك أقوالا أخرى في الموضوع .


من أمثال العرب

(كالحَادِي وَلَيْسَ لَهُ بَعِيرٌ)

الحَدْو سَوْق الإبل من ورائها ، والقَوْد من قـدّامها . . يضرب لمن ينتفـخ بمـا لا يملك ، أو لمن ينتحل ما لا يحسنه .

(أَخْبَرْتُهُ بِعُجَرِي وبُجَرِي)

العُجَر : العروق المتعقدة ، والبُجَر : ما يكون مـن تلك العـروق في البـطن خاصة . . يضرب لمن تخبره بجميع عيوبك ثقة به .

(الحَدِيثُ ذُو شُجُونٍ)

إي ذو طرق . . وشجون جمع شجْن : وهـو الـطريق في الـوادي ، وقيـل في أعلاه . أو جمع شَجَن : وهو الغصن الملتف المشتبك ، والشعبة من كل شيء .
فالحديث ذو شجون . . أي ذو فنون متشعبة تأخذ منه في طرف فلا تلبث حتى تكون في آخر ، ويعرض لك منه ما لم تكن تقصـده ، فهـو كما تقـول العـامة : « الحديث يجر بعضه بعضاً » .

(تحككت العَقْرَبُ بالأفْعَى)

يضرب لمن ينازع من هو أقوى منه وأقدر .

(مَا حَكَّ جِلْدَكَ مثلُ ظِفْرِك)

أي لا يقضي حاجتك مثل نفسك . . يضرب في حث الإنسان على الثقة بنفسه أكثر من ثقته بغيره .

(إمَّا خَبْتٌ وإمَّا بَرَكْتٌ)

الخَبَبُ : ضرب من العدو . . يضرب لمن يفرط مرة في الخير . . ومرة في الشر فيبلغ في الأمرين الغاية .

(أَخْبَطُ مِن حَاطِبِ لَيْلٍ)

يضرب لمن يهرف بما لا يعرف . . لأن المحتطب ليلاً يجمع كل شيء مما يحتـاج إليه ومما لا يحتاج إليه .

(أُريها السُّهَى ، وتريني القَمَرَ)

السُّهَى : نجم خفيّ ، وقرن في خفائه مع القمر في ظهوره . . أي أريها الخـفيّ ، وتريني الواضح . . يضرب لمن يغالط في ما لا يخفى .

(الرَّائدُ لا يكذب أَهْلَه)

الرائد هو الذي يتقدم القوم لطلب الماء والكلأ لهم . فإن كذبهم أفسـد أمـرهم وأمر نفسه معهم .

(سَبَقَ سَيْلُهُ مَطَرَهُ)

يضرب لمن يسبق فعله تهديده .

(عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ القومُ السُّرَى)

السُّرى : السير ليـلاً : . . يضرب لمن يحتمـل المشـقة رجـاء الراحة . . وأيضاً لما ينال بالمشقة ، ويوصل إليه بالتعب .





من أمثال الشعوب



●● ما سهل الحصول عليه يسهل فقدانه .

●● الهجوم خير وسيلة للدفاع .

●● الماء الساكن دائماً أعمق .

(أميريكا)

●● لكل قاعدة شواذ .

●● غبي من جعل طبيبه الخاص وريثاً !

●● نصف حياتنا يمضي قبل أن نعرف ما هي الحياة .

●● دائماً يعد الناس أخطاء من سبقوهم .

(فرنسا)

●● لا نصير للكسل ولكن له أصدقاء .

●● لا يوجد غني لا يطلب المزيد .

●● « انتظر » أصعب كلمة تلقيها على جائع .

(ألمانيا)

●● الله يهب الصحة والطبيب يجمع الرسوم لنفسه .

●● ليس كل ما جاء على اللسان مصدره القلب .

(إيطاليا)

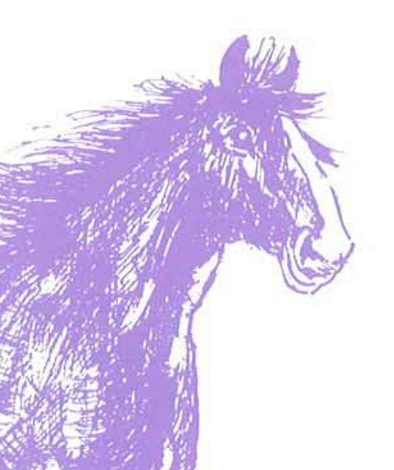
●● القاتل والطبيب الجاهل يتساويان .

●● إطراء الأب على ابنه إطراء لنفسه .

●● ضاعف الجهد لتبلغ السعادة .

●● كل همس في الأذن دائماً يسمع على البعد .

(الصين)



●● كل شيء يذهب إلى من لا يريده .

●● من تبع رأيه عليه أن يتحمل العواقب .

●● من يجيد الرقص يتنقل بين الحفلات .

●● الأرض تخفي أخطاء الأطباء .

●● من لا يشك اطلاقاً لا يعلم اطلاقاً .

(إسبانيا)

●● كل الكلاب تنبح ولكن ليست كلها تعض .

●● لو أعطيت الأحمق خنجراً . . أصبحت قاتلاً .

●● لا ترهق الحصان المطيع .

●● لا تحكم على السيد بثناء الخدم عليه .

(روسيا)

ندوة الشهر

اشتراك في الندوة

- د. عبدالجليل عبده شلبي - مصر
- د. شكري فيصل - سورية
- د. نعمان عبدالرزاق السامرائي - العراق
- الشيخ الحبيب بن الخوجة - تونس
- د. محمد الحبيب الهيلة - تونس
- محمد حدو أمزيان - المغرب
- د. جميل سعيد ابراهيم - العراق

الجوائز

ودورها في الحركة العلمية والفكرية

★ بمراجعة صفحات تاريخنا العربي والإسلامي، نكتشف أبعاد مكانة رجال الفكر والأدب والعلم في المجتمع.. كما ندرك مدى الاحترام والتقدير اللذين كان يلقونهما على المستوى الرسمي، ومستوى الأفراد.. ناهيك بالتكريم الذي كان يتجسد من خلال تعامل الخلفاء والقادة العرب والمسلمين لهؤلاء المفكرين، واجزال العطاءات لهم محاولين توفير الحياة الكريمة لهم انطلاقاً من فهمهم للدور الكبير الذي كانوا يقومون به كمشاعل على الطريق، يوجهون الرأي العام في حالتي الحرب والسلام.. ناهيك بالحظوة الكبيرة التي كانت لهم في المجالس العامة والخاصة ★

ونحن هنا لسنا في مجال رصد تاريخ الفكر العربي والإسلامي، من خلال التكريم والتشجيع والاحترام الذي يحاط به المفكرون، ولكن هذا لا يمنع من الاشارة إلى بعض مظاهر هذه الأمور في فترات مختلفة.

فلو عدنا إلى العصر الجاهلي، وهو أشد عصور الأمة العربية تخلفاً، حين كان العرب يعيشون داخل جزيرتهم بعيداً عن التأثر بمظاهر الحضارات التي سادت ثم بادت، مثل **حضارة اليونان، والفراعنة، وحضارة بلاد الرافدين**، بحكم موقعهم الجغرافي الذي كان يحصرهم في بقعة تفصلهم مياه البحار من ثلاث جهات: الشرق، والغرب، والجنوب، وتكمل حلقة هذا الحصار الصحراء من الشمال، هذا إذا استثنينا الحضارات الثلاث التي نشأت في اليمن (سبأ وحمير [illegible]ن)، لأنها كانت حضارات مادية كالزراعة وبناء السدود، والعمران، إذ لم يلق الفكر تلك المكانة التي كان يحظى بها في حضارة اليونان مثلاً.

لو عدنا إلى العصر الجاهلي الذي يعده المؤرخون فترة تخلف قياساً إلى الفترة التي عاشها العرب في العصر الإسلامي بما زخرت به من معطيات فكرية، وعلمية سادت كل أرجاء الكرة الأرضية، وقدمت للبشرية من العلوم والفنون والآداب ما غيَّر وجه تاريخ الحياة، مما لا زالت آثارها باقية إلى اليوم كأروع كنوز خلفها العقل البشري باعتراف الدارسين والمؤرخين الغربيين مستشرقين وغير مستشرقين.

لو عدنا إلى ذلك العصر السابق لمنجزات الحضارة الإسلامية العربية، ونقصد به العصر الجاهلي لوجدنا أن **الشعر كان أبرز نتاج الفكر العربي..** وكان بحق **«ديوان العرب»**. **فكيف كان يعامل الشاعر بين قومه؟**

لقد كان مولد الشاعر في قومه حدثاً له آثاره البعيدة للدور الذي كان يقوم به، فهو لسان القبيلة الذي يذود عن حياضها، وكان لا يقل في تأثيره عن أي سلاح **أثناء الحرب**، كما كان واجهة القبيلة المشرقة **أيام السلم..** لهذا

يحتفل القوم به ، ويفسحون له صدور المجالس ، ويدعونه في الملمات للصلح رغبة في السلام من ناحية ، ولاعلان الحرب من ناحية أخرى .

وكانت لهم نواديهم الفكرية الشعرية والنقدية الممثلة في **أسواق عكاظ ، ومجنة ، وذي مجاز ، والمربد ، والرابية** ، وغيرها .

وكانت القصيدة الرائعة تعلق على **الكعبة** مكانهم المقدس ، وتكتب بماء الذهب ، تتناقل أبياتها الركبان ، ويرددها الرواة في المجالس ، وهي صورة من صور التشجيع والتكريم والتقدير للنابغين من شعرائهم فعرفت في تاريخ الأدب العربي **بالمعلقات** ، وكانت كل معلقة ملحمة تاريخ ، وسلوك ، وقواعد ، ومفاخرة .

وحين جاء الإسلام نحا بالشعر منحى إنسانياً ، ووجهه وجهة حضارية ، نقله من الإحساس الفردي إلى الحس الجماعي . وكما كان للشاعر في العصر الجاهلي دوره ، ومكانته ، فقد كان له في العصر الإسلامي دوره ، ومكانته الجديدين ، ولقب الشاعر **حسان بن ثابت** بشاعر الرسول ، كما أن **الرسول الكريم** ﷺ قال : « إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر لحكمة » ، وفي هذا القول تحديد لماهية الشعر في هذا العصر ، ويروى أن الرسول الكريم ﷺ ، أهدى بردته **لكعب بن زهير** بعد دخوله في الإسلام ، وانشاده قصيدته اللامية التي مطلعها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيم إثرها لم يفد مكبول

وحين انتشر الإسلام ، وفتح بتعاليمه آفاق المشرق والمغرب ، واختلط العرب بغيرهم من شعوب الأرض ممن دخلوا الإسلام ، وساد الأمن والرخاء والحرية والعدل ربوع هذه الأرض ، ظهرت معالم الحضارة الإسلامية العربية ، بمعطياتها في **العلوم والفنون والآداب** ، ولم يعد الشعر وحده فارس الميدان . . كما لم يعد التكريم والتشجيع محصورين بين الشعراء ، لقد امتد إلى غيرهم من العلماء والفلاسفة والأطباء . والبحث في مظاهر التكريم والتشجيع في تاريخ الحضارة الإسلامية طويل لا تحصره كلمة عابرة كهذه .

من هذه المنطلقات . . وبمناسبة اعلان أسماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية بحجمها الكبير معنى ، وفكرة ، ومادة لأول مرة في تاريخ الفكر العربي الإسلامي الحديث ، تناقش المجلة من خلال ندوتها لهذا الشهر ، قضية الجوائز ودورها في تحفيز العلماء والمفكرين ، ومن ثم في توجيه الفكر العالمي ، مع الاشارة لأشكال التشجيع للفكر والأدب ، التي شهدها التاريخ العربي الإسلامي ، والجوائز المعروفة في العصر الحديث ، وأثر جائزة الملك فيصل العالمية في مواجهة تجاهل الجوائز العالمية الحالية للفكر العربي والإسلامي .

أكبر جائزة علمية

●● ومن مصر يتحدث الدكتور عبد الجليل عبده شلبي ، الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، مركزاً على جوانب تاريخية في مجال التشجيع والتكريم للعلماء والأدباء ، ويعتبر أكبر جائزة علمية في التاريخ العربي والإسلامي منحت لأبي الفرج الأصبهاني على كتابه الأغاني ، ويسرد رأيه قائلاً :

« نستطيع أن نرجع بتاريخ الجوائز في الإسلام إلى عهد **رسول الله** ﷺ ، فهو على سبيل المثال أجاز كعب بن مالك ببردته ، وكان **الخلفاء** يجيزون الشعراء ، وكان **بنو أمية** يسخون في هذا العطاء من **بيت المال** ، ولم يشأ **عمر بن عبد العزيز** أن يفعل ذلك ولا أن يجيز على مدحه كما كان يفعل الآخرون ، وقد أدخل عليه من الشعراء **جريراً** فقط ، وقال له اتق الله ولا تقل إلا حقاً ، ثم أجازه من ماله الخاص ، وبعد هذا الخليفة عاد الأمر كما كان .

وفي **العهد العباسي** ، ظهر لون جديد من التشجيع والاجازة ، كان الخلفاء والأثرياء يعقدون المناظرات بين العلماء في مختلف الفروع ، ثم يجيزون المتوثقين ، وكان العصر العباسي بدءاً من **عهد الرشيد** عصر المناظرات بين الأدباء والنحويين واللغويين والشعراء ، حتى أن **المأمون** ، كان يستدعي ذوي الأديان الأخرى ليناظروا ويناظرهم رجال الدين الإسلامي ، ولكنه حين تغلب المسلمون لم يجبر الآخرين على الدخول في الإسلام .

ومناظرة **الكسائي وسيبويه** بين يدي الرشيد معروفة مشهورة ، وكان **المبرد** مولعاً بمناظرة **ثعلب** ، وما اجتمعا مرة في مكان إلا التف الناس حولهما وسألوهما ، حتى تنشب المناظرة بينهما ، أو بعبارة أخرى بين **المذهب الكوفي والمذهب البصري** ، وكان المبرد فصيح اللسان جيد العبارة ، ولم يكن ثعلب كفؤاً له في هذا الجانب فكان يروغ منه ، وكان **صالح أبو عمرو الجرمي** من المولعين بمناظرة رفاقه حتى سموه « **النباح** » ، وكان للنحويين مكان يجتمعون فيه للمناظرة واحتجاج كل فريق لمذهبه ، ولم تكن جوائزهم من الخلفاء فقط ، بل كانت من الوزراء والأثرياء محبي العلم أياً كانوا .

ولعل أكبر جائزة علمية هي التي منحت **لأبي الفرج الأصبهاني** على كتابه **الأغاني** ، فقد أعطاه **الخليفة الناصر** اثني عشر ألفاً ، واعتذر له من قلة المال ، وكان من المهم لديه أن يظهر في **الأندلس** قبل ظهوره في **المشرق** .

وأشهر الجوائز المعروفة في العصر الحديث هي **جائزة نوبل** ، وتاريخها وقصصها معروفة .

وكل دولة الآن تجيز النابهين من أبنائها ، والمبرزين من علمائها . . أما **جائزة الملك فيصل** ، فهي جائزة سخية ، وسيكون لها ولا ريب أثر قوي في تنشيط الحركة العلمية ، ودفع الكثيرين إلى القراءة والبحث والتأليف . . وهذه الفكرة عمل جيد يكافىء ما يستحقه هذا الملك العظيم من تقدير وتخليد ذكرى » .

جائزة الملك فيصل حافز للابداع

●● ويشير الدكتور نعمان عبد الرزاق السامرائي ، الأستاذ في كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، إلى افتقار الأمة العربية والإسلامية إلى الجوائز ، ويدعو أن تكون جائزة الملك فيصل وسيلة تصحيح وإبداع لا تكرار ، ويشرح رأيه قائلاً :

« من استعراض تاريخ أمتنا ، نجد أن الحكام من خلفاء وأمراء كانوا خلف تشجيع المفكرين والأدباء ، حتى **نقل لنا أن جوائز سخية أعطيت لمفكرين لتأليفهم كتاباً أو كتباً** ، فهذا **الجاحظ** ، صاحب العقل الموسوعي ، يضع **كتاب الحيوان** ويهديه **للفتح بن خاقان** ، فيقدم له ستة آلاف دينار ، ومثل ذلك في تاريخنا كثير وكثير جداً .

ودار الحكمة في بغداد ، كانت تسهم في هذا الميدان بنصيب وافر . . .
أما ما هي الجوائز اليوم ، فلا نعرف لها ذكراً ، اللهم إلا ما يقدم من تعضيد وتشجيع على النشر ، ففي كل جامعة لجنة تقوم بتقديم مساعدة مادية لمن يتقدم بكتاب يريد نشره ، ومثل ذلك ما تقومُ به بعض الدول من نشر التراث أو طرح موضوعات والطلب إلى المفكرين ليكتبوا فيها ، وهي تمنحهم بعض الجوائز في ذلك .

ومن المعلوم أن ثمة جوائز عالمية في الآداب والعلوم ، ولكن نصيب الفكر العربي والإسلامي منها التجاهل والاهمال ، ومن هنا تأتي جائزة الملك فيصل ، لتصحح وضعاً غير سليم ، ولتذكر طائفة غمط حقها ، وأسدل ستار من تجاهل على مجهودها .

فجائزة الملك فيصل نأمل أن تكون وسيلة حفز وتشجيع لمفكرينا ، ووسيلة تصحيح لجحود ونكران متعمد .

والأمل أن تكون وسيلة تشجيع لمفكرينا كي يبدعوا ، لا وسيلة كسب كي يعيدوا ويكرروا ، فالملاحظ أن الجديد في أفكارنا ، وإلى حد في آدابنا ، قليل وإننا ما زلنا منذ زمن نعيش على تراثنا ، نطويه وننشره من غير جدة ولا إضافة » .

جائزة الملك فيصل عودة إلى المنهج القويم

●● من تونس تحدث الدكتور محمد الحبيب الهيلة ، المشرف على مركز الأبحاث الإسلامية التابع للكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين ، عن أبعاد النتائج الايجابية لجائزة الملك فيصل العالمية ، بعد أن استعرض جانباً من صور التشجيع والتكريم في تاريخ العرب والمسلمين ، ويبسط رأيه قائلاً :

« إن الجوائز المالية والشرفية لتساهم في شحذ همم العلماء والباحثين ، وتعبئة جهودهم لمواجهة مصاعب العمل الفكري ، ومشاق البحث والإنتاج والاختراع التقني وغيره .

وقد كان المنهج الذي سلكه أصحاب السلطة بالمجتمعات الإسلامية القديمة في تشجيع الأدباء والمفكرين والعلماء على أحسن وجوه الدقة والاستقامة والنجاعة ، ذلك أننا **إذا تتبعنا تاريخ الحضارة العربية ألفينا حقيقة ثابتة وهي أن أكثر الآثار الفكرية الخالدة ، من تأليف وغيره ، إنما ولدت وظهرت للوجود في ظل أمير ذكي كريم ، أو وزير مثقف سخي** . فلو درسنا **تاريخ البلاطات** ، في البلاد العربية والإسلامية ، وما قامت به من تشجيع للفكر والأدب ، لرأينا أن جل ما نعتز به من روائع الشعر والنثر ، وما يشرف حضارتنا من آراء فلسفية واكتشافات علمية من طبية وغيرها ، إنما نشأت في بيوت العلماء الذين انتسبوا إلى بعض البلاطات .

وقد آمن رجال السياسة في عامة البلاد الإسلامية ـ سابقاً ـ أن من أثمن ما يقع به التفاخر بينها جملة ما يؤويه كل بلاط من لغوي دقيق ، وفقيه فطن ، ومفسر بارع ، ومحدث ضابط ، وشاعر فحل ، وكاتب متفنن وطبيب حكيم .
وعلى هذا الأساس **سعى كل بلاط إلى أن يجمع حوله باقة يانعة من خيرة رجال الفكر والأدب ، وكان السباق بين البلاطات نحو هذه الغاية أكيداً متواصلاً طيلة قرون الازدهار الحضاري .**





★ د. عبد الجليل عبده شلبي ★

★ د. جميل سعيد ★

ولنتبين مدى صحة هذه القاعدة نتتبع ترجمات أعلام الفكر والأدب في تاريخنا ، فسنجد أن أكثرهم كانوا قد انتسبوا إلى أحد البلاطات أو تفيؤوا ظلال أكثر من واحد منها .

واليوم ونحن في عهد الانبعاث الحضاري والوعي الثقافي تأتي جائزة الملك فيصل العالمية ، تملأ فراغاً في بلادنا العربية والإسلامية لتعود بنا إلى المنهج القويم الذي جربه أسلافنا الأولون وقطفت منه أمتنا أينع الثمار وأمتعها .

وبصرف النظر عن القيمة العالية لهذه الجائزة فإن التفكير فيها والعمل على تنظيمها ، التنظيم الدقيق تأتي في هذا الوقت لتستجيب إلى ضرورة حضارية ، ولتقوم بتحفيز ثلاثة عناصر من احتياجات مجتمعنا الحالي :

أ ـ الذين يقومون بالخدمات الجليلة للإسلام في حقوله المتنوعة من **دعوة وارشاد ودفاع وحماية .**

ب ـ الذين يواجهون الهجمات الفكرية المناوئة للإسلام ـ من صليبية وغيرها ـ بما ينتجون من **دراسات إسلامية قيمة** ، وعلمية منهجية تركز في نفوس الشباب المسلم نصاعة الإسلام ، وصدق دعوته وتجيب عن **التحديات الالحادية** ، ومغالطات المغرضين التي يكاد يشيع أمرها في الشرق والغرب .

ج ـ الذين يبذلون الجهد ويصرفون العناية إلى **لغة القرآن الكريم** ، فيمدونها بالدراسات اللغوية العميقة ، والأبحاث الأدبية الثرية ، حتى تجد اللغة العربية من أعمالهم مدداً وتركيزاً وأنه ليملأ قلبي أمل في نجاعة هذا المنهج ، وسلامة هذه السبيل وان غداً لناظره قريب » .

جائزة الملك فيصل مشاعل على الطريق

●● ومن سورية يشترك في الندوة الدكتور شكري فيصل ، عضو مجمع دمشق ، مشيراً إلى أن جائزة الملك فيصل قيمتها في أنها تجاوزت المجال المحلي أو القطري إلى المجال العالمي ، وأنها ستكون مشاعل على طريق الحوافز والتقدم الفكري والعلمي ، ويطرح رأيه قائلاً :

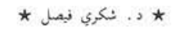


★ الشيخ الحبيب بن الخوجة ★



★ د. محمد الحبيب الهيلة ★





★ د. شكري فيصل ★

«تسألونني عن أشكال التشجيع للفكر والأدب، التي شهدها التاريخ العربي والإسلامي.

إن أخبار هذا التشجيع كثيرة منذ دوّن التاريخ أو رُوِيَ. ألم يكن تعليق **المعلقات** مثلاً على جدران **الكعبة** نوعاً من التشجيع؟ ألم تكن **أحكام المحكمين في سوق عكاظ**، نوعاً من التشجيع؟ ألم يكن **وفود الشعراء على الخلفاء والأمراء** نوعاً من التكريم لهم واجازتها!

ثم: ألم يشمل ذلك فروع المعرفة كلها في كل عصر؟

إن المؤلفين المعروفين كانوا إذا أنجزوا كتاباً قدموه إلى خليفة أو وزير أو رجل ذي شأن، فقد فعل ذلك **الجاحظ**، وفعله الكثيرون غيره.

وكان هناك على مدى التاريخ ما يشبه هذه الجوائز، ومن الواضح أن نذكر هنا ما فعله **المأمون** في مجالات المكافأة على الترجمة، والمكافأة على التأليف، أما جائزة الملك فيصل فإني أرجو أن تكون من البدايات الطيبة لتشجيع الأعمال الأدبية والفكرية، وقيمتها عندي: أنها تجاوزت المجال المحلي والقطري إلى المجال العالمي. إنها ستكون بمثابة مشاعل على طريق الحوافز والتقدم الفكري والعلمي، وبخاصة عندما نتذكر أن الجوائز العالمية الأخرى تتجاهل كما تقولون الشعوب الإسلامية والعربية، فإذا جاءت جائزة الملك فيصل تسد هذا الفراغ فمعنى ذلك، أن عمل المبدعين والعلماء سيجد مجالا عريضاً للتشجيع والتكريم».

الجائزة العالمية .. والجائزة الإقليمية

●● ويدلي الشيخ الحبيب بن الخوجة، مفتي الديار التونسية برأيه فيقول:

«إن من يعود إلى كتب التاريخ والحضارة العربية الإسلامية، يلمس في طياتها الشواهد والبراهين على الجوائز الكثيرة، التي كانت تمنح بشكل هبات لرجال الفكر والعلم والأدب، سواء بالبلاد المشرقية أو بالبلاد المغربية. والجوائز الموجودة اليوم في العالم العربي كثيرة، يصدر بعضها عن الهيئات وبعضها عن الحكومات، ولكنها تتسم غالباً **بالإقليمية**. **وجائزة الملك فيصل** هذه **جائزة عالمية**، لأنها تعنى بشؤون الفكر في العالم الإسلامي وبقضايا الإسلام وبوسيلة التعبير عن هذه القضايا، وذلك الفكر وهي تأتي اليوم لتحفز المواهب وتشحذ العزائم وتعين لا على ايجاد الأعمال القيمة، ولكن على الابداع وتحقيق الأمثل والأكمل فيتسم بذلك الإنتاج الذي تتوجه بالجدة والابتكار من جهة، وايجاد الطريق إلى المنهج الفكري الإسلامي المعاصر الذي تجدد به أمتنا ونستعيد به عزتنا ونحقق به منعتنا من جهة أخرى».

التشجيع العام .. والتكريم الخاص

●● ويشير الأستاذ محمد حدو امزيان، عميد كلية أصول الدين بمدينة تطوان، في المملكة المغربية، إلى أن التشجيع الذي كان يلقاه العلماء والأدباء لم يكن محصوراً في الخلفاء، والحكام، بل كان هناك عدد من الأثرياء الذين ساهموا في تشجيع الحركة العلمية والفكرية عموماً في فترات الازدهار وفترات التدهور فيقول:

«إن تاريخنا الحافل بالأمجاد يحدثنا عن كثير من أشكال، وأضرب مثلاً تشجيع الفكر والأدب في مختلف الأعصر الإسلامية، وخاصة منها **العصر العباسي** الأول، الذي لقب بحق «**العصر الذهبي**»، حيث يحدثنا أن **الخلفاء** كانوا يغدقون الأموال والجوائز السخية على المفكرين والأدباء والشعراء وبالأخص المبدعين منهم.

والأمثلة على ذلك كثيرة، ومشهورة ومدونة في كتبنا المختصة بذلك، **ولم يكن هذا السخاء بالجوائز مقصوراً على الخلفاء فحسب، بل إن كتب التاريخ الصحيح تذكر أن الأثرياء من الأمة الإسلامية، كانوا يتنافسون في تقريب المفكرين والأدباء إليهم، ويمنحونهم أسنى الجوائز تشجيعاً لهم على الإنتاج والإبداع، وتقديراً لأعمالهم الجليلة، مما أثرى الفكر العربي والأدب العربي، وجعلها في الذروة.**

ونظرة فاحصة إلى ما خلفوه لنا وهو مدوّن بين أيدينا، في المراجع والمصادر المختلفة الصحيحة تغنينا عن إقامة البرهان، على أن ذلك لم يكن

مقصوراً على فترات الازدهار السياسي ، بل رأينا نفس الشيء ، حتى عندما تقلص نفوذ الخلفاء ، ووقع الانحطاط السياسي نتيجة عدة عوامل ، كما وقع عندما انقسمت الدولة الإسلامية الكبرى إلى دويلات في الشرق والغرب والشمال وغيرها ، حيث يحدثنا التاريخ أيضاً وهو خير شاهد على ازدهار الحركة الفكرية والأدبية في مختلف النواحي الإسلامية . ولكن أمراء هذه الدويلات كانوا ينهجون نهج الخلفاء السابقين في اغداق الجوائز المالية على أصحاب الفكر المبدع ، والأدب الرائع مما جعل هؤلاء المكرمين من الأدباء يتنافسون في إنتاجاتهم الفكرية والأدبية .

ولم يخب ذلك الإنتاج إلا في العصور المتأخرة ، التي هبط فيها **الاستعمار** على كثير من الشعوب العربية والإسلامية .

واليوم ، ولله الحمد ، وبعد زحزحة الاستعمار عن صدورنا ، بدأنا نرى الفكر والأدب العربي يتقدمان إلى الأمام ، ويخطوان خطوات حثيثة ، وبدأنا نرى من ذوي الغيرة من أمرائنا تشجيعاً لهؤلاء ، وذلك بالمنح المادية الكثيرة ، والجوائز المالية التي يغدقونها على المبدعين من أبناء أمتنا .

وجاءت جائزة الملك فيصل طيب الله ثراه في هذه الفترة من تاريخنا لتتوج هذه التشجيعات كلها . وإني أسأل الله الكريم ، أن يوفق العاملين المخلصين ممن ولاهم الله الأمر في هذه المملكة الشقيقة لخدمة الإسلام والعروبة ، إنه ولي التوفيق ، ومجيب الدعاء ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحابته » .

صور من تاريخ التكريم العربي الإسلامي

●● من العراق يشترك في الندوة الدكتور جميل سعيد إبراهيم ، عضو المجمع العراقي ، برأيه في اقتضاب ، ركز فيه على بعض صور التشجيع والتكريم التي حفل بها التاريخ الإسلامي ، قائلاً :

« عني العرب المسلمون بتشجيع الأدب والعلم ، وكان لهم في سنّة الرسول الكريم صلوات الله عليه وسلامه قدوة حميدة . وفي كتب التاريخ أنه طلب من بعض الأسرى في بدر أن يعلموا بعض فتيان المدينة ، ويكون هذا أجراً أو فدية لاطلاق سراحهم ، ومعروف عنه ـ صلوات الله عليه ـ أن كعب ابن زهير ، الشاعر رغبت نفسه عن الإسلام أول الأمر ، ثم عاد تائباً إلى الرسول الكريم ﷺ ، وأنشده قصيدته اللامية المعروفة ، فأثابه ﷺ ببردته ، وشهرت قصيدة كعب بهذا ، وسميت « البردة » .

وسار الخلفاء المسلمون على هدي الرسول الكريم ﷺ ، في تشجيع العلم والعلماء .. ولا أراني بحاجة إلى الافاضة في هذا ، فالكثير الكثير من الكتب التي وصلتنا إنما ألفها أصحابها ، وأهدوها لرئيس أو ذي مكانة في الدولة شجعهم وأعانهم على هذا .

وفي هذا العصر نرى المؤثرات العالمية ـ وهي غير قليلة ـ تتساقط من حول العرب ، وعندنا أهم من علمائهم وأدبائهم خاصة ، من هو جدير بها .

وجائزة الملك فيصل هذه ، هي التي ستسد هذه الفجوة ، وسيجد فيها العرب والمسلمون تعويضاً سخياً لهم عن الجوائز العالمية الأخرى ، التي أبعدوا عنها وحرموها » .

من خلال الآراء المطروحة في هذه الندوة ، والاستعراض السريع للكثير من صور ومظاهر تشجيع العرب والمسلمين للمفكرين ، والأدباء ، والعلماء ، ندرك أن فكرة الجوائز ليست وليدة هذا العصر ، وأن العرب المسلمين كانوا سباقين إلى هذا المظهر الحضاري في أشكال تفضل كثيراً أشكال الجوائز اليوم بعدة أمور :

١ ـ **إن الجوائز التي تمنح للعلماء والأدباء والمفكرين اليوم تعد مظهراً سياسياً وإعلامياً للدول** ، في الوقت الذي كانت مظاهر التشجيع والتكريم في التاريخ الإسلامي والعربي ، تهدف في الأصل إلى تكريم المبرزين من العلماء والمفكرين ، والشعراء ، وحفزهم على العطاء الفكري . وإذا كانت تأخذ شكل المباهاة والمفاخرة أحياناً ، فمرد ذلك إلى حسهم الحضاري ، على أساس أن التكريم أو التشجيع لهؤلاء العباقرة هو في حد ذاته مظهر حضاري يعكس أبعاد مفهوم الحضارة لدى العرب والمسلمين .

٢ ـ إن الجوائز اليوم لا تمنح للمفكرين والعلماء والأدباء لجهودهم الكبيرة فحسب ، بل تتدخل عوامل أخرى كثيرة في تحديد المستحق ، ليس أدناها الولاء الأعمى للنظام القائم الذي يمتلك حق منح الجوائز .

٣ ـ **إن الجوائز اليوم لا تعطى على أساس القيمة ، أو الجدارة ، ولكن تمنح لأهداف سياسية ، واقتصادية ، وشخصية أحياناً** ، وهذا ما يحدث بالنسبة لجائزة نوبل ، والجوائز الإقليمية .

إلى جانب أسباب أخرى ، لا تغيب عن ذهن المثقف المتابع لحركة التاريخ القديم ، والحديث .

وحين تبرز جائزة الملك فيصل العالمية ، إلى الوجود إنما تخرج إلى الوجود في عصر الأمة العربية والإسلامية أحوج ما تكون إلى مثل هذه الجائزة ، التي سوف يكون لها أثر بعيد في تنشيط الفكر العربي والإسلامي لمميزاتها الإنسانية ، والفكرية .

فهي تتخطى الإقليمية إلى رحاب أرض الله الواسعة ، انطلاقاً من تعاليم الدعوة الإسلامية التي جاءت للناس عامة .. ولهذا السبب فهي جديرة بأن تكون بحق جائزة عالمية .

وهي بأهدافها النبيلة تبتعد عن كل المؤثرات السياسية ، والاقتصادية ، وتقوم على تقدير القيمة والجدارة لعطاء المرشح لها دون النظر إلى أية اعتبارات أخرى .

كما أنها تأتي متجاوزة الحدود الإقليمية ، والعنصرية ، والعرقية ، التي تحكم الجوائز العالمية والإقليمية المعروفة .

إضافة إلى كل ذلك ، أنها تعيد للإنسان العربي المسلم اعتباره ، في مواجهة الجحود والنكران اللذين يحكمان ما عداها من جوائز .

ولكي لا نستبق الأحداث ، فإن المستقبل كفيل بتأكيد نبل أهدافها ، وسلامة رؤيتها ، ووضوح خطها .. وليس لنا اليوم ، ونحن نحتفل بأول عام يبدأ فيه توزيع جوائزها ، إلا أن ندعو للقائمين عليها من العرب والمسلمين الذين يمثلون مختلف البلدان بالتوفيق والسداد .. وما ذلك على الله بعزيز .



ترجمة: جلال العشري

المستقبل .. الفن .. الخير والشر .. الفراغ .. السعادة .. الصحة .. المادة .. العلاقات .. العمل .. الذكاء .. الفلسفة .. القلق .. الحسد .. الملل .. خداع الذات .. السجن .. القضية والعمر

ماذا قال في وصيته الفكرية ؟

إذا بحثت شعوب الأرض جميعاً عن وطن واحد ، يضم جموعهم بلا تفرقة ، ويتسع لهم بلا حدود ، كان هذا الوطن هو « الحرية » .

والفيلسوف الشهير برتراند رسل ، كان فيلسوفاً إنساني النزعة ، حر الفكر ، يفتح قلبه لأمل الإنسان وحريته بغير خوف ، ودون تردد ، فيحارب الحرب حتى ولو كان مسقط رأسه هو سوق تجارتها وموقد نيرانها .

وفي هذا الكتاب « **برتراند رسل يحاور نفسه** » يلتقي شيخ الفلاسفة المعاصرين مع مشكلات هذا العصر لقاء شجاعاً ومثيراً ، في وقت واحد ، فهو لا يضع الحلول لهذه المشكلات فقط ، ولكنه يمتعنا بحوار ذكي وحر وعميق ، يذكرنا بذلك النهج العتيق في التأليف الفلسفي ، نهج المحاورات كما في محاورات **سقراط وأفلاطون** .

وهو من الكتب الشارحة التي تجمع آراءه في الحياة العامة ، كما أنه من الكتب الجامعة التي يستعرض فيها كل ما سبق أن ناقشه من مشكلات . والواقع أن هذا الكتاب يعتبر بحق « الوصية الفكرية » لشيخ الفلاسفة المعاصرين .

وهو يقع في ثلاثة عشر فصلاً تدور حول الفلسفة ، والدين ، والحرب ، والسلام ، والشيوعية ، والرأسمالية ، والأخلاق ، والسلطة ، والسعادة ، والوطنية وبريطانيا العظمى ودور الفرد ، والتعصب والتسامح ، والقنبلة الهيدروجينية ، وأخيراً مستقبل الإنسانية .

والكتاب عبارة عن أسئلة وأجوبة صيغت على هيئة «محاورات» ، وقد صورها التليفزيون البريطاني على مدى أربعة أيام ونصف في ربيع عام ١٩٥٩ م ، وذلك دون أي «سكريبت» جاهز ودون أي إعادة للتصوير ، وهو ما تمسك به برتراند رسل ، لأنه على حد تعبيره .. ليس ممثلا !

وهكذا سجل الفيلم التليفزيوني كلماته كما خرجت من فمه لأول مرة ، وكما سنجدها في هذه المحاورات ، التي أجراها **وودرو وات** من خلال خبرته الكبيرة في التعامل مع الـ ب . ب . س ، كمعلق تليفزيوني ، فضلاً عن كونه أحد النواب في **مجلس العموم البريطاني** عن حزب العمال .

وعلى صفحات مجلة « **الفيصل** » نقدم الترجمة الدقيقة الكاملة لاثنتين مدمجتين من هذه المحاورات ، آملين أن يتمتع بها القارىء .

(١) مستقبل الجنس البشري

● **لقد غطينا يا لورد رسل العديد من مختلف الموضوعات في هذه الأحاديث ، فما قيمة هذه الأحاديث في رأيك بالنسبة لمخاوف الجنس البشري وآماله ؟**

●● إذن ، فهذا سؤال بالغ الصعوبة ، فأنا أرى أن احتمالات المستقبل تدعو للتفاؤل أحياناً كما تدعو للتشاؤم أحياناً أخرى ، ولكننا إذا أردنا الدقة والتحديد ، ففي اعتقادي أن دواعي التشاؤم أكثر .

● **إذن ، دعنا نبدأ بدواعي التشاؤم ، ما هي الآمال المعقودة على ذلك في رأيك ؟**

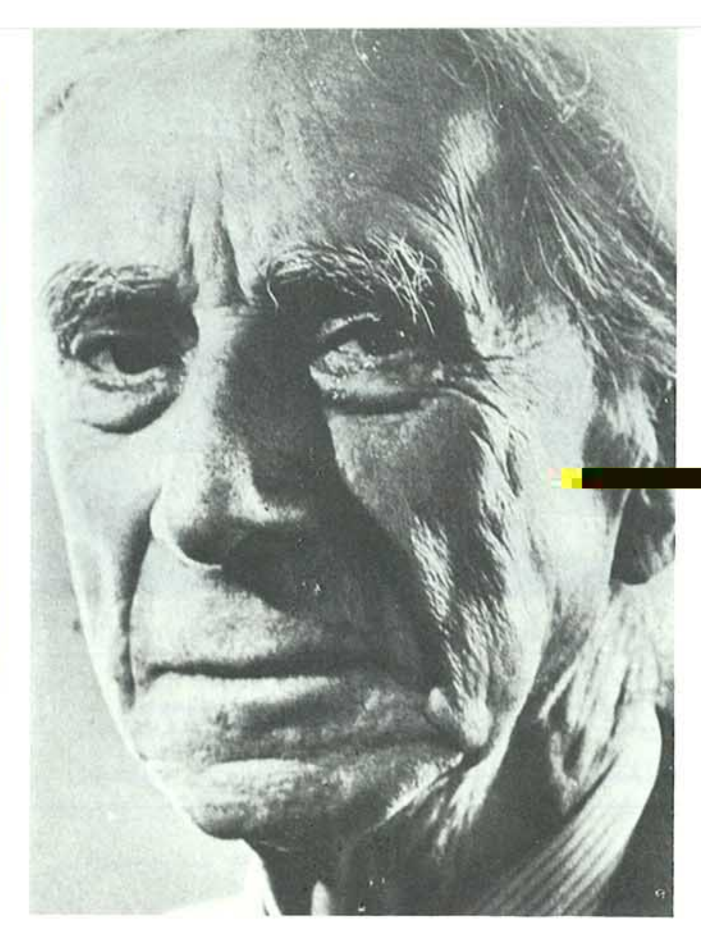
●● دعنا نزعم ، كما هو حاصل الآن ، أن الجنس البشري لن يزج بنفسه في حرب كبرى ، وفي اعتقادي أن الخطر الأكبر كما أراه هو النزعة العسكرية ، وربما كان في إمكان العالم تحت تأثير الاكتشافات العلمية ، وإمكانات التنظيم والإدارة ، أن يصبح منظماً تنظيماً كاملاً بما لا يدع مكاناً للهزل أو المزاح .

● **وهل تعتقد أن النمط الاداري سيكون هو الغالب أو هو المثل الأعلى ؟**

●● أعتقد أن ذلك ممكن ، فالنمط الإداري يحتوي في داخله على قدر ما من الكفاية العلمية ، ذلك لأن النمط الإداري الآن ، قادر على إنجاز أشياء لم يكن يقدر عليها من قبل على الاطلاق ، بعضها جيد ، ولكن أكثرها سيء .

● **ما هي أنواع الأشياء التي يمكن أن تنجم عن النمط الاداري ، مما تعده سيئا ؟**

●● لا بأس ، يمكن للنمط الإداري في المقام الأول ، أن يبدأ من مدارس الأطفال ، وأن يمضي في مدارج التعليم ، فيكون له أقوى التأثير وأعظمه ، على آراء الناس وأفكارهم ، بحيث يصبح ما يفكر الإنسان فيه ، وما يحلم به ، وما يخاف منه ، محدوداً بسلطات التعليم ، وعلى ذلك تغدو أشواق الإنسان ومخاوفه وفقاً لما يريده ذلك النمط



★ برتراند رسل في أكتوبر / تشرين الأول ١٩٥٨م ★

الإداري ، ولسوف يكون من أهم مهام هذا التعلم ، تدريب الفرد على التفكير الجيد في الحكومة ، التي لا تكون حكيمة أو رشيدة على الدوام .

● ولكن ، ألن يوجد باستمرار ، ذلك الشخص القوي ، المستقل الفكر ، الذي على شاكلتك مثلا ، فيكون قادرا على الاستخفاف بذلك النمط من التعليم؟

●● لا أظن ذلك ، لا ، بمعنى أن الناس الذين هم على شاكلتي ، والذين ينتمون إلى النمط الذي أنتمي إليه ، إنما شبوا في عالم من الطراز القديم ، عالم أكثر اتساقاً وتوافقاً من العالم الذي أتوقعه في المستقبل . عالم كانت توجد فيه الكثير من الثغرات ، والكثير من الاستثناءات ، ولم يكن الناس جميعاً في ذلك العالم ، يصبون في قالب محدد ، كما يمكنني أن أراهم في عالم المستقبل .

عن الفن

● ما هو الرأي المحافظ ، والزي ، والعادات ، والفكر المحافظ ، وما إلى ذلك مما تعتقد في وجوده؟

●● حسناً .. خذ الفن على سبيل المثال ، قد لاحظت مرة في إثر مرة ، أثناء أسفاري ، وخاصة في أميريكا ، أنهم يحملون للفن قدراً كبيراً من الاحترام ، كما أنهم يدفعون للفنانين الأوروبيين المتازين ، مبلغاً كبيراً من الدولارات ، ولكنك في ذات الوقت ، لا تكاد تجد طفلاً أميريكياً يسمح له بممارسة تلك النزعة الفنية المتحررة ، التي لا بد له منها ، إذا ما فكر في أن يصبح فناناً ، وعلى ذلك ، فإن جميع الفنانين الذين يحظون بتقديرهم من الأوروبيين وليسوا من الأميريكان .

● هل تعتقد أن الفن يلاقي في روسيا ألوانا من المعاناة؟

●● أوه ، لا أكاد أدري ، لأنني لم أزر روسيا ، منذ عام ١٩٢٠م ، وإن كنت أرجح ذلك بالضرورة ، فعلى الرغم من ظهور رواية **دكتور زيفاجو** ، إلا أنه فيما يبدو لي أن الأدب هناك يلقى الكثير من صنوف المعاناة ، أعني أن الأدب السوفييتي في العهد القيصري ، كان يتمتع بمكانة رفيعة ، ولا أعتقد أن أحداً يمكن أن يصفه بذلك في الوقت الحالي .

● وماذا عن فن الباليه في روسيا؟

●● الباليه هو كل ما تبقى من عهد القيصرية ، لقد بدا لي فن الباليه عندما شاهدته في عام ١٩٢٠م ، وكأنما يعطيني الانطباع بقطف الزهور ووضعها في آنية ، لقد شعرت بمدى جماله ومدى رشاقته ، ولكنه لم يضف على روحي أي شعور بالحيوية ، وفي اعتقادي أنه الآن مجرد تحفة فنية في أحد المتاحف .

● هل تعتقد أن من شأن هذا كله ، أن يؤدي إلى نوع من التحجر العام ، الذي لا يسمح بظهور شيء جديد؟

●● نعم ، أعتقد أن ثمة خطراً كبيراً يمكن أن يحدث من جراء ذلك ، كأن تصبح روسيا مجتمع بيزنطي ، ساكن ، بحيث يتشابه ذلك جيلاً وراء جيل ، وفي النهاية يتقولب الناس في قالب واحد ، إلى الدرجة التي لا يستطيعون فيها تحمل هذا النظام فيرفضونه من جراء الملل .

● ربما كانت من أهم الصعوبات التي تواجه الانسان ، أنه لا يستطيع أن ينجز شيئا من خلال اقتناعه بفكرة أنصاف الحلول ، وربما بدأ بداية طيبة ولكنه سرعان ما يندفع إلى طرف النقيض ، هل تعتقد أن الانسان سوف يتعلم منطق الحلول الوسط؟

●● حسناً ، فالأمل يحدوني ، في أنه سوف يتعلم ذلك بالضرورة ، ففي اعتقادي أن هذه مسألة ضرورية ، جداً في الواقع ، كما أعتقد أن ذلك ممكن الحدوث ، فأنا لا أتكهن له بمثل هذه الكهانة المتشائمة ، وآمل ألا تحدث له على الاطلاق .

الخير .. والشر

● هل يمكننا أن ننتقل الآن إلى الأشياء الأكثر بهجة؟

●● حسناً ، إن أول ما نحتاج إليه من أشياء ، هو التحقق من أن شرور العالم ، بما في ذلك الشرور التي لم يسلم منها في الزمن السابق ، يمكن أن تمحي في الوقت الحاضر ، وما أدى إلى استمرار وجود هذه الشرور ، إلا الآلام الدفينة التي ظلت قابعة في أرواح الناس ، تحول بينهم وبين إراداتهم الملوبة في أن يخطوا خطوات إيجابية لاضفاء السعادة على غيرهم من البشر ، ففي اعتقادي أن كل متاعب العالم الحديث ، فضلاً عن قوة التكنولوجيا الحديثة ، إنما تكمن في علم النفس الفردي ، أو بالأحرى في آلام الإنسان الفرد ، ويا لها من آلام ضارة ، فلو قدر للإنسان ، ولو قدر له بصورة أقوى ، أن يكون سعيداً في عالم متماسك ومتكامل ، كان لزاماً عليه أن يعمل على اسعاد جيرانه من البشر ، مهما كان يكن لهم من شعور بالكراهية ، وفي تقديري أنه لو تحققت مثل هذه الأشياء ، لعاش الإنسان في عالم أسعد بكثير من أي عالم قدر عليه أن يوجد من قبل .

● أي أنواع الشرور في اعتقادك ، يمكن للانسان أن يدفعها بعيدا عنه ، لو قدر له أن يوجه عواطفه في الطريق الذي تقترحه على هذا الانسان؟

●● حسناً أولا وقبل كل شيء .. **الحرب** ، ويجيء بعد ذلك **الفقر** ، ففي الأيام الغابرة لم يكن في الامكان تحاشي الفقر بسبب كثافة السكان ، أما في الأيام الحاضرة ، فالأمر على خلاف ذلك ، فلو أن العالم أراد ، لاستطاع أن يمحو الفقر في زهاء أربعين عاماً ، **فالمرض** على سبيل المثال ، أمكن محاصرته بشكل كبير ، ويمكن محاصرته أكثر وأكثر ، أنه لا يوجد سبب كاف يجعل البشر عاجزين عن أن يستمتعوا بفترات من البهجة والمرح .

● حسنا ، فنحن الآن ، إنما نتكلم عن طريقة تحقيق الخير الواقعي ، فيما أظن ، فما هي ألوان الخير الواقعي الأخرى ، التي يمكن للانسان أن يحققها في المستقبل؟

●● في اعتقادي أن قدراً كبيراً من تحقيق الخير يتوقف على **التعليم** ، فعن طريق التعلم يمكن التأكيد على أن الجنس البشري إنما هو أسرة واحدة ذات مصالح مشتركة ، وعلى ذلك يصبح التعاون أكثر أهمية من التناصر ، ومحبة الإنسان جاره ، لا مجرد واجب أخلاقي ، ولكنه بالاضافة إلى ذلك السياسة الحكيمة من وجهة نظر سعادة الإنسان الخاصة .

وقت الفراغ

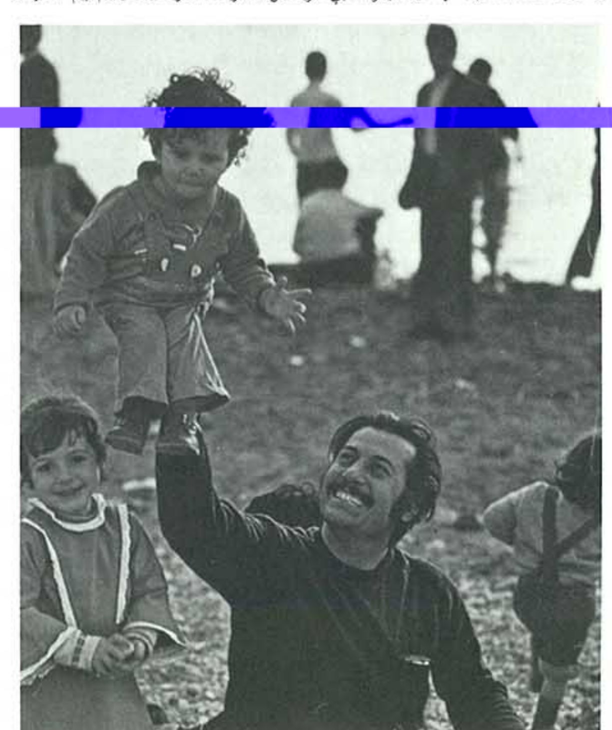
● ربما كان من أهم الفوائد التي يبدو أن العلم بصدد تحقيقها للجنس البشري . اختصاره نسبيا لساعات العمل ، بحيث تقتصر عدد ساعات العمل على عشر ساعات في الأسبوع فماذا سيفعل الانسان بكل هذا الوقت من الفراغ ؟

●● حسناً ، ولسوف يفعل الإنسان ، إذا ما تحققت صورة العالم الذي أتخيله عندما ينتابني الشعور بالسعادة ، ما ينبغي على الإنسان أن يفعله ، أعني أن يفعل ما كان يفعله الإنسان المتحضر في الزمن الماضي ، خذ على سبيل المثال الإنسان الارستقراطي في القرن الثامن عشر ، الذي كان نموذجاً حقيقياً للإنسان المتحضر ، لقد كان يملك وقتاً كبيراً من الفراغ ، ولكنه كان يعرف تماماً ماذا يفعل بوقت فراغه ، حتى ان كثيراً منهم حقق أفضل الأشياء مما لا نكاد نجد له مثيلاً الآن ، فما أكثر الذين أتوا أفعالا عظيمة ، كتشجيع الفن ، وإقامة الحدائق الجميلة ، وتشييد المنازل الباهرة ، إلى آخر هذه الأشياء التي تنال منا الاعجاب ، وإنني لأرى بعين خيالي ، عندما ينتابني الشعور بالبهجة ، عالماً ، يمكن أن تحقق فيه لكل إنسان مثل هذه الاستخدامات الجيدة لأوقات الفراغ ، ذلك لأن كل إنسان سوف يكون قد بلغ مستوى كافياً من الحضارة .

● وماذا عن المغامرة في هذا المجال الجزئي المحدود ؟

●● المغامرات ينبغي أن تكون منظمة من قبل السلطات ، بمعنى أن السلطات ينبغي عليها أن تمكن من المغامرة ، دونما انفاق باهظ سواء في المال أو في الوقت ، وذلك لاظهار أنواع حقيقية من المغامرين ، وإذا لزمه الأمر فلتكن مشروعات تتصف بالخطورة ، من النوع الذي يمتع صغار الشباب ، فالإنسان ينبغي أن يمكن من الذهاب إلى القطب ، وينبغي أن يمكن من تسلق الجبال الشاهقة ، وإذا ما تحققت رحلات الفضاء ، كان من الواجب على الإنسان أن يكون قادراً على الاشتراك في هذه الرحلات ، فالأشياء التي من هذا القبيل ، ينبغي أن تيسر سبلها أمام الإنسان ، وهذا من شأنه تغيير مجرى الاهتمامات ، التي تندفع في الوقت الحالي ، وبايقاع سريع نحو الحرب .

★ فترات السعادة ، مهمة في حياة البشر ، فهي شريط من الذكريات الحلوة عندما يتقدم بهم العمر ★



رسالة إلى الجنس البشري

● ما هي الرسالة الأخيرة التي تود أن تبعث بها إلى الجنس البشري في مستقبله ؟

●● أود أن أقول للجنس البشري إنك من خلال ما أوتيت من معرفة ، تملك من القدرات ما لم يكن لدى الإنسان من قبل ، وأنت قادر على توجيه هذه القدرات إما في طريق الخير أو في طريق الشر ، ولسوف تستخدمها في سبيل الخير ، لو تحققت من أن الجنس البشري كله إنما هو أسرة واحدة ، ونحن أبناء هذه الأسرة في أيدينا أن نكون سعداء وفي أيدينا أيضاً وفي ذات الوقت أن نكون بؤساء . لقد انقضى الزمن الذي كانت فيه القلة السعيدة تستطيع أن تحيا على حساب بؤس الكثرة الكبيرة ، لقد انقضى فعلاً ذلك الزمن ، ولن يقبله البشر مرة أخرى ، فعلى الجنس البشري أن يعلم من خلال ما أوتي من معرفة ، أنه لن يعيش سعيداً ، ما لم يعش جيرانه في سعادة ، وفي يقيني أن الناس لو عملوا على ترشيد تعليمهم وتوجيهه في طريق الحكمة ، لتفتحت أمامهم آفاق الطبيعة ، ولن يجدوا صعوبة في أن يمنحوا غيرهم السعادة ، كشرط أساسي لكي يعيشوا هم أنفسهم سعداء ، وطالما رأيت بعين خيالي ، عالماً من سعداء البشر ، يملؤهم النشاط ، ويكتنفهم الذكاء ، عالماً ليس فيه ظالم واحد ، ولا مكان فيه للظلم ، عالماً من بني البشر على وعي بأن مصالحهم المشتركة أرجح كفة من نزعات التنافس والتناحر التي من شأنها القضاء على الامكانات العظيمة التي بوسع الذكاء البشري والخيال البشري أن يجعلها أمراً قابلاً للتحقيق ، إن مثل هذا العالم الذي أتحدث عنه يمكن أن يتحقق لو اختاره البشر ، وعملوا على تحقيقه ، ولو قدر لهذا العالم ان يوجد ، أو أن يكون في حيز الوجود ، فيا له من عالم مجيد إلى أقصى درجات المجد ، ويا له من عالم عظيم إلى أقصى درجات العظمة ، ويا له من عالم سعيد إلى أقصى درجات السعادة ، ويا له من عالم مليء بالخيال ، مليء بمشاعر السعادة ، مليء بما لم يمتلىء به عالم آخر من قبل هذا العالم .

(٢) ما هي السعادة ؟

● أنت تبدو يا لورد رسل كما لو كنت إنسانا سعيدا للغاية ، هل أنت كذلك حقا ؟

●● لا ، ليس كذلك على الاطلاق ، لقد مررت بفترات ذقت فيها طعم السعادة ، ومررت بفترات أخرى لم أذق فيها للسعادة طعماً ، وربما كان من حسن حظي ، أن فترات السعادة تبدو لي أكثر طولا ، كلما تقدم بي العمر .

● ماذا كانت أتعس فترات حياتك ؟

●● حسنا ، لقد كنت تعيسا ، للغاية في فترة مراهقتي ، وفي اعتقادي أن هذا هو شأن أكثر المراهقين ، لم يكن لدي أصدقاء ، بل لم يكن لدي من أستطيع أن أتحدث معه ، كنت أفكر ملياً ، في الانتحار طوال الوقت ، وكنت أكبح جماح نفسي بصعوبة حتى لا أقدم على هذا الفعل . وهو التفكير الذي لم يكن سلبياً على الاطلاق ، أوه ، لقد خيل لي تماماً أنني لم أكن سعيداً ، أبداً ، ولكنه كان مجرد تخيل ، كما اكتشفت ذلك في أثناء حلمي ، لقد حلمت بأنني في غاية المرض ، وبأنني أعاني آلام الاحتضار ، وتصادف أن كان يقف إلى جواري **البروفسور جويت مترجم أفلاطون** ، وأحد المثقفين ممن كان صديقاً لأسرتي ، وكان صوت البروفسور جويت قصيراً وحاداً كالصرير ، فقلت له بصوت ملتاع وأنا في أضغاث أحلامي : « لا بأس ، هناك على أية حال نوع من الراحة ، وعما قريب سأرتاح من كل هذا العناء » . فما كان منه إلا أن قال لي : « هل تقصد بذلك الحياة » فأجبت قائلاً ! : « نعم ، ما أقصده هو الحياة » فرد على الفور « عندما تكبر في السن ، لن تتفوه بمثل هذا الكلام الفارغ » . فأفقت من حلمي ، ولم أعاود ترديد مثل هذا الهراء !

● ولكن ، طالما أنك شعرت بالسعادة ، هل جاءك هذا الشعور بناء على ترتيب أم كان بمحض المصادفة ؟

●● حسناً ، لم ينتابني هذا الشعور بناء على ترتيب ، إلا فيما يتعلق بعملي ، أما بقية حياتي ، فقد كانت متروكة للظروف والمصادفات ، ولكن الذي لا شك فيه ، أنه فيما يتعلق



★ برتراند رسل وسط تلاميذ مدرسة بيكون هل الإنجليزية وإلى يساره ابنته كات رسل والثاني إلى يمينه ابنه هيون رسل ★

بعملي الذي كنت أنجزه كما ينبغي، كانت سعادتي وليدة ترتيب واع.

● **هل تعتقد أن ترك السعادة للظروف والمصادفات، هو الشيء السليم؟**

●● أوه، أعتقد أن المسألة تتوقف على الحظ بدرجة كبيرة، وكذلك على الأسلوب الذي يسير به عملك، لقد مررت بفترة اضطراب ذقت فيها مرارة التعاسة، وكان ذلك في فترة لاحقة عن فترة المراهقة التي حدثتك عنها، عندما استغرقتني تماماً إحدى المشكلات التي كان لزاماً عليّ أن أجد لها حلاً قبل أن أمضي في عملي، ولقد ظللت أصارع هذه المشكلة طوال عامين دون أن أحرز في حلها أي تقدم، وكان ذلك مصدراً من مصادر تعاستي الشديدة.

مقومات الشعور بالسعادة

● **ما هي في رأيك مقومات الشعور بالسعادة؟**

●● حسناً، مقومات السعادة في رأيي، يمكن ارجاعها إلى أربعة مقومات هامة، ربما كان **أولها جميعاً الصحة**، **يليها** بعد ذلك أن يكون الإنسان في مأمن من العوز، **ثالثها** العلاقات الشخصية السعيدة، أما **رابع** هذه المقومات فهو العمل الناجح.

أ ـ الصحة

● **لا بأس، ولكن ما الذي يمكن أن يقال عن الصحة؟ ولماذا تولي الصحة كل هذه الأهمية؟**

●● واضح، فإذا أصيب الإنسان ببعض أنواع المرض، يكون من الصعوبة بمكان أن يشعر بالسعادة، فبعض أنواع المرض، تؤثر في العقل، وتسبب للإنسان شعوراً بالتعاسة، وبعض أنواع المرض، يستطيع الإنسان أن يتحملها، أما بعضها الآخر، فيصعب تحمله على الاطلاق.

● **هل تعتقد أن الصحة تجعل الانسان سعيدا، أم أن السعادة هي التي تجعله صحيحا؟**

●● حسناً، في اعتقادي أن الصحة أساساً هي التي تجعل الإنسان يشعر بالسعادة، ولكن العكس ليس صحيحاً، فالإنسان السعيد يكون أقل تعرضاً للمرض من الإنسان غير السعيد.

● **عندما يكون يومك سعيدا، هل يكون ذلك في صباح اليوم الذي نمت فيه جيدا أكثر من صباح اليوم الذي لم تنم فيه نوما جيدا؟**

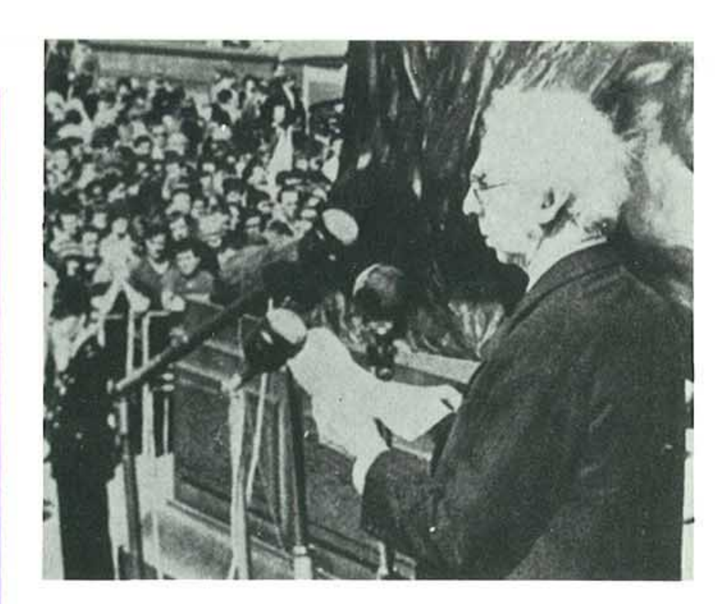
●● أوه، بالطبع.

ب ـ الدخل المادي

● **هل لنا الآن أن نتكلم عن المقوم الثاني من مقومات السعادة، وهو الدخل المادي؟ ما أهمية هذا الجانب؟**

●● حسناً، فهذا يتوقف على المستوى المعيشي الذي اعتاد عليه الإنسان، فإذا اعتاد الإنسان أن يعيش على الكفاف، لم يكن في حاجة إلى دخل مادي كبير، أما إذا اعتاد الإنسان أن يعيش حياة الرخاء، فإنه يشعر بالتعاسة ما لم يكن دخله المادي كبيراً جداً، وعلى ذلك، فالمسألة في اعتقادي تتوقف على ما اعتاد عليه الإنسان.

● **ألا يمكن أن يدفعنا ذلك دفعا، إلى نوع من السعي الحثيث وراء المال؟**



★ برتراند رسل في اكتوبر عام ١٩٥٨ ★

●● أوه ، ببساطة شديدة ، وهذا ما يحدث في أغلب الأحوال ، فكثيرا مـا نجـد أن أكثر الناس ثراء . هم من ينتابهم الفزع من أن يموتوا في بيوت فقيرة ، وهو مـا يحـدث في الأغلب .

● **ولكن المال الوفير لا يؤدي بالضرورة إلى السعادة .**

●● أوه ، لا ، لا بالطبع ، فالمال في اعتقادي يشكل الحد الأدنى من الاحتيـاج ، ولا ينبغي على الإنسان أن يفكر كثيراً في المال ، وإلا أصيب بالاضطراب .

جـ - العلاقات الشخصية

● **لقد وضعت العلاقات الشخصية في المرتبة الثالثة من القائمة ، هـل كنت تقصد بذلك أنها الثالثة في ترتيب الأولوية ؟**

●● أوه ، لا لا ، لأنني على قدر تجربتي ، أستطيع أن أقول انهـا المطلـب الأول ، أو بالأحرى ، هي المقوم الأول بعد مقوم الصحة .

● **هل تشرح لنا قليلا ، ما الذي تقصده ، بذلك ؟**

●● أقصد علاقاتي الشخصية ؟

● **نعم ؟**

●● أوه ، لا بأس ، كنت أظن أن ما أقصده بـالعلاقات الشـخصية ، واضـحاً كل الوضوح ، فأنا أقصد بالعلاقات الشخصية **الصداقة** ، وأقصد بها **الحب** ، وأقصـد بهـا علاقات الإنسان بأولاده ، فهذه كلها أنواع من العلاقات الشخصية الحميمة ، فإن لم يكن الإنسان سعيداً في مثل هذه العلاقات ، تصبح حياته بالغة الصعوبة .

د - العمل

● **والآن ، العمل ، في أي مستوى من المستويات تضعـه ، أعـني أهميـة العمل الناجح ؟**

●● في مستوى عال بالتأكيد بالنسبة لكل من هم على جانب من الحيوية والنشـاط ، فالبعض أكثر كسلاً وخمولا ، ولا يعولون على العمل كثيراً ، أما مـن هـم بـكامل طـاقتهم الحيوية ، فلا بد لهم من متنفس لتفريغ هذه الـطاقة ، والعمـل هـو المتنفس الـطبيعي ، وبالطبع لا يمكن للعمل أن يضفي عليك السعادة ، ما لم يكن عمـلاً نـاجحاً ، فـإذا كان كذلك ، فلا شك أنه كفيل بأن يملأ عليك يومك وأن يضيف إليه السعادة .

● **وهل يهم في ذلك نوع العمل ؟**

●● لا ، لا أعتقد أن نوع العمل له أهمية في ذلك ، فيما عدا الأعمال غير المستقرة أو المحفوفة بالمخاطر ، أقصد لو أنني كنت مثلاً عضواً في مكتب سياسي ، فـلا بـد وأن يـكون عملي مقلقاً بعض الشيء ولكن .

● **ربما أمد بعض الناس ممن يحبون هـذا النـوع مـن العمـل ، ببعض الحوافز .**

●● بالطبع ، لو أنك أحببت هذا النوع من العمل ، فالأمر بـالنسبة لك يـكون على ما يرام .

● **ولكن ارتفاع مستوى العمل أو قلة مستواه ، هل يهم في ذلك ؟**

●● لا ، بالطبع ، فهذا يتوقف على طبيعـة الإنسـان ، فبعض النـاس لا يشـعرون بالسعادة ما لم يرتبطوا بانجازات ضخمة ، والبعض الآخر ، يمكنه أن يكتفي بـالقليل مـن الانجازات حتى يشعر بالسعادة الكاملة ، إنها مسألة طبع ومـزاج على أن يـكون عمـل الإنسان على قدر ما تسمح به طاقته ، لأن ذلك يساعده على أن ينجز أعمالا ناجحة .

● **ما تقوله يبدو كما لو كان ينبسط الكسول على حظه من الـكسل ، إذ ينبغي أن يكون راضيا بما قدر له من قدر ضئيل في العمل ؟**

●● نعم ، ولكن لا ينبغي أن يكون سعيداً كل السعادة ، فهذا على الأقل ما أفدته من تجربتي في الحياة ، فالسعادة الناجمة عن انجاز عمل ناجح نجاحاً حقيقاً ، نتيجـة للجهـد الشاق ، إنما هي أكبر بكثير ، ولا أظن أن الشخص الـكسول قـد ذاق طعماً لمثـل هـذه السعادة .

عن الذكاء

● **ماذا يكون تصرفك ، لو قيل لك إنه يمكن أن يتحقـق لك قـدر أكبر من السرور ، لو أنك كنت أقل قدرا من الذكاء ؟**

●● أوه ! لم أكن أقبل بذلك أبداً ، بل كنت في الواقع أفضل قليلاً من السرور ، في مقابل المزيد من الذكاء ، لا . . لا . . فأنا أحب الذكاء .

الفلسفة

● **هل تعتقد أن الفلسفة تضفي السعادة على الانسان ؟**

●● نعم إنها تضفي عليه السعادة ، لو كان من المهتمين بالفسلفة ، ولـو كان نـاجحاً فيها وليس العكس ، أعني لو كان متطفلاً عليها ، أعني لو كان بـالنسبة لهـا مجـرد عـابر سبيل . فأي عمل يجيده الإنسان ، كفيل بأن يضفي عليه الشعور بالسعادة .

القلق

● **ما هي العوامل التي تحول دون تحقيق السعادة ؟**

●● نعم ، هناك عدد كبير من هذه العـوامل ، بـالاضافة إلى نقيض الأشـياء الـتي تحدثنا فيها ، فمن الأشياء التي تحول دون تحقيق السعادة ، **القلق** ، وهو عامل من العوامل التي لها علاقتها بحياتي ، فكلما تقدمت بي العمر ، شعرت بمـزيد مـن السـعادة ، فـأنا لم أصادف كثيراً من القلق ، وعلى ذلك عرفت كيف أتعامل معه بطريقة لا تخلو من الفائدة ، وذلك لأنني كنت أفكر فيه على النحو التالي : « والآن ، ما هو أسوأ الأشياء التي يمكن أن تقع لي ؟ . . » ثم أعاود التفكير : « لا بأس ، إنه في النهاية لن يكون بـالغ السـوء على امتداد مائة عام منذ الآن ، ومن الجائز ألا تكون له أهمية تـذكر » . . والـواقع أنـك لـو تركت نفسك تفكر على هذا النحو ، لن تعاني من القلق كثيراً ، فالقلق إنما ينجم عن عدم مواجهة الاحتمالات غير السارة .

● **هل تقدر على قهر القلق عن طريق الارادة ؟**

●● ليس تماماً ، ليس كلية ، ولكن ذلك ممكن إلى درجة كبيرة .

الحسد

● وأين تضع الحسد؟

●● أوه، الحسد، نعم، يا له من مصدر مزعج من مصادر التعاسة، لعدد كبير من الناس، وأنا هنا أتذكر **الرسام هايدون** الذي لم يكن رساماً ممتازاً ولكنه كان يتمنى أن يكون كذلك، لقد دون يومياته، وفي إحدى هذه اليوميات سجل قوله: «لقد قضيت صباحاً بائساً، أقارن فيه نفسي **برافائيل**».

● هل لك أن تعطينا مزيدا من الشرح لهذا الكلام عن الحسد؟

●● إن الحسد معناه أن عدداً كبيراً من الناس، لديهم ما يكفيهم لكي يصيروا سعداء، ولكنهم يقلقون أنفسهم لأن أناساً آخرين فيما يبدو، لديهم ما هو أكثر، فهم يظنون حسداً أن بعض الناس لديهم سيارة أفضل، أو حديقة أجمل، أو أن عملهم يمضي على ما يرام وهكذا.. وهكذا إلى آخر هذه الأشياء، فبدلا من أن يستمتعوا بما لديهم مما يمكن الاستمتاع به، يبددون هذه المتعة، بالتفكير فيما قد يكون لدى غيرهم على نحو أوفر، وهو ما لا ينبغي أن يحدث.

● ولكن، ألا يمكن للحسد أن يكون شيئا نافعا، بمعنى أن واحدا من الناس إذا شعر بالحسد تجاه العمل الذي يقوم به شخص آخر، ظنا منه أن عمل غيره أفضل من عمله، ألا يكون هذا حافزا له على تجويد عمله؟

●● نعم، يمكن أن يحدث هذا، ولكنه في ذات الوقت قد يكون حافزا لاساءة العمل، وفوق هذا كله فهو يشكل محاولة للتدخل في عمل الغير، فثمة طريقان للتفوق على الآخر، أولهما أن يتفوق الإنسان على نفسه، والآخر أن يضع الغير وراء ظهره.

الملل

● والملل.. ما هو في اعتقادك مدى أهمية الملل؟

●● في اعتقادي أن **الملل** مسألة على جانب كبير من **الأهمية**، وأنه كذلك بالفعل، إن الملل مسألة غريزية في الإنسان، ذلك لأنني من خلال مراقبتي للقردة في حديقة الحيوان، بدت لي كما لو كانت تشعر بالملل، وإن كنت لا أظن أن الحيوانات الأخرى تعاني مثل هذا الشعور، فهو علامة من علامات ارتفاع درجة الذكاء، ولكني أعتقد أن الملل ظاهرة لها أهميتها الكبرى، وتستطيع أن تلاحظ ذلك في سلوك الهمج، فعندما يتصلون لأول مرة بغيرهم من المتحضرين، تراهم يفكرون فورا في الخمور، إنهم يحتاجون إليها، بأكثر من حاجتهم إلى حبات الخرز الزرقاء، التي تدرأ العين، وما حاجتهم إلى الخمر، إلا لأنها سرعان ما تزيل عنهم الملل.

● ولكن كيف يستطيع الإنسان أن يعتبر الملل، وبخاصة الفتيات ممن حصلن قدرا طيبا من التعليم؟ إنهن يتزوجن، ولا يجدن بعد ذلك ما يفعلن، سوى مراعاة شؤون البيت.

●● أجل، ويا له من نظام اجتماعي سيء، وفي اعتقادي أنك لا تستطيع أن تثيره دائماً بفعل فردي، ولكن المثال الذي ضربته الآن، على جانب كبير من **الأهمية**، إنه يدل على أننا لم نتوصل بعد إلى نظام اجتماعي أفضل، لأن كل إنسان ينبغي عليه أن يختبر مهارته، سواء أكان ذكراً أم أنثى، والمرأة الحديثة التي بلغت درجة عالية من التعليم، لا تكاد تقدر على عمل شيء، بعد أن تتزوج، وهذا أثر من آثار النظام الاجتماعي.

خداع الذات

● إلى أي مدى يستطيع الانسان أن يكون سعيدا، إذا أدرك دوافعه الخاصة على انجاز الأعمال، حتى يستطيع بذلك أن يتحاشى خداع الذات؟

●● أوه، في اعتقادي أن ذلك يساعده إلى حد كبير، فكل إنسان يحمل في داخله قدراً من الكراهية لأحد الأشخاص أو لمجموعة من الأشخاص، على اعتبار أن هذا الشخص أو هذه المجموعة لا تتصرف وفقاً للمثل الأعلى، وعلى الرغم من أن هذا الشعور بالكراهية، قد يكون نتيجة التأثر بانطباع ما، إلا أن الواقع قد يخيب هذا الانطباع، على أن الإنسان إذا استطاع أن يتحاشى خداع الذات، فلا شك أنه سيكون سعيداً.

● وهل تعتقد أن عددا كبيرا من الناس، إنما يكونون تعساء نتيجة لخداع الذات؟

●● أوه، نعم، أعتقد أن ذلك يحدث لعدد كبير من الناس.

السجن

● هل تعتقد أن الانسان في إمكانه أن يكون سعيدا في ظروف محنة، كأن تكون السجن مثلا، لقد مررت أنت نفسك بهذه التجربة.

●● أوه، بالطبع، لقد قضيت وقتاً طيباً في الحبس، غير أنني كنت في القسم الأول، حيث لم تصادفني المشاق العادية التي تواجه حياة السجين، لم تصادفني على الاطلاق، ولكن، من الطبيعي أن تكون حياة السجن شديدة الصعوبة بالنسبة لإنسان اعتاد على ممارسة العمل الذهني، ولكنها أيسر بكثير بالنسبة لمن اعتاد على ممارسة العمل اليدوي، لأن الإنسان لا يستطيع أن يحرم طويلا من ممارسة حياته العقلية.

● هل تعتقد أنه أيسر للانسان أن يشعر بالسعادة حتى داخل السجن، لو كان ذلك في اعتقاده من أجل قضية عادلة، مما لو دخل السجن لأنه يستحقه مثلا؟

●● أوه، بالتأكيد، لو أنهم حكموا عليّ بنفس العقوبة، لأنني سرقت بعض الملاعق، لكنت شعرت شعوراً، كاملاً بالتعاسة، نعم.. نعم.. كان ينتابني ما استحقه من شعور بالخزي والعار، ولكني لما كنت قد دخلت السجن، لسبب آخر، فلم أشعر بهذا الشعور على الاطلاق.

● لأنها ببساطة كانت مسألة مبدأ؟

●● نعم.

القضية.. والعمر

● هل تعتقد أنه مما يساعد الناس على الشعور بالسعادة، أن تكون لهم في الحياة قضية يعيشون بها ولها؟

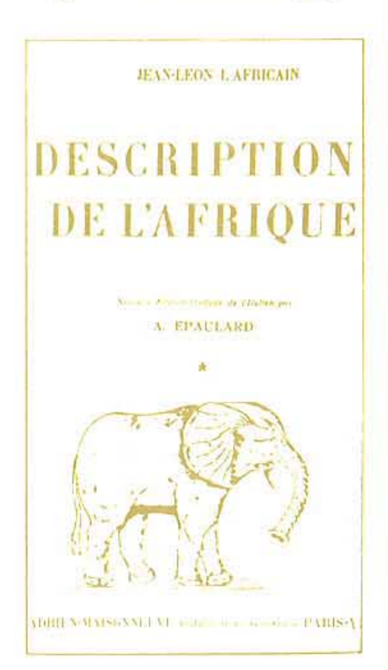
●● نعم، على شريطة أن يحققوا قدراً كبيراً أو ضئيلاً من النجاح، ففي اعتقادي أنه لو وجدت مثل هذه القضية ولم يحققوا فيها أي نجاح فلن يشعروا بالسعادة، ولكنهم إذا حققوا قسطاً من النجاح، من حين إلى حين، فإن ذلك من شأنه أن يساعد على بلوغ السعادة، وفي رأيي أنني ينبغي أن أنتقل من الموضوع إلى موضوع آخر، وهو موضوع له أهميته في بلوغ السعادة، وبخاصة كلما تقدم العمر بالإنسان، فكلما كانت اهتماماتك غير شخصية، ولها امتدادها إلى ما بعد حياتك الخاصة، كلما قل تفكيرك، فيما إذا كانت حياتك الخاصة ستنتهي قبل أوانها بزمن طويل، وفي اعتقادي أن هذا عاملاً مهماً للغاية، من العوامل التي تساعد على تحقيق السعادة لمن تقدمت بهم العمر.

● وماذا تقول في الفكرة الشائعة لدى الناس، عن ضرورة حرصهم على أن يعيشوا حياة سعيدة، تمتد إلى أطول مدى؟

●● أوه، بالنسبة لكيف يعيش الإنسان أطول مدى، فهذه مسألة طبيعية وليست مسألة من المسائل التي ينبغي أن أعبر فيها عن رأيي، ولقد قرأت كثيراً من المصنفات الأدبية التي تدافع عن هذه الوجهة من وجهات النظر، لقد قالوا لي، لو أنني تناولت عقاقيرهم الطبية، لعاد شعر رأسي أسود، كما كان، ولست متأكداً من ضرورة أن أرحب بذلك، لأنني أجد أنه كلما زاد شعر رأسي بياضاً، كلما كان الناس أكثر استعدادا لتصديق ما أقول.



رحلة في



JEAN-LEON L'AFRICAIN

DESCRIPTION DE L'AFRIQUE

A. EPAULARD

ADRIEN-MAISONNEUVE PARIS

كتاب

وصف أفريقيا

تأليف:

الحسن الوزان
أو
ليون الافريقي

عرض وتقديم:

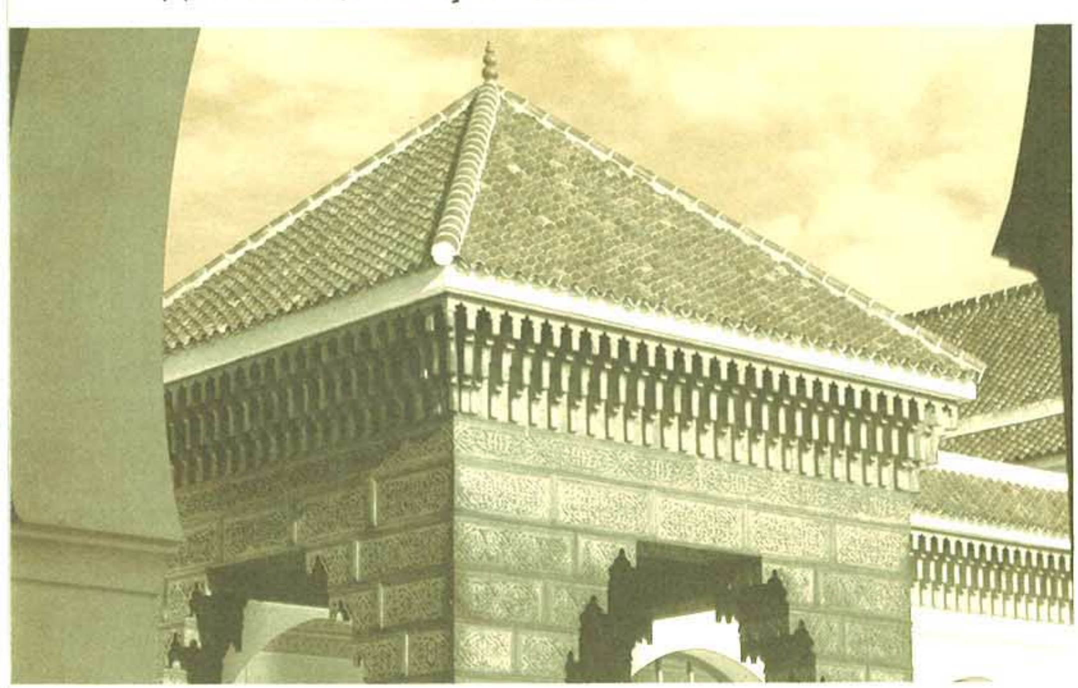
د. عبدالرحمن حميدة

● "إن ما يتصف به مصنفه من مميزات أمر معروف للجميع ولن أتردد في تكرار ماقاله البحاثة قبلي من أن كتابه كنز من الذهب.. ولولا وجوده بين يديّ لخفيت عليّ أشياء كثيرة.."

(المستشرق الألماني هارتمان - القرن ١٧م)

●● "إن مايورده ليون الإفريقي من تفاصيل في وصف المغرب، يتميز بالدقة الشديدة، بل وقد أثبتت الأبحاث الأخيرة صدق قوله حتى في تلك المواضيع التي أثارت الشك فيما مضى"

(المستشرق الفرنسي ش. شيفر - القرن ١٩م)



★ جامع القرويين في مدينة فاس بالمغرب.. كان جامعة تخرج منها عدد من العلماء والمفكرين والفلاسفة، ومنهم الوزان صاحب كتاب «وصف إفريقيا» ★



نبذة عن حياة المؤلف

★ رأت عينا **الحسن بن محمد الوزان الزياتي**، لأول مرة في **غرناطة**، آخر معقل من معاقل الإسلام في الأندلس، قبل خمسة قرون ونيف، وعلى وجه التحديد سنة ٨٩٤ هـ، أو ١٤٨٩ م، أي قبيل سقوطها بيد الملكين الكاثوليكيين، **فرديناند ملك آراغون، وايزابللا ملكة قشتالة.**

ويستدل من لقب أسرته، أن أحد أجداده شغل وظيفة في مصلحة الأوزان العامة، **أما الزياتي فتدل على نسبه القبلي**، أي قبيلته الأصلية التي تحدر منها. ولم يمض على سقوط عاصمة بني الأحمر في يد الإسبان، في شتاء عام ٨٩٧ هـ، (كانون الثاني / يناير ١٤٩٢ م)، أكثر من أعوام معدودات، حتى اضطرت أسرته، شأن الآلاف من الأسر المسلمة التي آثرت الاحتفاظ بعقيدتها، إلى النزوح عن مواطنها لاجئة إلى أقطار المغرب العربي، ولا سيما بعد ظهور **محاكم التفتيش** inquisition التي كان يشرف عليها **الكاردينال خمينز** وبتشجيع من الملكة ايزابللا.

وهكذا استقر المقام بأسرته في **فاس**، حيث شغلت بالطبع مكانة مرموقة. وقد أتم الولد الناشىء تحصيله حسب الأسلوب الذي ظل معهوداً حتى عهد قريب في مدارس فاس، وفي **جامعة القرويين** الإسلامية، ثم أصبح «طالباً»، كما يرى الكثير منهم حالياً في المغرب.

وقبل بلوغه الخامسة عشرة من عمره، تمرس في فنون الكتابة الدواوينية فتولى **خطة العدالة** لمدة عامين في **مارستان فاس**، بمرتب شهري مقداره ثلاثة دنانير.

وتجول وهو في سن مبكرة في أرجاء البلاد المغربية، وكان فضوله العلمي يدفعه لاستنساخ كتابة شواهد أضرحة مشاهير الرجال، وألف من ذلك مجموعة قدمها هدية لشقيق سلطان المغرب. وتعطينا هذه التفاصيل فكرة عن سويته الاجتماعية وعن عناصر مروحة ثقافته. أما أباه فقد كان موظفاً كبيراً حسبما تشير بعض الظواهر. ويسرد لنا أيضاً، أنه قام برحلة وهو لا يزال شاباً إلى **القسطنطينية**، التي أصبحت حاضرة الخلافة الإسلامية، إلى أقطار المشرق العربي. وفي حوالي العام ١٥١١ م، نجده بصحبة عمه، وهو شاعر وخطيب مفوه، في سفارة إلى **تومبوكتو**، لمقابلة السلطان السوداني الكبير **آسكيا محمد توريه.**

وقد ثابر الحسن في تجواله في أنحاء المغرب لحساب سلطان فاس من **بني وطاس**، وهم آخر فروع **بني مرين**، وذلك قبل قيامه برحلة ثانية إلى **بلاد السودان**، والتي يذكر فيها، هذه المرة، أنه انتقل فيها من تومبوكتو إلى **مصر**، ماراً ببلاد **الهوسه** ومملكة **غاوغه**، في شرقي **التشاد**، وكان عليه أن يعود إلى المغرب بحراً.

وقد أمضى عامي ٩٢٢ و٩٢٣ هـ، في مملكة المغرب، وكان يعمل حينذاك في خدمة السلطان وبعض قواده على المناطق، **وقد ساهم في أكثر من معركة ضد البرتغاليين**، في معية سلطان فاس. ومما لا ريب فيه، أنه قد **عهد إليه بمهمات سياسية تارة، واقتصادية تارة أخرى**، لأنه يبدو مطلعاً على بورصة الأسعار واختلافاتها بين بلد وآخر. وتزايدت هذه البعثات أهمية مع الزمن، حتى لنجده وسيطاً في المفاوضات بين سلطان فاس **محمد البرتغالي**، وبين سلطان مراكش **الناصر بن يوسف الهنتاتي**، وأمير السوس وحاحه **الشريف أحمد الأعرج**، مؤسس أسرة السعديين الذي يبدو أنه كان زميلاً له في الدراسة في بعض معاهد فاس.

وفي شهر آذار (مارس) من عام ١٥١٤ م، (٩٢٢ هـ)، كانت له مقابلة مع حاكم بادية **آسفي**، عامل ملك البرتغال، واسمه **يحيى اوتعفوفت**، وأظهر الحسن في العام التالي نشاطاً كبيراً، وذلك بمناسبة حملة السلطان على مملكة **دكالة**. ومن المحتمل أن كفاءاته النادرة وثقافته وموهبته الشعرية، كانت تحظى بتقدير كبير لدى السلطان المذكور، فعهد إليه بمهمة في الشرق. وهرع الحسن مسرعاً إلى فاس في شهر آب (أغسطس) من عام ٩٢٣ هـ، وليس من المؤكد يقيناً أنه كان مكلفاً بسفارة لدى السلطان العثماني **سليم الأول** في القسطنطينية، كما تتصور بعض الروايات، وذلك نظراً لقلة تجهيزاته نسبياً في هذه الرحلة، كأنه يضطر مثلاً، لشراء حبال الخيام بنفسه من سوق **بسكرة في الجزائر**. ويذكر لنا وجوده في **مدينة رشيد**، في مصر، في نفس الوقت الذي كان فيها السلطان سليم، الذي انتزع من **المماليك** بلاد الشام ومصر، ولكن الحسن لا يتكلم لنا شيئاً عن مقابلته إياه. ولكن مع هذا لم يكن الوزان موظفاً دبلوماسياً من الدرجة الثانية، لأننا نراه، في نفس الوقت، يتوقف في نفس الرحلة في **مدينة دبدو**، للتحادث مع حاكمها، ويقصد بلاط **سلطان تلمسان، أبا عبد الله محمد**، ويحل في مدينة الجزائر ضيفاً على «وجيه» أندلسي الأصل، اعتمده سكان الجزائر للتفاوض في أمر عقد هدنة مع الحكومة الإسبانية. ثم نراه يقصد بجاية لمقابلة **أمير البحر عروج بربروس**، الشقيق الأكبر لقائد الأسطول العثماني في البحر الأبيض المتوسط، **خير الدين بربروس**، قاهر أمير البحر الإيطالي **آندريا دوريا**. ثم يستأنف الحسن رحلته قاصداً **تونس**، مروراً بمدينة **مسيلة** الجزائرية. ويروي لنا، أنه بلغ تونس مع جوادين فقط، وعانى مشقة كبيرة في سبيل الحصول على علفهما من الشعير. وعند وصوله تونس لم يجد سلطانها أو ربما لم يحظ بمقابلته لأنه لا يتكلم عنه بخير.

هذا ولا نعرف على الضبط المكان الذي أبحر منه الحسن قاصداً القسطنطينية، ولا عن تاريخ سفره ولا شيء مطلقاً عن إقامته في أقطار المشرق، سوى أنه زار **جزيرة العرب وبلاد الشام وفارس وأرمينيا**، وأنه كان في رشيد في شهر حزيران (يونيو) ٩٢٥ هـ، (١٥١٧ م)، **وقد أدى فريضة الحج خلال إقامته في المشرق**، وعاد من مصر إلى المغرب بحراً وتوقف في طرابلس سنة ١٥١٨ م ★



★ لوحة تصوّر رسامها الملك «أبو عبد الله الصغير» وهو يسلم مفتاح غرناطة للملك فردیناند والملكة ایزابیلا (!!!) ★

السقوط في الأسر

ولقد بوغتت سفينته لدى توقفها في **جزيرة جربة** ، بالقراصنة الطليان ، من صقلية ، وعلى رأسهم **بيترو بوفاديغليا** ، الذين اقتادوه إلى روما بعد توقف قصير في **نابولي** ، وهكذا انتهت رحلاته في أرجاء العالم الإسلامي بصورة محزنة .

وفي حوال العام ١٩٢٠ م ، بلغ **روما** ، حيث قدمه القراصنة مع زرافة هدية إلى **البابا ليون العاشر ، واسمه السابق جان دوميديسيس** ، هذا بعد أن رأى فيه القراصنة صيداً ثميناً وشخصية كبيرة . وحظي بكرم الوفادة من لدن هذا البابا المعروف بحمايته للفنون والآداب ، والذي عرف عنه اعتناقه لمذهب النزعة الإنسانية المستنيرة ، واطلاعه على تفاصيل المسألة الشرقية ، حتى لقد حرص **فرانسوا الأول ملك فرنسا** ، عام ١٥١٥ م ، على القيام بحملة صليبية ضد الأتراك العثمانيين ، الذين وحدوا العالم العربي والإسلامي للمرة الثانية ، بعد الخلفاء الراشدين والأمويين ، بحيث كان من غير المنتظر الا يستقطب هذا الدبلوماسي والعالم الرحالة المغربي انتباه البابا ليون العاشر ، والذي يغلب على الظن ، أنه عثر بحوزته على مذكرات بالعربية عن رحلاته ، وربما كتاباً كاملاً هو النسخة العربية لوصف إفريقيا .

وقد ناشده البابا ، **اعتناق النصرانية** ، بعد إقامة اجبارية في قصر سانتانج في روما امتدت عاماً كاملاً ، واضطر الحسن للرضوخ ، وهو بكم إيمانه ، **وتم تنصيره على يد ثلاثة أساقفة ، وأخيراً جرت مراسيم تعميده على يد البابا نفسه ، في كنيسة القديس بطرس في روما** ، بتاريخ السادس من شهر كانون الثاني (يناير) ١٥٢٠ م ، (٩٢٨ هـ) ، وسمي **جوهانيس ليو دوميديسيس** ، أما هو فقد اتخذ لنفسه اسم **جان ليون غرناتينو** ، وبالعربية **يوحنا الأسد الغرناطي** . وقد عرف فيما بعد تحت اسم **جان ليون الإفريقي** ، أو **جان ليون الايبيري** ، نسبة إلى شبه جزيرة ايبريا ، أي إسبانيا والبرتغال .

ولا تزال تفاصيل حياته في إيطاليا غير معروفة ، وهل عاش حياة عائلية بعد أن أعتقه البابا ورد إليه حريته ، وهل ترك ذرية من بعده ؟ وكل ما نعرفه أنه **عمل في تدريس اللغة العربية في مدينة بولونيا الايطالية ، وأنه كان يتردد على رجال الأدب الطليان** ، وهكذا عاش حراً في سجنه .

تواؤمه مع وضعه الجديد ونشاطه العلمي

لقد كان لإلمامه **باللغة الإسبانية** ، التي كانت بالنسبة له لغة قومية ثانية ، دور ساعده على التعرف على بيئته الجديدة التي فرضت عليه الأقدار أن يعيش فيها ، **فأجاد الإيطالية واللاتينية** ، بصورة مرضية ، ونجده في عام ٩٣٠ هـ ، **يؤلف معجماً عبرياً عربياً** ، من أجل طبيب يهودي ، هو **يعقوب بن سيمون** ، ولا يزال مخطوطاً **بمكتبة الاسكوريال في مدريد** . وفي العاشر من شهر آذار (مارس) ١٥٢٦ م ، فرغ من تأليف كتاب **«وصف إفريقيا»** الذي نحن بصدد الكلام عنه ، وبعد عام واحد **صنف كتاباً جامعاً في سير ثلاثين من مشاهير العرب في الفلسفة والطب** ، نشره هوتينغر سنة ١٦٦٤ م ، هذا كما **ألف كتاباً في بلاغة اللغة العربية** ، وآخر في **النحو** ، لفائدة تلاميذه الطليان ، أثناء تدريسه في مدينة بولونيا ،

مثلما عثرت **الأستاذة الايطالية كودازي** على رسالة له في **القياس المسطح** ، مما يشهد على اتساع ميدان معارفه ، الذي كان يشتمل على **الطب واللغة والتاريخ والجغرافيا والشعر إلى جانب الفقه .**

وإلى جانب هذا ، قام بجولة في معظم أرجاء إيطاليا ، لأنه لا يتردد في معرض كلامه عن بعض بلاد المغرب ، أن يذكر أوجه الشبه بينها وبين مثيلاتها في إيطاليا ، لأنه صنف كتابه لقرائه الطليان قبل كل شيء . **والمرجح أنه زار عدة أقطار أوروبية** ، لأنه يذكر لنا مخطط مشروعه الذي يبدأ بكتاب يصف فيه أقطار أوروبا ، ثم يخصص كتاباً ثانياً لبلاد آسيا العربية وآسيا الصغرى ، ويختمها بكتاب « الوصف » .

العودة إلى دار الإسلام

وقد استطاع الحسن في حوالي العام ٩٢٨ هـ ، الافلات بطريقة ما ، وقفل عائداً إلى القطر التونسي ، حيث طرح قناع المسيحية فوراً ، لائذاً إلى دينه القديم ، ويرى المستشرقون الطليان أن الكرادلة من أصدقائه أرسلوا له وفداً من طرفهم لاقناعه بالعودة إلى إيطاليا ، ولكن دونما طائل . وهنا نجهل تماماً سيرة بقية حياته ، وفيما إذا كان قد استأنف نشاطه العلمي الغزير ، كما فعل في ديار الغربة والأسر .

وقد توفي على ما يبدو في مدينة تونس ، في عهد آخر ملوك حفص ، في عام ١٥٥٢م ، على الأرجح ، عن عمر يناهز الستين عاماً .

أهمية كتاب «وصف إفريقيا»

لم يكن الحسن الوزان ، الذي يظهر كتابه لأول مرة في اللغة العربية في عام ١٣٩٩ هـ ، بمناسبة انعقاد **المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول ، في كلية العلوم الاجتماعية ، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية** ، أقول لم يكن شخصية غير مرموقة في الأوساط العلمية الأوروبية ، وذلك منذ أواسط القرن العاشر الهجري (١٦ م) ، بقدر ما ظل مغموراً بصورة تكاد تكون كاملة في العالم العربي والإسلامي ، وذلك حتى أواخر القرن الفائت .

فقد نشر **راموزيو** ، كتاب « وصف إفريقيا » ، لأول مرة سنة ١٥٥٠ م ، (٩٥٧ هـ) ، في **مدينة البندقية** ، أي قبل ٤٤٢ عاماً هجرياً ، وبعد فترة لا تزيد عن ٢٤ عاماً ، من فراغ الحسن الوزان من تأليف كتابه باللغة الإيطالية ، وكان لا يزال حياً يرزق في تونس وقتئذ ، وقد كان نشر الكتاب في جملة قصص رحلات جغرافية أخرى ، وأهداه لشخصية كبيرة في ميدان العلم والسياسة هو **جيروم فراكاستور** .

ولكن النجاح الذي لاقاه هذا الكتاب في ذلك العصر ، جعل راموزيو ينشره أكثر من مرة ، وكانت آخر طبعة هي الرابعة ، **في عام ١٥٨٨ م ، (٩٦٦ هـ) ، وفي سنة ١٥٥٥ م ، ظهرت الترجمة الفرنسية** ، بجهود **تامبورال** ، وبعد فترة وجيزة ، **تمت ترجمته إلى اللاتينية** ، بقلم **جان فلوريان** سنة ١٥٥٦ م ، في **مدينة آنفرس البلجيكية** . وفي عام ١٦٠٠ م ، **ظهرت الترجمة الانكليزية** ، على يد **جون بوري** ، **وظهرت ترجمة هولندية** له ، سنة ١٦٦٥ م ، وفي ١٨٠٥ م ، **تمت ترجمته إلى الألمانية** . وفي ١٨٩٦ م ، ظهرت طبعة إيطالية حديثة له ، وأعاد **براون** ، نشره بالانكليزية للمرة الثانية ، اعتماداً على طبعة بوري . وفي ١٨٩٦ ـ ١٨٩٨ م ، قام **ش . شيفر** ، بنشره للمرة الثانية بالفرنسية ، في **باريس** .

هذا وقد خصصت له **الأستاذة كودازي ، من جامعة روما** ، مقالة ممتازة في **الموسوعة الإيطالية للعلوم والآداب والفنون** ، الصادرة في روما سنة ١٩٣٣ م ، مجلد ٢ ، ص ٨٩٩ ، كما كان **للمستشرق الإيطالي آلدو ميالي** ، الفضل في إبراز عروبة « يوحنا الغرناطي » وإسلامه ، في كتابه « **العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي** » . هذا وقد كرس له **المستشرق الفرنسي ماسينيون** ، دراسة مستفيضة ضمن بحثه عن تاريخ المغرب المعنون : « **المملكة المغربية في أوائل سني القرن السادس عشر : لوحة جغرافية استناداً إلى ليون الإفريقي** » ، وفي سنة ١٩٥٢ م ، **ظهرت في مدريد الترجمة الإسبانية** لكتاب « الوصف » ، وفي نفس الفترة كان **المستشرق الروسي أغناطيوس كراتشكوفسكي** ، يفرد له بحثاً طريفاً في مؤلفه الضخم « **الأدب الجغرافي عند العرب** » .

وبعد نفاد الطبعة الفرنسية التي نشرها شيفر ، قام **الطبيب الفرنسي الجنرال ايبولار** ، بتحقيق كتاب الحسن الوزان مع شروح ضافية وتحقيقات ميدانية نموذجية ، ولكن المنية عاجلته قبل أن ينجز مشروعه ، فاستأنف أصدقاؤه العلماء الثلاثة : **مونو ، ولوت ، وموني** ، عمله إلى أن تمكنوا من طباعته في حلة جديدة سنة ١٩٥٦ م ، في جزءين ، مع صور وخرائط عديدة ، وهذه النسخة هي التي اعتمدناها في الترجمة إلى لغة الضاد .

أما أول اشارة للحسن الوزان في الأوساط العلمية العربية ، فقد كانت في عام ١٨٨٣ م ، وفي مجلة المقتطف المصرية ، في معرض خطبة ألقاها سليم ميخائيل شحادة الفزيري ، في المجمع العلمي الشرقي ، كما خصص له الباحث المغربي **محمد المهدي الحجوي** ، مقالة بالفرنسية في مجلة **هسبيريس الباريسية** ، مثلما تعرض لذكره **عبد العزيز بنعبد الله** في كتابه « **الطب والأطباء في المغرب** » ، المطبوع سنة ١٩٦٠ م ، وقد خصصت له **مجلة العربي الكويتية** ، مقالتين ، الأولى سنة ١٩٦٢ م ، بقلم **عبد الله محمد عنان** ، والثانية بعد عشرة أعوام بقلم **زكريا جمال قاسم** من جامعة الإسكندرية .

وفي سنة ١٩٧٠ م ، أفرد له الأستاذ **الدكتور مصطفى مسعد** ، بحثاً يقع في خمس وعشرين صفحة ، نشره في **مجلة جامعة القاهرة** ، مثلما خصص له المرحوم **الدكتور شوكت الشطي** ، الأستاذ السابق في **كلية الطب بجامعة دمشق** ، في عام ١٩٧٢ م ، بحثاً يحمل عنوان « نظرات إلى ثقافة العرب الطبية في الحضارة الأندلسية » ، وذلك بمناسبة **مهرجان العلم السنوي في العاصمة السورية .**

ولا يزال كتاب الوزان مرجعاً أساسياً بالنسبة لدراسة الجغرافيا التاريخية لأقطار إفريقيا البيضاء ، ونجد اسم ليون الإفريقي في أكثرية الكتب الأجنبية ، التي تتعرض للتطور التاريخي أو الجغرافي لهذه البلدان .

مضمون الكتاب

يقع كتاب الحسن « **وصف إفريقيا** » مع شروحه ، التي تكاد تؤلف النصف تقريباً ، في خمسمئة وتسع وسبعين صفحة ، في النسخة الفرنسية ، وفي ستمئة وأربع وأربعين صفحة ، في النسخة العربية . وقد قسمه المؤلف إلى تسعة أقسام ، يتواءم توزيعها تماماً مع معطيات المدرسة الجغرافية الحديثة ، أو ما يسمى **بالجغرافيا النطاقية** ، والتي لم يأخذ بها الجغرافيون في الغرب ، إلا بعد منتصف القرن العشرين ، أي دراسة الأقاليم حسب خطوط العرض ، وهذا على خلاف أتباع **مدرسة الجغرافيا العالمية** ، الذين تشبثوا بمفهوم **الجغرافيا الاقليمية .**

القسم الأول

ويخصص **القسم الأول** ، من الكتاب ، لمقدمة عامة عن إفريقيا التي تضم ، عنده ، كل أقطار المغرب ، ابتداء من ساحل الظلمات ، **أي المحيط الأطلنطي** حالياً ، غرباً ، ومن **ساحل البحر الأبيض المتوسط** شمالا ، حتى **نهر النيل** ، وجنوباً ، حسب خط عرض يمر في شمالي **بلاد الحبشة والتشاد** ، وعقفة النيجر ، حتى مصب **نهر السنغال** ، ثم يعمد إلى تقسيم إفريقيا هذه ، إلى أربعة أقسام متميزة هي : **بلاد البربر** ، وهي التي يطلق عليها حالياً بلاد التل ، أو النطاق المحاذي للبحر الأبيض المتوسط ، وهو أشرف أجزاء بلاد المغرب ، أي أغناها بالموارد والثروات الزراعية ، وإلى الجنوب منها **نطاق نوميديا** ، أي الواحات التي يجود فيها النخيل ، والواقعة إلى الجنوب من سلسلة جبال الأطلس الصحراوي مباشرة ، ثم **صحراء ليبيا** ، وهو الجزء الذي يضم أكثر من ثلثي رقعة إفريقيا المعروفة في عهد الوزان ، عند العرب ، أو **الصحراء الكبرى** حالياً ، وتأتي **بلاد السودان** ، في أقصى الجنوب وهي التي تقسم بدورها إلى عدة ممالك متميزة .

ثم يتعرض لجغرافية إفريقيا على الصعيد البشري ، فيتكلم عن **مدلول كلمة البربر وأصل الأفارقة** ، ويلتقي هنا في عدة نقاط مع **ابن خلدون** . ثم يتكلم عن العرب ويميز المتبربرين ، أي الذين اندمجوا في الأفارقة فتبربروا تماماً ، ثم يتعرض لمناطق انتشار العرب ، من عدنانيين وعلى رأسهم **بنو هلال** ، ومن يمنيين وفي طليعتهم **المعاقيل** . ويخصص قرابة عشرين صفحة ، للكلام عن أنماط حياة سكان إفريقيا البيضاء ، فيقول عن سكان الصحراء :

« فليس من عادتهم أكل الخبز أو أية وجبة مجهزة ، إذ يتغذون بحليب نوقهم ، ومن رسمهم أن يشربوا صحفة كبيرة من الحليب الحار بمجرد خروجه من الضرع . أما في المساء ، فيتألف عشاؤهم من لحم مقدد مغلي في الحليب مع السمن . وعندما ينضج اللحم يتناول كل واحد نصيبه باليد . وبعد أن يأكل قطعته يشرب المرق مستخدماً يده كملعقة ، وبعد ذلك يرشف صحفة من الحليب وتنتهي الوجبة » .

ويصف **الطوارق الملثمين** ، فيقول : « ففي كل مرة يتناولون فيها لقمة يكشفون عن فمهم ، ثم يسترونه في الحال . ويقدمون الزعم التالي لتبرير هذه العادة : كما أنه من المعيب بالنسبة للرجل ، أن يُرى وهو يطرد غذاءه بعد هضمه ، كذلك من المعيب أن يُرى وهو يُدخل الغذاء إلى جوفه » .

ثم يتكلم عن نمط **حياة العرب الإفريقيين** : « وهم يحبون القريض ويرددون في عربيتهم الدارجة أبياتاً أنيقة جداً ، على الرغم من أن لهجتهم قد حرفت عن أصولها ، ويحترم الأمراء أي شاعر له بعض الشهرة ، ويمنحونه جوائز جزيلة . ولست قادراً على التعبير عن النقاوة والجمال



★ تعميد مسلمي غرناطة واجبارهم على اعتناق النصرانية ، صورة من كاتدرائية غرناطة ★

اللذين يسكبونها في أبيانهم ، وتكتسي نساء هؤلاء الأعراب كساء جميلاً للغاية ، حسب طراز البلاد» .

«ويضعن على وجوههن نقاباً ، هو عبارة عن قطعة قماش صغيرة مثقوبة تجاه العينين ، وعندما يظهر أمامهن رجل غريب لا يمت إليهن بصلة قرابة ، فإنهن يسرعن في اخفاء وجوههن بهذا الحجاب ويصمتن ، ولكن يرفعن هذا الحجاب عندما يكن مع أزواجهن وأقاربهن» .

ومن ثم يصف لنا طبيعة البلاد من الزاوية الجغرافية الطبيعية ومميزات الفصول ، وقصر أمد الحياة وطوله عند الأفارقة وأكثر الأمراض شيوعاً ، حيث نجد لديه نظرات صائبات تنم عن معرفته بالطب : «وهناك القليل من الأشخاص الذين يشكون من **النقرس** ، بيد أنه يلاحظ وجوده لدى بعض الأمراء المصابين به ، لأنهم ألفوا شرب الخمر وأكل الدجاج أو الوجبات اللذيذة» .

«ويلاحظ **مرض القرع** ، في كثير من الأحيان بين أطفال إفريقيا . ولكن هؤلاء لا يشفون منه مع تقدم سنهم . وتصاب الكثيرات من النسوة بهذا المرض ، وخاصة في بلاد البربر وبلاد السودان ، ويعتبر بعضهم هؤلاء المرضى كأن بهم مساً من الشيطان . وهذا من الحمق» .

«ويتصف الناس الذين يسكنون الخيام ، أي العرب والرعاة ، **بأنهم رجال كرماء ، مفعمون بالرحمة ، شجعان ، صبورون ، طيبو المعشر ، يؤلفون ، طيبو السيرة ، مطيعون ، متدينون** ، ومحبوبون مع طبع مرح ، وسكان الجبال كرماء أيضاً ، شجعان ، طيبو الحديث ، شرفاء في حياتهم العامة» .

القسم الثاني

أما القسم الثاني ، فهو عبارة عن **دراسة إقليمية ، يتناول فيها المواقع في مملكة مراكش ، وبلاد السوس ، ومنطقة دكالة وهسكورة وتادلة ، وما في هذه المناطق من جبال متميزة وسكانها ونباتها ومزروعاتها التي تجود بها** .

ويبدأ بالتحدث عن نمط حياة السكان ، ولباس الناس وعوائدهم : «ولا تعرف هذه البلاد أي نوع من أنواع التعليم ، فلا نكاد نجد إنساناً واحداً يعرف القراءة ، هذا عدا بعض رجال الشريعة ، الذين لا يعرفون أي نوع من أنواع المعرفة سواها ، وليس في البلاد أي طبيب من أي نوع كان ، ولا أي جراح ، ولا أي عطار . وتتألف كل العلاجات من الكي بالنار ، مثلما يصنع مع الحيوانات . وهناك بعض الحلاقين الذي لا يؤدون أية خدمة جراحية سوى ختان الأولاد» .

وإليكم نموذجاً عن أسلوبه في وصف بعض المدن الصغرى ، مثل **تاكوليت** :

«تقع تاكوليت على سفح جبل ، وتحوي قرابة ألف أسرة . وهي على مسافة ثمانية عشر ميلاً إلى الغرب من تدنست . ويمر من جوارها نهر صغير ، تقع على ضفتيه بساتين ومزارع مليئة بالأشجار المثمرة . وفي المدينة بضعة آبار عذبة صافية المياه . ويوجد فيها جامع بديع جداً ، فضلاً عن أربعة ملاجىء للفقراء ، وواحد للزهاد . وأهل هذه البلدة أكثر ثراء من سكان تدنست ، لأن هذه المدينة تجاور ميناء يقع على المحيط يدعى آقوز» .

ويصف نساء مدينة هادكيس في إقليم حاحه :

«وترى بين هؤلاء السكان نساء غاية في الجمال ، بيضاوات ، متوسطات السمنة ، وهن كذلك مليحات لطيفات . ولكن الرجال عنيفون غيورون يقتلون كل من يقترب من نسائهم» .

ويتطرق لحالة الأمن المتدهورة في مدينة تغتسه :

«وسكان هذه المدينة قتلة ، في حالة نزاع دائم مع جميع جيرانهم . وتقع أراضيهم الزراعية وماشيتهم في الجبل . وجميع الأحراش المحيطة بهذه المدينة مليئة بالخنازير البرية . ولا يوجد أي حصان في تغتسه . ولا يستطيع العرب - أي البدو - عبور المدينة ولا إقليمها بدون إذن خاص وورقة أمان» .

ويتكلم لنا عن النقد المتداول في إحدى مدن السوس :

«والنقد الوحيد المتعارف عليه هنا ، هو **الذهب الصافي** ، ولا يوجد في المنطقة سوى القليل من **الفضة** . والنسوة هن اللواتي يحملن هذا القليل من الفضة على شكل حلي ، وعوضاً عن الربعيه يتداول الأهالي قطعاً من حديد وزن الواحدة حوالي أونسة» .

ويحدثنا عن مراكش فيقول :

«وتكثر في هذه المدينة الجوامع والمدارس ، والحمامات والفنادق حسب الطراز الشائع في إفريقيا . ومن هذه الجوامع ما بناه ملوك لمتونه ، ومنها ما شيده من جاءوا من بعدهم . وهم ملوك الموحدين . ويوجد بين هذه الجوامع جامع بديع جداً ، في قلب المدينة ، وهو الجامع الذي بناه علي بن يوسف ، أول ملك على مراكش ، ويسمى **جامع علي بن يوسف** ، ولكن أحد ملوك الموحدين واسمه عبد المؤمن ، هدمه وأعاد بناءه ، لا لشيء إلا لمجرد تبديل الاسم السابق كي يضع اسمه مكانه ، وقد كان هذا جهداً ضائعاً ، لأن الناس ظلوا يسمونه باسمه القديم» .

القسم الثالث

ويختص **القسم الثالث** ، بمملكة فاس ويكاد هذا القسم يؤلف ثلث الكتاب تقريباً ، ولا

غرابة في ذلك ، فهذه المنطقة هي التي نشأ فيها الحسن الوزان ، ويعرف تفاصيلها بصورة تكاد تكون شاملة ، إذ قضى فيها شبابه وجاب أرجاءها متجولا بمهمات رسمية أو ربما للتجارة ، أو مجاهداً في جيش السلطان ضد البرتغاليين . ويسرد لنا الوزان قصة **بلدة أنفة** ، وهي النواة الأولى لمدينة **الدار البيضاء** الحالية ، وذلك قبل أن تتعرض للتدمير فيقول :

« وكان سكان أنفة غاية في حسن الهندام ، بسبب علاقاتهم الوثيقة مع التجار البرتغاليين والانكليز . وكان بين ظهرانيهم رجال مثقفون جداً . ولكن كان هناك سببان أديًا إلى تعاسة سكانها ودمارهم : الأول ، هو أنهم أرادوا أن يعيشوا بحرية دون أن تكون لديهم الوسائل . والثاني ، هو أنهم جهزوا في مرساهم الصغير سفناً صغيرة ، قامت بإحداث تخريبات شديدة في **شبه جزيرة قادس** ، وعلى كل ساحل البرتغال . وكان من جراء ذلك أن أمر ملك البرتغال بتخريب أنفة » .

ثم يعطينا فكرة عن عوامل نشوء الرباط :

« وأراد الملك ـ أي **المنصور** ـ أن يستوطن في المدينة العديد من الصناع والمثقفين والتجار . وأعطى الملك أمراً بأن كل مواطن فيها ينال مكافأة ، علاوة على الربح المادي الذي تدره عليه مهنته . وقد أدى ذلك إلى اجتذاب أناس إلى هذه المدينة من كل الأصناف ومن كل المهن ، حتى لقد غدت الرباط ، خلال وقت قليل ، من أشرف المدن في كل إفريقيا وأغناها ، إذ كان لسكانها دخل مزدوج أولا المكافأة المقررة ، وثانياً ربح التجارة مع العسكريين ومع رجال الحاشية الملكية . وكان المنصور يسكن هذه المدينة من بداية شهر نيسان (أبريل) إلى شهر أيلول (سبتمبر) » .

ويقدم الحسن لنا صورة رائعة عن التقلبات التي اعتورت مدينة (سلا) ، شقيقة الرباط وتوأمها ، والتي تنفصل عنها بواسطة **نهر أبو الرقراق :**

« ومع ذلك ، فإن لها ميناء جيداً كان يقصده تجار النصارى من مختلف الجنسيات ، من جنويين وبنادقة وانكليز وفلمنك ، لأنها كانت ميناء لكل مملكة فاس . ولكن تعرضت هذه المدينة لهجوم أسطول ملك قشتالة الذي استولى عليها في عام ٦٧٠ للهجرة . وهرب سكانها ، وأقام فيها النصارى ، ولكن لم يتح لهم ذلك لأكثر من عشرة أيام ، لأنهم تعرضوا فجأة لهجوم من **يعقوب ، أول ملك من أسرة مرين** ، ولم يكونوا متأهبين لذلك ، إذ لم يكونوا يظنون أن الملك سيتخلى عن حملته على تلمسان ، التي كان يخوضها حينئذ . وهكذا تم استرداد المدينة وقتل كل النصارى الذين كانوا فيها ، ولجأ الباقي إلى السفن وانهزموا . وهكذا هو السبب الذي جعل الملك يعقوب وكل أفراد أسرته الذين حكموا من بعده يتمتعون بمحبة أهالي هذه المناطق » .

وهكذا لا يغفل **الناحية التاريخية أو الاجتماعية** ، عندما يتعرض لدراسة أية منطقة جغرافية معينة ، مما يشد القارىء لمطالعة هذا الكتاب الممتع المليء بالطرائف الجذابة .

والحسن الوزان بصفته أندلسي الأصل ، يغتنم كل فرصة سانحة للتدليل على الدور الذي لعبه **هؤلاء** ، في نقل عوامل الرقي للبر الإفريقي ، وفي إعمار هذه البلاد بعد نزوحهم إليها ، فراراً بدينهم ، أو بعد تهجيرهم ، فيقول عند كلامه عن بلدة خميس متفاره :

« ومنذ أن قدم قسم من أهل **غرناطة** ، منتقلين إلى **موريتانيا** ، وأقام بعضهم في هذه المدينة ، أخذت المدينة تعمر بالسكان من جديد ، وتمت زراعة كثير من أشجار التوت الأبيض (للانتفاع به في تربية دود القز) ، لأن الغرناطيين هم من كبار تجار الحرير ، كما زرعوا كذلك قصب السكر » .

ويسهب في كلامه عن فاس ، ويدلل على نظافة هذه المدينة والرقي العمراني فيها ، فيقول :

« وبعد دخول الماء إلى المدينة يتوزع بواسطة عديد من القنوات ، تسوق معظمه لبيوت سكان المدينة ، وإلى حاشية البلاط الملكي ، وكذلك إلى الأبنية الأخرى . ولكل جامع أو مسجد نصيبه من هذا الماء ، وكذلك الحال بالنسبة للفنادق والمستشفيات والمعاهد . ويوجد بجوار الجامع مراحيض عامة ، وهي أبنية مربعة الشكل تحوي على طرفيها حجيرات ذات أبواب صغيرة ، ويوجد في كل مرحاض حوض ، ويخرج الماء من الجدار ويجري في ميزاب من الرخام ، ولما كان تيار الماء على قدر لا بأس به من السرعة ، فإن هذا الماء ينظف المراحيض ويكسح فضلاتها وأوساخ المدينة ويقذف بها في النهر » .

ثم يصف لنا حمامات فاس :

« وفي فاس مائة حمام جيدة البنيان ولا تفتقر للعناية . وبعضها صغير والآخر كبير . وجميعها نفس الطراز ، أي تتألف كل منها من ثلاث حجرات ، أو بالأحرى من ثلاث قاعات ، وتقع في خارج هذه الحجرات مقصورات صغيرة مرتفعة نوعاً ما ، يصعد إليها بخمس أو بست درجات . وهنا يخلع الناس ثيابهم ويتركونها فيها . وفي وسط هذه الحجرات ، وضعت صنابير فوق أحواض ، ولكنها كبيرة جداً ، وعندما يريد أحدهم أن يستحم في أحد هذه الحمامات ، فهو يدخل من أول باب ، ثم يلج في غرفة باردة ، حيث توجد بركة صغيرة لتلطيف حرارة الماء عندما يكون شديد السخونة . ومن هنا ينتقل عبر باب آخر إلى غرفة ثانية تكون أكثر سخونة بقليل . وحيث يقوم الخدم بغسل جسمه وتنظيفه ، ومن ثم يجتاز هذه الغرفة كي ينتقل إلى الثانية ، والتي تكون حرارة كثيراً ، وحيث يفرز المستحم العرق بعض الوقت » .

ويسترسل في حديثه عن مدينة فاس ، فيصف جوانب الحياة الاجتماعية وما فيها من حسنات ومثالب ، إلى أن يصف سوق العطارين وباعة العقاقير والأدوية ، فيقول :

« ويقوم إلى جانب تلك القيصرية ، وإلى الشمال منها ، سوق العطارين ، ويشغل هؤلاء شارعاً ضيقاً ، حيث يوجد زهاء مئة وخمسين دكاناً ، ويغلق هذا السوق من نهايته ببابين جميلين لا يقل جمالها عن متانتها . ويتكفل العطارون بنفقات حراس مسلحين يتجولون ليلاً مع فوانيس وكلاب . وهنا يجري بيع منتجات العطارة والطب . ولكن لا تستحضر هنا المواد الطبية من شراب أو مرهم أو لعوق . وذلك لأن الأطباء يهيئون ذلك في بيوتهم ، ويرسلونها لدكاكينهم ، حيث يصرفها مستخدموهم بناء على وصفة طبية ، وتتجاور أكثرية دكاكين الأطباء هذه مع دكاكين العطارين » .

هذا ولا يغفل الحسن الوزان الحديث عن العادات المتبعة في حفلات الزواج والأعراس في فاس على الخصوص ، والتي لا تزال على حالها تقريباً ، كما نشرت مجلة « الفيصل » في العدد (١٧) :

« وحينما يذهب الرجل ليأتي بزوجته إلى منزله ، يقوم بإدخالها أولا ، في صندوق خشبي مثمن الأوجه ، ومغطى بجميل الأقمشة من الحرير والبروكار . ويحمل الحمالون هذا الصندوق فوق رؤوسهم . ويتألف الموكب من أصدقاء والد الزوجة وأصدقاء الزوج ، ومن قارعي الطبول والمزامير والنافخين بالنايات ، وحملة المشاعل العديدة . ويسير أصدقاء العريس في مقدمة الموكب حاملين مشاعلهم . أما أصدقاء والد الفتاة فيتبعون العروس » .

ويتكلم عن سقوط مدينة سبتة بيد البرتغاليين :

« وفي ٨١٨ هـ ، (١٤١٥ م) ، استولى عليها ملك البرتغال ، وهرب الذين كانوا فيها . ودخلها النصارى بدون عناء ، وظلوا فيها متوجسين خيفة مدة ثلاثة أسابيع ، إذ توقعوا قدوم ملك فاس لنجدتها ، ولكن **أبا سعيد عثمان** ، الذي كان وقتئذ ملكاً على فاس ، لم يكترث باستعادتها ، تخاذلا منه ، حتى أنه كان في وليمة لاهياً ، عندما نقل إليه النبأ ، فلم يقطع الاحتفال . وقد قضت مشيئة الله أن يقتل هذا الملك فيما بعد ، بصورة بائسة على يد أحد كتابه ، وهو **أبو فارس عبد العزيز الكناني** ، الذي كان يثق به ثقة مطلقة ، وقتل مع سبعة من أبنائه ، لمواقفه المتخاذلة تلك ، وقد وقع هذا الحادث عام ٨٢٤ هـ ، (١٤٢١ م) » .

القسم الرابع

ويخصص الوزان **القسم الرابع** ، من كتابه **لمملكة تلمسان** ، التي تضم الشطر الغربي من الجمهورية الجزائرية الحالية ، وهنا يشدد الكاتب ويلح على شدة النزاع بين الأعراب وبين السكان المستقرين ، واضطراب الأحوال وسرعة خراب المدن واستغلال الإسبان للوضع واحتلالهم بعض مدن الساحل ، مثل **وهران** ، واستنجاد بعض الملوك المسلمين بشارلكان إمبراطور النمسا وإسبانيا ، لدعم سلطاتهم المتزعزعة ، **فيقول عن مدينة تبحريت :**

« وكل سكان تبحريت تقريباً من الحاكة ، ولديهم الكثير من الحقول المزروعة بالخروب ، وينتجون كمية كبيرة من **العسل** . الواقع أنهم يعيشون في خوف مستمر من هجوم النصارى خلال الليل ، ولهذا يقيمون حراسة يقظة في كل ليلة ، لأن فقرهم لا يسمح لهم بأن يدفعوا مرتبات العساكر » .

ويتألم الحسن كثيراً من حالة بعض المدن المهجورة بسبب الذعر والارهاب ، الذي كانت تقوم به القوات الإسبانية ، واعتداءاتها المتكررة على المنطقة :

« ولا تزال المزارع التي تجاور مدينة حنين تنتج حتى الوقت الحاضر كميات من الثمار ، كالكرز والمشمش والتفاح والكمثرى والدراق ، ومقادير لا تحصى من التين والزيتون ، ولكن ليس هناك من يجنيها في البساتين الواقعة على حافة النهر القريب من المدينة ، حيث قامت الطواحين ، وعندما مررت من هنالك تألمت من شدة التأثر ، بعد أن لاحظت الحالة البائسة ، التي انحدرت إليها المدينة » .

ويصف لنا عادات ومصالح البلاط الملكي لدى ملك تلمسان ، وصف العارف المطلع ، ومما يقوله في معرض ذلك :

« وهناك وظائف أقل أهمية كوظيفة رئيس الاسطبلات ، وقائد الحرس ، ورئيس التشريفات ، ولا يظهر لهذا الأخير عمل ، إلا في حالة استقبال الملك زواره ، ويخدم الملك في داخل القصر بعض الاماء ، والعديد من الخصيان الذين تقتصر مهمتهم على حراسة الحريم » .

ثم يصور بمهارة مأساة سقوط وهران ، بأيدي الإسبان دون عناء كبير :

« وبعد عدة أشهر جمع الملك أسطولا أكبر حجماً بالاستعانة ببعض المطارنة وبكاردينال إسبانيا ـ **كسيمينس** ـ فاحتل هذه المدينة في يوم واحد ، لأن السكان خرجوا بلا نظام كي يذهبوا لساحة المعركة ، تاركين المدينة خالية . وعرف الإسبان ذلك فأرسلوا قسماً من قواتهم إلى الجانب الآخر من وهران ، ولم يجدوا من خصومهم سوى النساء اللواتي صعدن على الأسوار .

فدخلوا المدينة بسهولة ، بينا كانت المعركة على أشدها في الخارج وخرجوا منها بغتة ليرموا بأنفسهم على ظهر عدوهم ، أي على أهل المدينة . وما إن أخذ المسلمون بالتقهقر باتجاه المدينة ليطردوا من تسلل إليها من الإسبان ، حتى رأوا فوق أسوارها الرايات النصرانية ، وهي ترترف فوقها . وهكذا وقعوا محاصرين بين فرقتين من الإسبان ، فلم ينج منهم على قيد الحياة سوى القليل ، واحتل الإسبان وهران عام ٩١٥هـ ، (١٥٠٩م)» .

القسم الخامس

ويختص **القسم الخامس بمملكة بجاية وتونس** ، وفي عصر الوزان ، كانت الهجمة البرتغالية الإسبانية على ثغور الإسلام على أشدها ، ولا سيما في الشمال الإفريقي ، حيث كان التفكك السياسي ، وعدم الاستقرار من أبرز ملامح تلك الفترة . وفي نفس الوقت كان العثمانيون ، الذين ورثوا الخلافة العباسية ، يندفعون نحو المغرب في محاولة يائسة لاستنقاذ ثغوره من قبضة الأساطيل الأوروبية ، ومن جملة هذه الثغور بجاية :

« وأهل بجاية رجال لطيفو المعشر ميالون إلى المرح وإلى الموسيقى والرقص ، ولا سيما الأمراء الذين لم يقووا على محاربة مخلوق ، حتى لقد تجلى خورهم ، عندما جاء **الكونت بيار نافارو** ، مع بضع سفن من سفن النقل ، فقد لاذ عندئذ جميع السكان ، والملك على رأسهم ، بالفرار إلى الجبال ، حاملين معهم كل ما يملكون بدون أن يمتشقوا حساماً ، فاحتل الكونت بيار المدينة ونهبها ، ثم عمد فوراً لبناء قلعة قرب البحر ، في مكان يوجد فيه ساحل طيب ، هذا كما حصن قلعة قديمة ، كانت قريبة من البحر وبجوار دار الصناعة » .

« وبعد ستة أعوام أراد **التركي بربروس** أن ينتزع المدينة من أيدي النصارى ، فجاء ورابط أمام المدينة مع ألف من الجنود الأتراك . وهاجم القلعة القديمة فاحتلها وحصنها ، وجاءت كل قبائل الجبال المجاورة لمساعدة بربروس ، فقوي عزمه على احتلال القلعة الأخرى المجاورة للشاطىء . ولكن عند أول هجوم سقط مئة تركي من بين أكثرهم بسالة ، ومئة من أهل الجبال صرعى ، حتى أن القوات التركية عزمت عن استئناف المعركة ، واضطر بربروس للالتجاء إلى **قصر جيجل** ، كما سبق وقلنا آنفاً » .

ويقدم لنا لوحة بديعة عن مدينة تونس :

« ومدينة تونس جميلة جداً ، ودقيقة التنسيق ، فلكل جماعة مهنية موضعها الخاص بها . وفضلاً عن ذلك ، فهي مدينة مزدحمة بسكان متكاتفين تكاتفاً كبيراً ، **وغالبية سكان تونس من الحاكة** ، وتصنع فيها كمية كبيرة من الأقمشة المتقنة كل الاتقان ، والتي تباع في كل إفريقيا . وهي مرتفعة السعر كثيراً ، لأنها ناعمة ومتينة . ويرجع السبب في ذلك إلى أن النساء يتقن مهنة الغزل كل الاتقان . وللقيام بذلك يجلسن فوق مقعد مرتفع نوعاً ما ، ويدعن مغزلهن يتدلى كثيراً ، فيقعدن مثلاً في نافذة ، ويتركن المغزل ينزل إلى صحن البيت ، أو ينزل من ثقب مفتوح في أرضية البيت بين طابق وآخر . ونظراً إلى ثقل المغزل يبرم الخيط المشدود برماً قوياً بصورة جيدة ، وعلى ثخانة منتظمة » .

« وهناك سوق خاص في تونس يحوي عدداً كبيراً من **تجار القماش** . ويعتبر هؤلاء أكثر أهل المدينة ثراء . ويشغل تجار آخرون وصناع معهم هذا السوق ، كالعطارين وباعة الأشربة والترياقات ، وباعة العطور والحرير ، والخياطين والسراجين والفرائين وباعة الفاكهة ، والحلاقين ، وصناع الزلابية ، والقصابين الذين يذبحون في فصلي الربيع والصيف من الخراف أكثر من سائر الحيوانات الأخرى » .

القسم السادس

ويستأثر **القسم السادس** ، بالبحث عن **نوميديا** ، وهي منطقة نطاق الواحات الممتدة إلى الجنوب من سلسلة جبال الأطلس الصحراوية ، في بلاد المغرب العربي . وفي عصر الوزان دخلت إلى بلاد المغرب ، وبالتالي إلى نوميديا أسلحة حديثة نسبياً كراشقات السهام والطبنجات ، وما أدى استعمالها من احتراب ومعارك أهلية ، كما في **منطقة وادي الدرعة** في جنوبي المغرب :

« ويوجد بين سكان الدرعة بضعة زعماء يشتبكون بالأسلحة باستمرار ، ويستعين كل حزب منهم بالعرب المجاورين الذين يؤجرون على ذلك بسخاء بمعدل نصف دينار يومياً ، لكل خيال يتطوع ليحارب على حسابه . ولكن يؤجر هؤلاء العرب يوماً فيوماً وعن بضعة أيام فقط ، استخدموا فيها سلاحهم ، وقد بدأ أهل هذه البلاد منذ وقت وجيز باستخدام **راشقات السهام والطبنجات** . ولم أر رماة أفضل من هؤلاء **فهم يصيبون رأس الابرة** . وهكذا أخذوا يبيدون بعضهم البعض بهذه الراشقات » .

ويصف لنا باسهاب مدينة سجلماسة ، قبل خرابها نهائياً بعد أن كانت مدينة كبيرة مزدهرة :

التي كانوا يمارسونها مع بلاد السودان . وكانت تحوي **جوامع** بهية ، **ومدارس** مجهزة بالعديد من الموارد ، التي كان يأتي ماؤها من النهر . وكان هناك **نواعير كبيرة** تنتج هذا الماء **من نهر الزيز** . وتصبه في قنوات تسوقه إلى المدينة . وكان هواؤها طيباً ، غير أن **الشتاء** كثير الرطوبة . وكان ذلك يسبب الكثير من مرض الزكام بين السكان . وكانوا يعانون في **الصيف** ، من أمراض العيون ، ولكن كانوا يشفون بسرعة » .

ونأخذ وصفه لواحة أوجلة في ليبيا ، كنموذج عن كلامه عن الواحات المتناثرة في الصحراء الكبرى :

« أوجلة هي منطقة مسكونة من **صحراء ليبيا** ، على مسافة أربعمئة وخمسين ميلاً من النيل . وتظهر فيها ثلاثة قصور ، وبعض القرى الصغيرة المحاطة بحدائق النخيل ، ولا ينبت فيها قمح ، والواقع أن العرب يجلبونه من مصر . **وتقع أوجلة على الطريق الكبيرة بين موريتانيا ومصر عبر صحراء ليبيا** » .

القسم السابع

ويخصص مؤلفنا قسماً متميزاً هو **القسم السابع** ، لبلاد السودان الواقعة إلى الجنوب من الصحراء الكبرى ، أي يظل وفياً لأسلوبه في دراسة الجغرافيا على أساس نطاقي ، **وهو في هذا المجال رائد في علم الجغرافيا ، كما كان ابن خلدون رائداً في علم الاجتماع** . ويصف أوضاع سكان هذه البلاد وما هم عليه من أوضاع بدائية رآها بأم عينيه ، بعد تردده على هذه البلاد في مناسبتين :

« وهذه الأقطار ، جميعها ، مسكونة بأناس يعيشون كالبهائم بدون ملوك ، ولا أمراء ، وبدون جمهوريات ولا حكومات ولا تقاليد ، ولا يعرفون غير الطرق البدائية لبذر الحب . ويكتسون بجلود الأغنام . ففي النهار يرعون الماشية أو يعزقون الأرض ، وفي المساء يجتمعون ما بين عشرة إلى اثني عشر شخصاً . ويستريحون وينامون على جلود الغنم . ولا يشنون حرباً على إنسان ولا يضع واحد قدمه خارج موطنه . بعضهم يعبد الشمس ويسجدون لها بمجرد أن يروها تنبثق من الأفق ، والآخرون مثل أهل ولاته يعبدون النار . وجماعة منهم نصارى على مذهب المصريين (أي المذهب القبطي) » .

ثم يختص بالحديث بمملكة جنة الواقعة على نهر النيجر :

« ويكثر هنا الشعير والأرز والماشية والسمك والقطن بشكل مفرط . ويجني سكان البلاد أرباحاً طائلة من تجارة **أقمشة القطن** ، التي يمارسونها مع تجار بلاد البربر . ويبيع منهم هؤلاء **بالمقايضة** الكثير من الأقمشة الأوروبية ، **والنحاس والخارصين والأسلحة ، مثل الخناجر . والعملة التي يستعملها الزنوج من ذهب غير مسكوك أي التبر** . كما يستعملون قطعاً من الحديد لتسديد ثمن أشياء زهيدة القيمة **كالحليب والخبز والعسل** ، وتزن الواحدة من هذه القطع رطلاً ، ونصف رطل ، وربع رطل » .

ويلاحظ أن مستوى الحضارة في بلاد السودان يكون أرقى بكثير في المناطق التي دخلها الإسلام من الشمال ، كما هو الحال في مملكة تومبوكتو ، حيث يكون لدى ملكها بلاط متكامل وحركة أدبية وعلمية نامية :

« وهذا الملك هو العدو اللدود لليهود . فهو لا يرغب أن يسكن أحد منهم في المدينة . وإذا بلغه أن تاجراً من بلاد البربر يتردد عليهم أو يتاجر معهم يصادر أرزاقه . **ويوجد في تومبوكتو العديد من القضاة والعلماء والأئمة** . ولجميعهم مرتبات طيبة من الملك ، وهو يكرم الأدباء كثيراً . ويباع هنا الكثير من **الكتب المخطوطة** ، التي تأتي من بلاد البربر ، ويجنى من هذا البيع ربح يفوق كل بقية السلع » .

« وتستخدم قطع الذهب الصافي عوضاً عن العملة المسكوكة ، في حين يستعمل الودع لشراء الأشياء البسيطة ، وهي قواقع مجلوبة من بلاد فارس ، ويعادل الأونس الروماني من الذهب ستة من دنانيرهم » .

القسم الثامن

وفي دراسته **لجغرافية مصر** ، يخصص لها **القسم الثامن** برمته ، ينحي منحى جغرافياً غريباً ، فهو يهمل البقاع الواقعة إلى الشرق من ضفة النيل على اعتبار أنها ليست إفريقية ، ولكن لا يتقيد بهذه الخطة دائماً ويعطينا معلومات ضافية عن مشاهدته في مصر التي يبدو أن إقامته فيها كانت طويلة نسبياً إذ زارها أكثر من مرة .

وبعد أن يتكلم عن أصل المصريين وتاريخهم القديم ، يعطينا نبذة تحمل عنوان خصائص مناخ مصر وتقلباته :

... ر مؤذ جداً وحار للغاية . ففي هذه المنطقة لا يهطل المطر إلا فيما ندر . وتسبب

الأمطار عدة أمراض : فيصاب بعض الأشخاص **بالحمى والنزلات الصدرية** ، في حين يصاب آخرون بتورم الخصيتين بصورة تثير العجب عند رؤيتها . ويعزو الأطباء ذلك إلى تناول **الجبن المملح** ، وإلى ما يأكلونه من لحم الجاموس .

« وتظهر البلاد ملتهبة صيفاً نظراً للحرارة المفرطة في هذا الفصل . ولهذا تبنى في كل المدن مداخن عالية لها فتحة في أعلاها ، وأخرى في قاعدتها وتكون في حجرات البيت . ويدخل الريح من الأعلى ويخرج من الأسفل ، ويجلب شيئاً من البرودة ، ولولاه لتعذر التعيش نظراً لاستحالة تحمل السخونة . وأحياناً يداهم **الطاعون** ، الذي يقتل عدداً لا يحصى من الأشخاص ، وخاصة في **القاهرة** ، ويحدث أحياناً أن يموت اثنا عشر ألف شخص يومياً من الطاعون . أما **مرض الافرنجي** ، فلا أظن أن هناك بلداً في العالم ، قد سبب فيه هذا المرض أضراراً قدر ما سببه في هذه البلاد . فنرى في القاهرة الكثير من الناس الذين فقدوا بعض أعضائهم أو من الذين شوههم هذا المرض » .

وبعد ذلك يكتب عن بعض صفات الاسكندرية ومعالمها ، ولا سيما منارتها التي بناها الفيلسوف بطليموس لتأمين سلامة المدينة تجاه العدو الغازي من البحر :

« وقد وضع في ذروة هذا العمود مرآة كبيرة من الفولاذ ، حتى إن كل سفينة قد تمر من جانب هذه المرآة ، تشتعل حالا إذا كشفت المرآة ، ولكن هذه المرآة تلفت في العصر الذي وصل فيه المسلمون إلى إفريقيا ، وتقول الأسطورة إنها تخربت على يد يهودي فركها بالثوم .

« ولا زال يوجد في الاسكندرية ، بين سكانها القدامى ، الكثير من أولئك النصارى الذين يدعون **اليعاقبة** ، ولهم كنيسة خاصة بهم . وقد أعيد بناؤها عدة مرات ، ولا تزال قائمة في أيامنا ، وسبق أن دفن فيها جسد **القديس مرقص** ، الذي سرق غدراً عام ٨٢٩م ، على أيدي تجار بنادقة ونقل إلى البندقية ، وكل أولئك اليعاقبة تجار وصناع ، ويدفعون جزية للملك القاهرة . ولا يجوز أن نغفل ذكر مكان في قلب المدينة في وسط الأطلال ، فيه بيت صغير منخفض ، كأنه نوع من مسجد ، يقع فيه ضريح مبجل جداً ومكرم عند المسلمين . حيث توقد الأنوار فيه ليلاً ونهاراً . ويقال إن هذا هو **قبر الاسكندر الكبير** » .

ولا يكتم الوزان إعجابه بالقاهرة ويسهب الحديث عنها ، حديث العارف بها ، المطلع على كل تفاصيل الحياة فيها :

« وقد قامت المدينة في سهل عند حضيض **جبل المقطم** . ويقع على مسافة ميلين من النيل . وهي محاطة بأسوار حصينة وجميلة مع أبواب بديعة مصفحة بالحديد ، وأشهر هذه الأبواب ثلاثة : الأول ، يدعى **باب النصر** ، ويقع في الشرق ، باتجاه الصحراء التي يجتازها المسافر إلى البحر الأحمر ، ويدعى الثاني ، **باب زويلة** ، وهو الباب المؤدي إلى النيل ونحو المدينة القديمة ، والآخر يدعى **باب الفتوح** ، ويؤدي إلى بحيرة ، حيث كان يجتمع حجاج مكة المكرمة قبل سفرهم في قافلة ، وحيث الأراضي المزروعة .

« وهذه المدينة مجهزة بما يلزم من الصناع الباعة الذين يقيمون على الخصوص في شارع يذهب من باب النصر ، حتى باب زويلة . وهنا يقيم أكبر جزء من نبلاء القاهرة . ويوجد في هذا الشارع بضع **مدارس** مدهشة بأبعادها ، وبجمال بنائها ورونقها ، كما توجد فيها عدة **جوامع** فسيحة وجميلة جداً ، منها **جامع الحاكم** ، وهو ثالث خليفة من المذهب الشيعي الاسماعيلي أو مذهب الفاطميين الذين حكموا في القاهرة » .

ويقدم لنا صورة عن وسائل المواصلات في مدينة القاهرة والباعة المتجولين :

« وإليكم بعض التفاصيل عن الحمير التي تركبها النساء والرجال . ففي القاهرة توجد جماعة من الناس تعيش من مهنة تأجير الحمير . ولديهم من أجل ذلك حيوانات كثيرة مدربة ، لها مظهر الرهاوين وتكون مزدانة ببرادع جميلة . ويؤجرونها مع أحد غلمانهم كسائق ومع الركابيْن . وفي القاهرة عدد كبير جداً من الأشخاص الذي لا يمشون ربع ميل على أقدامهم . وفي هذه المدينة كما في كثير من المدن الأخرى عدد لا يحصى من الذين يتجولون طيلة النهار ، وهم يبيعون أشياء مختلفة ، كالفواكه والجبن واللحم النيىء والمشوي ، والسلع الأخرى من هذا الصنف ، ويوجد كذلك عدد كبير من الرجال الذين يحملون على الجمال كميات من القرب المليئة بالماء ، لأن المدينة تقع ، كما قلت ، على مسافة ميلين من النيل . ويحمل رجال آخرون قرباً معلقة برقابهم ، وهذه القربة مزخرفة بتزيينات ، وفتحتها مجهزة بأنبوبة من النحاس الأصفر ، ويحملون بيدهم طاسة رشيقة منقوشة بصورة فنية ويسيرون منادين على مائهم . ويدفع الزبون نصف فلس من عملتهم المحلية » .

أما العقوبات التي كانت تطبق في عصر الوزان في مصر ففيها العجب العجاب ، لما فيها من شدة ، وهو يصفها بقوله :

« والعقوبات المفروضة على المفسدين في مصر قاسية ومؤلمة ، ولا سيما التي تصدر عن محكمة الملك . **فالذي يسرق يشنق** . والذي يرتكب جناية قتل غدراً يتعرض للعقاب التالي : « يمسك به أحد أعوان الجلاد من قدميه ، ويمسك الآخر برأسه ، ويمسك منفذ الاعدام ، المسلح بسيف ، بيديه ، ويقطع الجسم إلى قسمين . ويوضع القسم العلوي فوق كومة من الكلس الحي ، وقد يعيش مدة عشرين دقيقة مستمراً في كلامه . وهو شيء رهيب عند المنظر وعند السماع . **أما القتلة والمتمردون فتسلخ جلودهم وهم أحياء ، ثم يحشى جلدهم بالنخالة ويخاط** ، بحيث يكون له مظهر رجل عادي ، ويوضع على هذا الشكل فوق جمل ويطاف به في كل المدينة مع المناداة على الجرم الذي اقترفه هذا المذنب » .

وفي حديث مفصل عن نشوء المماليك وتوصلهم لحكم مصر وما جاورها ، ودور صلاح الدين الأيوبي في تنشئة هذه الطبقة العسكرية يقول :

« ولهذا السبب أخذ يشتري **الرقيق** الشراكسة ، الذين كان من عادة **ملك أرمينيا** القبض عليهم وارسالهم للبيع في القاهرة . ولجأ صلاح الدين إلى إخراجهم من الديانة النصرانية ، وإلى تعليمهم مهنة استعمال السلاح واللغة التركية . وزادت أهمية وعدد هؤلاء الرقيق ، حتى لقد ظهر فيهم جنود جيدون وضباط ذوو خبرة وموظفون ممتازون لكل المملكة ، وبعد وفاة صلاح الدين ، ظلت الدولة بيد أسرته خلال مدة مئة وخمسين عاماً ، وحافظ خلفاؤه من بعده على عادة شراء الرقيق .

« وعلى إثر سقوط أسرة صلاح الدين ، اختار هؤلاء العبيد أميراً عليهم وسلطاناً مملوكاً عالي الهمة اسمه **بيبرس** ، وابتداء من تلك الفترة ظلت هذه الطريقة هي الدارجة ، حتى أن السلطان كان لا يستطيع بلوغ تلك المرتبة ما لم يكن مملوكاً ، وكان في البداية نصرانياً ، ثم اعتنق الإسلام . وما لم تسبق له معرفة **اللغة الشركسية واللغة التركية** . وقد أرسل بضعة سلاطين أبناءهم إلى **قفقاسيا** ، حيث أمضوا طفولتهم كي يتعلموا هناك اللغة التركية ، ولكي ينشأوا على العادات الخشنة ، ليصبحوا مؤهلين كسلاطين فيما بعد » .

القسم التاسع والأخير

ويختتم مؤلفنا كتابه بقسم تاسع ، يعالج فيه أهم أنهار إفريقيا الشمالية العربية ، وأكثر النباتات والحيوانات جدارة بالذكر ، مبتدئاً من الغرب نحو الشرق ، ويتحدث عن نهر أبو الرقراق الذي يفصل بين الرباط عاصمة المملكة المغربية وبين سلا ، شقيقة الرباط التوأم ، والواقعة على ضفة النهر اليمنى ، فيقول :

« يتولد هذا النهر من أحد جبال تتفرع عن جبال الأطلسي ، ويمر عبر أودية وغابات عديدة ، ثم يبرز من بين التلال في سهل يمر منه إلى المحيط . وهنا تقع مدينتان ، **سلا والرباط** ، وتقعان عند بداية مملكة فاس . وليس لهاتين المدينتين من ميناء ، سوى مصب النهر الذي يكون مدخله عسيراً على السفن . ويجب أن تكون السفينة بقيادة ربان محنك ، وإلا فإنها تجنح على الرمل . ولو لم يكن مدخل النهر عسيراً لما بقيت المدينتان حرتين : إذ لكان الدفاع عنها مستحيلاً ضد أسطول صغير لأي ملك نصراني » .

ويميز الوزان بين الأرانب البرية والأهلية وأوجه الشبه فيما بينها ، فيقول :

« توجد الأرانب الوحشية بكمية كبيرة في **جبال غمارة وفي موريتانيا** وتصاد هناك . ويقول بعض الجغرافيين إن هذه الحيوانات لم تكن فيما مضى من الزمن وحشية ، ولكن بعد أن اجتاح **القوط والرومان** ممالك إفريقيا ، ظل العديد من القرى والمدن والقصور مهجوراً . وهكذا أصبحت الأرانب التي كانت فيها متوحشة ولجأت إلى الغابات . ولا يمكن التثبت من صحة ذلك أو من خطئه . ولكن يمكن تصديقه ، لأن لحم هذه الأرانب الوحشية له نفس لون ونفس مذاق لحم الأرانب الأهلية » .

ويتحدث الوزان عن بعض النباتات مع دقة في الملاحظة ، ومعلومات الطبية تظهر في كل مناسبة :

« يمكن القول إن **الطرفاس** هو ، على الأرجح ، نوع من درن أكثر منه ثمراً ، وهو يشبه الكمأة ، ولكنه أكبر حجماً وله قشرة بيضاء ، وينشأ في الرمل في الأمكنة الحارة ، ويمكن التعرف على وجوده ، لأن الأرض التي ينبت فيها تحوي حدبات متشققة نوعاً ما . وبعض ثمار الطرفاس كبيرة كالجوزة ، وبعضها الآخر كالبرتقالات . وتعتبر ثمرة مرطبة في نظر الأطباء الذين يسمونها الكمأة . وينبت بكمية كبيرة في صحراء نوميديا . ويأكلها العرب بشهية ، كما لو كانت من السكر ، والحقيقة أنها أكلة شهية جداً عندما تكون مشوية على الجمر ، ومقشرة ثم مطبوخة في مرق دسم . ويأكلها العرب مسلوقة في الماء أو في الحليب . وتوجد أيضاً بكثرة في رمل ضواحي مدينة سلا » .

ويختتم الحسن الوزان كتابه بالفقرة التالية :

« ذاك ما رأيته أنا ، حنا ليون ، من حسن وجدير بالتذكار في كل إفريقيا ، التي جبتها من طرف لآخر ، وقد سجلت بعناية يوماً فيوماً ، كل الأشياء التي بدت لي جديرة بالذكر ، ثم الوضع الذي رأيتها عليه . أما التي لم أرها بنفسي فقد استقيت معلومات موثوقة وكاملة عنها من أشخاص جديرين بالثقة . ومن ثم رتبت هذه المذكرات قدر استطاعتي . وقد عملت منها أخيراً مادة مصنف ، عندما كنت في رومية ، في العام ١٥٢٦ من الميلاد . في ١٠ مارس (آذار) .

وهنا ينتهي كتاب ، حنا ليون ، المولود في غرناطة والناشيء في بلاد البربر » .



البيان والتبيين

بقلم: د. كامل السوافيري

١ ـ مقدمة

ما أصعب الكتابة عن الجاحظ ، وما أشقها على الباحث المنصف إذ يحار عن أي نواحيه يكتب ، وأي جانب من جوانب نبوغه يختار ، ذلك أن الجاحظ كان عبقريا فذا تعددت جوانب عبقريته وكان نابغة من نوابغ عصره تنوع نبوغه في شتى المجالات . كان نابغة في العلوم ، نابغة في الأدب والتاريخ ، نابغة في الرواية والشعر ، اجتمعت له ثقافات متعددة فكان موسوعة من الموسوعات ، أو دائرة معارف في عصره .

وكان علماً من أعلام الأدب الشوامخ في تاريخ أدبنا العربي ، وإماماً من أئمة البيان ، وأستاذاً من أساتذة النقد والبلاغة الذين تتلمذ له آلاف الدارسين .

وكان من أعظم الكتّاب الذين لمعوا في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، وصاحب أسلوب معين اختطه لنفسه ، وعرف به ، ومبتكر طريقة في الكتابة نسبت إليه .

ألف في اللغة والأدب والتاريخ ، وصنف في الأخلاق والسياسة والاجتماع ، وكتب في الحيوان والنبات ، ورد على اليهود والنصارى والشعوبية ، حتى **لقد أربت مصنفاته ورسائله على المائتين** في مختلف العلوم والآداب والفنون .

وفي غضون الفترة التي عاشها الجاحظ (١٥٠ ـ ٢٥٥هـ) كان **العراق** مقر **الخلافة العباسية** يمور بالثقافات المختلفة ، والدراسات المتعددة ، فهنالك **أولا الثقافة الاسلامية العربية** وهي النبع الثر ، وتجاوزها **ثانيا الثقافة الفارسية** التي أخذها العرب عن الفرس ، وتجاوزهما **ثالثا الثقافة اليونانية** التي ترجمت عنها كتب الفلسفة والمنطق .

ومن العجيب أن يحذق الجاحظ هذه الثقافات المختلفة ، ويمزجها ، ويخلط بين عناصرها في عمق وفهم ، وأن تكون مؤلفاته وكتبه عصارة تلك الثقافات المتعددة بعد مزجها وهضمها ، واضفاء الطريقة الجاحظية عليها ، وتقديمها للقراء في شراب سائغ عذب المذاق .

٢ ـ حياة الجاحظ

ولد الجاحظ في البصرة حوالي عام ١٥٠هـ وهي يومئذ مهد العلم ، وعش الأدب ، ومنتدى الثقافة ، فأكب على الدرس ، وجد في التحصيل في حداثته على الرغم مما كان يكابد من ضروب البؤس وألوان الفقر إذ كانت أمه تعوله بعد فقد أبيه ، وتضيق بما يحضره لها في المنزل كل يوم من كراريس ، ولما بلغ بها الضيق أشده جاءته يوماً بطبق عليه كراريس ـ **وكان يظن أن به طعاما** ـ فقال : ما هذا ، قالت : هذا الذي تجيء به ، فخرج مغموماً ، وجلس في المسجد وفيه **مويس بن عمران** جالس معه ، فلما رآه مغموماً ـ قال : ما شأنك ؟ فحدثه الحديث ، فأدخله المنزل ، وقرب إليه الطعام ، وأعطاه خمسين ديناراً فدخل السوق ، واشترى الدقيق وغيره وحمله الحمالون إلى داره ، **فأنكرت الأم ذلك وقالت : من أين لك هذا ؟ قال : من الكراريس التي قدمتها إلي في الطبق .**

وأخذ يتلقى ثقافته على جهابذة اللغة والرواية في عصره **الأصمعي ، وأبي عبيدة** ، وأضرابهما ، وأغرم بالمطالعة اغراماً شديداً فلم يقع في يده كتاب إلا استوفى قراءته ، ولما كانت حوانيت الوراقين في البصرة زاخرة بشتى الرسائل والمدونات في العلوم المختلفة ، كان يكتري حوانيتهم ، ويعتكف فيها للدرس والمطالعة . ولعل غرام الجاحظ بالكتاب ، وحبه الشديد للقراءة هو الذي دفعه إلى أن يتحدث عن فضل الكتاب في أكثر من موضع ، وينوه بقيمته في أكثر من كتاب من كتبه . . ومما قاله عن الكتاب :

« وعرفت به في شهر ما لا تعرفه من أفواه الرجال في دهر ، مع السلامة من العزم ، ومن كد الطلب ، والكتاب هو الذي يطيعك بالليل كطاعته بالنهار ، ويطيعك في السفر كطاعته في الحضر ، ولا يعتل بنوم ولا يعتره كلال السهر ، وهو المعلم الذي إذا افتقرت إليه لم يخفرك وإن قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة » .

وقد عاش الجاحظ في **البصرة** أكثر سنوات حياته ، ولكنه كان ينتجع **بغداد** في عهود بعض خلفاء بني العباس **المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل** . وقد امتد به العمر فعاش زهاء قرن من الزمان صارع فيه البؤس ، وتجرع غصص الحاجة ، وعرف الناس وطباعهم وأخلاقهم ، وتذوق طعم الراحة بعد العناء والثراء بعد الفاقة ، وحقق لنفسه من المجد الأدبي ، والذكر الذائع ما أراده ، وما كانت تصبو إليه نفسه منذ حداثته .

وفي أواخر حياته أصيب بالفالج ووافته منيته حوالي سنة ٢٥٥هـ ، وله أكثر من مائتي كتاب .

○ ○ ○

ويعد الجاحظ إمام الطبقة الثانية في الكتابة في عصره بعد **ابن المقفع ، وطريقته تنويع العبارة ، وتقطيع الجملة إلى فقرات كثيرة مرسلة أو مقفاة ، والاطناب في الألفاظ والجمل ، والاستطراد ، ومزج الجد بالهزل لدفع سآمة القارىء ، وتحليل المعنى واستقصائه ، وكثرة الجمل الاعتراضية بالدعاء .**

٣ ـ كتاب البيان والتبيين

ألف الجاحظ كتابه المعروف « البيان والتبيين » في أواخر حياته ، وهو كتاب في الأدب ، ويتكون من ثلاثة أجزاء ، ابتدأ الأول منها بالاستعاذة من العي والحصر ، وساق الأشعار الواردة في ذمهما ، وانتقل إلى فصاحة اللسان ، وفضيلة البيان وعظيم النعمة بالايضاح ، والقدرة على الافهام . وعاب التشدق والتقعير ، وانتقل إلى عيوب اللسان كاللثغة ، والفأفأة ، والتمتمة ، فإلى الكلام في الأسنان ، وتناول بعد ذلك تنافر الكلمات والحروف ، وعقد باباً للبيان تحدث فيه عن حكم المعاني والألفاظ ، وأنواع الدلالات ، وساق طرفاً من أقوال البلغاء ، في العقل والبيان ، وتحدث بعد ذلك عن **البلاغة عند الفرس ، واليونان ، والروم ، والهند ،** وعقد باباً ثانياً في ذكر أناس من البلغاء والخطباء عد منهم **إياس ابن معاوية ، وعبد الله بن شبرمة ، وعمر بن هبيرة الفزاري ، والحجاج بن يوسف الثقفي ،** وعقد بعد ذلك باباً ثالثاً في ذكر اللسان بدأه بقوله :

« لسان العاقل من وراء قلبه ، فإذا أراد الكلام تفكر فإن كان له قال ، وإن كان عليه سكت ، وقلب الجاهل من وراء لسانه فإن هم تكلم به له أو عليه » .

وعقد بعد ذلك باباً رابعاً في **الصمت** ، وخامساً في **حسن البيان** ، وفي تخليص الحق من الباطل ، وسادساً جعل عنوانه **« من الشعر »** وساق طائفة مما قال الأقدمون في الخطب واللسن والامتداح به . واختتم الجزء الأول بباب عن **الكهان والحكام والخطباء** ، وباب في ذكر النساك والزهاد من أهل البيان ، وأورد طائفة من الأشعار الجيدة ، والأسجاع الحسنة لرهط من البلغاء ننقل منها النصين الآتيين :

١ ـ « قال الوصافي : دخل **الهيثم بن الأسود العريان** ـ وكان شاعراً خطيباً ـ على **عبد الملك بن مروان** فقال له : كيف تجدك ؟ قال : أجدني قد أبيضّ مني ما كنت أحب أن يسودّ ، وأسودّ مني ما كنت أحب أن يبيضّ ، واشتدّ مني ما كنت أحب أن يلين ، ولان مني ما كنت أحب أن يشتدّ ، ثم أنشد يقول :

اسمع أنبئك بآيات الكبر	نوم العشاء ، وسعال بالسحر
وقلة النوم إذا الليل اعتكر	وقلة الطعم إذا الزاد حضر
وسرعة الطرف وتحميج النظر	وحذراً أزداده إلى حذر »

٢ ـ « ومن الأسجاع الحسنة قول الاعرابية لابنها حين خاصمته : « أما كان بطني لك وعاء ؟ أما كان حجري لك فناء ؟ أما كان ثديي لك سقاء ؟ فقال ابنها : أصبحت خطيبة رضي الله عنك ؛ لأنها قد أتت على حاجتها بالكلام الوجيز المتخير كما يبلغ ذلك الخطيب بخطبته » .

وهكذا ينتهي الجزء الأول . ويتبعه بالجزء الثاني الذي يستهله بهذه الكلمات « **أردنا ـ أبقاك الله ـ أن نبتدىء صدر هذا الجزء بالرد على الشعوبية في طعنهم على خطباء العرب ، ولكنا أحببنا أن نصدر هذا الجزء بكلام من كلام رسول رب العالمين ، والسلف المتقدمين ، والجلة من التابعين ، الذين كانوا مصابيح الظلام وقادة هذا الأنام ، والنجوم التي لا يضل معها الساري والمنار الذي يرجع إليه الباغي » .**

وأخذ أبو عثمان الجاحظ يسترسل وهو يختار طائفة من الأحاديث النبوية ، والخطب الجيدة المشهورة ، والوصايا والحكم ، وعقد بعد ذلك **بابا للحن** وثانياً في لحن نفر من البلغاء ، وثالثاً في **العي** ، وأورد نوادر لبعض الأعراب ، وأنهى بذلك الجزء الثاني من الكتاب . ثم ابتدأ **الجزء الثالث** بكتاب عن العصا في الرد على الشعوبية أيضاً ، وتناول الحديث عن **عصا موسى وسليمان عليهما السلام** ، وعاود الحديث عن النساك ، فذكر منهم نساك البصرة وزهادها ، ونساك الكوفة وزهادها ، وساق طائفة من الأشعار في الزهد ، وختم هذا الجزء بفصل تحت عنوان « كلام في مقامات الشعراء في الجاهلية والإسلام » ، وبذلك أنهى الجزء الثالث من كتابه البيان والتبيين .

ولعل خير شاهد على امتزاج ثقافة الجاحظ العربية بالثقافتين الفارسية واليونانية ما أورده في الجزء الأول عن البلاغة عند الفرس واليونان والروم والهند حيث يقول :

« قيل للفارسي ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفصل من الوصل .

وقيل للرومي ما البلاغة ؟ قال : حسن الاقتضاب عند البداهة ، والغزارة يوم الاطالة .

وقيل للهندي ما البلاغة ؟ قال : وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة .

وقيل لليوناني ما البلاغة ؟ قال : تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام .

وقال بعض أهل الهند : جماع البلاغة البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة » .

وكثيراً ما استشهد الجاحظ بأقوال صاحب المنطق ويقصد به الفيلسوف اليوناني **ارسطو** ، ولا نريد أن نناقش ما إذا كان الجاحظ قد قرأ ترجمة كتاب الخطابة لارسطو أو لم يقرأها . لأن ذلك ليس هدفاً من أهدافنا في هذه الكلمة .

٤ ـ صور من بيان الجاحظ

١ ـ جاء في الجزء الأول من كتاب البيان والتبيين تحت عنوان باب **« البيان ما نصه »** :

« والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجب دون الضمير ، حتى يفضي السامع إلى حقيقته . ثم اعلم ـ حفظك الله ـ أن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ لأن المعاني مبسوطة إلى غير غاية ، وممتدة

إلى غير نهاية ، وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ، ومعناه ظاهر في لفظه ، وكأن الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة ، وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه ، وتقوى قائله ، **فإذا كان المعنى شريفاً ، واللفظ بليغاً ، وكان صحيح الطبع بعيداً عن الاستكراه ، ومنزهاً عن الاختلال ، مصوناً عن التكلف ، صنع في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة »** .

٢ ـ **« وقال الخليل : تكثر من العلم لتعرف ، وتقلل منه لتحفظ »** . **وقال الفضيل** : نعمت الهدية الكلمة من الحكمة يحفظها الرجل حتى يلقيها لأخيه . وكان يقال : اجعل ما في الكتب رأس مالك ، وما في قلبك للنفقة . وكان يقال : **« يكتب الرجل أحسن ما سمع . ويحفظ أحسن ما كتب »** .

وقال أعرابي : حرف في قلبك خير من عشرة في طومارك ، أي صحيفتك . وقال **عمرو بن عبد العزيز** : ما قرن شيء بشيء أفضل من علم إلى حلم ومن عفو إلى مقدرة » .

٣ ـ وضرب **الحجاج بن يوسف الثقفي** أعناق أسرى ، فلما قدموا إليه رجلاً ليضرب عنقه قال : « والله لئن كنا أسأنا في الذنب فما احسنت في العفو . فقال الحجاج : أف لهذه الجيف ، أما كان فيها أحد يحسن مثل هذا ، وأمسك عن القتل » .

٤ ـ « قال **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه : ما تستبقوا من الدنيا تجدوه في الآخرة ، وقال رجل للحسن : إني أكره الموت قال : ذلك لأنك أخرت مالك ، ولو قدمته لسرك أن تلحق به . وقال **عامر بن الظرب العدواني** : الرأي نائم والهوى يقظان ، فمن هنا يغلب الهوى الرأي » .

لقد مزج الجاحظ العلم بالأدب ، ولم يقتصر على ذكر البراهين النظرية ، بل استعان بالتاريخ والشعر ، وبما يعرف من أحداث ، وما مر به من تجارب ، ومزج ما تعلم بما قرأ وبما سمع وبما شاهد وما جرب ، كما مزج الشعر الجاهلي بالشعر الإسلامي ، وعلم أرسطو بطب **جالينوس** ، وكما مزج آي **القرآن الكريم** بأحاديث **الرسول** ﷺ وبرأي **الطبيعيين والدهريين** .

يقول الأستاذ **أحمد أمين** في الصفحة الثانية والتسعين بعد المائة الثالثة في الجزء الأول من كتابه **« ضحى الاسلام »** :

« والحق أن الجاحظ مسؤول عن الفوضى التي تسود كتب الأدب العربي فقد جرت على منواله ، وحذت حذوه ، **فالمبرد تلميذه تأثر به في تأليفه ، والكتب التي ألفت بعد ذلك كعيون الأخبار والعقد الفريد** فيها شيء من روح الجاحظ وإن دخلها شيء من الترتيب والتبويب . ذلك أنا نرى أن الكتب التي ألفت في العصر العباسي الأول كانت أساس التأليف ، وهي التي جددت نوع القالب الذي يصب فيه العلم فكتاب **سيبويه** في النحو حدد الطريقة التي يتبعها النحاة في التأليف ، وكل ما عملوا بعده أن أوضحوا أو بسطوا أو اختصروا .

ولما كان كتاب البيان والتبيين أول كتاب ألف في الأدب على هذا النحو كان أثره في الأدب كأثر هؤلاء الذين ذكرنا في علومهم وكان الجاحظ مسؤولا عما فيها ، ولسنا نريد أن نحمل الجاحظ كل مسؤولية في هذا فقد تكون طبيعة الأدب نفسها داعية إلى ذلك » .

وقد تسنم الجاحظ بكتابه البيان ذروة الشهرة فطار ذكره في الآفاق ، وسعى إليه العلماء والأدباء ، ووفدت على داره الوفود من كل صوب تتلقى عنه ، وتقبس من علمه وأدبه ، وتوالت عليه دعوات الخلفاء والوزراء والحكام ليجلس إليهم ، وينثر فيهم علمه وأدبه .

ونوه بالجاحظ وأدبه وكتابه البيان أعلام الفكر وأقطاب الأدب في عصره ، والعصور التي تلته اعترافاً بقيمة الكتاب ، واجلالا لثقافة مؤلفه ، وتنويهاً بنبوغه وعبقريته ، يقول **المسعودي** في تاريخه **« مروج الذهب »** : « كتب الجاحظ تجلو صدأ الأذهان ، وتكشف واضح البرهان لأنه نظمها أحسن نظم ، ورصفها أحسن رصف ، وكساها من كلامه أجزل لفظ ، وكان إذا تخوف ملل القارىء ، وسآمة السامع خرج من جد إلى هزل ، ومن حكمة بليغة إلى نادرة ظريفة » .

وقال **ابن العميد** : « ثلاثة علوم الناس كلهم عيال فيها على ثلاثة أشخاص : أما الفقه **فعلى أبي حنيفة** ، وأما الكلام **فعلى أبي الهذيل** ، وأما البلاغة والفصاحة واللسن **فعلى الجاحظ»** .

وقال أيضاً : **« كتب الجاحظ تعلم العقل أولا ، والأدب ثانيا »** .

وقال **الخطيب البغدادي** في كتابه « تاريخ بغداد » : فاخر البصريون الكوفيين بأربعة كتب : البيان والحيوان للجاحظ ، والكتاب لسيبويه والعين للخليل » .

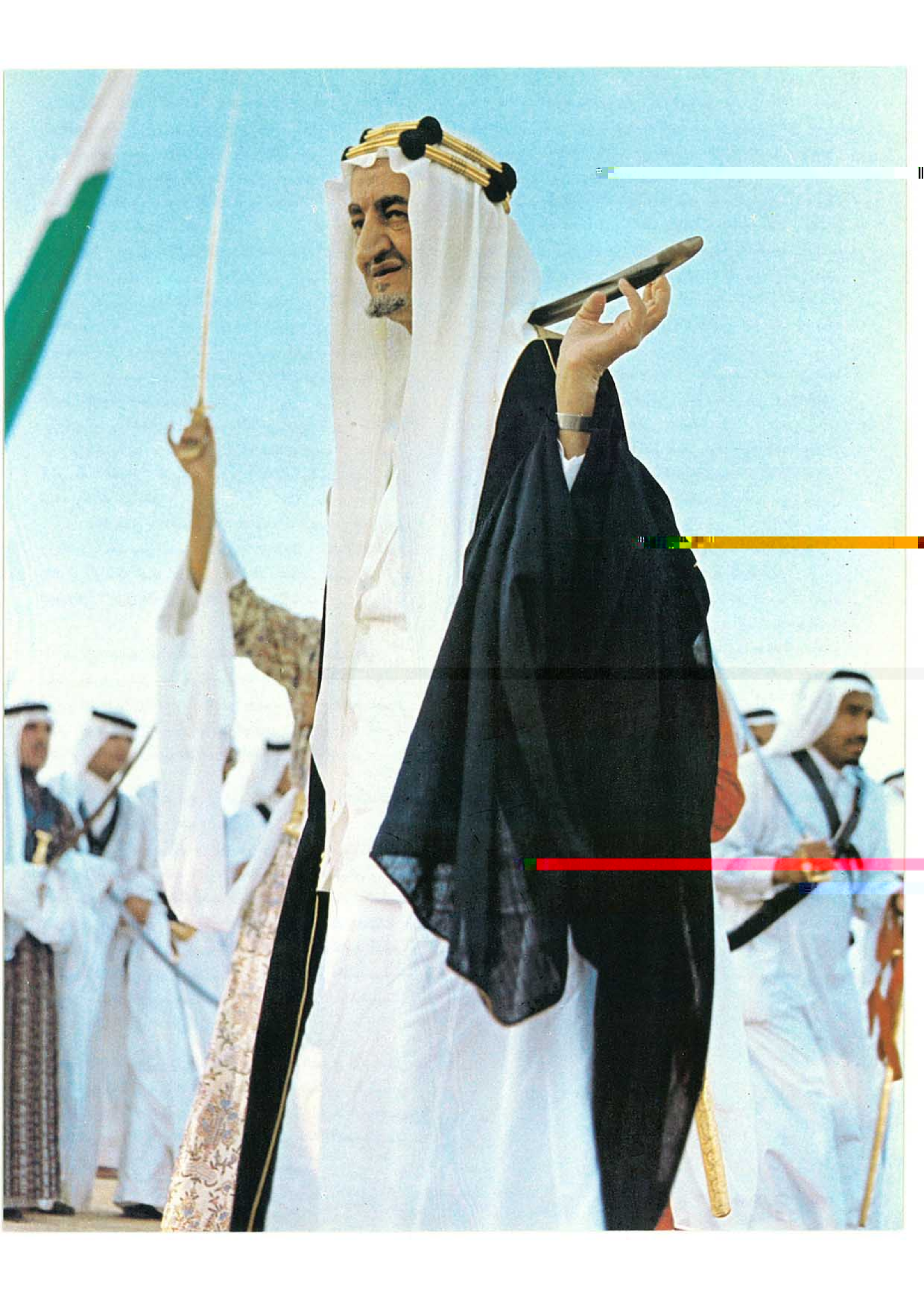
« وقيل لأبي العيناء : **ليت شعري أي شيء كان الجاحظ يحسن ؟ فقال : ليت شعري وأي شيء كان الجاحظ لا يحسن »**

« وقال **ابن خلدون** : وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن ـ يعني الأدب ـ وأركانه أربعة : هي : أدب الكاتب **لابن قتيبة** ، وكتاب الكامل **للمبرد** ، وكتاب البيان والتبيين **للجاحظ** ، وكتاب النوادر **لابي علي القالي** ، وما سوى هذه الأربعة فتوابع لها ، وفروع منها » .

« وروي عن **ثابت بن قرة أنه قال : ما أحسد هذه الأمة إلا على ثلاثة : عمر بن الخطاب** في سياسته ويقظته ، **وأبي الحسن البصري** في تقواه وزهده وورعه وعلمه ، **وأبي عثمان الجاحظ** في فصاحته .

وبعد فنرجو أن نكون قد سلطنا جانبا من الضوء على حياة العبقري النابغة عمرو بن بحر أبي عثمان الجاحظ ، وعلى كتابه الذائع البيان والتبيين الذي يعد كنزا ثمينا من تراثنا الفكري .

وعلى الرغم من أن الجاحظ قد رحل عن دنيانا سنة ٢٥٥ هـ ، ومضى على رحيله ما يزيد على ألف عام فإنه لا يزال حيا بأدبه وفكره ، وسيظل أدبه وفكره ـ ممثلا في كتابه البيان وفي كتبه الأخرى ـ حيا على مر الاحقاب يجد فيه الباحثون والدارسون ما يثقف العقل ، ويهذب النفس ، ويجلو صدأ الفكر .



كيف أنساك يا أبي؟

شعر الأمير عبد الله الفيصل

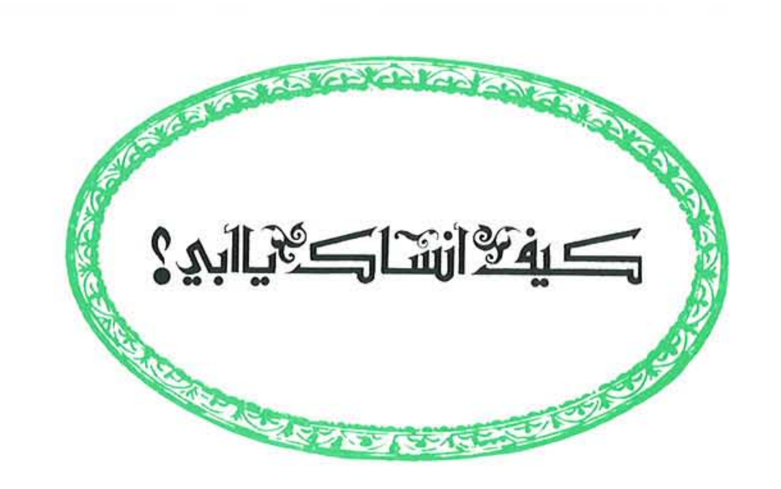


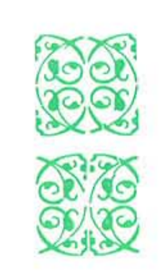
هذه القصيدة النازفة بجراح المأساة أو الفاجعة الكبرى التي داهمت الأمة العربية والاسلامية باستشهاد الملك المسلم ورائد التضامن الاسلامي فيصل بن عبد العزيز تغمده الله بواسع رحمته .

ومع أن الشاعر الأمير عبد الله الفيصل هو أكبر أنجال الشهيد إلا أن شعور الحزن والمرارة والألم الذي يسكن جو القصيدة كان شعور كل عربي ومسلم ، بل شعور كل إنسان واكب حياة الفيصل من خلال معرفته الشخصية .. أو قراءته عن أعماله الانسانية الكبيرة .

فالجرح ليس جرح أبناء الفيصل وحدهم بل كان جرح الأمة العربية والاسلامية والبشرية ، لأنها بغياب الفيصل لم تفقده كملك لدولة لها وزنها الدولي ، وإنما فقدته قمة .. وريادة .. وعملا من أجل الخير والسلام في وقت العالم أحوج ما يكون إليه زعيما حكيما ، وسياسيا واضح المبادىء يتطلع إلى سعادة البشرية وسلامها تطلعه إلى سعادة أمته الاسلامية والعربية .

ورغم أن القصيدة كان قد نشرها الشاعر الأمير عبد الله الفيصل بعد مرور عام على وفاة والده الشهيد ، إلا أنها تمتد داخل أي زمان ومكان شهدا معالم الفيصل .. وآثاره التي لا تمحى .. وحين نعيد نشرها اليوم بمناسبة مرور أربعة أعوام على استشهاد الفيصل ، إنما نستذكر قولة الأمير الشاعر بعد مرور فترة زمنية على وفاة والده : «إن كل مأساة تقع كبيرة ثم تصغر مع الزمن إلا أن مأساتي في فقد أبي فإنها تكبر بمرور الأيام ، ويتسع الجرح مع السنين العابرة» .. رحم الله الفيصل .





أيُّ ذِكْرَى تعُـودُ لي بَعْـدَ عـامٍ
لَـمْ تـزَلْ فِيـهِ نـازفَاتٍ جِـرَاحِي

أيُّ شَـهْرٍ، رَبِيـعُ عُمْـرِيَ وَلَّى
فِيـهِ، وٱرْتـاحَ في ضُـلُوعِي ٱلْتيَـاحِي

أيُّ خَـطْبٍ مُـرَوِّعٍ كُنْـتُ أخْشَـاهُ
فَـأبْلَى عَـزْمِي وَفَـلَّ سِـلاحِي

أيُّ يُـتمٍ أذَلَّ كِبْرَ أنِيـنِي
وأرَانِـي دَجْـنَ المسَـا في صَـبَاحِي

أيُّ يَـوْمٍ وَدَّعْـتُ فِيـهِ حَبِيبِـي
ثمَّ أسْـلَمْتُ مُهْجَـتِي لِلنُّـوَاحِ

إنهُ يَـوْمُ ميتَـتِي قَبْـلَ مَـوْتِي
وٱخْتِـلاَجِ الضِّيَـاءِ فـي مِصْـبَاحِي

إنـهُ يَوْمُ مَـنْ تمَنَّيْـتُ لَـوْ ظَـلَّ
قَرِيبـاً مِنْ هَيْنَمَـاتِ صُـدَاحِي

إنهُ يَـوْمُ «فَيْصَـلٍ» خَـرَّ فِيـهِ الطَّـوْ
دُ للهِ سَـاجِداً، غَيْـرَ صَـاحِي

يَـوْمُ مَـنْ كَانَ لِلـوُجُودِ وُجُـوداً
عَـامِراً بِالتُّقَـى وَكُـلِّ الصَّـلاَحِ

لَيْتَـنِي كُنْـتُ فِدْيَـةً لِلَّــذِي مَــا
تَ ، فَمَــاتَتْ مِـنْ بَعْـدِهِ أفْرَاحِـي

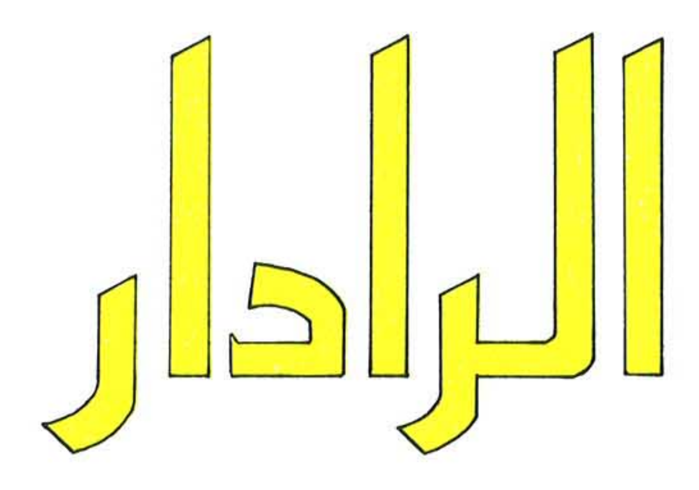
* * *

« فَيْصَلِي » يــا مُهنّــداً مَــا أَحَــبَّ الغِمْــ
ــدَ يَــوْماً ، وَلا آرْتَـوَى مِـنْ طِمَـاحِ
يــا حُسَـــاماً في قَبْضَـــةِ الحَــقِّ والإِيمَــا
نِ ، سـلَّتْ شبَـاهُ أعْـظمُ رَاحِ
رَاحُ « عَبْدُ العَــزِيــز » مَلْحَمَــةِ العِــزِّ ،
وأسْطُـورَةِ العُلَـى وَالكِفَـاحِ
كَيْفَ أرْثِيــكَ يــا أبِـي بِآلقَوَافِـي
وَقَوافِــيَّ قَـاصِرَاتُ الـجَنَاحِ
كَيْفَ أبْــكِيكَ والخُـلُودُ آلتقَى فِيــ
ــكَ شَهِيــداً مُجَسَّمــاً لِلْفَــلَاحِ
كَيْفَ تعْلُــو ابْتِسَــامَةُ الصَّــفْوِ ثَغْــرِي
كَيْـفَ تـحْلُـو الـحَيَاةُ لِلْمـلتَاحِ
كَيْفَ لا أحْسَـــبُ الـــوُجُودَ جَحِيمــاً
يَحْتَــوِينِي فـي جَيْئَتِي وَرَوَاحِـي
كَيْفَ أقْــوَى عَلَـى آحْتِبَــاس دُمُوعِـي
وأنـا لا أخَـافُ فِيــكَ اللَّاحِـي ؟
كَيْفَ أنسَـاكَ يَـا أبِـي . . كَيْفَ يَمْحُــو
مِــنْ خَيَالِـي ، خَيَــالُكَ الحُلْــوَ مَاحِـي ؟

* * *

. . لَيْسَ لِـي ، وَالذُّهُـولُ أمْسَى نَدِيـمِـي
وَالأسَـى ، رَغْــمَ وَأدِهِ ، فَضَّاحِـي
غَـيْرُ رَبِـي . . أرْجُـوهُ مَـدِّيَ بِآلصَّــبْرِ . . .
وَلُقْيَـاكَ فِـي الجِنَــانِ الفِسَـاحِ





الرادار

تشتق تسمية «رادار» من مجموعة الحروف الأولى لاصطلاح «**الارسال والاستقبال بالموجات الاذاعية**»، وهي الطريقة التي يتم بها مسح المساحات المحيطة بواسطة موجات إذاعية عالية التذبذب يتم ارسالها من جهاز استقبال عالي الكفاءة لتنعكس على الأجسام التي تصادفها تلك الموجات. أما جهاز الاستقبال فيقوم بالتقاط الاشعاعات المنعكسة التي تعبر قوتها واتجاهها عن كافة المعلومات المطلوب معرفتها عن تلك الأجسام من حيث حجمها وبعدها وطولها.. الخ.

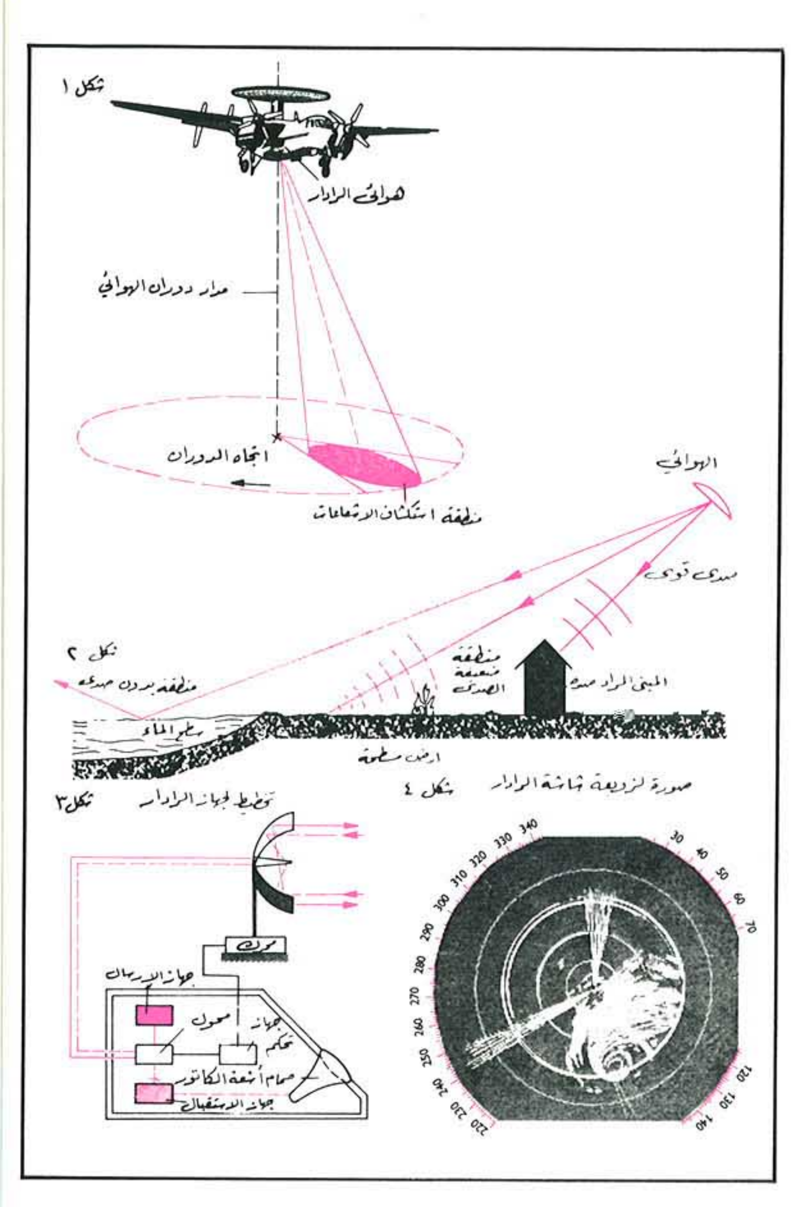
وعلى سبيل المثال.. لو أراد المراقب بإحدى **الطائرات** القيام بمسح بقعة الأرض التي يحلق فوقها (**شكل رقم ١**) فإنه يوجه **أشعة الرادار الدوار** من الطائرة إلى أسفل. عندئذ تغطي الأشعة مساحة دائرية حول الجسم المراد رصده، وعلى أساس الاشعاعات المنعكسة وكثافتها (كما في حالة الأجسام الموجودة على سطح الأرض في مثالنا هذا) تختلف الموجات وتتباين (**شكل رقم ٢**).

لذلك يتأثر ارسال واستقبال الموجات عالية الكفاءة في جهاز الرادار (**شكل رقم ٣**)، أما موجات الرادار في جهاز الارسال فتتولد من خلال أنابيب إذاعية ذات تصميم خاص. كذلك يعمل هوائي جهاز الاستقبال كأي هوائي في أي جهاز للاستقبال. ثم يقوم جهاز الاستقبال بالتقاط الاشعاعات التي تستعمل تيارات كهربية لارسال **اشعاعات الكترونية** في صمام أشعة الكاتود.

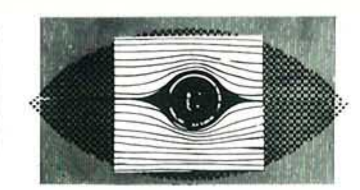
هذه الاشعاعات تظهر على شاشة مضيئة تدور بنفس سرعة دوران الهوائي، وهنا يلتقط جهاز الاستقبال «**الصدى**» ووظيفته تقوية تدفق الإلكترونات في الصمام فتظهر على هيئة بقعة ضوئية تظهر على الشاشة واضحة حتى يتم التقاط أصداء جديدة مع الدورة التالية للهوائي. وبهذه الطريقة تكون البقع الضوئية صورة للمنطقة (أو الفضاء) المراد مسحها، والتي تغطيها اشعاعات الرادار.

هذا.. ويعتمد وضوح عرض الاشارات (أو صدى الرادار) في الشاشة التي يضيؤها صمام أشعة الكاتود.. على القوة الانعكاسية للجسم مع أخذ الموجات الإذاعية عالية الكفاءة، التي يبثها الرادار في الاعتبار، وهذا بدوره يفسر سبب اختلاف صورة الرادار عن الصورة البصرية، رغم أن لكليهما نفس الخصائص.

هذا.. ومعظم أجهزة الرادار تستخدم مكبرات رادار.. وسبب هذه التسمية أن جهاز الارسال يبث دفعات (أو شحنات) قصيرة من الطاقة تفصلها عن بعضها البعض فترات طويلة نسبيا، يكون جهاز الاستقبال خلالها نشيطا .. وحينما ينقضي الوقت اللازم للسماح باستقبال الأصداء من الأجسام المعينة والتي تكون متناهية البعد، يكون جهاز الارسال قد بث دفعة قصيرة أخرى، ومن ثم تتكرر الدورة.. وهكذا.









القباب

أشكالها مصادرها تطورها

بقلم د. صالح لمعي مصطفى

أشكال القباب

تسمى القباب تبعاً لمظهرها الخارجي : فتوجد **قباب بشكل نصف كرة**، أو كجزء **من كرة مدببة**، **أو مخروطية**، **أو بصلية**، **أو مضلعة** (متعددة الأضلاع)، ولا يوجد ما يطلق عليه البعض **بالقبة الحلزونية**، وقد يكون للقبة **طمبور** (Drum) تنظم به النوافذ، كما يعلو القبة في بعض الأحيان **فانوس** (Lantern) **لوحة (١)**.

طرق إنشاء القباب

تقام القباب إما على مساقط دائرية أو مربعة (لوحة ١)، وفي حالة المسقط المربع يلزم لتحويله إلى دائرة إقامة مثلثات كروية في الأركان (Pendentives)، أو تعمل حنيات في الأركان في منطقة الانتقال (Squinches, Trompe)، وقد تقام القباب على مساقط مستطيلة وبذلك يكون مظهرها الخارجي بيضاوي الشكل (قباب خانقاه فرج بن برتوق بالايوانات ٨٠١ ـ ٨١٣هـ/١٣٩٩ ـ ١٤١١م)، **وفي العمارة الاسلامية شاع استعمال المقرنصات في الأركان في منطقة الانتقال لتحويل المربع إلى دائرة.**

وقد عملت القباب من الطوب والحجارة والخشب، كذلك عملت بالخرسانة في **العصر الروماني**، أما في **العصر الحالي** فإنها تعمل في الإنشاءات الحديثة من الخرسانة المسلحة.

والمباني التي استعملت في تغطيتها أشكال القباب (قبة غير حقيقية من الناحية الإنشائية)، فقد رصّت صفوف الحجارة أفقياً فتبرز هذه الصفوف مع الارتفاع بحيث تعطي في النهاية شكل القبة.

أما القباب الحقيقية فيتم بناؤها بتنظيم من الطوب أو الحجارة المنحوتة، بحيث تتجه حاماتها نحو مركز القبة (Massive Dome)، كما هو الحال في بناء العقود، وفي بعض الأمثلة تعمل أعصاب يملأ الفراغ بينها بصفوف من الطوب أو الحجارة (Ripped Dome)، كذلك وجدت قباب تعمل من قشرتين بحيث يكون الشكل الخارجي مختلفاً عن الشكل الداخلي **(لوحة ١)**، كذلك وضعت في بعض القباب الحجرية سلاسل من الحديد أو قطع من الخشب لمقاومة الدفع الخارجي للقبة.

تشكيل الأسطح الداخلية والخارجية

وقد شكلت الأسطح الخارجية في القباب بالعمارة الأوروبية باظهار عناصر الإنشاء (Ripps) وتغطية المسطحات بينها بالزخارف، أما السطح الداخلي فقد قسم إلى مربعات (Coffers) في بعض الأمثلة، وغطيت هذه المربعات بالزخارف أو الرسومات وفي بعض الأحيان وخاصة في عصر النهضة، فقد غطيت المسطحات الداخلية بلوحات ملونة من **الفريسك.**

أما في **العمارة الاسلامية** فقد شكلت الأسطح الخارجية في أغلب الأحيان بفصوص دائرية يفصل بينها مثلثات وخاصة في القباب المبنية من الطوب، أما القباب الحجرية فقد تم تشكيل سطحها الخارجي بتغطيته بزخارف هندسية أو نباتية أو الاثنين معاً، كما غطيت القباب في بعض البلاد الإسلامية (**إيران** على سبيل المثال) ببلاطات مزججة ملونة (بورسلان، قيشاني)، كذلك زين السطح الخارجي في منطقة الطمبور بآيات قرآنية ونصوص تاريخية. أما السطح الداخلي فقد غطي بالجص، وعملت عليه زخارف ملونة نباتية وهندسية وكتابات قرآنية ونصوص تاريخية.

عصور ما قبل الاسلام

في أول الأمر قام الانسان ببناء مسكنه مقلدا في ذلك الطيور والحيوانات، فعمل حفرة في الأرض بشكل دائري أو شبه دائري دعمت جوانبها بالأحجار ويثبت عليها خيمة أو شكلا مخروطيا من فروع الأشجار، تعمل عليه تغطية بالقش والطين أو بالجلود (لوحة ٢).

وقد وجدت تلك الحفر المدعمة بالحجارة في مدينة (Ahrensberg) بالقرب من **هامبورج بألمانيا** من **العصر الجدليني** ترجع إلى الألف الثانية عشرة قبل الميلاد[١]، كذلك وجدت تلك المساكن في منطقة (Gagarino) **بالاتحاد السوفياتي**[٢]، كما عرفت المساكن بشكل حفرة أو كهوف شبه دائرية في **العصر الحجري بمصر** بمنطقة **الفيوم** [٣].

وفي منطقة **بلاد ما بين النهرين** تعددت أشكال المسكن : فيوجد مسكن دائري أو شبه دائري، بالإضافة إلى مساكن تجمع بين المسقط المستطيل والدائري، فقد وجدت تلك المساكن في **منطقة حسونة** بالقرب من **الموصل وفي تبة كورا** (Tepe- Gaura) وترجع هذه المباني إلى الألف الرابعة قبل الميلاد [٤].

وفي **قبرص** بالقرب من (Khirokitia) وجدت آثار مساكن عديدة لها سقف بشكل قبة من الألف الرابعة قبل الميلاد [٥]، كذلك وجدت مساكن مشابهة **باليونان** بمدينة (Orchomenus) من الألف الثانية قبل الميلاد [٦].

إلا أن هذا لم يمنع وجود مساكن ذات مسقط مستطيل قبل ذلك بكثير، فقد وجدت مساكن ذات مسقط مستطيل من قبل ذلك بكثير، فقد وجدت مساكن مسقط مستطيل بالقرب من **مدينة جرش بالأردن** ترجع إلى الألف السادسة قبل الميلاد [٧].

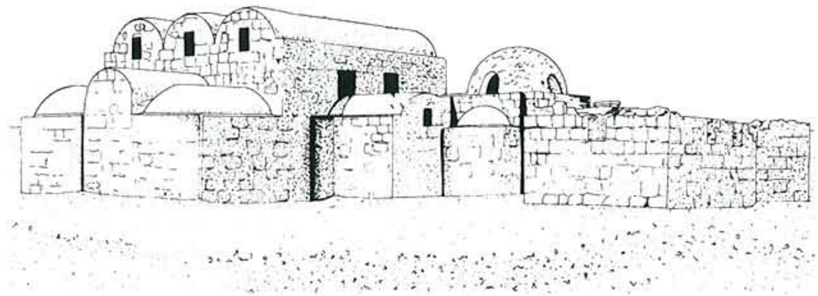
أما **العمارة المصرية القديمة** فنجد بها أمثلة متعددة لمدافن من **عصر المملكة الوسطى** بنيت سقوفها بأشكال قبات دائرية، كذلك يوجد مثال واحد من الأسرة الرابعة بمقبرة **سنب** (Sneb)، [٨] كذلك عملت **صوامع الغلال** داخل المساكن الكبيرة من الطين بشكل مخروط (Conical groin bins) **(لوحة ٥).**

وقد تركت لنا عمارة بلاد ما بين النهرين بعض الأمثلة على استعمال أشكال القباب سواء في المباني الدينية أو المدنية : **فمن العصر البابلي** نجد شكل قبة على هيئة جزء من دائرة أعلى المدخل الرئيسي لزيجورات أورنا مو بمدينة **أور** (Ur)، والتي ترجع إلى عام ٢١٢ قبل الميلاد **(شكل ٤)**، وبذلك تم تأكيد وضع المدخل باستعمال طريقة إنشائية تخالف باقي الإنشاء المستعمل في المبناء، بالإضافة إلى هذا فقد أعطتنا اللوحة المحفوظة بالمتحف البريطاني والتي وجدت بمدينة **قوينجق** (Kouyunjik) فكرة عن استعمال القباب البيضاوية في المباني السكنية بمدينة **نينوى** (Nineve) في عام ١١٠٠ قبل الميلاد [٩].

وفي **العصر الساساني** وجدت قباب حقيقية في القصور بمدينة **فيروز آباد** من القرن الثالث الميلادي وفي **سرفيستان** من القرن الرابع الميلادي، ويتم تحويل المسقط المربع إلى دائرة بواسطة حنيات في الأركان العلوية (Squinches, Trompe).

وفي **العمارة الايجية واليونانية**، فقد استعملت أشكال القباب في مباني المدافن ذات المسقط الدائري، ونجد أمثلة على ذلك في قبر **اتريوس** من القرن الرابع عشر قبل الميلاد، والقبر المعروف باسم قبر الأسد في (Cnidos)، ويرجع إلى حوالي عام ٣٥٠ قبل الميلاد **(لوحة ٥).**

أما **العمارة الرومانية** فقد استعملت فيها **القباب الخرسانية** على مساقط دائرية في كل من **المعابد والمدافن** والمباني المدنية، ونرى أمثلة لها في معبد (Vesta) **بتيفولي** من عام ٨٠ قبل الميلاد **(لوحة ٥)**، ومعبد **فينوس ببعلبك** من عام ٢٧٣ م، **(لوحة ٥)**، ويوجد مثال رائع للقبة في معبد **البانثيون بروما** (١٢٠ ـ ١٢٤م-



(**لوحة ٤**) ، كذلك نجد مثالا للقبة في المدافن الدائرية مثل مدفن (Diocletian) في Spalato (حوالي عام ٣٠٠ م) ، وفي الحمامات مثل حمام **كراكلا بروما** (٢١١ - ٢١٧ م) ، وكذلك في المباني السكنية مثل (Nero Domus Aurea) (**٥٤ - ٦٨ م**) ، **وفيلا ادريانا** (بعد عام ١٢٥ م) .

ونجد القباب الحجرية المحمولة على مثلثات كروية بالمنطقة العربية قبل الإسلام ، وعلى سبيل المثال في **قصير النوايس** بالقرب من **عمان** [١٠] ، (أوائل القرن الثالث الميلادي) ، وعلى قبر بالقرب من **سباستيه** [١١] (عام ١٩٣ - ٢١١ م) ، وفي حمام بالقرب من **البتراء** [١٠] ، يرجع إلى هذه الحقبة الزمنية .

وقد استمر استعمال القباب بأشكال متعددة في **العمارة البيزنطية** على مساقط دائرية أو مربعة مع استعمال المثلثات الكروية في الأركان ، كذلك وجدت القباب بعد ذلك في العصور المعمارية اللاحقة للعصر البيزنطي في **العمارة الأوروبية** وخاصة في **عصر النهضة والباروك** ، ثم بعد ذلك في عمارة القرن الثامن والتاسع عشر الميلادي .

القباب في العمارة الاسلامية

أما في **العمارة الاسلامية** : فقد مرت فترة حتى ظهرت القبة في المنشآت الإسلامية المدنية والدينية على السواء . وهنا أحب أن أوضح أنه لا يوجد في القرآن الكريم أو في الحديث النبوي الشريف ما يوجب عدم بناء القباب ، ويرجع عدم استعمال القباب على الأرجح إلى عدم معرفة العرب بالجزيرة العربية لطريقة الإنشاء بالطوب أو الحجر ، غير أن الشكل كان معروفاً لهم لوجوده في البلاد المحيطة بهم . لهذا نجد هذه القباب في العمارة الإسلامية إلى ما بعد الفتح الإسلامي للبلاد المحيطة بشبه الجزيرة العربية ، والاحتكاك بالحضارات في بلاد ما بين النهرين وبالعمارة المسيحية الشرقية والعمارة القبطية في مصر ، **وأن ما أورده بعض الكتاب عن القباب عند العرب قبل الاسلام ما هو إلا خيمة بشكل قبة فقط .**

ففي **أول الفتح الاسلامي** استعملت الأسقف المستوية الخشبية والطين والطوب باللبن وفروع أشجار النخيل كعناصر إنشائية ، نرى ذلك في **مسجد البصرة** (١٤ هـ/ ٦٣٥ م) ، **مسجد الكوفة** (١٧ هـ/ ٦٣٨ م) ، **مسجد عمرو بمصر** (٢١ هـ/ ٦٤١ م) ، كذلك لم تستعمل العقود في أول الأمر وهو إنشاء قريب من إنشاء القباب .

وكذلك عند اعادة بناء بعض المساجد لم تستعمل القباب ، وعلى سبيل المثال في اعادة بناء مسجد البصرة (٤٥ هـ/ ٦٦٥ م) ، وفي اعادة بناء مسجد الكوفة (٥١ هـ/ ٦٧٠ م) ، وإن كان قد استعمل في اعادة البناء الحجارة والطوب .

وعلى هذا فإن أول قبة في الاسلام هي التي أقيمت في العصر الأموي والمعروفة باسم قبة الصخرة (٧٢ هـ/ ٦٩١ م) ، (**لوحة ٨ و ٩**) ، ومن المعروف أن هذه القبة كانت متأثرة عند إنشائها بقبة كنيسة القبر المقدس (Holy Sepulchre) (٣٣٥ م) ، والتي كانت بالتالي متأثرة بمدفن (Santa Constanza) ، **بروما** (٣٣٠ م) ، وقد عالج العالم الأثري المعروف **كريزويل** هذا الموضوع بعناية ، موضحاً كافة التأثيرات المعمارية والإنشائية والزخرفية من العمارة البيزنطية على عمارة قبة الصخرة [١٣] .

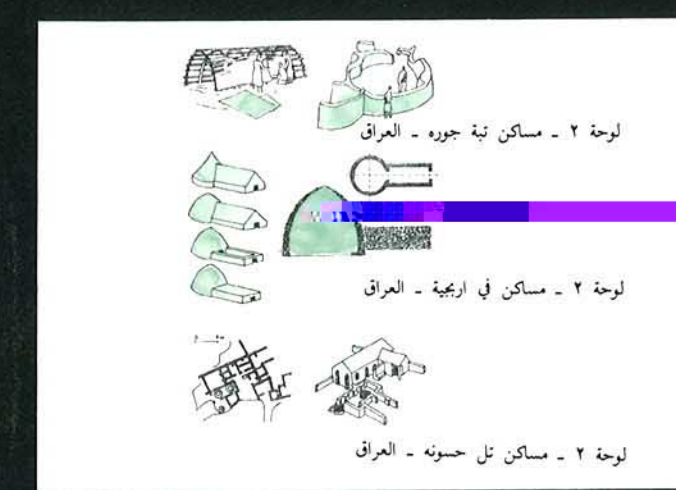
كما وجد مثال سابق على ذلك القبة الخشبية في معبد (Marneion) **بغزة بفلسطين** من القرن الثاني الميلادي [١٤] ، وقد بنى هذا لآله السمك (Marnas) ، ثم وجدت بعد ذلك قبة خشبية **في كنيسة القديس سمعان** بالقرب من حلب (حوالي عام ٥٠٠ م)[١٤] .

بعد ذلك وجدت القباب في المساجد أمام المحراب ، فنراها في الجزء الأوسط من الرواق العرضي أمام المحراب بالجامع الأموي (٩٧ هـ/ ٧٠٥ م) ، **وفي المسجد الأقصى بعد اعادة بنائه في عهد الخليفة المهدي** (١٦٣ هـ/ ٧٨٠ م) ، (**لوحة ٨**) ، **وفي المسجد الكبير بسوسة بتونس** (٢٣٦ هـ/ ٨٥٠ م) ، **والمسجد الكبير بالقيروان** (٢٤٨ هـ/ ٨٦٢ م) ، **والمسجد الكبير بتونس** (٢٤٩ هـ/ ٨٦٤ م) ، (**لوحة ١٣**) ، **وفي مسجد قرطبة** (٣٦٤ هـ/ ٩٦٥ م) .

ويرجح أن وجود القبة أعلى الفراغ أمام المحراب هو نوع من التأكيد المعماري على مكان المحراب ، وذلك بتغطية هذا المكان بسقف يخالف بقية



لوحة ١ - القباب على مساقط دائرية ومربعة


لوحة ٢ - مساكن تبة جوره - العراق

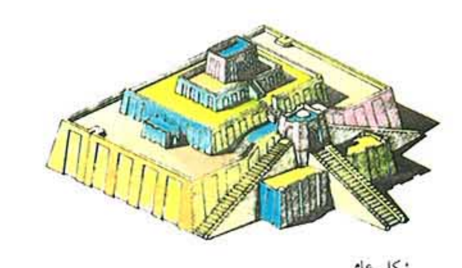
لوحة ٢ - مساكن في اربجية - العراق

لوحة ٢ - مساكن تل حسونه - العراق

سقف المسجد ، بالاضافة إلى ذلك فإن هذا المكان كان مخصصا للخليفة في ذلك الوقت ، ويحاط بالمقصورة - **عملت أول مقصورة بعد الاعتداء على الخليفة الأموي معاوية** - علماً بأن **أقدم مقصورة كمثال موجود بجامع القيروان وترجع إلى القرن الحادي عشر**[١٥] .

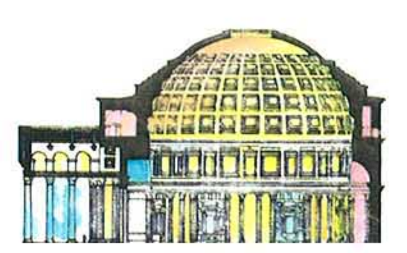
وانتقلت القباب أمام المحراب في **العمارة الاسلامية الفاطمية بمصر** عن طريق شمال إفريقيا ، فنراها **بجامع الأزهر** (٣٥٩ هـ/ ٣٦١ هـ/ ٧٩٠/ ٧٩٢ م) ، **وبجامع الحاكم** (٣٨٠ - ٤٠٣ هـ/ ٩٩٠ - ١٠١٣ م) (**لوحة ١٧**) . هذا بالإضافة لوجود قباب صغيرة في أركان هذه المساجد إلا أن القبة أمام المحراب امتازت بكبر حجمها ، وتشكيل سطحها ا ارجي بطريقة تختلف عن القباب الأخرى الموجودة في الأركان ، كذلك وجدت القبة في بعض **المساجد المملوكية بمصر** ، علماً بأن القبة أمام المحراب **بجامع ابن طولون** (٢٦٣ - ٢٦٥ هـ/ ٨٧٦ - ٨٧٨ م) ، ترجع إلى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي .

والقباب الخشبية وجدت أيضاً في مصر . فنجدها في **قبة الامام الشافعي** (٦٠٨ هـ/ ١٢١١ م) ، علماً بأن القبة الحالية هي من القرن الخامس عشر ، **وقبة جامع الظاهر بيبرس البندقداري** (٦٦٥ - ٦٦٧ هـ/ ١٢٦٦ - ١٢٦٩ م) ، وقبة المدفن **بمدرسة الناصر محمد بن قلاوون بالنحاسين** (٦٩٥ - ٧٠٣ هـ/ ١٢٩٥ - ١٣٠٤ م) ، والقبة التي تغطي الفراغ أمام محراب **مسجد الناصر محمد بن قلاوون**

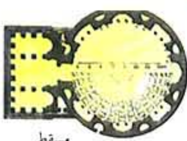


شكل عام

لوحة ٤ - زيجورات اورنامو



قطاع



مسقط

لوحة ٤ - مبنى البانثيون - روما

لوحة ٥ - معبد فستاروما   واجهة   مسقط

لوحة ٥ - معبد فينوس - بعلبك   منظور   مسقط

لوحة ٥ - مدفن الأسد «كنيدوس» واجهة   قطاع

لوحة ٥ - احد المنازل المصرية القديمة

بالقلعة (٧٣٥هـ/١٣٣٥م)، والقبة الأصلية **بمسجد المرداني** (٧٤٠هـ/١٣٤٠م)، والقبة الأصلية فوق المدفن **بمدرسة السلطان حسن** (٧٥٧ـ ٧٦٤هـ/١٣٥٦ ـ ١٣٦٢م)، والقبة الأصلية فوق المدفن **بمدرسة السلطان برقوق** (٧٨٦ ـ ٧٨٨هـ/١٣٨٤ ـ ١٣٨٦م)، والقبة أمام المحراب **بمسجد زين الدين يحيى ببولاق** (٨٥٢ ـ ٨٥٣هـ/١٤٤٨ ـ ١٤٤٩م)، والقبة بمسجده، بالحبانية (٨٥٦هـ/١٤٥٢م)، وكذلك القبة **بخانقاه شيخون** (٧٥٦هـ/١٣٥٥م)، إلا أنها ترجع لعام (١٠٩٥هـ/١٦٨٤م).

ويوجد القليل من المساجد بمصر استعملت القباب في تغطية أروقتها أو ايواناتها، وعلى سبيل المثال **جامع الأقمر** من العصر الفاطمي (٥١٩هـ/١١٢٥م)، **وخانقاه فرج بن برقوق** (٨٠١ ـ ٨١٣هـ/١٣٩٩ ـ ١٤١١م)، **ومسجد قانبياي الرماح** (٩١١هـ/١٥٠٦م)، من العصر المملوكي الجركسي.

وقد شاع استعمال القباب البصلية الشكل في العمارة الاسلامية في إيران وسمرقند والهند (لوحة ٢٣)، كذلك نرى القباب كعنصر أساسي في التسقيف بجميع المباني الدينية بشكل خاص في **العصر العثماني** سواء كان ذلك في **تركيا** أم البلاد التي كانت تحت الحكم العثماني، ويرجع ذلك لتأثر مباني ذلك العصر بالعمارة البيزنطية **(لوحة ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢).**

كذلك وجدت القبة في **القصور الأموية والعراقية**. فقد كانت بدار الإمارة الملحقة **بمسجد الواسط بالعراق** قبة خضراء (٨٨ ـ ٩١هـ/٧٠٧ ـ ٧٠٩م). ونجد القبة في **قصير عمرة** (٩٤ ـ ٩٧هـ/٧١٢ ـ ٧١٥م)، **وخربة المفجر** (١٢٦ ـ ١٢٧هـ/٧٤٣ ـ ٧٤٤م)، **وقصر المشتى** (حوالي ١٣٢هـ/٧٥٠م)، **وقصر أخيضر** (١٥٧ ـ ١٥٨هـ/٧٧٤ ـ ٧٧٥م).

وفي مصر وجدت القبة في **أبواب القاهرة الفاطمية**، فنراها في **باب الفتوح وباب النصر** (٤٨٠هـ/١٠٨٧م)، **وبباب زويلة** (٤٨٥هـ/١٠٩٢م)، وفي **برج الظفر** من العصر الأيوبي (٥٦٦ ـ ٥٧٢هـ/١١٧١ ـ ١١٧٦م)، وفي مدخل قصر **منجك السلاحدار** من العصر المملوكي البحري (٧٤٧ ـ ٧٤٨هـ/١٣٤٦ ـ ١٣٤٧م).

كذلك توجد قباب يعلوها فانوس. فنراها في مصر في قبة **عبد الله المنوفي** (حوالي ٨٧٩هـ/١٤٧٤م)، وفي بخارى في **مدرسة عبد الله خان** (٩٩٧ ـ ٩٩٩هـ/١٥٨٨ ـ ١٥٩٠م). **وطارق صرافان** (القرن العاشر الهجري ـ السادس عشر الميلادي)، وكذلك في تركيا **بمبنى تويكابي سراي** (١٠٤٨ ـ ١٠٤٩هـ/١٦٣٨ ـ ١٦٣٩م). **وجامع يشيل** (Ycil) **بمدينة ازنك** (٧٨٠ ـ ٧٩٤هـ/١٣٧٨ ـ ١٣٩٢م).

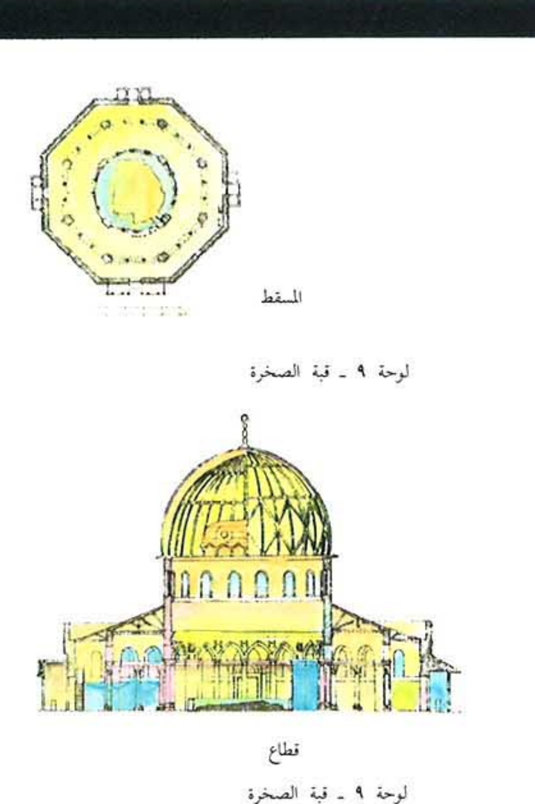
ووجدت قباب مفرغة في بعض المباني الإسلامية. فنراها في جامع قرطبة في القبة المحمولة على الأعصاب أعلى الفراغ على يمين المحراب (٣٥٠ ـ ٣٥٧هـ/٩٦١ ـ ٩٦٨م)، وفي **الجامع الكبير بتلمسان** أمام المحراب (٥٣٠هـ/١١٣٦م). وكذلك وجدت تلك القباب في مصر في العصر الفاطمي. فنرى أقدم مثال لها أعلى **مئذنة بلال** بالقرب من **أسوان** (القرن الخامس الهجري ـ الحادي عشر الميلادي)، بعد ذلك نراها في قبة **مقلد الناصري يقوص** (٥٦٨هـ/١١٧٢م)، ومدفن **صفي الدين جوهر المالكي الناصري** (٧١٤هـ/١٣١٥م)، وقاعة **محب الدين** (٧٥١هـ/١٣٥٠م)، ومدفن **جمال الدين** (القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي)، ومدفن **عبد الرؤوف المناوي** (توفي ١٠٣١هـ/١٦٢٧م)، وكذلك بسراي **المسافر ـ خانة** (١١٩٣هـ/١٧٧٩م).

وقد وجدت القباب المفرغة (فتحات في القبة نفسها) قبل ذلك بكثير في العمارة الرومانية فنجدها في الربع الأول من القرن الأول الميلادي في المبنى المعروف باسم Mercur Temple في Bajae.

أما القبة فوق المدفن فقد ظهرت بعد ظهور الإسلام بفترة طويلة، ويرجع ذلك لتعارضه مع العديد من الأحاديث النبوية الشريفة.

فقد جاء عن **جابر** ـ رضي الله عنه ـ قال: **«نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يعقد عليه وأن يبنى عليه»**. (رواه مسلم)، **ويعتقد أن بناء الأضرحة على القبور يذكر بالمباني التي كانت مخصصة لعبادة الأوثان في العصر الجاهلي وخوفا من أن تصبح هذه الأماكن مزارا ويعظم أصحابها، لذلك ابتعد المسلمون أول الأمر عن بناء الأضرحة فوق القبور.**

وأقدم المدافن الإسلامية ذات القباب التي لا زالت قائمة حتى الآن،[١٧] هو مدفن **الخليفة المنتصر** المتوفى عام ٢٤٥هـ/٨٦٢م، والمقام على قبره في سر من رأى

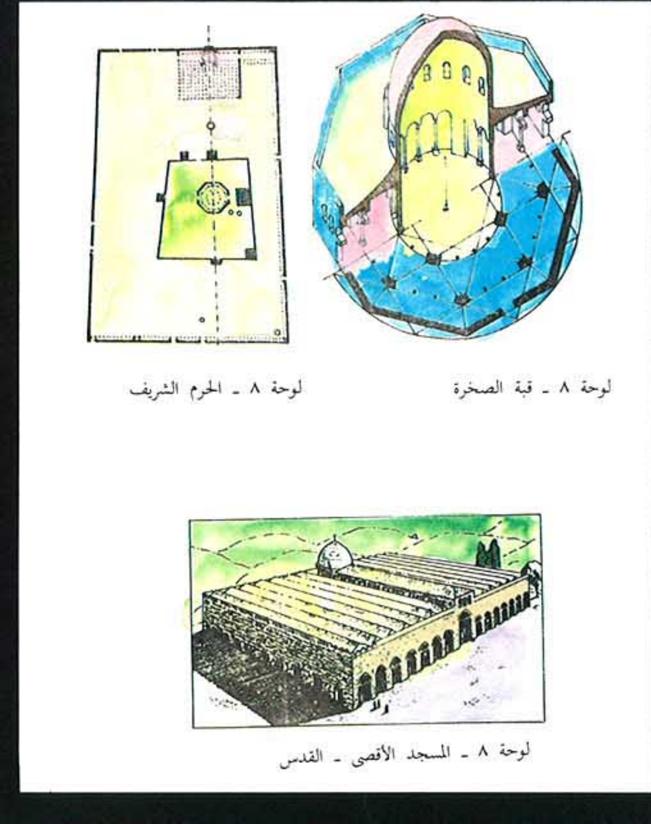


المسقط

لوحة ٩ ـ قبة الصخرة

قطاع

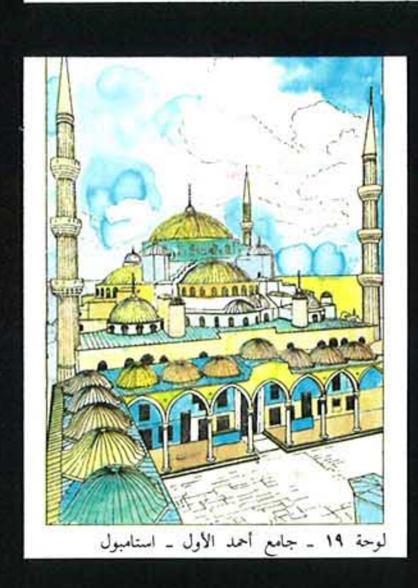
لوحة ٩ ـ قبة الصخرة



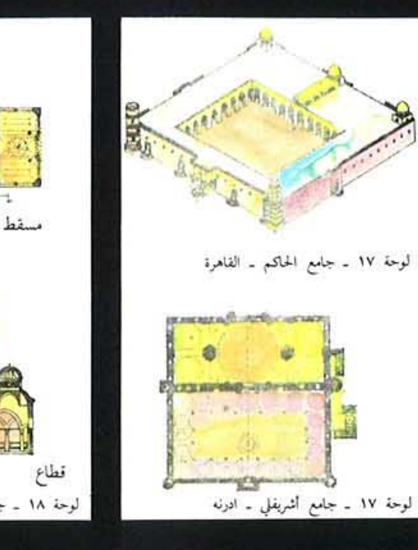
لوحة ٨ ـ الحرم الشريف

لوحة ٨ ـ قبة الصخرة

لوحة ٨ ـ المسجد الأقصى ـ القدس



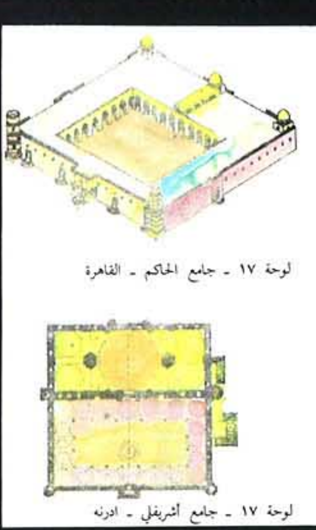
لوحة ١٩ ـ جامع أحمد الأول ـ استامبول



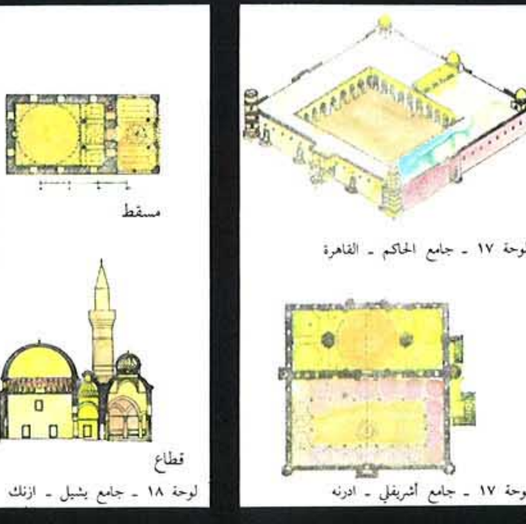
مسقط

قطاع

لوحة ١٨ ـ جامع يشيل ـ ازنك

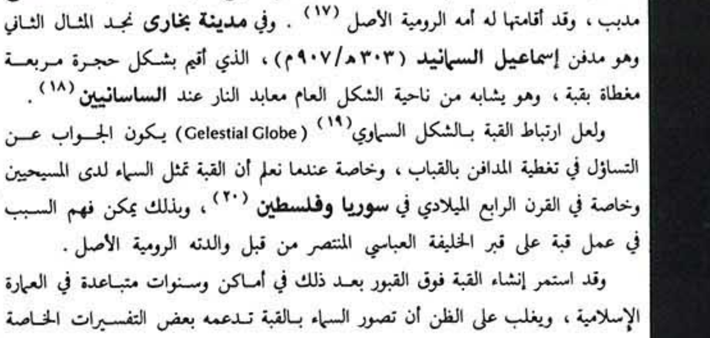


لوحة ١٧ ـ جامع الحاكم ـ القاهرة



لوحة ١٧ ـ جامع أشريفلي ـ ادرنه

لوحة ١٣ ـ المسجد الكبير ـ تونس

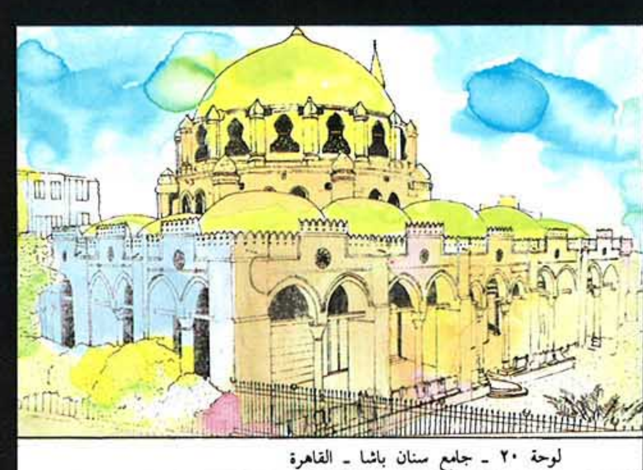


(سامراء)، والمعروف باسم القبة الصليبية، ويغطي الفراغ الأوسط منه قبة ذات قطاع مدبب، وقد أقامتها له أمه الرومية الأصل [١٧]. وفي **مدينة بخارى** نجد المثال الثاني وهو مدفن **إسماعيل السمانيد** (٣٠٣هـ/٩٠٧م)، الذي أقيم بشكل حجرة مربعة مغطاة بقبة، وهو يشابه من ناحية الشكل العام معابد النار عند **الساسانيين** [١٨].

ولعل ارتباط القبة بالشكل السماوي[١٩] (Gelestial Globe) يكون الجواب عن التساؤل في تغطية المدافن بالقباب، وخاصة عندما نعلم أن القبة تمثل السماء لدى المسيحيين وخاصة في القرن الرابع الميلادي في **سوريا وفلسطين** [٢٠]، وبذلك يمكن **فهم** السبب في عمل قبة على قبر الخليفة العباسي المنتصر من قبل والدته الرومية الأصل.

وقد استمر إنشاء القبة فوق القبور بعد ذلك في أماكن وسنوات متباعدة في العمارة الإسلامية، ويغلب على الظن أن تصور السماء بالقبة تدعمه بعض التفسيرات الخاصة بآيات من الذكر الحكيم حيث إن أقرب تصور للسقف المرفوع بدون أعمدة هو القبة:

١ ـ سورة ١٣ (الرعد) آية ٢: ﴿ الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم



لوحة ٢٠ ـ جامع سنان باشا ـ القاهرة

استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون ﴾ .

٢ ـ سورة ٣١ (لقمان) آية ١٠ : ﴿ خلق السماوات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم ﴾ .

أما الهلال (٢١) الذي يوضع أعلى القباب أو المآذن بحيث يكون موازيا لاتجاه القبلة ، فقد ظهر لأول مرة مع نجمة خماسية على وجه وظهر العملة العربية الساسانية ، كما وجد على عملات ، يرجح أن تكون قد سكت للخليفة الأموي عبد الملك في دمشق (عام ٧٥ هـ/٦٩٥م) ، كذلك وجد الهلال على عملات أموية أخرى وعملات عباسية . وقد يرجع ذلك لمحاولة تقليد العملات التي سكت في عهد خسرو الثاني ويزدجرد الثالث وحورمزد الرابع والتي كان يعمل الهلال بها كعنصر زخرفي على المحيط الخارجي ، وكذلك وجد الهلال يحيط برأس الحكام على العملات مثل العملات لأتابك الموصل وسنجار ، ووجد الهلال ضمن عناصر الرنك الموجود على العملة في عصر السلطان برقوق (٧٨٤ ـ٨٠١/١٣٨٢ ـ ١٣٩٩م) ، والسلطان فرج بن برقوق (٨٠١ ـ ٨١٥ هـ/١٣٩٩ ـ ١٤١٢م) ، في مصر .

كذلك استعمل الهلال بأحد عناصر تزيين الخيول الملكية ـ في الأصل عادة ساسانية ـ ويعتبر أقدم الأمثلة المعروفة ذلك الذي وجد بالقاهرة يحمل اسم **الخليفة الفاطمي الظاهر لاعزاز دين الله** (٤١١ ـ ٤٢٧ هـ/١٠٢١ ـ ١٠٣٦م) ، وقد استمر استعمال الهلال لنفس الغرض في العصر السلجوقي والعصر العثماني .

وقد استعمل الهلال كعنصر زخرفي في تزيين الأواني الفخارية الفاطمية ، وقد وجدت أمثلة متعددة في **الفسطاط** ترجع إلى القرن الخامس والسادس الهجري (الحادي والثاني عشر الميلادي) ، **واستعمل الهلال كعنصر زخرفي في تجليد الكتب ، كذلك رسم الهلال على أطراف السجاجيد السلجوقية بقونيا ، كما وجد على بعض الخانات بالأناضول ، ووجد الهلال على الأواني الفضية المكفنة بالنحاس ، والأواني البرونزية والتي ترجع إلى القرن السابع الهجري/**الثالث عشر الميلادي .

ويرجع وجود الهلال مع نجمة سباعية على **حائط كنيسة القديسة صوفيا** في تريبزوند والمقامة في عصر الإمبراطور مانويل الأول (١٢٣٨ ـ ١٢٦٦م) ، إلى التأثيرات السلجوقية القوية الموجودة على الحوائط الخارجية لهذا المبنى ، **وقد أفاد أحد الكتاب الصينيين** (Chauju-Kua) **بأن المظلة التي كانت تحمل فوق الخليفة العباسي بالعراق كان يتوجها هلال .**

كما أفاد بعض الكتاب بأنه عند تحويل كاتدرائية آني بأرمنيا إلى ، وضع هلال من الفضة بدلا من الصليب أعلى القبة (القرن الرابع الهجري/الحادي عشر الميلادي) ، وطبقاً لما أورده المؤرخون فقد وضع هلال أعلى قبة الإمام الشافعي بمصر (٦٠٨ هـ/١٢١١م) (٢٢) . كما أن **أقدم مئذنة قائمة في مصر بالجامع الطولوني يوجد أعلاها هلال** (٢٦٣ ـ ٢٦٥ هـ/٨٧٦ ـ ٨٧٩م) ، إلا أنه من الصعب التثبت من تاريخه حيث إن المئذنة أجريت بها اصلاحات واضافات في نهاية القرن الثالث عشر .

وأرجح أن استعمال الهلال في العمارة الاسلامية يرجع إلى :

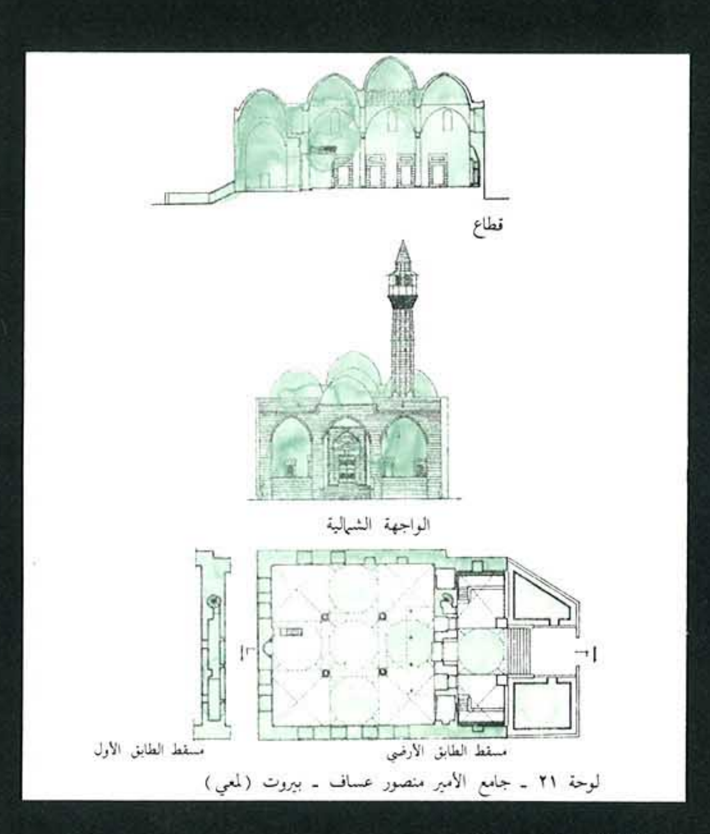
١ ـ التوقيت الإسلامي على الأشهر القمرية .

٢ ـ إن الهلال عندما يظهر في أول الشهر العربي ينير الأرض مبدداً الظلام الذي سادها عندما كان القمر في المحاق . **وقد يكون استعمال الهلال تعبيرا عن ظهور الاسلام الذي بدد ظلمات الجاهلية وحطم الشرك بالله .** علماً بأنه توجد العديد من الآيات القرآنية الكريمة التي تشبه الإيمان والهداية بالنور، والشرك والكفر والإلحاد بالظلام .

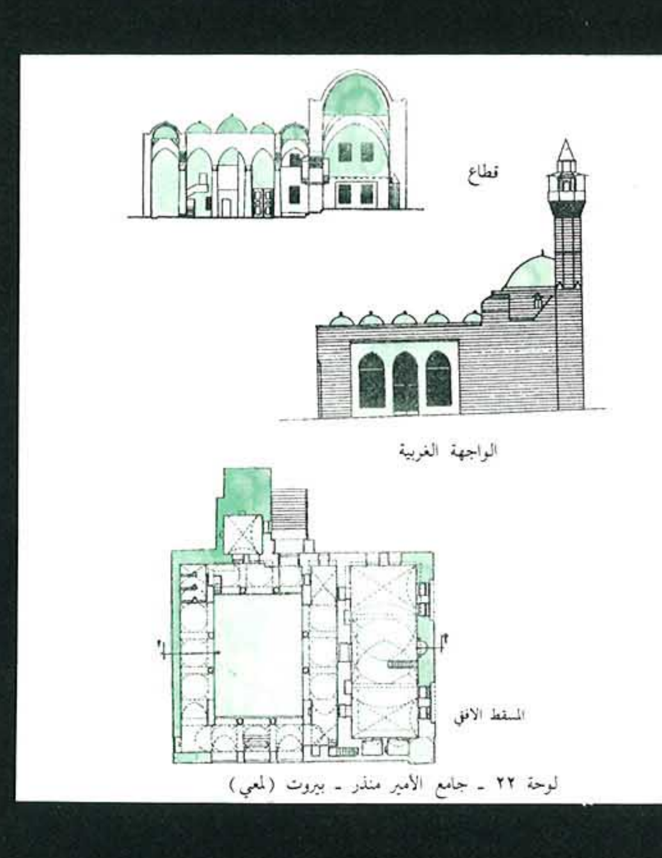
سورة ١٤ (إبراهيم) آية ١ : ﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ﴾ .

٣ ـ أن وجود الهلال في مبنى ذي أهمية إسلامية عظيمة مثل قبة الصخرة يجعله يصبح ضمن المفهوم العام للإسلام .

وإني آمل بهذا البحث الموجز أن أكون قد وفقت في اعطاء دراسة موجزة عن القباب بشكل عام ، والقباب الإسلامية بشكل خاص .. والله الموفق .



لوحة ٢١ ـ جامع الأمير منصور عساف ـ بيروت (لمعي)



لوحة ٢٢ ـ جامع الأمير منذر ـ بيروت (لمعي)



لوحة ٢٣ ـ شاهي زنده ـ سمرقند

الهوامش

١ ـ GIEDION,S : The Eternal Present II (London 1964) 178.

٢ ـ : The Eternal Present II (London 1964) 178.

٣ ـ : The Eternal Present II (London 1964) 182.

٤ ـ : The Eternal Present II (London 1964) 187; MÜLLER & VOGEL: (München 1974) 85.

٥ ـ : The Eternal Present II (London 1964) 182.

٦ ـ : The Eternal Present II (London 1964) 183– 184.

٧ ـ : The Eternal Present II (London 1964) 183.

٨ ـ : The Eternal Present II (London 1964) 514.

٩ ـ FLETCHER,B. : A History of Architecture (London 1961) 17, Fig 728.

١٠ ـ SMITH, E.B.: The Dome (princeton 1950) 58, Fig 78; Creswell: MAE I (Oxford 1952) 109– 210.

١١ ـ صالح لمعي، مصطفى : التراث المعماري الإسلامي في مصر (بيروت ١٩٧٥م) ١٠١ .

١٢ ـ صالح لمعي، مصطفى : التراث المعماري الإسلامي في مصر (بيروت ١٩٧٥م) ١٠١.

١٣ ـ CRESWELL, K.A.C.: EMA (Great Britain 1958) 15, 17 ff.

١٤ ـ CRESWELL, K.A.C.: EMA (Great Britain 1958) 37.

١٥ ـ صالح لمعي، مصطفى : التراث المعماري الإسلامي في مصر (بيروت ١٩٧٥م) ١٢٣ ـ ١٢٤ .

١٦ ـ GIEDION,S.: Architektur und das Phanomen des Wandels (Tübingen 1969) 100, Fig,104.

١٧ ـ أفاد الدكتور عادل عبو بناء على ما رواه المؤرخون أنه بالقرب من عانة على نهر الفرات يوجد قبر أم الفضل (مرضعة هارون الرشيد)، وقد أقيم على القبر في عهد الخليفة العباسي الخامس هارون الرشيد (١٧٠ ـ ١٩٤ هـ/٧٨٦ ـ ٨٠٩م)، قبة، وتعرف بقبة البرمكية، وقد شاهد موسيل بقايا هذه القبة، وتوجد بقايا قبة في ذلك الموقع إلا أنه لم تجر أية دراسات للتأكد من هذه الروايات، كذلك أفاد بعض المؤرخون بأن الرشيد أمر بإقامة قبة على قبر علي بن أبي طالب، وأن الخليفة المأمون (١٩٨ ـ ٢١٧/٨١٣ ـ ٨٣٣م)، أمر بإقامة قبة على قبر الرشيد (عادل عبو : التربة في العمارة الأيوبية)، إلا إن أنباء تلك القباب المذكورة ما زال ينقصها البحث والفحص والتدقيق للتأكد من صحة ما جاء بصددها .

١٨ ـ HILL & GRABAR : Islamic Architecture (London 1964) 49, 77, 85, Fig 1, 2.

١٩ ـ GIEDION,S. : Architektur und das Phanomen des Wandels (Tübingen 1969) 87.

٢٠ ـ SMITH, E: The Dome (Princeton 1950) 8.

٢١ ـ EI[2]:Encyclopaedia of Islam III (Leiden 1960 ff) 381– 385

٢٢ ـ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ، الجزء الأول (القاهرة ١٩٤٦م) ١١٢ .

المصادر العربية

١ ـ حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ، جزءان (القاهرة ١٩٤٦ م) .

٢ ـ صالح لمعي مصطفى : التراث المعماري الإسلامي في مصر (منشورات جامعة بيروت العربية ـ ١٩٧٥ م) .

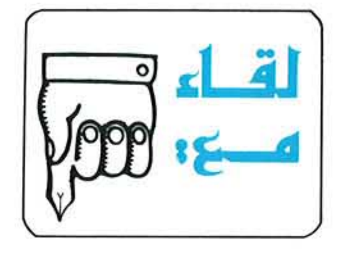
٣ ـ صالح لمعي مصطفى : أخطاء طه الولي في القباب ، مقال بجريدة النهار اللبنانية (بيروت ١٤/٦/١٩٧٥م) .

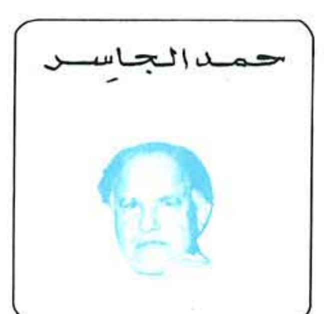
٤ ـ صالح لمعي مصطفى : مساجد بيروت (بيروت ، تحت الطبع ١٩٧٨ م) .

٥ ـ عادل نجم عبو : التربة في العمارة الأيوبية في سورية ، سومر ، مجلة مديرية الآثار العامة . وزارة الإعلام ، الجمهورية العراقية جـ١ وجـ٢ ، المجلة الثلاثون (بغداد ١٩٧٤ م) .

المصادر الأجنبية

1- Brown, P: Indian Architecture. Islamic Period (Bombay 1968)15.
2- Creswell. K.A.C.: EMA; Early Muslim Architecture. A Pelican Book (Great Britain 1958).
3- ——: MAE I; Muslim Architecture of Egypt I (Oxford 1952).
4- EI[2]: Encyclopaedia of Islam (Leiden 1960 ff).
5- Flectcher.B.: A History of Architecture (London 1961)17.
6- Giedion: S: The Eternal Present II. The Beginning of Architecture (London 1964).
7- ——: Architecktur und das Phanomen des Wandels (Tübingen 1969).
8- Goodwin, G: A History of Ottoman Architecture (London 1971).
9- Hill & Grabar: Islamic Architecture and its Decoration (London1964).
10- Hoag, J.: Architektur des Westlichen Islams (Ravensburgl 1965).
11- Jairazbhoy, R.A: An Outline of Islamic Architecture (Bombay 1972).
12- Master pieces of Architecture in Central Asia (Moscow 1971).
13- Müller, W. & Vogel, G: dtv. Atlas zur Baukunst I (München 1974).
14- Pevsner, N.: Europasische Architektur (München 1967)2
15- Pevsner, Fleming, Honour: Lexikon der Weltarchitektur.





الحقيقة التاريخية وأدب الرحلات

حمد الجاسر، واحد ليس من أعلام الفكر السعودي فحسب بل من أعلام الوطن العربي.. يعمل في صمت دؤوب.. وتواضع جم.. وزهد في كل مظاهر الحياة الدنيا.. عكف طوال حياته على البحث والتحقيق.. والتنقيب، دافعه حبه للعلم.. والحقيقة التأريخية. أصدر صحيفة «اليمامة» التي مازالت تصدر إلى اليوم كمجلة أسبوعية من خلال **مؤسسة اليمامة الصحفية**.. كما أنشأ أول مطابع في مدينة الرياض ومن معطفه تخرج جيل من الأدباء والصحفيين من الجنسين.. كما ساهم في **حقل التدريس**.

وهو اليوم رغم كبر سنه مازال في إهابه نشاط الشباب المنتج وطموحه.. فإلى جانب أنه رئيس تحرير مجلته **«العرب»** التي تعنى بتاريخ العرب وجغرافيتهم وآدابهم، وما يتحمله من معاناة وتعب لاستمرارها رغم كل الصعاب المادية بعد أن انتقل من **بيروت** إثر ما حدث بها، وبعد أن احترق قسم كبير من مكتبته الكبيرة ومخطوطاته القيمة، رغم كل ذلك مازال صلباً يبتسم للحياة والأحياء، كأن شيئاً لم يحدث له.. يتنقل في مناطق المملكة باحثاً، ومحققاً لاتمام مشروعه الكبير **«المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية»**. وإذا ما عرفنا أن الشيخ حمد الجاسر من مواليد عام ١٩١٢م بقرية **«البرود»** في **المملكة العربية السعودية**.. فإن هذا يعني أن عمره اليوم يقارب **(٧٠ عاما)**..

ولكم أن تتصوروا إنساناً في هذا السن يتنقل في الصحارى متعرضاً لكل تقلبات الطقس، ومتاعب السفر، ووعثاء الطريق.. لا شك أنه نموذج رائع للصلابة، والطموح، والعشق الكبير للحقيقة العلمية.. والبحث التاريخي.. **فأين شباب اليوم من هذه النماذج الكريمة؟**

● المملكة في حاجة إلى إنشاء مجمع علمي.

● اللغة العربية، لغة حيّة مسايرة للعصر.. وافية بأغراضه

● علينا أن نتبع الطرق المثلى لتحقيق التراث.



أصدر حتى الآن **أكثر من عشرين مؤلفا مطبوعا تحقيقا وتأليفا** .. وهو إلى جانب ذلك **عضو في المجامع العربية** ، وله صداقات عديدة مع عدد من المؤرخين .. والباحثين **عربا ومستشرقين** .. وحين كان في **بيروت** كان يمثل المرجع الهام للباحثين في تاريخ الجزيرة العربية طلاباً وأساتذة جامعات .

هذه المقدمة تؤكد أن في كثير من بلدان العالم العربي علماء وباحثين ومفكرين أجلاء يعملون في خدمة الثقافة العربية والاسلامية بلا ضجيج ، ولا دعاية ، في الوقت الذي يعيش الاعلام العربي بكل وسائله في حالة غياب عن أعمالهم ، مركزا على عدد معين يحظون بالأضواء دون غيرهم الذين قد يفوقونهم علما وعملا .

هذا اللقاء الذي تجريه مجلة « **الفيصل** » مع الشيخ حمد الجاسر لا يعكس علمه ، وثقافته المتميزة بالشمول ، ولكنه **يثير قضايا تطرح نفسها على الساحة الفكرية ، كما يثير قضايا تشغل تفكير الجاسر** ، وتحظى بعنايته واهتمامه في الوقت الحاضر .

● ينبغي أن تنشأ صحافة متخصصة وأن يكون للمرأة نصيب من هذه الصحافة

●● كانت بداية حوارنا مع الشيخ حمد الجاسر جانبا من الجوانب التي تستأثر باهتمامه .. سألناه عن تصوره لفكرة إنشاء مجمع علمي في المملكة العربية السعودية ، ومدى إمكانية تحقيق هذه الفكرة ؟

● هناك دعوة سابقة قبل سنوات إلى **إنشاء مجمع لغوي** وكنت ممن أبدى رأياً يعارض تلك الدعوة ، ذلك أن اللغويين في بلادنا لم يبلغوا بعد درجة من الكثرة والتعمق بحيث يمكننا من إنشاء هذا المجمع ، ولكنني **دعوت إلى إنشاء مجمع علمي على غرار المجمع العلمي العربي بدمشق** . هنا ملاحظة يجب تداركها إذ إن الكثيرين يخلطون بين المجمع العلمي العربي وبين مجمع اللغة العربية .

في البلاد العربية الأخرى .. **توجد الآن ثلاث مجامع علمية أقدمها المجمع العلمي بدمشق** والذي أنشىء منذ ٥٠ عاماً وهذا المجمع أنشىء أول ما أنشىء لا لخدمة اللغة العربية فحسب بل لخدمة التراث العربي في **الشام** ، وعُني أول ما عُني بجمع **المخطوطات** كلها من **المساجد والأربطة والمدارس** وجعل لها مكاناً خاصاً هو **دار الكتب الظاهرية** ، وكان مما عُني به ذلك المجمع أيضا جمع المؤلفات التي ألفها **علماء الشام** في الأدب أو التاريخ أو أي فرع من فروع العلم ونشر ما هو جدير بالنشر منها ومع ذلك أيضاً يعنى المجمع **بالدراسات اللغوية** فقد كان في أول أمره يترجم الكلمات التي يكثر استعمالها في الدواوين الرسمية حينما كانت **الدولة التركية** في ذلك العهد قريبة العهد في ولاية الشام . فكانت الدواوين تستعمل كلمات تركية ولا تعرف مقابلها من الكلمات العربية ، وكان المجمع يضع لها بيانات وافية عما يجب أن يستبدل بها من الكلمات العربية الفصيحة وكان ذلك من أهداف ذلك المجمع ، فهو على هذا النحو يخدم التراث العربي بصفة خاصة ما يتعلق منه ببلاد الشام ويعنى بمساعدة الدواوين الحكومية على **تعريب الكلمات التركية أو الفرنسية** أو غيرها لتحل محلها كلمات عربية ويجمع التراث المتفرق من المخطوطات في دار الكتب الظاهرية . ومع ذلك ينشىء مجلة تدعى « **مجلة المجمع العلمي العربي** » صدر منها ما يقرب من خمسين مجلداً تحتوي آراء ومقالات وافية في التاريخ والأدب وفي المباحث اللغوية وغيرها .

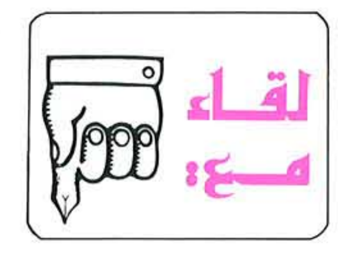
هذا المجمع استمر على عمله **ونشر عشرات المخطوطات** منذ تأسيسه وبعد ما حدث الاتفاق أو ما يسمونه **الوحدة بين مصر والشام** رأى أولو الأمر أن يوجد صلة بين المجمعين **مجمع اللغة العربية في القاهرة والمجمع العلمي بدمشق** فغيروا اسم هذا الأخير وأسموه **مجمع اللغة العربية بدمشق** وقرروا أن يعقد المجمع سنة في القاهرة وسنة في الشام إلا أن انفصال الاتفاق بين القطرين لم يوصل إلى تحقيق تلك الغاية ... وبقي اسم المجمع على حاله التي غير إليها وهو مجمع اللغة العربية ، وإذا استعرت مباحث مجلة المجمع وإذا ذهبت لمقر المجمع لأدركت أن المجمع يقوم بأعمال واسعة ويبذل جهوداً كبيرة في نواح متعددة ولا يقتصر على اللغة العربية وحدها ... هذا من ناحية مجمع دمشق .

وقد قام على غراره **المجمع العلمي العراقي** من حيث جمع التراث ونشره وجمع المؤلفات المتعلقة بالقطر العراقي أو ما ألفه العراقيون والاسهام في **نشر المؤلفات والمخطوطات العربية القديمة** في أي قطر كان واستمر على هذا المنوال .

أما **مجمع اللغة العربية في القاهرة** فهمته تنحصر في جانب واحد فقط وهو **السعي لتكون اللغة العربية لغة حية مسايرة للعصر وافية بالأغراض** المتطلبة منها في كل زمان ومكان **فهو منحصر في الناحية اللغوية** ، ومع ذلك يقوم بنشر كثير من الكتب ولكن أكثرها إن لم يكن كلها منحصرة في معاجم اللغة العربية وقد ينشر أشياء كثيرة لا تبعد عن هذا المجال .

التنقيب عن الآثار

●● في المملكة كثير من المناطق التي تزخر بالآثار مثل منطقة المدينة المنورة والوسطى والجنوبية



وغيرها .. ولادارة الآثار جهود طيبة ، وفي نفس الوقت وعلى المستوى الفردي يوجد في المدينة عالم اسمه الشيخ إبراهيم العياش .. ما رأيكم في موضوع التنقيب عن الآثار ، وأبحاث الشيخ العايش ؟

● الشيخ إبراهيم العياش صديقي وأعرفه معرفة جيدة واجتمعت به مراراً وكنت كلما ذهبت إلى المدينة حرصت على زيارته ، إلا أنه بلغ الآن مرحلة من العمر لا تتيح له أن يأتي بجهد كبير ، وأعتقد أنه ألف كتاباً وأن ذلك الكتاب طبع قبل سنوات عن **تاريخ المدينة وآثارها** ، ومن حسن الحظ أن آثار المدينة في قرب عهدها هي آثار مدونة ومسجلة ، ومن حسن الحظ أيضاً أن تاريخ المدينة مسجل منذ أقدم عصوره إلى عصرنا الحاضر ولم نجد فترة لم تسجل فيها تاريخها وآثارها .

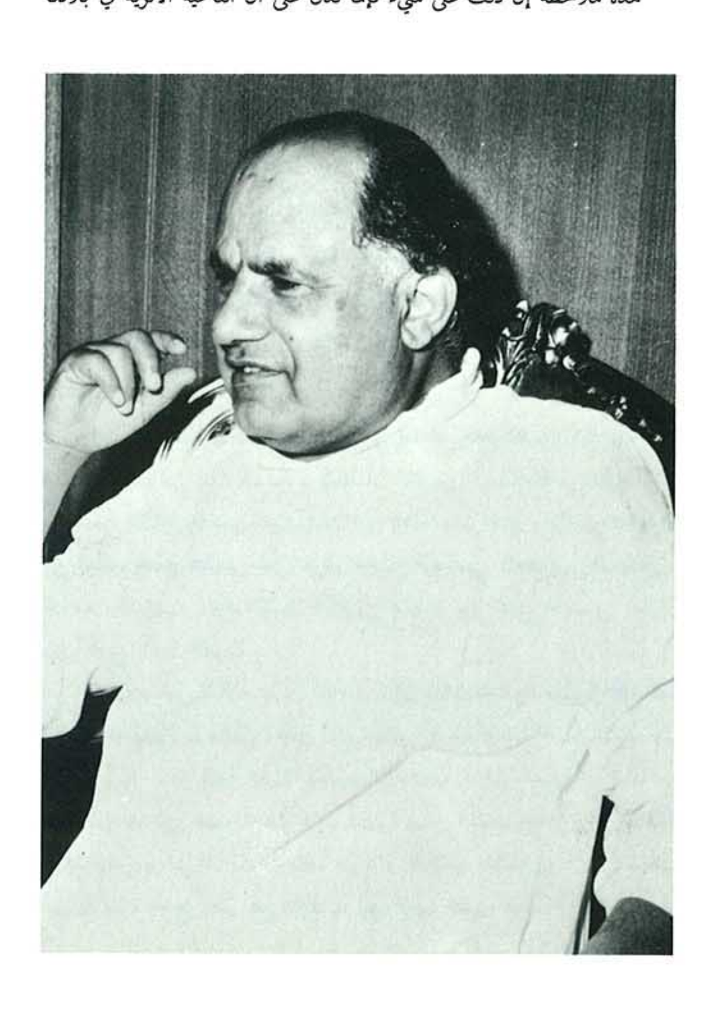
وآخر من ألف في آثار المدينة أخونا **عبد القدوس الأنصاري** وكتابه كتاب جيد وقائم على دراسة جيدة . . . فتاريخ المدينة متكاملاً في حلقاته ، ولكن هناك التاريخ القديم الذي قبل العصر الإسلامي . . . وهناك جهتان في بلادنا تعنيان بالبحث والتنقيب عنه وهما **دائرة الآثار في وزارة المعارف ودائرة الآثار في كلية الآداب بجامعة الرياض** ، وهاتان الجهتان جمعتا قدراً طيباً من الآثار المكتوبة من الأحجار وغيرها . . . غير أن ما جمع ما زال في دور التنسيق والترتيب ويحتاج إلى دراسة ، وأن هذه الدراسة كما تدركون لا يستطيع أن يقوم بها إلا المختصون الذين درسوا دراسة علمية وليس كل من استطاع أن يقرأ كتابة على حجر أن يحدد هذا الحجر وتاريخه وأثره من الناحية التاريخية ، بل لا بد أن يكون هناك دراسات أعمق من هذا . . . هذا من الناحية الأثرية . ومن غريب المصادفات أنه منذ يومين اثنين وصلت إلي **مجلة تصدرها الخطوط السعودية** بعنوان (**أهلا وسهلا**) وهذه المجلة لا أدري لماذا أرسلت لي . . . ولكنني رأيت فيها مقالا باسمي منقولا من أحد الكتب وهذا ليس المهم ، المهم أنني رأيت فيها مقالا بعنوان **مدائن صالح** ، هذا المقال كتبته سيدة انجليزية وهو مصاغ باللغة الانجليزية ، وطلبت من يترجم لي هذا المقال فوجدت الكاتبة تتحدث عن **الحجر** وتطلق عليها اسم مدائن صالح ، استغربت هذا ورجعت إلى كتاب كانت قد أصدرته مديرية الآثار بالمعارف وكنت قد طالعته وكتبت عليه ملاحظات ، وعلمت بعد ذلك بأن المسؤولين أخذوا بهذه الملاحظات ولكنني لم أدرك ولم أنتبه إلى أنهم أطلقوا على الحجر مدائن صالح . . استغربت هذا وذهبت إلى إدارة الآثار وقلت أريد أن أعرف **من أول من أطلق على الحجر اسم مدائن صالح ؟** . .

ما هو وجه الاستغراب في هذا ؟ هو أن **مدائن صالح الواردة في كتب الرحلات تقع غرب « العلا »** بما يقارب الخمسين كيلومتراً ـ **بينما الحجر يقع شرق العلا بما يقرب ٣٥ كيلومترا** . والحجر هو الاسم الحقيقي الذي ورد في **القرآن الكريم** وهو الاسم المعروف .

أما مدائن صالح فقد أصبحت الآن غير معروفة وأصبحوا يطلقون على آثارها اسم « **المابيات** » وهي كلمة يطلقها كثير من **أهل الشمال** على بعض المواقع ، ولا أريد أن أعلل لماذا يطلق عليها ذلك ، ولكن الذي لفت نظري أن دائرة الآثار وهذه الكاتبة وصديقاً حميماً لي ألف كتاباً أطلقوا عليها اسم مدائن صالح ، وقد أهدى لي صديقي هذا نسخة من كتابه ، لكنني لم أدرك هذا الخطأ . . . **فدائن صالح هي مدينة كانت تدعى قديما في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، وفي عهد صدر الاسلام مدينة تدعى « الرحبة »** ثم بعد ذلك أصبحت تعرف باسم مدينة صالح .

وصالح هذا رجل عباسي مسلم ثم أصبحوا يعبرون عنها مدائن صالح ، ودرست هذه بعد الثلاثمائة ، لأن الرحالة الذين وصفوا **طريق الحج** يقولون إن فيها قبوراً كتبت على نصائبها تاريخ الموق حول الثلاثمائة من الهجرة ، فمعنى هذا أنها كانت معروفة ومسكونة وباقية إلى بعد القرن الثالث الهجري .

هذه ملاحظة إن دلت على شيء فإنما تدل على أن الناحية الأثرية في بلادنا





يجب أن يهتم بها اهتماماً زائداً ، وأن الجهتين الموجودتين الآن في بلادنا والسابق الاشارة إليهما مع ما يقومان به من جهد كبير ومع ما يجمعا من الآثار النافعة والمفيدة والقيمة إلا أنها لا تزال في حاجة إلى تنسيق وترتيب ، كما أن هناك كثيراً من الأماكن لا تزال في حاجة إلى تنقيب وبحث ، **وعندنا في المملكة مدن قديمة جدا قبل العهد النبوي ولكننا لا نعرف شيئا عن تاريخها ... عندنا كثير من المدن حتى تعليل أسمائها لم نستطع تعليله أو فهمه ، وهذه بحاجة لأن تدرس وأن ينقب في آثارها .**

●معجم البلاد العربية السعودية سيسد نقصًا واضحًا في المكتبة العربية

●● إذا نظرنا إلى عمليات تحقيق المخطوطات نلاحظ أن هناك باحثا من مصر يحقق كتابا معينا لطريقته الخاصة في الوقت الذي يقوم آخر من العراق بتحقيق نفس الكتاب على طريقته الخاصة أيضا . ما رأيكم في هذا الموضوع وهل ترون ضرورة ايجاد نوع من التنسيق لتوفير الجهد من ناحية ، وتوفير المحقق الكفؤ .

● نشرت في مجلة **« العرب »** في جزء جماد الأولى والآخرة ١٣٩٨ هـ ، مقالا بعنوان **« تاريخ الاسلام وموقف مركز تحقيق التراث منه »** . تاريخ الإسلام أعني به كتاباً **للذهبي المؤرخ** ، وكتابه هذا يعتبر من أوفى المراجع في تاريخ الإسلام ، هذا الكتاب تصدى لطبعه ناشر فرد هو السيد **حسام الدين المقدسي** ونشر منه خمسة أجزاء ، ولكنه فاته عندما نشر الجزء الأول أن هناك نسخة أوفى مما نشر تحتوي على **مغازي الرسول عليه الصلاة والسلام** وهذه ليست في النسخة التي أطلع عليها ، والفرد كما هو معروف إمكانياته محدودة ... وقد قامت جهة أخرى هي ما يدعى **بمركز إحياء التراث في دار الكتب المصرية بالقاهرة** ، قامت هذه الجهة بنشر الكتاب وتولى تحقيقه عالم جليل انتقل إلى رحمة الله وساعده عدد من الفتية والفتيات في تحقيق الكتاب والذي صدر في طبعة أنيقة ، ولكنني للأسف الشديد عندما رأيته قلت لو أن لي من الأمر شيئاً لأمرت بإعدام هذا الكتاب .. الذين تولوا تحقيقه دارسون في مركز معد لدراسة التحقيق ، ولكن الدراسة وحدها لا توجد لنا إنساناً يفهم ما درس فهماً دقيقاً ، ولو فهم لا يستطيع أن يطبق القواعد التطبيق الصحيح .

الذين تولوا التحقيق يجهلون قراءة المخطوطات فإذا لم يحسنوا قراءة الكلمة حرفوها ووضعوا مكانها كلمة أخرى ، وليتهم يقفون عند هذا الحد بل إنهم يضعون أشياء زائدة في النص ويقولون إن هذا الكلام غير مستقيم فزدنا كذا وكذا . فأنا كتبت في هذا المقال وقلت إن هذا التراث ليس ملك لقطر من الأقطار بل هو ملك للأمة العربية ، كل الأمة العربية الإسلامية ، وتراثنا إذا لم نخرجه إخراجاً صحيحاً محققاً تحقيقاً تاماً كأنما أخرجنا شيئاً مشوهاً وشوهنا هذا التراث ، ويعتبر هذا جريمة .. **مع الأسف أن كثيرا من المعنيين بتحقيق التراث أصبحوا الآن بدرجة من الضعف لا يستطيعون مواصلة عملهم وظهر أناس آخرون لا يفهمون شيئا في أعمال التحقيق ...**

في كتاب « تاريخ الإسلام » للذهبي والذي أضرب لك مثلا به يقول الذهبي : « وفي هذه السنة انتشر النفاق » ، ثم يسرد أسماء المنافقين ويمر بالمحققين اسم لم يعرفوا قراءته فيقولون لم نستطع قراءة هذا الاسم وقد وضعنا مكانه فلان وهو ممن شهد بدراً مع الرسول عليه الصلاة والسلام وقال الرسول في أهل بدر : ما علمت أن الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ... وهؤلاء المحققين يضعون واحداً من أهل بدر مع هؤلاء المنافقين الذين قال الله تعالى فيهم إنهم في الدرك الأسفل من النار فهذا مثال ...

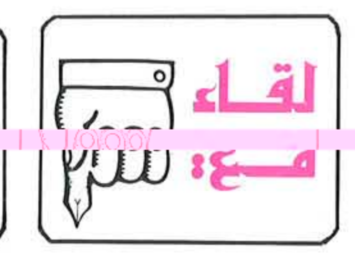
ومثال آخر يورده الذهبي أن **علي بن أبي طالب كرم الله وجهه** ، يقول لما كنا في **بدر** رأيت غباراً منتشراً كثيراً - فإذا **هو جبريل ومعه الملائكة** - المحققون يقولون رأيت غباراً كثيراً فإذا فيه جبريل ووضعوا بين قوسين عبارة (فيه) ليستقيم الكلام وهكذا . هذا مثال لأعمق مركز وهذا شيء نأسف له .

وحبذا لو أن **وزارة المعارف أو وزارة التعليم العالي في بلادنا أنشأت مركزا للتحقيق يعنى أو يوجه عددا من الدارسين ممن يهتمون بهذا الجانب إلى الطرق المثلى لتحقيق التراث** ، وقد علمت بأن هناك في الجامعات ، بكل جامعة ، قسم لتحقيق التراث ، وأن هذا القسم يستعين ببعض ممن سبق لهم أن عانوا هذا العمل ، وهذا شيء حسن ولكنني أحب أن يكون هذا العمل محصوراً في جهة واحدة ، أي تكون الهيمنة والإشراف عليه هيمنة وإشرافاً تامين لا أن يكون عملاً موزعاً بين الجامعات .

الأدب النسائي .. والنوادي الأدبية

●● هل تتابع الآن شيئا من الكتابات النسائية وخاصة لبعض تلميذاتك .. وما هو رأيكم في النوادي الأدبية في المملكة ؟

● في الواقع أن حالتي ونظري لا يمكناني من أن أقرأ كل شيء ، ولكن أرى أنه يقل أن توجد صحيفة لا يوجد فيها **صفحة خاصة للمرأة** وكنت قد تحدثت في **الاذاعة** منذ شهور **وطلبت بأن توجد صحافة متخصصة وأن يكون للمرأة نصيب من هذه الصحافة** ، لكنني لم أر لما قلت





صدى ، وكنت قد دعوت أيضاً لإنشاء **رابطة للأدباء** ، وسمو رئيس رعاية الشباب له أفضال على الأدباء بإنشاء **النوادي** ، ولكن هذه النوادي لم تعد تمثل أدباً واقعياً وهي تجتر أشياء لها عشرات السنين وتنشر على أساس أنها جديدة ، هذه ناحية . . وناحية أخرى أنك لا تجد بين ناد وآخر صلة . . الأمر الثالث أن كل إنسان عين في ذلك الوقت بقي كما هو ولم يتغير ولم يتحرك . . فأنا **حبذت إنشاء رابطة للأدباء يكون من بعض أعمالها الاشراف على كل النوادي ، ومن أعمالها أيضا أن تشرف على المطبوعات بالنوادي وعلى اختيار الأعضاء وانتخاب الرؤساء ، وأن تمثل أدباء المملكة عندما يكون هناك مجال للتمثيل .**

وقد حضرت مؤتمرين للأدباء وكنت أمثل أدباء بلادنا فيهما ، وهما **مؤتمر الأدباء العرب العاشر في الجزائر والمؤتمر الحادي عشر في طرابلس بليبيا** ، ورأيت كل الأدباء الذين يحضرون ينتمون إلى رابطات أدبية ورأيت أن انتمائهم إلى هذه الرابطة يجعل لهم قيمة ومكانة بخلاف الأديب الذي يذهب لكي يمثل أدباء بلاده وهم لا يعرفون عنه شيئاً ولم يختاروه . . فوجود الرابطة يوفر على الجهات المسؤولة العليا التي لها من أعمالها العظيمة ولها من اشغالها ما يشغلها عن هذه المسائل ـ فأنا أعتقد ـ مادامت الدولة الكريمة أولت الرياضيين من الترتيب والتنظيم والإشراف على شؤونهم الشيء الكثير ، فالأدباء جديرون بمثل هذا أيضاً . . وينبغي أن يكون للأدباء رابطة تمثلهم وينتخب من بينهم مجلس ورئيس ، وتكون هذه الرابطة مرتبطة برعاية الشباب وتعينها في الإشراف في نفس الوقت على سير العمل بالنوادي الأدبية .

الرحلات . . والمدن

●● عبر مسيرتكم الطويلة في المدن والقرى ألم يعلق بذهنكم شيء ما وأنتم تزورون قرية أو مدينة ؟؟

● عندما أتجه إلى مدينة ما قبل أن أصلها يكون فكري مركزاً في ناحية خاصة ، فأنا مثلاً زرت مدينة **لندن** مراراً ولكن عندما أصل ساعة ما أصل أتوجه إلى **المتحف البريطاني والمكتبة الملحقة به** والتي تحوي كثيراً من الكتب العربية ، فأنا عندما أصل أي مدينة يكون فكري متجهاً نحو مكتبتها العامة قبل كل شيء . لذلك تجد فكري يتمركز في المكتبة ولا ينصرف لشيء آخر وإن كنت أشاهد كما يشاهد الآخرون مباهج المدينة ومنتزهاتها في أوقات الفراغ .

●● ما هي المدينة السعودية التي تحاول أن تضع عنها كتابا وعن تاريخها ودورها ؟

● كل بلدة وكل مدينة . فأنا حالياً ، كما تعرف ، أضع معجماً لكل مدن المملكة وقراها وآثارها ، ومناهل البادية فيها . . وقد شرعت في تأليف كتاب اسمه **معجم البلاد العربية السعودية** ، وكنت قد عرضت الفكرة على بعض الإخوان ليساعدوني ، وفعلاً تقدم بعضهم ووعد بالمساعدة ، وتمكنت الآن من أن أنجز بعضه . وقد اتفقت مع بعض الإخوان على أن أقوم بالكتابة عن جميع المدن والقرى والمناهل الواقعة في **شمالي المملكة من القصيم شمالا إلى الأردن وسورية والعراق إلى نهاية الحدود أي إمارة حايل والجوف وعرعر وتبوك والقريات** . وعملت معجماً شاملاً لكل ما في هذه المنطقة من قرى ومدن وأمكنة أثرية وفعلاً طبعت الكتاب وأصدرته واتفقت مع إخوان آخرين ، هناك الشيخ **محمد العبودي** وضع كتاباً عن القصيم والشيخ **عبد الله بن خميس** وضع كتاباً عن مسمى اليمامة أو إمارة الرياض في الوقت الحالي ، وهناك **ابن جنيد** وضع كتاباً عن عالية نجد وهناك **الدكتور عبد الله الوهيبي** وضع كتاباً عن شمال الحجاز ولكن لا أعرف إن كان قد انتهى منه أم لا .

وأنا الآن بصدد استكمال حلقات هذا المعجم والانتهاء من التأليف عن جميع مدن المملكة في مختلف أقطارها .

ويقول الدكتور الوهيبي في تأليف القسم المتعلق بشمال الحجاز إن هناك إخواناً سيقومون باستكمال التأليف عن الجهات الأخرى ، وبعد أن يتم التأليف ستدمج كل المؤلفات في كتاب واحد مرتب على الحروف وينسب لكل مؤلف المادة التي كتبها ، وقد قمت أيضاً بوضع مقدمة لهذا المعجم أو خلاصة لهذا المعجم تحتوي على جميع أسماء المدن والقرى وأشهر مناهل البادية تضم ما يقرب من ١٤ ألف اسم وتقع هذه المقدمة في جزءين وقد تم طبعها .

وقد شرعت الآن في تأليف القسم المتعلق **بالمنطقة الشرقية** وأكملت التأليف ولم يبق إلا أن أزور بعض الجهات لكي أضيف ما أشاهده إلى ما كتبت وأعلم . هذا من حيث الكتابة عن المدن والقرى في هذا **المعجم المبسط** ولا يقتصر على ذكر الأماكن المعروفة بل يتعرض لتحديد الأماكن الأثرية والقديمة الموجودة في التاريخ فيحاول تحديدها ما أمكن ووجد إلى ذلك سبيلاً ، وكما تعرفون بلادنا فيها أمكنة شرفت بغزوات الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأمكنة أخرى حصلت فيها حوادث تاريخية فهذه يجب أن نعرفها حتى يكون لدينا فكرة واضحة عنها ، كما أننا عندما نقرأ أدبنا العربي القديم ينبغي لنا إذا أردنا أن نفهمه فهماً شاملاً أن نعرف البيئة التي نشأ فيها وأن نعرف المواضع الواردة في تلك الأشعار وهذا لا يتم إلا إذا وجدت بين أيدينا معاجم توضح لنا بالتحديد الواضح تلك الأماكن . . هذا من ناحية المعجم الجغرافي وهو ليس جهدي وحدي بل هناك أخوة ساعدوني فيه ومنهم من أكمل عمله .

أخي الشاب

سلاح المدرعات

بالجيش العربي السعودي

يدعوك ... ويحقق لك المستقبل الزاهر

فاذا كنت من:

١- حملة الشهادة الخامسة ابتدائي تدرس ١٢ اسبوعًا وتتخرج برتبة جندي أول براتب اجمالي قدره ٤٣٠ ريالًا.

٢- حملة الشهادة السادسة ابتدائي تدرس ١٢ اسبوعا وتتخرج برتبة عريف براتب اجمالي قدره ٤٩٣ ريالًا.

٣- حملة الكفاءة المتوسطة تتخرج برتبة وكيل رقيب براتب اجمالي قدره ٥٤٨ ريالًا. وحملة الشهادة الابتدائية تتخرج برتبة عريف براتب اجمالي قدره ٥٠٣ ريالًا. ومدة الدراسة ٢٠ اسبوعًا.



١- مرتب ٦٠٠ ريال لمن يحمل أقل من الابتدائية .

٢- مرتب ٦٧٥ ريالًا لمن يحمل الابتدائية أو ما يعادلها .

٣- مرتب ٧٥٠ ريالًا لمن يحمل المتوسطة أو ما يعادلها .

٤- تأمين الاعاشة .

٥- تأمين العلاج له ولعائلته الذين يعولهم شرعًا داخل المملكة . كما يعالج الطالب خارجها على نفقة الحكومة اذا تعذر علاجه في المملكة .

٦- يمنح الطالب اجازة سنوية وذلك حسب برنامج المرفق التعليمي التابع له الطالب .

٧- يتم اركاب الطالب عند منحه الاجازة السنوية وفي الاعياد الرسمية وذلك من مقر دراسته الى أقرب مكان تصله الطائرة بالنسبة لبلدته ويكون ذلك على طائرات القوات الجوية أو تؤمن له تذكرة اركاب .

٨- بعد التخرج والتعيين يمنح راتب شهرين بدل تعيين وسوف يعمل على المهن التي تناسب كفاءته .

فبادر بمراجعة قيادة المنطقة التي تسكن فيها ... أو قيادة سلاح المدرعات لمن هم في المنطقة الوسطى



الفيصل والتنمية الاجتماعية

بقلم : حسن محمد حسن

★ سوف يعكف المؤرخون والباحثون لدراسة شخصية « الفيصل » ومرحلته الخصبة بالمنجزات الكبيرة داخل بلاده ، وتأثيره العميق في حياة البلدان العربية والاسلامية ، والسياسة الدولية ، دراسة تتناسب والدور التاريخي الذي كانت تمثله شخصيته .. لقد كان رحمه الله كما وصفه أحد الزعماء العرب «حكمة التاريخ» .

ونحن الذين أسعدنا الفيصل لنكون على مقربة منه بحكم علاقتنا بشؤون التنمية في المملكة العربية السعودية علينا واجب قومي ، ومسؤولية إنسانية نحو التاريخ في التعريف بالجوانب التي قد لا تتاح لكل فرد التعرف عليها .

كان فيصل بن عبد العزيز رجل تاريخ من طراز لا يتكرر .. وهب حكمته ، ونفسه لدينه ووطنه ، وأمته العربية والاسلامية .

كان قليل الكلام ، كثير الأعمال ، ومن طباعه وخصاله أنه لا يحب أن يتحدث عن المشاريع والأعمال التي يسهر على تنفيذها لتحقيق الرخاء والأمن لبلاده ، والسلام للعالم والإنسانية .

من هذه المنطلقات النبيلة كان حرصه شديداً على لقاء **خبراء الأمم المتحدة** عقب تفقدهم لمشروعات التنمية التي تنفذها المملكة بالتعاون مع الأمم المتحدة .. ووكالاتها المتخصصة رغم مشاغله الكثيرة والكبيرة ، والمسؤوليات الجسيمة التي ينهض بها ضارباً أروع الأمثلة في التضحية والعمل الدؤوب المتواصل ★

وكان يسعد كثيراً بأن يكون على علم بسير مشروعات التنمية ، والعقبات التي تعترض طريق تنفيذها ، لأنه كان مصراً بصدق وإخلاص على بناء بلاده اقتصادياً ، واجتماعياً بناء يتلاءم والقيم النبيلة ، والخصال الكريمة التي يحرص على الابقاء عليها لأنها ثروة الإنسان الحقيقية .. فالعمران المادي في مواجهة الدمار الروحي والأخلاقي هو عمران مؤقت لا يدوم .. **وكان يرى أنه لا بد من تحقيق المعادلة الصعبة في الحفاظ على البناء الروحي والأخلاقي مع صناعة المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية .. وقد استطاع بحكمته أن يقيم الدولة الحديثة على الأسس والقيم التي تدعو إليها شريعتنا السمحة .**

وفي هذا المقال نورد واحداً من الحوارات التي كانت تدار في **مجلس الفيصل** عند لقائه بخبير منتدب من الأمم المتحدة .

حين قابلت جلالته سلمته مذكرة تتضمن البيانات الرئيسية التالية :

- **الزائرة : المس جوليا هندرسون .**
- **الجنسية : أميركية .**
- **العمر : خمسون عاماً .**
- **الوظيفة : مساعدة السكرتير العام للشؤون الاجتماعية في مقر الأمم المتحدة بنيويورك ، والمسؤولة عن المشروعات الميدانية في كل بلاد العالم بالتعاون مع الأمم المتحدة .**

شغلت مناصب رئيسية في الحكومة الأميريكية ، في ديوان الموظفين إلى أن وصلت إلى منصب **رئيسة الخدمة المدنية في الولايات المتحدة الأميركية .**

وحين قدمت هذه المعلومات كنت أعرف أن الفيصل يحرص على معرفة شخصيات وتجارب الذين يرغبون في مقابلته قبل بداية اجتماعاته بهم لتحديد طبيعة النقاش .

وكانت المس جوليا هندرسون هذه رئيسة الدائرة الاجتماعية لمشروعات التنمية والخدمات الاجتماعية التي تنفذها الأمم المتحدة في بلدان العالم بما فيها

المملكة العربية السعودية .

بعد أن قرأ **الفيصل** تلك المعلومات بهدوء وإمعان قال :

« التنمية الاجتماعية ؟ » هذا موضوع هام وحساس .. لقد كثر الحديث هذه الأيام عن التنمية .. لكن الآراء لم تتفق .

التنمية بناء للانسان وتقدمه .. ونمو للوطن .. وبناء للأمة في ظل هذه الظروف المتغيرة المضطربة .

والانسان هو غاية التنمية ووسيلتها . ومنه تتكون الأسرة والجماعة والأمة .. فصلاح الجماعة من صلاح الفرد ..

وأمن الفرد وعزته وقوته وثراثه هي غايتنا ، لأنها عزة المجتمع وقوة الدولة وكرامة الأمة .

الوسيلة لهذه الأهداف تبدأ بالتوعية ليعرف الفرد قيمته وليقوم بواجبه نحو نفسه وأسرته وبلده ودينه . وهذه مهمة شاقة وطويلة يجب أن تقوم بها جميع الأطراف (الأسرة والمدرسة والدولة) .

لماذا هذا الاندفاع نحو الماديات والحضارة الغربية المستوردة . هل نحن بلا حضارة وبلا تاريخ وبلا تراث ؟

البلاد العربية شتات ، والأمة الإسلامية لا تعرف قوتها ولا تحس بوجودها . وهذا هو الضياع .

نحن نواجه حرباً مستعرة مستمرة لابادة الأخلاق والدين والثقافية الاسلامية .

وهذا الصراع المرير أعمانا عن النظر إلى الغد لنبني مستقبلاً زاهراً ، نحن نعيش اليوم في حاضر مملوء بالشك والخوف والتردد .

هل التقدم والحضارة هما التقليد الأعمى للحياة الأوروبية التي تعاني منها بلدان أوروبا وأميريكا ومن يقلدها ؟

لكي نفهم السلوك الحضاري الصحيح علينا بالدين والعلم والأخلاق حتى نأخذ الصالح ونقاوم الانحراف وأمراض الحضارة .

مشاكل التخلف التقليدية هي الفقر والجهل والمرض . ولكن أخطر الأمراض الاجتماعية أن يفقد المرء ذاته وإنسانيته وهذه أشد فتكاً من التفرقة العنصرية وفوارق الجنس واللون وهي نتيجة لضعف الشعور الديني والقيم الروحية .

إن الدين أعظم وأسمى شيء في الحياة ، بدونه لا معنى للحياة ، لأن الانسان يصبح حيواناً شرساً . والدين هو العقيدة والسلوك .

نحن نود أن نضع كل جهدنا ليحس المواطن بالانتماء للوطنية الصادقة ، ونجنبه المزالق الحضارية والضياع . ونحن نعيش اليوم في مفترق الطرق . هذا منعطف تاريخي خطير ويجب أن نقف لنفكر ونجمع الشمل ونرسم الخطة كاملة شاملة بعد دراسة وتحليل لنصل إلى الأسلوب الحاسم المناسب ، والأهداف واضحة ونحن نعرف ما نريد . نريد التقدم والرخاء والأمن والأمان .

ونعرف مسؤولياتنا الدينية والوطنية .. ونعي حقوقنا وواجباتنا نحو وطننا وأمتنا .

إن الصراع بين المذاهب والنظريات قديماً وحديثاً قد أوجد القلق والاضطراب والتفكك .

نحن نتمسك بالجوهر ، بالدين القيم وبالأهداف السامية . ولذلك لن نضل أبداً » .

ثم نظر مرة أخرى إلى المذكرة وقال مرحباً بالخبراء الدوليين .

وجاءت المس جوليا هندرسون .. كان الزمان شهر مارس (آذار) عام ١٩٦٣ م ، قامت بزيارة معالي الشيخ عبد الرحمن أبا الخيل وزير العمل والشؤون الاجتماعية (سفير المملكة حالياً في مصر) ، كما زارت كبار المسؤولين في الوزارة وتفقدت مركز الدرعية للتنمية والخدمات الاجتماعية ، ودور الحضانة والرعاية ومعهد النور والمعوقين في الرياض . وعقدت الاجتماعات مع المشرفين الاجتماعيين والإداريين في هذه المراكز ومع خبراء الأمم المتحدة العاملين في حقول التنمية .

المعروف أن الفيصل يحرص على دقة المواعيد . وفي الميعاد المحدد تماماً دخلنا مكتب رئيس الوزراء ، فقام الفيصل مرحباً ، وجلسنا لحظة في صمت وقور .

نظرت المس هندرسون بعين فاحصة إلى المكتب والأثاث فهو مكتب عادي بلا ترف أو أبهة .. مكتب عادي عليه ملفات رتبت بنظام دقيق للصادر والوارد .

● بدأ **الفيصل** حديثه قائلاً :

● « عسى أن الرحلة كانت مريحة .. إننا سعداء بهذه الزيارة وقد جاءت في وقتها »

★ أجابت المس هندرسون بالشكر على ما لقيته من حفاوة منذ وصولها للمملكة كما أبدت اعجابها بالنظام الدقيق الذي مكنها من زيارات ميدانية للمشروعات المفيدة التي تقوم بتنفيذها حكومة المملكة بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة وإنها لاحظت أن المملكة جادة في القيام بدورها كاملاً وتولي اهتماماً كبيراً بهذه المشروعات .

● رد **الفيصل** بقوله : « هذا واجبنا والحمد لله الذي وفقنا .. لأن روح المشاركة الفعالة أساس لنجاح المشروعات ونود أن نعرف كذلك المعوقات التي تعترض التنفيذ المطلوب » .

★ أجابت **المس هندرسون :** إن الحكومة السعودية مشكورة لقيامها بكل واجباتها في مواعيدها المقررة وهي لا تضن ولا تتأخر بالإمكانيات المادية المطلوبة ولكن المشكلة هي ايجاد الكوادر الفنية والإدارية المناسبة التي تقع عليها إدارة المشروعات بعد رحيل الخبراء . وهذه مشكلة عامة في كل البلاد النامية ولا يمكن حلها بين عشية وضحاها ، ولكن يجب القيام برسم خطة للتدريب لمواجهة الموقف .

● **قال الفيصل :** « نحن ندرك أبعاد هذه المشكلة تماماً ونسعى لحلها على مراحل من جهود شاملة لتدريب القوى العاملة التي نحتاج إليها في المستقبل ، ولكن التعليم والتدريب يحتاجان إلى وقت وجهد . وعلينا أن نهتم بالمستوى والجودة والنوع والكفاءة اهتمامنا بالأعداد اللازمة . وقد عممنا مراحل التعليم والتدريب في جميع أنحاء المملكة لإعطاء فرص عادلة لكل المواطنين ليشاركوا في تقدم بلادهم وتحقيق ما نصبو إليه من رخاء وازدهار شاملين .

وأود أن أقول وأكرر القول إن المواطن العربي يتجاوب بذكاء واجتهاد ويقبل على التعليم والتدريب بحماس واهتمام . وليس صحيحاً أنه كسول بطبعه ولا يحب العمل البدني .

فالعامل السعودي والمزارع السعودي والمواطن السعودي عموماً حريص على الفهم والتدريب لاكتساب الخبرة

والمعرفة ليصل لأرقى المستويات وهو ذكي بفطرته .

والعمل جزء لا يتجزأ من ديننا الحنيف وكل آية في القرآن الكريم جاءت بالايمان ، تبعها العمل الصالح والحض على العمل . ولقد كرم الله بني آدم بالعمل واعمار الأرض ﴿ فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ﴾ ، ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ .

ومن واجبات الدولة أن تهيىء المناخ الصالح لنمو العمل واتساعه وسلامته لتقوية الاقتصاد الوطني .

ولتحقيق ذلك يجب أن نكون أمناء مع أنفسنا ، نفهم أسس المشكلة ونتفهم الحلول المفيدة الجذرية لا أنصاف الحلول التي تترك المشكلة من غير حسم » .

★ **المس هندرسون :** لا شك أن المملكة جادة في العمل ومحظوظة بالقيادة الرشيدة والقائد الحكيم الذي أمن لها الاستقرار والرخاء . فالمملكة تعيش في سلام عظيم بينما معظم بلاد العالم تشقى بالاضطرابات والبلبلة والفوران الاجتماعي والأزمات الاقتصادية والصراع والقلق في جميع الميادين ، والمشاكل السياسية تجتاح العالم وتفقده الثقة وتولد الخوف والصراع والمطامع .

كل هذا جعل التعاون الدولي المثمر شاقاً وصعباً وتحيل حملات التحرر من الجوع والخوف والحرب إلى جهود متناثرة فأصبح السلام والرخاء أملاً بعيد المنال .

ولكن بالرغم من كل ذلك يجب أن لا نتوقف ولا نيأس .

● **الفيصل :**

« في هذه الأوقات تتضاعف مسؤولياتكم الدولية وتصير جهود الأمم المتحدة ضرورة ملحة وواجب دولي كبير . ولكن **كل هذه المظاهر أعراض لمرض المدنية الحديثة التي بنت مجدها على الماديات وأهملت القيم الروحية والأخلاقية .** والنتيجة الحتمية لذلك ما ذكرت من طمع وأنانية وقلق وما يجره ذلك من صراع وحروب تجر الويل على الأفراد والدول والشعوب » .

★ **هندرسون :**

نعم ، نعم . . هذا هو القول الحق،**ليت زعماء العالم يسمعون ويتفهمون معاني هذه العبارات ومدلولها ،** فلو عرف كل واحد منا الواجبات والمسؤوليات لعاش الجميع في سعادة ولتغير وجه الأرض ، فنكون بذلك قد عرفنا دروس الماضي واعتبرنا بالتاريخ وعبر التاريخ القديم والحديث .

● **الفيصل :**

« نحن في المملكة نبني سياستنا على الشريعة الاسلامية ، وقد بنى المغفور له الملك عبد العزيز سياسته على الدين الحنيف وهو يحدد المبادىء والأهداف لاسعاد الانسان في الدنيا والآخرة . وكانت جهود المغفور له الملك عبد العزيز ترمي لتوحيد البلاد وجمع الشتات لينعم الجميع بالأمن والاستقرار . وجاء كل ذلك على أسس العقيدة الاسلامية وشريعتها .

والدين هو نظافة الايمان والقلب والضمير ، ونظافة السلوك ونظافة المعاملة والعمل المثمر .

ومن هنا يجيىء الرخاء بزيادة الإنتاج ودفع عجلة التطور والتقدم بالعلم والوسائل الحديثة لبناء نهضة شاملة على مستوى رفيع من الفهم للحياة وما يعود على الجميع بالنفع فتكون النهضة اقتصادية واجتماعية وأخلاقية » .

★ **هندرسون :** حرصت على هذا اللقاء لأني أعلم أنني سأقابل شخصية عالمية فذة أتاحت لها الظروف من التجارب ما قل أن جادت به الأيام على زعيم آخر ، وعليه كنت أعلم أن النقاش يبحث جوهر المشاكل وجذورها ، وأنها لن تكون زيارة شكلية للمجاملة والتمنيات الطيبة .

ومما أثلج صدري أن أجد وضوحاً شاملاً للرؤية فقد حددتم العوامل النفسية والاجتماعية التي تصاحب التنمية في هذه المرحلة حتى يجد كل مواطن حافزاً مادياً ومعنوياً للعمل على البناء وزيادة الإنتاج والمشاركة فتصبح حياته قيمة خالية من التوتر والقلق . **ولن تضيع أمة حدد قادتها أهدافهم بوضوح وسعوا لتحقيق ذلك بحزم وجد ونظروا للأمور بموضوعية وتابعوا الأحداث بتفكير وإمعان وكفلوا الاستقرار والأمان في جميع أنحاء البلاد .**

وهذا هو التوازن المطلوب في التنمية والتقدم ، **وأود أن أشيد بوجه خاص بجهودكم الصادقة نحو تقدم المرأة السعودية واشتراكها في النهضة الشاملة للمملكة ،** وقد زرت الجمعيات الخيرية والرعاية الصحية ، وعلمت بجهودكم لنشر تعليم الفتاة وبمشروعات الثقافية والرعاية للمرأة .

● **الفيصل :**

« هذا موضوع هام ، ونحن نوليه أهمية خاصة ، لأن **وضع المرأة في المجتمع أساس للأسرة ، وهي ترعى حاضرها وتبني أجيال المستقبل ، ويجب المحافظة عليها وعلى تراثها وتقاليدها الحميدة .**

نحن نعالج مسائل التنمية من غير إعلان أو ضجيج ، لأننا لا نطلب الدعاية . ونسير على هدي الدين الحنيف نتبع ارشاده . فقد كرم المرأة ودفع شأنها وأوجب تعليمها وتربيتها على الخلق الكريم والخصال الشريفة ، فهي عصب البيت وهي تقوم بإعداد المواطن الصالح ليواجه الحياة ومتاعبها ومشاكلها وتحديات الأيام برأي سليم وقلب ثابت .

نحن لا نوافق على الاختلاط السافر والفوضى بأن تترك المرأة واجباتها الأولى في منزلها وتهمل أطفالها وتجري وراء العمل خارج بيتها من غير ضرورة أو انضباط. فهل هذا تقدم أم تأخر؟ والمرأة عندنا في البادية عصب الحياة وتقوم بكل واجباتها بفطرتها السليمة ووعيها لمسؤولياتها وهي تعمل وتكد ، لكنها لا تتخلى عن دينها وواجباتها الأساسية .

نرفض من يقول إن المرأة في منزلها حبيسة ومغلوب على أمرها ، لأن العكس هو الصحيح . **إن مملكة المرأة هي منزلها وأسرتها وإذا تخلت عن ذلك تكون أخلت بنظام المجتمع وجرت وراء سراب الحياة المادية لتجد متاعب المصنع ، وخطر المعمل ، وقسوة الحياة خارج**

المنزل بما لا يتفق وطبيعة المرأة ونفسيتها .

نحن نؤيد تعليم المرأة كل أنواع العلم المفيد حسب الشريعة الاسلامية لتقوم بما يناسبها من رعاية الأسرة وتربية الأطفال وترعى أوجه البر والجمعيات الخيرية وتساعد المحتاجين والمعوقين ، وتشجع على نشر الثقافة والتوعية وبناء الوطن . وكل ذلك يجب من غير أن تتخلى المرأة بما يأمرها به دينها وتقاليدها وتراثها من أخلاق كريمة تصون نفسها وتحفظ حرمتها وجوهرها وقيمتها ولا تجري وراء الزائف من المدنية الحديثة .

فواجب المرأة الأول **بناء الأسرة** . والأمومة أكبر سعادة ومفخرة للمرأة ، وواجب الدولة أن تتيح لها الفرصة كاملة للتعليم والثقافة والتوعية والمشاركة في بناء مستقبل الوطن ، ويجب أن توفر لها كذلك الرعاية والحماية والاحترام والثقافة وتزيل المعوقات الجغرافية التي تساعد على العزلة والانزواء ، وسرعة المواصلات والحركة اليوم أتاح فرصاً كبيرة للسفر والمعرفة .

وأريد أن أكرر أن البيت السعيد هو المكان الطبيعي للمرأة وأن حياتها الكريمة في اتباع دينها وبناء أسرتها ووطنها » .

★ **هندرسون :** هذه إجابة صريحة وحكيمة لدور المرأة في المجتمع السليم وحياة المرأة خارج المنزل ليست بلا ثمن فادح ، ففي كثير من الأحيان كان الثمن حياة **المصانع** القاسية وحياة **المكتب** الرتيبة ، وكثير من الأعمال لا تتفق وطبيعة المرأة سلبتها الاستقرار المنزلي والنفسي فأفسدت على العائلة بهجتها وترابطها وسلبت المرأة أنوثتها وسعادتها وحرمتها من أطفالها ورعايتهم ، وبذلك سلبت المجتمع تماسكه ومعانيه . **ونظرة سريعة لمشاكل المرأة العاملة خارج منزلها توضح لنا الأسباب الحقيقية لما يعانيه المجتمع من مشاكل واضطراب وقلق .** وما فائدة الحياة من غير معانٍ واستقرار وسعادة . وهذا تنازع الاختصاصات .

● **الفيصل :**

« نحن نؤمن أن تقوم كل مؤسسة بدورها الفعّال حسب اختصاصاتها . كل فرد في مجال عمله وكل مسؤول في مكان مسؤوليته .

ونحن نعمل لبناء كل وزارة لتقوم بواجباتها الفنية والإدارية وليقوم كل عضو بمهمته يتعاون مع المواطن الصالح ونعطيه الفرصة للتعليم والتدريب .

ومصيبة الجهاز الاداري أنه يريد أن يتحكم ويتسلط في أمور المواطنين بدلا من خدمتهم .

فنحن في مرحلة النمو نحتاج لخبرة الآخرين حتى لا نكرر الأخطاء ، **وقد أصبح العالم اليوم مدينة كبيرة بفضل النقل السريع ووسائل المواصلات الحديثة التي تنقل البشر والانتاج والأفكار والتفاعل الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، ولا مجال للعزلة أو الانزواء .**

هذا عالم اليوم الذي نشاهد فيه الانصهار الاجتماعي وتبلور الحياة الحاضرة والمستقبلة من نتائج هذا الاختلاط العالمي الرهيب » .

★ **هندرسون :**

العالم الحديث يعيش تجربة إنسانية طريفة وفريدة ، فالأقمار الصناعية والعلوم الكيماوية وتطبيق التكنولوجيا غيَّر مفاهيم الحياة .

● **الفيصل :**

« إننا نود أن نعرف الكثير عن تجارب البلاد الأخرى لنستفيد منها ولذلك نتوقع أن يكون تقريركم شافياً مفصلاً لملاحظاتكم واقتراحاتكم لنكسب الوقت » .

★ **هندرسون :**

قمت بمناقشات تفصيلية لكل مشروع بعد انتهاء زيارتي وتحدثت مع المسؤولين عنه وسأقوم بوضع تقرير مكتوب لمعالي الوزير ولخبراء الأمم المتحدة وسأتلقى التقارير الدورية لمتابعة سير العمل . وسيتم كل ذلك بتنسيق منظم مع الوزارة ومكتب الممثل المقيم للأمم المتحدة هنا .

● **الفيصل :**

« نحن نسعى لتحقيق سعادة المواطنين والصالح العام . **ونود للدولة أن تكون خادمة للمواطنين وأن لا تسمح لجهازها أن يتحكم في رقاب ومصير العباد .**

ولن نسمح أن يكون جهاز الدولة هدفاً في حد ذاته وغاية تنتهي إليها أمور الرعية ، وستكون الدولة ضائعة إذا سمحت بذلك وجعلت إمكانياتها للوزراء والرؤساء يتصرفون ببذخ دون رقيب ، لأن ذلك يجر إلى الفساد والمحسوبية والظلم . فتضيع الثقة وينعدم التعاون المثمر بين المواطنين وأجهزة الدولة .

ويجب أن يكون التعاون مبنياً على تحديد دقيق للواجبات والمسؤوليات ، وعلى أسس التقوى والشريعة .

هذا هو الذي يضمن السلام الاجتماعي والاستقرار الاجتماعي والوحدة الوطنية والتقدم ».

★ **هندرسون :**

أكرر شكري وامتناني وإني لسعيدة بهذا اللقاء وشرف عظيم لي واعتبرها زيارة مفيدة للغاية ولقاء تاريخي بالنسبة لي .

وقف الفيصل ليودع الزائرة وقد طغى عليها الشعور بالسعادة لهذا الحوار .

وحين خرجنا قالت : « **هذا رجل عظيم وقائد محنك لمسيرة الخير والبناء والرخاء ، عركته التجارب وعركها .**

لقد قابلت عدداً كبيراً من زعماء العالم فما لمست مثل ما لمست من صادق القول ، ووضوح الرؤية ، وعمق التفكير وهيبة الزعامة ومعرفة ببواطن الأمور .

فهذا الفيصل رجل فذ وسيكون للمملكة بقيادته شأن عظيم وأي شأن .. والمستقبل سيحقق له الكثير .

في نهاية هذا الحوار الكبير في مضامينه . . وأهدافه النبيلة ، أعترف أن مثل هذه الاجتماعات بالفيصل كانت لنا نحن العاملين في الأمم المتحدة مرشداً وهادياً لمعرفة الفيصل وسياسته وهو يقود مسيرة الاصلاح والخير والمعرفة بحكمة ودراية ببواطن الأمور ، لأنها ثمرة خير من ثمار التجارب العملية ، والمسؤوليات الجسيمة التي تحملها الفيصل منذ صباه ، والتي جعلت منه شخصية قيادية وسلوك قويم ، وذاكرة قوية ، ونظام دقيق . . رحم الله الفيصل .

إدارات الأنظمة وإدارات الأفراد

بقلم: محمد عبدالله الوابل

الإدارات نوعان: نوع تكون فيه الوظيفة التي تقوم بها الإدارة مستقرة ومستمرة بانتظام تستمده من أنظمتها وإجراءاتها، بحيث لا تهتز ولا ترتبك أعمالها ولا تتأخر أو تتعطل ويكثر فيها السهو والغلط كلما حدث اهتزاز في جهازها الوظيفي نتيجة لتغيب موظف واحد أو عدد قليل من الموظفين أو استقالتهم أو مرضهم أو تأخرهم. وهذا النوع من الإدارات يسير العمل فيه بصور منتظمة ومتساوية طوال ساعات الدوام وليس متقطعاً بحسب حضور المدير أو غيابه ليوقع كل شيء، ويعطي تعليماته عن كل أمر.

والنوع الثاني من الإدارات يكون فيه المدير هو الإدارة فإذا غاب غابت معه وإذا حضر حضرت معه، ويكون فيها كل موظف ووظيفته متلازمان، فإذا حضر حضرت الوظيفة، وإذا غاب غابت وغاب معها العمل الذي يؤديه.

والنوع الأول يتكيف الموظفون فيها مع إجراءات الوظيفة وتقاليد الإدارة، أما النوع الثاني فإن الوظيفة تتكيف مع الموظف. والسبب هو أن الأولى لها منهج، أما الثانية فليس لها منهج، ومعروف أن الشيء الذي له منهج يكتسب منهجه من شخصية مسيره، فإذا كان مسار الإجراءات ليس محدداً فإنها تكون معقدة أو ميسرة بحسب نفسية الموظف المختص وتهتز كلما تبادلتها الأيدي.

وفي اصطلاحات الإدارة تعرف الأولى بأنها **إدارة أنظمة وإجراءات، بينما تعرف الثانية بأنها إدارة أفراد**. والمحلل لهاتين الإدارتين سيلاحظ أن النوع الثاني يبرز فيه عدد قليل من الموظفين يكون ثقل العمل عليهم لأنهم استطاعوا هضم الإجراءات المعقدة وأصبحوا يشكلون مراكز نفوذ يستمدون سلطتهم فيها من احتكارهم للمعلومات، بينما أصبح باقي الموظفين أصفاراً. أما في النوع الأول فإنه لا يوجد شخص لا يمكن الاستغناء عنه في نفس الوقت الذي يظهر لكل شخص أهميته وقيمته ولكن ضمن المجموع ووفقاً للروح الجماعية.

وفي النوع الثاني ترى المدير هو كل شيء، وغيابه عن الساحة في أي لحظة يحدث فيها ارباكاً واضحاً، بينما مهمة المدير في الحالة الأولى لا يكون تأثيرها مباشراً، وإنما يكمن في المدى الطويل، فهو يراقب أداء كل موظف ويفكر في كيفية رفع مستواه وكيفية ايجاد بديل له أو توزيع عمله في حالة غيابه وكيفية زيادة الإنتاج وتطوير أساليب الأداء والتنبؤ بحجم العمل في المستقبل والتخطيط لمواجهته والتنسيق مع المسؤولين لديه. أما في المدى القصير وفيما يخص العمل اليومي المتكرر فغيابه ليس له تأثير كبير.

منهجة الإجراءات وتبسيطها

إن الفرق بين الإدارة الأولى والإدارة الثانية يكمن في المنهجة. **والمنهجة، إذا جاز اشتقاق هذا الفعل من منهج، هو تعبير سأستعمله ليدل على اخضاع الحركة أو الاجراء المتكررين لمنهج معين موحد. وفي مجال بحثنا هذا هو وضع اطارات تنفيذية للاجراءات تكون مبسطة وتتوزع فيها المسؤوليات والصلاحيات، بحيث تكون في مجموعها وحدة متناسقة متكاملة وفي مفرداتها أجزاء واضحة معروفة مهمة كل منها وعلاقتها بغيرها، وبحيث تسهل رؤيتها ورؤية عملها في اطارها المفرد أو في الاطار العام للمجموع.** وبذلك يؤمن عدم احتكار أي فرد أو أية فئة لمعرفة كيفية التنفيذ، ومن ثم خلقها من نفسها جزء لا يستغنى عنه، وتتوفر في هذه الحالة المرونة اللازمة لزيادة الفاعلية أو تقليلها بل وتغيير النظام ككل.

ولشرح هذا التعريف فإني سأروي هذه الحادثة التي وقعت بالفعل منذ مدة في إدارة شؤون الموظفين بإحدى الوزارات. فقد صادف في أحد الأيام أن غاب الموظف المختص بالاجازات في أحد مواسم كثرة الطلب على الاجازة وغاب معه في نفس الوقت رئيس الشعبة. وقد تعرض المسؤولون في الإدارة لكثير من الضغط من قبل المراجعين ورؤساء الإدارات دعاهم للبحث عن موظف من بين موظفي الإدارة يعرف كيف يتم اجراءات الاجازة ولكنهم لم يفلحوا. وقد تعرضوا في ذلك اليوم لإحراج كبير جعلهم يفكرون في حجم المشكلة لو أن هذا الموظف ورئيسه لا سمح الله تعرضا لحادث أو أي عائق يمنعهما عن العمل فترة أطول. وقد حفزهم ذلك على السعي لايجاد حل أبدي لهذه المشكلة وغيرها من مشاكل إداراتهم.

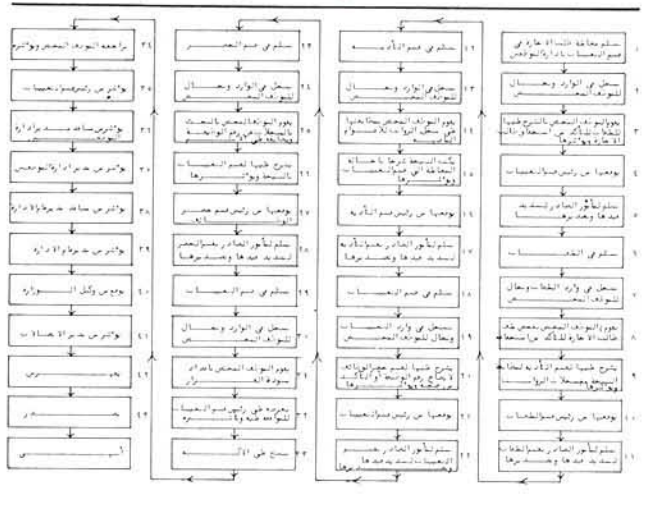
وقد بدأت العملية بتشكيل فريق عمل مصغر حددت مهمته على مراحل وفقاً للترتيب التالي:

المرحلة الأولى: تعريف الوضع الحالي

طلب إلى الفريق في هذه المرحلة أن يقوم بتحليل مجرى سير المعاملات لمعرفة الوضع الحالي للروتين في الإدارة. وقد قام هذا الفريق بتتبع كل نوع من المعاملات ورسم خارطة لمسيرتها. ولن يتسع المجال هنا للتعرض لكل أنواع المعاملات، وإنما سنكتفي بمعاملة الاجازة كمثال على ذلك.

ويوضح الشكل رقم (١-٣) الخارطة التي استطاع الفريق رسمها لسير معاملة الاجازة.

شكل ١-٣: خارطة سير معاملة الاجازة قبل المنهجة



وقد توصل إلى ذلك بمراجعة عدد من معاملات الاجازة المنتهية وقراءة الشروحات والكتابات عليها وتتبع معاملات أخرى منذ دخولها إلى الإدارة وحتى صدور القرار. وهذه الخارطة تمثل المسار المعتاد للمعاملة في الأحوال العادية، إذ إنه في كثير من الأحيان يحصل أخذ ورد بين هذه الأقسام يزيد من عدد هذه الخطوات ويطيل في المدة بينما في حالات أخرى تختصر هذه الخطوات، وخاصة خطوات التوريد والتصدير وتنتهي المعاملة في فترة وجيزة وفقاً لهوى الموظف المختص.

ويلاحظ أن هذه الخارطة كانت في السابق مرسومة في مخيلة الموظف المختص ورئيسه المباشر فقط ولا يعرفها أحد غيرهما، وإن مدير الإدارة نفسه لا يستطيع أن يفرض عليهما إرادته لأنه يعيش في تعتيم شامل لا يسمح بالحكم على حجم العمل ولا على أهمية وضرورة كل خطوة، وخاصة إذا علمنا أن خطوات بعض أنواع أخرى من المعاملات قد وصلت إلى ٩٥ خطوة.

ومع أن هذه الخارطة تشتمل على خطوات كثيرة هي أقرب إلى المتاهة منها إلى ما يتطلبه اجراء بسيط ومتكرر. إلا إنها في حد ذاتها تمثل وضعاً أحسن بكثير من الوضع الذي سبقها، أي حين كانت مرسومة فقط في رأس موظف. فهي الآن تمثل تعريفاً للوضع كما هو، ويمكن استعمالها كنقطة انطلاق، كما أنه من الممكن الآن اتمام اجراءات الاجازة في غياب الموظف المختص ولو بصعوبة.

* المرحلة الثانية: تحليل ودراسة الوضع الحالي

في الوقت الذي يكون فيه قرار الاجازة قد أعد تكون المعاملة المرفقة معه والتي تمثل الوثائق المؤيدة له، قد تضخمت واحتوت على عدد من الأوراق والشروحات الجانبية التي تكون مادة لكتيب صغير تكفي قراءته لاشغال كل مسؤول عشر دقائق على الأقل، هذا إذا استطاع قراءة مختلف الخطوط وكان لديه الجلد الكافي لازالة الدبابيس التي تربط صفحات المعاملة مع بعضها وتحجب مختلف الزوايا.

ويلاحظ المستعرض لسير هذه المعاملة أنها تمر على ثلاثة أقسام في إدارة الموظفين، وأنها في كل قسم تشغل أربعة موظفين هم موظف الوارد والموظف المختص ورئيس القسم، ومن ثم موظف الصادر. ويلاحظ التعامل الرسمي بين الأقسام وكأنها إدارات في وزارات مختلفة وليست أقساماً في إدارة واحدة. كما يلاحظ التوريد والتصدير والتسليم وكأنها تتبادل وثائق لا يمكن تعويضها. ثم يلاحظ المركزية المتحكمة وكيف أن الموظف المختص يعد الشرح عليها ويؤشر تحت هذا الشرح، ثم يوقعه من رئيسه. ويلاحظ في الخطوة (٣١)، كيف أن الموظف المختص يعد مسودة القرار، ثم يعرضها على رئيسه للموافقة عليها وكأنها موضوع جديد لا يتكرر عدة مرات في اليوم.

ثم يأتي بعد ذلك هذا القطار من التأشيرات (**الخطوات ٣٤-٣٩**)، حيث إن هذا العمل الورقي الهائل يستغرق وقت المسؤولين ويلهيهم عن الأعمال المهمة مع أن تأشير كل منها عليه هو تحصيل ولا قيمة رقابية أو قانونية له. وإذا أنت دخلت مكاتب هؤلاء الموظفين أو هؤلاء المسؤولين وجدت سيلاً من المراجعين قد تركوا أعمالهم ووقفوا على رأس الموظف كل يستعجل معاملته وملأوا الدهاليز ومكاتب المسؤولين وأشغلوهم عن العمل بهدوء، حتى ليتخيل الإنسان نفسه في سوق الحراج وليس في مكاتب حكومية. وإذا غاب أحد هؤلاء المسؤولين أو تأخر كان بمثابة السد في مجرى هذا القطار وعطل العمل، وأحدث عدم توازن وتخلخلاً في انتظامه. وإذا حضر هذا المسؤول لمكتبه ووجد جمعاً من المراجعين في انتظاره «لتأشير» معاملاتهم، شعر بالأهمية والفخر وأصبح يمشي الخيلاء. وإذا نظرت إلى المراجعين وهم ينتظرونه وجدتهم جادون مؤمنون بأهمية الدور الذي يقوم به مع أنه في الواقع لا قيمة لما يقوم به، ولا يجب أن يفخر الإنسان بعمل يؤديه إذا كان لا قيمة إنتاجية أو عملية أو قانونية أو رقابية له، وإنما لمجرد تعطيل الناس واشعارهم بأهميته الشخصية.

وبدارسة التقاليد السائدة في الإدارة (الأمر الذي لا تظهره هذه الخارطة)، وجد بأن هنالك تقليد مجمع عليه وهو أن الذي لا يطالب بحقه لا يحصل عليه، حتى أنك إذا سألت أحد الموظفين عن السبب في تأخر صدور قرار أو إنهاء معاملة، أجابك بأن صاحبها لم يراجع ويعتبر ذلك مبرراً كافياً لتعطيلها. ووفقاً لهذا المبدأ، فإن الوساطة أصبحت ضرورية حتى لصدور قرار الاجازة.

والأمر الثاني هو خوف الموظفين من المسؤولية. إذ يلاحظ أن كل هذه الشروحات والتأشيرات والتوريد والتصدير ناتجة عن احتياط كل موظف لنفسه وحمايتها إلى درجة أن مسودة قرار الاجازة وغيرها من المسودات تحفظ في ملف الموظف مع المعاملة. ويدل تاريخ العقوبات في الإدارة إلى أنه عند حدوث غلطه فإن التحقيق لا يعترف بالقرائن والأدلة الظرفية، وحسن النية من سوءها، وإنما على الأدلة المكتوبة فقط. وكل عقوبة تحصل تؤكد الصبغة الرسمية لمسار الاجراءات وتعمق الروتين، وأحياناً تضيف له خطوات جديدة.

والأمر الثالث هو عدم إدراك الموظفين للمهمة التسهيلية للإدارة. فإدارات الموظفين هي إدارات تسهيلية مهمتها أداء خدمات معينة لموظفي الجهة، لكي تستطيع إداراتهم التفرغ لأداء الخدمة المطلوبة من الجهة نفسها. ولذلك فشؤون الموظفين، هي الجهة التي يفترض أن تساعد الموظفين على حل مشاكلهم وإرشادهم لأحسن الطرق التي تسهل لهم حصولهم على حقوقهم وقيامهم بواجباتهم. ويتوقع من موظفي إدارة هذه مهمتها أن يتوفر فيهم حب الناس ورغبتهم في المساعدة والاستقبال الودي الناتج من شعورهم العميق بأنهم عينوا لكي يخدموا هؤلاء الناس. ولكن واقعهم يختلف تماماً. فهم يعتبرون أنفسهم في مركز مميز وأن صاحب الحق هو الذي يجب أن يخطب ودهم ويوسط لهم وكأنهم يمنحونه صدقه وليس حقاً. ولا شك أن القارىء يصادف يومياً مختلف الموظفين من مختلف الخدمات الخاصة والعامة الذين أوجدوا لخدمته وهم يتمتعون بمثل هذه الصفات.

* المرحلة الثالثة: تشخيص الأوضاع غير الصحية ومعالجتها

لا يحتاج المرء إلى مهارة خاصة لكي يستنتج من هذه الخارطة أن:

١ - الملفات غير مكتملة ولذلك فإن المعاملة ترسل للتأدية للتأكد من **سجلات الرواتب** للأشهر والسنين الماضية عن وقائع إجازات الموظف ومطابقتها للمعلومات الموجودة بملفه. وقد كلفت التأدية بالتعاون مع قسم الملفات باكمال سجل الاجازات لكل موظف ووضعه في ملفه وأعطيت مدة شهر لاكمال ذلك بساعات إضافية. كما كلف قسم حصر الوظائف بتسجيل رقم وظيفة كل موظف في ملفه ووضعت طريقة لاشعار قسم الملفات عن أي تغيير في ذلك.

٢ - قسم **التعيينات** بإدارة شؤون الموظفين هو المسؤول عن إعداد قرار الاجازة، ولكنه لا يملك المعلومات الضرورية التي يجب أن يتضمنها القرار. وتكليفه بهذه المهمة يضيف خطوات غير ذات قيمة إلى معاملة الاجازة ويطيل دورتها.

٣ - غياب «**النمذجة**»، مع أن هذه الاجراءات متكررة وتحدث عشرات المرات في اليوم، فإن عملية انشاء الجمل والعبارات وإعداد المسودات وعرضها للموافقة عليها هي الاجراءات السائدة. ومعروف أن النموذج بالإضافة إلى كونه يتضمن الحيثيات والجمل والعبارات المتكررة بحيث يتجنب صرف الوقت في إنشائها وكتابتها، فإنه يقوم مقام كشف يوضح المعلومات المطلوب أن يتضمنها الاجراء المعين في أي مرحلة، وبذلك يحصل التوحيد ويتلاشى السهو والنسيان اللذين كثيراً ما يستوجبان إصدار قرارات الحاقية ويتجنب كذلك صرف الوقت في البحث عنه، وإضافة معلومات لا تدعو الحاجة لها.

٤ - وجود **المعلومات** بوضع غير منظم (خام). إن الطريقة النمطية المتبعة في البحث عما إذا كان الموظف يستحق إجازة أم لا يستحقها تتكون من عمليات بحث وعمليات حسابية مطولة وقابلة للسهو والغلط. وتبدأ باحضار ملف الموظف والبحث عن تاريخ تعيينه، وقرارات طي قيده، وإعادة خدمته إن وجدت. ثم استعراض جميع الأوراق الموجودة في ملفه للبحث بينها عن قرارات اجازاته السابقة، ثم البحث عن قرارات الاعارة أو الاجازات الدراسية وغيرها التي لا يحتسب له اجازة عنها. وبعد ذلك تتم عمليات الجمع والطرح. ولا غرو إذا تعطلت المعاملات وحاول الموظف التخلص منها. ومثل قرارات الاجازة تخضع كل الاجراءات الأخرى في كل أقسام الإدارة لهذا النوع من البحث والتصنيف في كل مرة تتكرر، وللقارىء أن يتصور العمل المرهق الذي يتطلبه إعداد بيان الخدمة أو إعداد بيان الرواتب والحسميات الذي تطلبه مصلحة معاشات

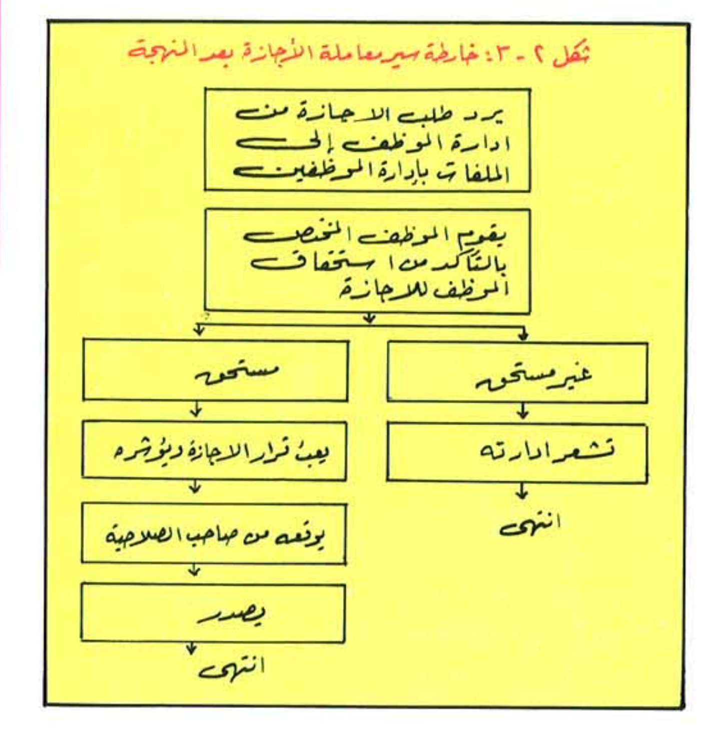
التقاعد عند انتهاء خدمات الموظف وقابلية وقوع الأخطاء فيها . ولتبويب المعلومات وتصنيفها « وتحديثها » بصورة مبرمجة ومنتظمة وجعلها جاهزة وفي متناول اليد بسهولة ويسر ، فقد صممت النماذج والبطاقات وطرق تدفق المعلومات وشكلت فرق تعمل خارج وقت الدوام لاتمام العملية خلال فترات معينة .

٥ ـ تأشيرات المسؤولين وأهميتها . جرت العادة والتقليد بألا ترفع المعاملة رأساً إلى صاحب الصلاحية للبت فيها أو لتوقيع القرار ، وإنما ترفع إليه خلال **الهرم الإداري** ، بحيث تمر على كل مسؤول يقوم بقراءتها **والتأشير** عليها حتى لو كانت معاملة متكررة مثل معاملة الاجازة . وأصبح هذا التقليد أمراً مؤكداً يعمل به الصغير والكبير ويؤخذ كأمر مسلم به . وعند بحثه مع الموظفين وبعض المسؤولين عبروا عن إيمانهم بأهميته وأبدوا استغراباً ومقاومة لفكرة الغائه أو قصره على مسؤول واحد ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يتفقوا على المهمة العملية التي تقوم بها التأشيرة غير كونها تتضمن موافقة المسؤول المؤشر على الاجراء . فإذا كان المقصود هو التأكد من صحة الاجراء وقانونيته فإن الأمر يتطلب أن يقوم كل مسؤول بقراءة المعاملة ويطلب ملف الموظف للتأكد من المعلومات وهذا غير حاصل فعلاً . كما أن هذه الطريقة تعتبر عملياً مستحيلة خاصة إذا كبر عدد موظفي الجهة وأصبح من المفروض في كل مسؤول أن يتأكد من صحة كل إجراء .

وقد دل تاريخ العقوبات بهذه الإدارة وغيرها إلى أن المؤشر لا يتحمل أية مسؤولية وإنما تعود المسؤولية والعقاب في النهاية على الموظف المختص . وإذا كان المقصود هو اشعار المسؤولين بما يتم في الإدارة وبالاجراءات التي تتخذ ، فإن هنالك طرقاً أجدى وأوفر من هذه الطريقة ، وإذا كان المقصود به إعطاء موافقة المسؤول المؤشر على الاجراء ، فإن الموافقات تؤخذ لأسباب وبموجب صلاحيات ، والمسؤول لا يملك أن يرفض تمتع أي موظف ليس تابعاً له باجازته أو يمنع أي حق من حقوقه الأخرى . وتاريخ تطور هذا التقليد ورسوخه ليس ذو علاقة بالأمر ، وإنما المهم النتيجة التي تم التوصل إليها وهي أن هذه التأشيرات لا قيمة عملية أو قانونية لها ، وأنه يجب الغاؤها وتفريغ المسؤولين لما هو أهم ، وذلك رغم المقاومة الشديدة والاستخفاف بهذا الاقتراح الذي يرمي إلى انهاء الاجراءات دون موافقة كل المسؤولين في الهرم الإداري عليها .

* الاجراءات الجديدة

يوضح الشكل رقم (٢ـ٣) ، خارطة سير معاملة الاجازة الجديد والذي وضع موضع التنفيذ بعد اكتمال الاصلاحات المذكورة آنفاً .



كما يوضح النموذج التالي الصفحة الخاصة بالاجازة السنوية من دليل إدارة الموظفين الذي تم وضعه بعد ذلك أيضاً . ويلاحظ ما يلي :

١ ـ أن الملفات قد تم اكتمالها بحيث أصبحت تحتوي على جميع المعلومات الحديثة عن الموظف . وبذلك استغني عن ارسال المعاملة إلى التأدية وحصر الوظائف . وقد تم تبويب المعلومات وتنصيفها بحيث أصبحت عملية التأكد من الاستحقاق لا تستغرق أكثر من نظرة خاطفة على رصيد الاجازات في البطاقة المعدة لذلك داخل الملف . كما تم نقل موظف الاجازات إلى الملفات . وأصبح بيان الخدمة وجميع البيانات المتكررة تسجل المعلومات فيها بصورة منتظمة ومبرمجة بحسب وقوعها ، وعند طلبها لأي عرض رسمي لا يستغرق الأمر أكثر من تصويرها وختمها .

٢ ـ لقد زادت الفعالية بحيث أصبحت اجراءات الاجازة تتم في عشر دقائق على الأكثر بينما كانت تستغرق ساعة على الأقل ، أي أن بوسع الموظف أن ينهي ست معاملات اجازة في الساعة ، بمعنى أن طاقته الإنتاجية قد زادت بنسبة ٨٣ ٪ . كما أصبح قرار الاجازة يسير من الموظف المختص إلى صاحب الصلاحية رأساً دون أن يشغل المسؤولين الآخرين بقراءته وتأشيره . وقد تمكنت هذه الإدارة نتيجة لذلك من توفير عدد كبير من الموظفين لديها ونقلهم لإدارات أخرى .

٣ ـ لقد أصبح احتمال الخطأ والسهو والنسيان صغيراً جداً نظراً لسهولة الاجراء وتوفر المعلومات المبوبة ووجود النماذج التي تحدد المعلومات المطلوبة .

٤ ـ لقد استغني عن الاستلام والتسليم الرسميين لأن المعاملة أصبحت مجرد نموذج واحد يمكن تعويضه في حالة فقدانه .

٥ ـ أن أي موظف لديه خبرة بسيطة بالاجراءات الإدارية يستطيع عند قراءة الدليل أن يتم اجراءات معاملة الاجازة بسهولة وبذلك يتفادى تعطيل العمل عند غياب الموظف المختص أو مرضه ، ويجعل من الممكن والميسور الاستعانة بموظفين غير متفرغين في وقت ندرة الأيدي العاملة كما هو جار حالياً .

٦ ـ سهولة تدريب الموظفين الجدد حيث إن هذه الأدلة تقوم بمهمة الاطار الذي يدعم الجانب العملي ويرجع إليه للاستدلال كلما دعت الحاجة .

٧ ـ وضوح عمل أي موظف لرئيسه بمجرد مراجعة الدليل الأمر الذي يتيح له تقييم أدائه وحجم العمل لديه بموضوعية مجردة .

ومع أن التغيير يظهر الآن بسيطاً للقارىء البعيد عن مجريات الأمور إلا أن الأمر في واقعه لم يكن بالبساطة التي يظهر بها الآن ، فلولا حزم المسؤولين في المراكز العليا بالوزارة ورغبتهم الملحة في الاصلاح لما تم تنفيذه . والسبب أن التأقلم مع الوضع السائد في الاجراءات يولد حالة عقلية ونفسية يصعب تصور غيرها ويعمي الإنسان عن رؤية خلافه . فالحالة التي كانت سائدة قد أخذت على أنها أمر مسلم به وتغييرها أصبح يقاوم بعناد وشدة ، إما لأنه يهدد مركز أحد أو يقلل من قيمته ، أو نتيجة للخوف من أن الوضع الجديد سيحدث فوضى أو تلاعب . ونحن سبق وأن رأينا تقليد الإدارة عندنا المتمثل في الخوف من المسؤولية والتجديد . وأحياناً تكون المقاومة ناتجة من عدم المرونة العقلية التي تدرك الأمور على أنها ساكنة وليست متحركة . ولا شك أن بساطة هذا التحليل والعرض قد ساهم في التشكيك فيه ، فقد تعلمنا تعقيد كل أمر بما في ذلك البديلات الاصلاحية التي إن لم تكن مصحوبة بالعديد من الاصطلاحات الفنية الرنانة والمعادلات الرياضية فإنها تبدو لنا رديئة . ثم هنالك الخوف من الأخطاء في التنفيذ ، **ويندر أن يوجد برنامج اصلاحي لا تصحبه أخطاء ، فهذه تعطي المقاومين فرصة للتشكيك بالبرنامج وتقليل الثقة به .**

* مقارنة الوضع الجديد بالوضع القديم

لعل القارىء الآن قد أدرك ما كنت أقصد بالمنهجة المنتظمة والمبسطة . فهو يلاحظ الآن أن لكل معاملة منهج معين ومحدد ، وأن تبويب المعلومات أصبح منهجاً أيضاً بحيث يتم بصورة منتظمة ومبرمجة . فهو يتم في وقته دون حاجة إلى تذكير أو الحاح لأن خطوات اتمام اجراءات المعاملة تفرضه ، فالقرار مثلاً ، لا يودع الملف إلا بعد التعلم عليه بأنه أشر في سجل الاجازات وكل السجلات العاملة .

ويلاحظ المرونة التي يتيحها هذا الوضع ، فبالإمكان زيادة الإنتاج بسرعة كما أن في

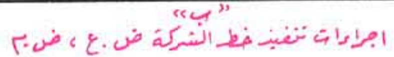
الإمكان تغيير نظام سير المعاملة كلياً أو جزئياً دون إحداث ارباك يذكر . والآن أصبح من الممكن النظر إلى عمل المختص بالاجازات بوضوح سواء في إطاره المفرد أو في الإطار العام للإدارة .

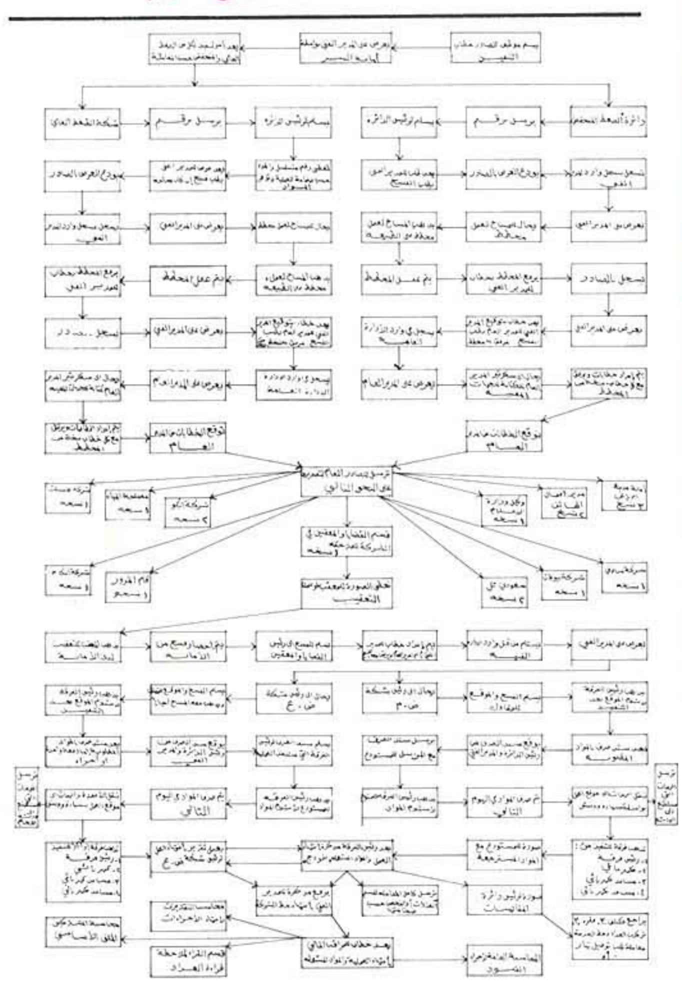
ونعود الآن لننظر على ضوء هذا المفهوم إلى الفرق بين إدارات الأنظمة وإدارات الأفراد . إن تاريخ أداء الإدارة التي يدور بحثنا حولها يوضح أن كفايتها وفعاليتها لم تكونا ثابتتين ، فقد زادت ونقصت وفقاً للمديرين الذين مروا عليها . فمن هؤلاء المديرين من كان نشيطاً وله شخصية مؤثرة على موظفيه دفعتهم للعمل والحماس ، وبذلك استطاعت الإدارة أن تحسن أداءها ، ولكن بمجرد غيابه تعود الأمور إلى أسوأ مما كانت عليه قبله ، وذلك لأنه ذو شخصية مسيطرة سلبت الموظفين مقداراً كبيراً من المقدرة على التصرف . وإذا نظرت إلى مثل هذا وجدته غارقاً طول يومه في هذا العمل الورقي الهائل وفوق رأسه طابور من المراجعين ، ويحث موظفيه على إنهاء هذه المعاملة وتلك ، وليس لديه وقت لغير ذلك .

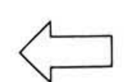
أما المدير في الوضع الجديد ، فإنه قد تفرغ للأعمال المهمة في إدارته مثل معالجة الأمور الغير روتينية وإيجاد حلول لها ، ووضع خطط لتدريب موظفي إدارته وبرنامج لتدرجهم وتقدمهم ، وتأهيل من سيحل محل من سينفك منهم ، ودراسة طرق رفع الأداء وتحسين الأساليب وزيادة الفعالية ، دراسة مخططات الدولة والوزارة والتنبؤ بحجم العمل لديه على المدى المتوسط والطويل والتخطيط لمواجهته . الاستعداد للضغوط الموسمية في إدارته ، دراسة التطورات في مجال عمله ومحاولة الاستفادة منها . وجود الوقت الكافي لديه للاجتماع برؤساء الأقسام لديه والاطلاع على مشاكلهم ومساعدتهم على حلها والتنسيق فيما بينهم ، وكذلك موظفيه والمسؤولين في الوزارة ، ومراقبة الأداء في إدارته ، وأخيراً فإن مثل هذا المدير لديه فرص للترفيع وحضور الندوات والمؤتمرات والتدريب أكثر من المدير في الوضع القديم لأنه لم يجعل من نفسه شخصية لا يمكن الاستغناء عنها .

وبعد فقد استعملت معاملة الاجازة هنا كمثال ، وما قيل عنها ينطبق على غيرها ، مثل معاملات التعيين والترفيع وتوصيل التيار الكهربائي والماء والهاتف واجراءات رخص القيادة ومعاملات تسجيل الصكوك وصرف الاعانات والمنح وتقييم دراسات جدوى المشاريع .. الخ . وإذا كان لدى القارىء أي شك فلينظر إلى خارطة سير معاملة توصيل التيار الكهربائي المرفقة ، والتي آمل أن تكون قد تغيرت ، ويتفكر في مجال التحسين الكبير الممكن ادخاله عليها .

«أ»
معاملة طلب توصيل تيار







الدليل الإداري

الاجازات :

هنالك ثمانية أنواع من الاجازات (حالة افتراضية لا تنطبق على أية جهة ومستعملة كمثال فقط) .

هي : **الاجازة السنوية ، الاجازة المرضية ، الاجازة الاضطرارية ، واجازة الأعياد ، والاجازة الدراسية ، واجازة الامتحان ، واجازة الحج ، والاجازة الخاصة .**

١ ـ الاجازة السنوية :

أ) كيفية احتسابها : يستحق الموظف بموجب المادة (٣٧) ، من النظام اجازة سنوية قدرها ثلاثون يوماً بأجر كامل يدفع مقدماً عند قيامه بها ويحسب وفق آخر أجر تقاضاه ، ويشتمل على جميع البدلات التي يتقاضاها بصورة مستمرة مثل ، **بدل السكن وبدل النقل** ، وذلك بعد خدمة أحد عشر شهراً متواصلة . ويستبعد من خدمة الأحد عشر شهراً تلك أيام الغياب بدون إذن وفترات التدريب التي تزيد على ثلاثة أشهر والابتعاث ، وذلك وفقاً للمواد (٤٤ـ٤٥) ، من النظام .

ب) أجراءاتها :

١ ـ يقوم الموظف بتعبئة الجزء الأول من نموذج طلب الاجازة الذي يوجد في جميع الإدارات ويمكن طلبه من إدارة الموظفين إذا تعذر الحصول عليه . ويكون ذلك من أربع نسخ .

٢ ـ يقدمه إلى رئيسه الذي يراجعه ويوافق عليه وتعتبر موافقة الرئيس اقراراً بتأمين عمل الموظف وتنسيق وتوقيت اجازات موظفيه .

٣ ـ يرسل إلى قسم الملفات بإدارة الموظفين التي تقوم بتعبئة الجزء الثالث من واقع ملف الموظف ، وتوقيعه من صاحب الصلاحية ، ومن ثم توزيع النسخ كالآتي :

أ) الأصلية لملف الموظف .

ب) الثانية للإدارة المالية ليتم صرف راتبه بموجبها .

جـ) . . . .

د) . . . .

٤ ـ تؤشر في ملف الموظف وفي بطاقته وتحسم الأيام من رصيد اجازاته ثم تودع ملفه . ويجب التأكد من ذلك قبل إيداعها الملف .

٥ ـ عند عودته من الاجازة ....

طلب اجازة

الاسم . . . . الوظيفة ....

المرتبة . . . . الإدارة ....

تاريخ ابتداء الاجازة ....

عدد الأيام . . . . نوع الاجازة ....

توقيع الموظف . . . . التاريخ : / /

موافقة الرئيس : نوافق على منحه الاجازة المذكورة

ملاحظات : ....

....

التوقيع : . . . . التاريخ : / /

لاستعمال إدارة الموظفين فقط :

رصيد الاجازات الحالي : ....

عدد أيام الاجازة الموافق عليها : ....

تاريخ بدء الاجازة : ....

تاريخ العودة للعمل : ....

ملاحظات : ....

أعدها ودققها : . . . . الاسم : ....

وافق عليها : . . . . . . الاسم : . . . . الوظيفة . . . .

***

الطريق إلى الله

إعداد: عايض الردادي

● **الزمان** : يوم ١٦ شعبان ١٣٩٧ هـ، الموافق ٢ أغسطس (آب) ١٩٧٧ م.

● **المكان** : اتحاد الطلبة المسلمين في أميريكا، وكندا.. وبالتحديد ولاية «**انديانا بولس**» حيث يوجد المركز الرئيسي لهذا الاتحاد.

● **الموضوع** : لقاء مع واحد من آلاف الذين عرفوا الطريق إلى الله، فأسلموا عن قناعة وإيمان بعظمة وعدالة وسلامة رسالة الإسلام السمحة.

● **الاسم** : بشير أبو بكر.

● **القضية** : حوار عن كيفية إسلامه.

الحوار

● متى دخلت في الإسلام؟

★ **أسلمت منذ أربع سنوات في الولايات المتحدة في ولاية نيويورك.**

● ما الدوافع أو الأسباب التي جعلتك تدخل في دين الإسلام؟

★ **هناك جمعيات ومنظمات كثيرة في أميريكا تتقاتل فيما بينها بعضها شيوعي، وبعضها وطني، وكنت أعمل بها وأتنقل من منظمة إلى أخرى، وفي أثناء ذلك أطلعني أخي - وكان مسلما - على الاسلام وأهداني كتبا تشرح تعاليم الاسلام، وبسببها أصبحت مسلما.**

● ما هي الكتب التي أعطاها لك أخوك؟

★ **قرأت كتابا اسمه «التعاليم الأساسية للاسلام» ولا أذكر مصنفه، وكتابا حول الصيام أعتقد أنه من تأليف الامام الغزالي، تدربت على الوضوء والصلاة مدة سنة قبل أن أدخل في الاسلام وبعد قراءتي هذه الكتب وبعد ما اقتنعت من مبادىء الاسلام من خلال التدريب، وتعرفت عليها دخلت في الاسلام واهتديت إلى هدى الله.**

● هل سبقك أخوك إلى الإسلام بفترة طويلة؟

★ **أخي أسلم قبلي بثلاث سنوات، وفي ذلك الوقت كنت أعمل في الحركات السياسية، وكان بيني وبين أخي مكاتبات طويلة حول الاسلام، يريد من خلالها أن يقنعني أن أترك الحركات التي لا فائدة فيها وأن أدخل في الاسلام، وبعد قناعتي أسلمت وأسلم أولادي، أما زوجتي فقد سبقتني للاسلام.**

● هل عشت صراعاً نفسياً مع المذاهب الأخرى قبل الإسلام، وتنقلت من مذهب إلى آخر؟

★ **كنت أعيش بين مسلمين في نيويورك ولم يكونوا يأكلون لحم الخنزير، وهم نظيفو المنظر والمظهر، وكنت قد قرأت كتابا حول النظافة أعتقد أنه من تأليف الامام الغزالي، كل ذلك أثر في نفسي، وتحققت أن الحركات السياسية ليس لها أساس قوي ومتين من العقيدة والأخلاق، وعندما عشت بين المسلمين وقفت على أهمية النظافة، وقيمة الحياة. هذه الأشياء مجتمعة أوجدت في نفسي القناعة الكاملة بقبول الاسلام.**

● زوجتك أسلمت قبلك - كما ذكرت - هل إسلامها بتأثير من أخيك المسلم أو بتوافر أسباب أخرى؟

★ **زوجتي كانت تشارك في الجماعات الاسلامية ثم تحولت منها إلى جماعة المسلمين السود في أميريكا ولكنها لم تصبح عضوا منهم وإنما تعرفت فقط على تعاليمهم، وفي تلك الفترة التقى أخي بها وأخبرها أن جماعة المسلمين السود ليسوا على الاسلام الصحيح، وكنت إذ ذاك أتدرب على أداء الصلاة قبل إسلامي كما قلت سابقا، فلفتت تدريباتي نظرها إلى الاسلام وكانت لدي الرغبة الأكيدة في الدخول فيه، وأخيرا أسلمت.**

● وهل دفعك إسلامها إلى أن تدخل في الإسلام؟

★ **بطبيعة الحال كانت لي علاقة معها قبل أن تسلم، ولكن عندما أسلمت عرفت أنه ما ينبغي لي أن أعاشرها لأنها أصبحت ذات شخصية مسلمة ولم أكن أسلمت حينذاك.**

بعد زمن صرت مسلما وجئت من «نيويورك» إلى «انديانا بولس» وتزوجتها على الطريقة الاسلامية وعقدت عقدا شرعيا في مسجد «ياسين».

● ذكرت أن من دوافع دخولك في الإسلام النظافة في الإسلام وخاصة تحريم أكل لحم الخنزير، ترى أهناك جوانب أخرى مشرقة دفعتك للدخول في الإسلام؟

★ **دوافع عدة دفعتني للاسلام منها النظافة كما ذكرت، ومنها عدم اقتناعي بأسس الحركات السياسية التي أجهدت نفسي فيها، ودفعني ذلك للبحث عن طريق آخر للسعادة في الحياة، وكلما قرأت شيئا عن الاسلام صرت أشعر أن هذا هو الطريق الصحيح، وكلما قرأت أكثر جذبني إليه أكثر.**

تكوين .. ونمو البلورات

بقلم : د. أحمد عبد القادر المهندس

مقدمة

عالم البلورات هو عالم الجمال والدقة والروعة المتناهية ، إن هذا العالم السحري ليدل بكل وضوح وجلاء على قدرة الخالق العظيم جلت قدرته على خلق الجمال والاكتمال حتى في الجماد . ومهما يكن فإن كمال الشكل البلوري يعتبر من الأشياء التي تثير اعجابنا . ويزداد اعجابنا قوة عندما نراقب فعلياً كيف تنمو البلورات . والواقع أن نمو البلورة يتطلب ملايين من الجزيئات تخرج من المحلول وترتب نفسها في نموذج منتظم ودقيق ، بحيث ينعكس هذا الترتيب الداخلي في شكل بلوري مميز .

إن الدارس للمعادن المختلفة ليصطدم في بداية دراسته بعدد كبير من الأشكال البلورية ، الأمر الذي قد يصرفه عن متابعة الشغف والاهتمام بعالم البلورات ، ودنيا المعادن الواسعة ، ولذلك فإن التعمق قليلاً في أسرار المادة الصلبة وكيفية تشكلها يعطيه القدرة على معرفة أشكالها وكيفية تكوينها .

إنك تستطيع أن تحصل على بلورات حقيقية وجيدة النمو وذلك بأن تقوم بعمل الظروف المناسبة لذلك . إن البلورات التي تقوم باصطناعها في المعمل لا تعتبر معادن ، ذلك لأن هناك فرقاً بين البلورة والمعدن من حيث التعريف ، **فالبلورة عبارة عن جسم صلب متجانس في تركيبه الكيميائي تحده أسطح مستوية طبيعية بينها علاقات تماثل محددة . أما المعدن فهو عبارة عن مادة متجانسة ذات تركيب كيميائي ثابت في حدود معينة ، وله بناء بلوري مميز ، ولا تتشكل بواسطة العوامل البيولوجية ، مثل الحيوان والنبات ، كما أنه لا دخل للإنسان في عملية تشكلها .**

إن الحصول على بلورات حقيقية يعطيك مثلاً حياً لدراسة علم البلورات ، ويستخدم العلماء عديداً من التكنيكات الناجحة لتنمية واصطناع البلورات ، ولعل أبسط هذه التكنيكات ، هو الذي يعنى بتنمية وتكوين بلورات الأملاح القابلة للذوبان في الماء ، وذلك بترسبها من المحاليل .

العوامل المؤثرة على تكوين البلورات

إن مراقبة تكوّن البلورات من الأنوية الدقيقة خليق بأن يعطي المرء رؤية داخلية لأسس تكوّن البلورات ، كما يعطيه القدرة على إدراك التنوع الكبير في خواص تلك البلورات التي تختلف أشكالها بتنوع المواد المكونة لها . وتؤثر بعض العوامل في تخليق البلورات وبعض هذه العوامل تكون مميزة للملح ولا يمكن التحكم فيها ، بيد أنه يمكن التحكم ببعض العوامل الأخرى .

إن العوامل التي يتحكم فيها الباحث في عملية نمو وتكوين البلورات تتلخص في الآتي :

١ ـ درجة حرارة المحلول .

٢ ـ التغير في حرارة المحلول .

٣ ـ معدل التبخر للمحلول .

٤ ـ دقائق الأتربة في المحلول .

٥ ـ الشوائب الذائبة في المحلول .

٦ ـ شكل الإناء الذي يحتوي المحلول .

أما العوامل التي يمكن التحكم فيها فهي :

٧ ـ ذوبانية الملح .

٨ ـ درجة ميل الملح لفوق التشبع .

٩ ـ قدرة الملح المتبلور .

فإذا أراد الباحث تكوين وتنمية بعض البلورات ، فإنه يجب أن يضبط الظروف التي ينبغي أن تكون مناسبة للنمو ، وهناك كثير من المواد غير العضوية التي يمكن أن تتبلور بسهولة مثل **كبريتات النحاس** Copper Snlphete, ($CuSO_4 . 5H_2O$) **الشب البوتاسي ،** Potassium alum ($KAl(SO_4)_2 . 12H_2O$) **حديد سيانيد البوتاسيوم** Pot. Ferrocyanide ($K_4Fe(CN)_6 . 3H_2O$) **وحديد سينانيد البوتاسيوم** Pot. Ferricyanide $K_3Fe(CN)_6$ **. وكلوريد الباريوم** Baruim Chloride , ($BaCl_2 . 2H_2O$) ويعرض **الشكال رقم (١)** ، البلورات المميزة للمركبات المذكورة أعلاه . إن كبريتات النحاس تتبلور في نظام ثلاثي الميل وتبدو ذات لون أزرق آزوري عميق ، أما الشب البوتاسي فهو يتبلور في فصيلة المكعب وتبدو أشكاله متبلورة في ثماني الأوجه مع بعض التجمعات البلورية ، والشب البوتاسي عديم اللون .

أما حديد و حديدي سينانيد البوتاسيوم ، فإنهما يتبلورا في فصيلة أحادي الميل ، ويبدو حديد و سيانيد البوتاسيوم في لون أصفر ليموني ، بينما يكون حديد سيانيد البوتاسيوم ذا لون أحمر ياقوتي ، ويتبلور كلوريد الباريوم في فصيلة أحادي الميل ولا لون له .

إن جميع الأملاح المذكورة تتميز بأنها ذوابة في الماء ، ولكن من الصعب أن تصل محاليلها إلى **حالة فوق التشبع** Supersaturation ، لذلك فإنها تتبلور بسرعة مكونة بلورات كبيرة نامية بدون أدنى صعوبة .

نمو وتكوين البلورات في المعمل

هناك في الحقيقة ، طريقتان يمكن أن نستخدمهما في تنمية وتكوين البلورات في المعمل كما يلي :

● الطريقة الأولى : يمكن أن تنمو البلورات في أسفل الإناء ذي القاع المسطح ، وهذا يعتمد على اتجاه تيارات الحمل حول البلورة ، ويمكن أن نوضح هذا بما يلي :

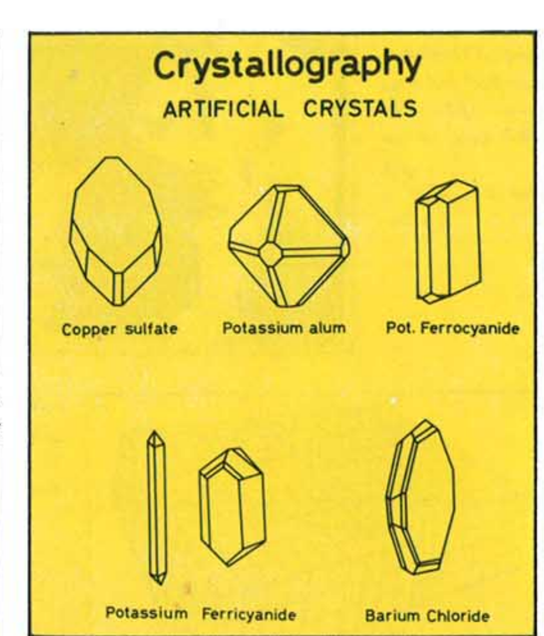
١ ـ إن المحلول الملاصق للهواء يفقد الماء بوساطة التبخر ، حيث يغدو مشبعاً أو فوق مشبع إلى حد ما .

٢ ـ يصبح المحلول أكثر كثافة ، حيث تغوص أجزاؤه الكثيفة إلى قاع الإناء .

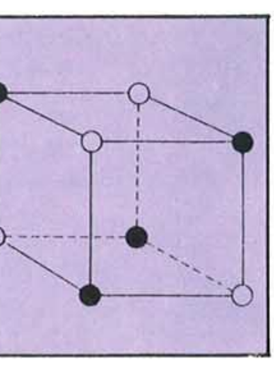
٣ ـ وهنا يفقد المحلول بعض الملح المذاب الذي ينمو إلى بلورات .

٤ ـ عندما يصبح المحلول أقل كثافة ، فإنه يصعد إلى أعلى الإناء مرة أخرى .

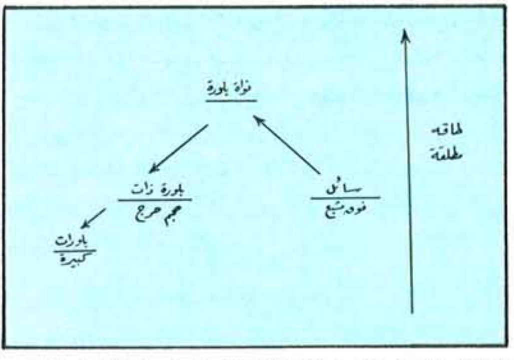
● أما **الطريقة الثانية :** فتعتمد على تعليق البلورات على سلك في وسط المحلول ، وفي هذه الظروف ، فإن دورة التكوين التي ذكرت آنفاً ليس لها كبير مفعول .



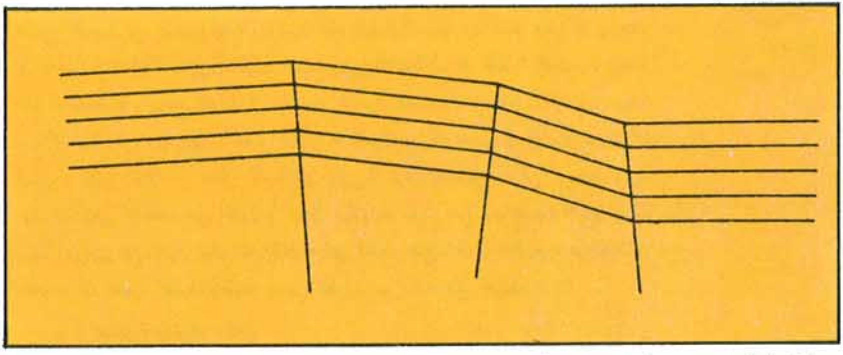
★ شكل (١) ، بلورات اصطناعية تمت في المعمل ، وأسماؤها من اليمين إلى اليسار كالتالي : حديد وسيانيد البوتاسيوم ، الشب البوتاسي ، كبريتات النحاس ، كلوريد الباريوم ، وحديدي سيانيد البوتاسيوم ★



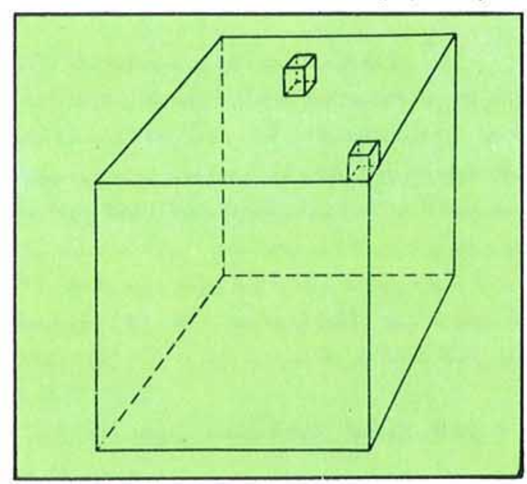
★ شكل (٢) ، عبارة عن وحدة مفردة لتركيب كلوريد الصوديوم (ملح الطعام) ★



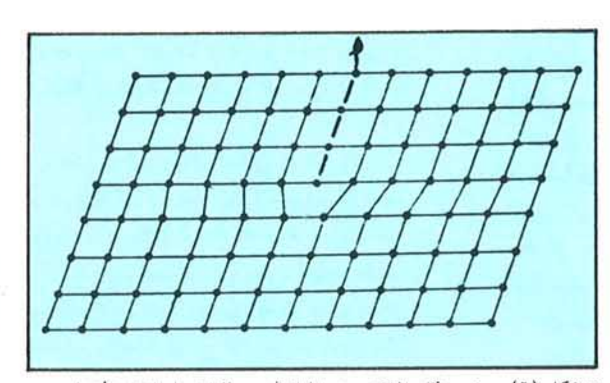
★ شكل (٣) ، العلاقات بين الطاقة المطلقة لمحلول فوق مشبع ونواة البلورة وبلورة صغيرة بالإضافة إلى البلورات الكبيرة ★



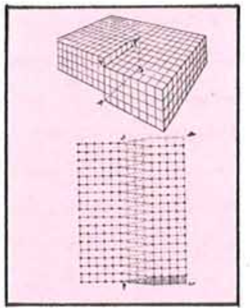
★ شكل (٥) ، عبارة عن سطح بلورة يوضح الكتل الغير موجهة ★



★ شكل (٤) ، كتل مضافة إلى بلورة كلوريد الصوديوم ، وجميع هذه الكتل غير ثابتة ★



★ شكل (٦) ، يوضح «تخلع الحافة» يوجد خط إضافي من الذرات على امتداد «أ» ★



★ شكل (٧) ، أ) بلورة يظهر فيها «التخلع اللولبي» على طول الخط أ د . ب) ترتيب الذرات في المستوى أ ب جـ د . إن الدوائر والنقاط تمثل الذرات على جانبي مستوى التخلع ★

ولذلك فإن المحلول يجب أن يحرك بلطف مع الاستمرار في عملية التحريك ، ومع أن هذه الطريقة تعطي بعض البلورات النامية ، إلا أن الطريقة الأولى أكثر ملائمة حيث تعطي نتائج طيبة دائماً .

الطريقة العامة لتكوين البلورات

إن الطريقة العامة لاصطناع وتكوين بلورات كبيرة يمكن أن تتلخص في الخطوات التالية :

أ ـ تحضير المحلول :

ينبغي أن يكون المحلول مشبعاً قبل أن يعطي نتائج طيبة ، وهذا يعني أن نذيب مقداراً كبيراً من الملح ، وهذه الكمية الكبيرة أو القصوى للملح تسمى **(كمية الذوبان أو الذوبانية** Solubility) . وكمية الذوبان عبارة عن كمية معينة مذابة في محلول معين لأي ملح في أي حرارة معطاة ، ولقد أدرجت هذه الكميات القصوى لأعداد كبيرة من المركبات في جداول كيميائية قياسية .

إن ذوبانية الأملاح التي ذكرناها سابقاً يمكن تلخيصها في **الجدول رقم (١)** ، التالي ونلاحظ أن الذوبانية تزداد مع ارتفاع درجة الحرارة :



جدول رقم (١)
الذوبانية أو كمية الذوبان

الملح أو المركب الكيميائي	الذوبان في الماء (جرام/ليتر)	
	٢٠° م	١٠٠° م
كبريتات النحاس	٣١٨	١١٥٨
الشب البوتاسي	١٠٨	١٠٥٠
حديد و سيانيد البوتاسيوم	٣٢٢	٩٤٠
حديدي سيانيد البوتاسيوم	٤٤٢	٧٧٥
كلوريد الباريسوم	٤١٩	٦٨٧

إن أسهل طريقة لكي نتأكد من أن المحلول قد تشبع عند درجة حرارة الغرفة (بين درجة ٢٠° و٢٥° م)، هو أن نذيب مقداراً من الملح في ليتر من الماء الحار، ثم نضيف مقداراً زائداً حوالي ٢٥ ٪ من الملح، ثم نعطي للمحلول الحار فرصة التبرد خلال الليل، وفي اليوم التالي، سنلاحظ أن المقدار الزائد من الملح سوف يقذف خارج المحلول على هيئة بلورات صغيرة، كما أن المحلول الصافي فوق الراسب سوف يكون مشبعاً. إن هذا المحلول يمكن اعتباره الدعامة الأساسية لتكوين البلورات، والذي ينبغي أن يكون دائماً في حالة تشبع بزيادة طفيفة من الملح.

ب ـ إعداد حمام لعملية التبلور :

إن إعداد حمام لعملية التبلور يتطلب أن يكون الإناء الذي يوضع فيه المحلول واسعاً وذو قاع مسطح، وينبغي أن يُدهن السطح الداخلي للإناء بطبقة رقيقة من الفازلين إلى مستوى السائل الذي يوضع في الإناء. إن الطبقة الرقيقة من الفازلين، سوف تمنع تكوّن القشرة المتبلورة على جوانب الإناء، وبدون هذه الوقاية البسيطة فإن الملح يمكن أن يزحف إلى داخل الإناء في الأسفل والأعلى، مسبباً بعض الاضطراب في عملية التبلور. وبعد هذه الاحتياطات، يوضع المحلول في الإناء إلى مستوى الفازلين، (وعادة يصل إلى نصف أو ثلاثة أرباع الإناء)، ومن الأفضل أن يُرشح المحلول قبل أن يصب في الإناء حيث أن البلورات تتكون حالا على دقائق الأتربة التي يمكن أن تزال بالترشيح، ومن ثم فإن أنوية البلورات يمكن أن تطفو على المحلول، كما أن البلورات سوف تنمو بينما يتبخر المحلول رويداً رويداً، ولكي نمنع تكوّن البلورات المقذوفة التي تحدث بسبب فوق التشبع، فإنه من المناسب أن نخفف المحلول بإضافة بعض قطرات من الماء قبل تحريكه.

جـ ـ العناية بالحمام المائي :

ينبغي أن يبقى الحمام المائي في درجة حرارة ثابتة تقريباً، وذلك بسبب الزيادة في ذوبانية الأملاح على ارتفاع درجة الحرارة، وأيسر طريقة لذلك، هي بقاء الحمام في درجة حرارة الغرفة بقدر الإمكان، وبما أن الإناء يستجيب ببطء للتغيرات في الطقس، لذا ينبغي أن يكون الحمام المائي في وضع مناسب للاستجابة إلى التحكم فيه بإضافة تغير بطيء في الحرارة بدون تأثير ضار على البلورات.

إن تأثير التغيرات البطيئة في الحرارة يمكن أن يُرى خلال المناطق الرائقة والمغبشة للمحلول، ولكن إذا كانت هذه التغيرات عنيفة إلى حد ما فإن البلورات لن تنمو إطلاقاً، ونلاحظ أن المحلول الدافىء يرتفع إلى أعلى الإناء حاملاً الأجزاء المذابة من البلورات. وبعد التأكد من الظروف الحرارية الجيدة يجب أن يكون معدل التبخر مناسباً بحيث لا تنمو البلورات سريعاً، وتصبح ذات شكل مشوه. ويمكن التحكم بمعدل التبخر بتغطية الإناء بزجاجة ساعة رقيقة أو بإناء كبير بالإضافة إلى فتح الإناء من آن لآخر، حتى يصل المحلول إلى الظروف القصوى لتكوّن البلورات.

د ـ العناية بالبلورات النامية :

إن الحمام الذي يحتوي على المحلول سوف يعطي بعد فترة قصيرة من الزمن عديداً من بذور البلورات.

ويمكن أن نختار بذرتين أو ثلاث بذور تبدو أكثر نمواً من الأخريات وتزال بقية البذور الأخرى بوساطة ملقط مصنوع من مادة الكروم مثلاً. فإذا كان معدل التبخر بطيئاً لدرجة كافية فإن هذه البذور سوف تستمر في نموها بدون تكوين أي بذور جديدة.

وعندما تنمو البلورة فإن بعض البلورات الصغيرة سوف تتعلق بها، وتزال هذه البلورات الصغيرة بسهولة، أما البلورة الكبيرة فسوف تنمو بسرعة.

إن عملية نمو البلورات تتراوح بين أسابيع قليلة إلى عدة أشهر، فبلورة كبريتات النحاس التي تزن حوالي نصف كيلو جرام، والتي تنمو بهذه الطريقة تحتاج إلى خمسة أشهر تقريباً.

ميكانيكية التبلور :

إن التبلور يمكن أن يحدث بالعمليات التالية :

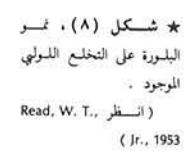
١) بخار صلب، بواسطة التكثف.

٢) سائل صلب، بواسطة الترسب.

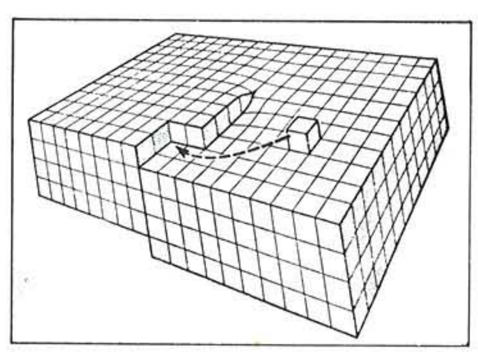
٣) سائل مهلي أو صهير، صلب، بواسطة التجمد.



★ شكل (٩)، نموذج يوضح أنماط النمو في بلورة كربيد السيليكون، ويحدث هذا النمو بواسطة التخلع اللولبي. (انظر Read, W. T., Jr., 1953)



★ شكل (٨)، نمو البلورة على التخلع اللولبي الموجود. (انظر Read, W. T., Jr., 1953)



٤) مادة صلبة أ، مادة صلبة ب، بواسطة التبدل للحالة الصلبة.

وكل هذه العمليات تشترك في أن التبلور لكي يتم فإن البلورات الناتجة يجب أن يكون لها طاقة مطلقة منخفضة عند بداية التفاعل للنظام. فمثلاً في **العملية رقم (١)**، نجد أن ضغط البخار للنظام يجب أن يزيد عن ضغط البخار للبلورة الناتجة، **وفي العملية رقم (٢)**، نجد أن تركيز الأنواع المذابة في المحلول التي تكوّن البلورة، لا بد أن تزيد عن تركيز هذه الأنواع التي تكونت منها البلورة، عندما تذاب مرة أخرى في سائل، وفي **العملية رقم (٣)**، نجد أن حرارة المصهور يجب أن تكون أقل من درجة الإذابة للبلورة، وفي **العملية رقم (٤)**، نجد أن المادة الصلبة (ب)، يجب أن يكون لها طاقة أقل من المادة الصلبة (أ)، ومن ثم يكون لها ذوبانية أقل في المذيب المعطى ولها أيضاً ضغط بخاري أقل.

إن عملية تكوين طور بلوري يتضمن خطوتين أساسيتين كالتالي :

أ) تكوين نواة جديدة.

ب) أن تنمو هذه النواة لكي تشكل جسماً صغيراً ذا حجم يمكن قياسه.

ويمكن أن نشرح مرحلتي تكوين الطور البلوري كالتالي :

١) التنوى أو عمل الأنوية (Nuctention)

إنه لمن الأشياء المثيرة للاعجاب أن تنمو البلورات من محلول يحتوي على ملايين الجزيئات أو الأيونات. دعنا نتخيل أننا نبخر ببطء محلولا معيناً، سنلاحظ أخيراً بأن المحلول سيصبح **«فوق مشبع»**، وسيظهر بعد ذلك الطور الصلب، وفي البداية عندما تبدأ المادة الصلبة في التكون، فإن الجزيئات أو الأيونات تكوّن النواة التي سوف تنمو لكي تكوّن البلورة. إن هذه النواة البدائية الصغيرة جداً يجب أن تكون غير ثابتة إلى حد كبير، وذلك لأنها تحتوي على طاقة سطحية كبيرة جداً. تخيّل مثلاً، وحدة مفردة من تركيب كلوريد الصوديوم **(أنظر الشكل رقم٢)**، وسنجد في هذه الحالة بأن نصف قوى التكافؤ يمكن تحقيقها، وسنجد أن لهذه البلورة الصغيرة طاقة مطلقة كبيرة جداً، ومن ثم ذوبانية كبيرة، مثل هذه النواة الصغيرة تميل إلى الذوبان باستثناء أنها تستطيع أن تنمو سريعاً، لكي تحقق حجماً معيناً بحيث تكون فيه الطاقة السطحية صغيرة بالنسبة إلى الطاقة الكلية للبلورة.

عندما تصل النواة المتكونة إلى الحجم الذي تكون فيه طاقتها الحرة مساوية لطاقة المادة الأولية، فإنها تكون قد وصلت إلى ما يعرف بالحجم الحرج، ومن ثم فإنها تستطيع أن

تقاوم الظروف لكي تنمو . إن علاقات الطاقة لمختلف حالات المحاليل المتبلورة يمكن تلخيصها في **الشكل رقم (٣)** .

إنه من الممكن أن نبين نظرياً أن حجم النواة الحرجة عبارة عن معامل لكمية «فوق التشبع» للمحلول ، ومن ثم فإن أنوية البلورات تتكون بأكثر سهولة عندما تزيد درجة «فوق التشبع» للمحلول ، وهذه النظرية يمكن بالتالي أن تنعكس في نوعية المواد المترسبة التي تتكون كالتالي :

١ - إذا كان فوق التشبع للمحلول كبيراً ، فسوف تتكون أعداد كبيرة من الأنوية والناتج يكون عبارة عن مادة غروية .

٢ - وإذا كان فوق التشبع للمحلول متوسطاً ، فسوف تتكون بلورات صغيرة .

٣ - أما إذا كان فوق التشبع صغيراً ، فسوف تتكون بلورات كبيرة ولكنها قليلة العدد .

ولذلك فإن البلورات الكبيرة تنتج إذا كانت درجة فوق التشبع صغيرة أو إذا أضيفت أجنة بلورات إلى محلول فوق مشبع إلى حد ما . إن إنتاج بلورات كبيرة الحجم جداً ، مثل البلورات الموجودة في بعض الصخور والتي تصل في أحجامها إلى الأمتار ، يمكن أن يكون انعكاساً لدرجة فوق التشبع المنخفضة في المحلول .

إن التنوي أو تكوين الأنوية nucleation ، يمكن أيضاً أن يحفز على بعض الأسطح ، مثل جدران الوعاء أو ذرات الغبار الموجودة في النظام . إن السطح الذي يحدث فيه التنوي يحتوي في غالب الأحوال على مسافات بين ذرية مقارنة بالسطح الذي يحتوي على المادة الصلبة المتكونة . والحالة الرائعة للتنوي المحفز يمكن أن يوضح بالتفكك الحراري **لمركب نترات المنجنيز** Manganons nitrate . **إن هذا المركب يتفكك إلى أكاسيد النتروجين وأكسيد المنجنيز** ، وإذا ترسبت هذه النترات على معدن الروتيل وتركيبه الكيميائي (TiO_2) ، قبل التفكك ، سيكون الناتج الصلب عبارة عن أكسيد المنجنيز (MnO_2) ، ولكن إذا ترسبت النترات على معدن الكوراندم وتركيبه الكيميائي (Al_2O_3) ، فإن الناتج سيكون (Mn_2O_3) .

عندما يحدث التبدل التالي : صلب ـــ صلب ، فإن صعوبة التنوي nucleation ، غالباً تحكم معدل التبلور والتبدل لهذه العملية . إن أهمية التنوي لهذا التبدل من صلب إلى صلب . يمكن أن يوضح بالمراحل التي تحدث عند **تبلور السيليكا غير المتبلورة** في درجات الحرارة المنخفضة في وجود الماء . فعند درجات الحرارة أقل من ٨٧٠°م ، فإن الشكل الصلب الثابت للسيليكا هو معدن الكوارتز متعدد الأشكال ، ولكن السيليكا غير المتبلورة تشبه إلى حد ما الكريستوباليت Cristobalite ، في التركيب ومع أن هذا الشكل أقل ثباتاً من معدن الكوارتز ، فإنه يميل إلى أن يتكون أولا ثم ينتقل بعد ذلك إلى الطور الثابت .

وهذه الظاهرة الأخيرة توضح ما يسمى أحياناً بقاعدة استوالد المتدرجة Ostwald's Step rale.

ب) نمو البلورات

بمجرد أن تتكون نواة البلورة ، فإن المرحلة الثانية من تشكل البلورة تتضمن إضافة الطبقات المرتبة لكي تنتج وحدة أكبر ، والواقع أن ميكانيكية وسرعة النمو البلوري قد حظيا بكثير من الأبحاث في السنوات الأخيرة ، ولقد وجد في بعض الحالات ، مثلاً ، أن درجة النمو الملاحظة في المعمل كانت حوالي (10^{1300}) ، عما كان يتوقع قبل التجربة ، وهذا الرقم هائل جداً ، ولقد علق على ذلك **العالم الفيزيائي (كيتل)** Kittel بقوله : **«هذا سجل كوني في كل زمان ، وهو يبين مقدار الاختلاف بين الملاحظة والنظرية»**

إن قليلاً من التأمل يدل على أن مشكلة النمو في البلورات تشبه إلى حد كبير مشكلة التنوي nucleation. . خذ في الاعتبار مثلاً ، وضع وحدة كتلية إلى السطح المستوي لبلورة كلوريد الصوديوم (ملح الطعام) ، كما في **الشكل رقم (٤)** ، إن الأربع ذرات المضافة لكي تكون هذه الكتل فإنها تحتوي على نصف قوة التكافؤ المحققة ، ولذلك فإن الكتل المضافة لها طاقة عالية وهي تحتاج إلى درجة كبيرة من فوق التشبع لكي يحدث الاستقرار . ولكن لوحظ أن النمو يحدث بسرعة عند درجة منخفضة نسبياً من فوق التشبع ، ولذلك فإن نموذج إضافة الكتل ليس صحيحاً .

ولقد استطاع العلماء حل هذه المشكلة جزئياً باكتشاف نوع آخر من النقص أو العيب في البلورات ، وقد أسموه **بالتخلعات** dislocations . ولقد لاحظ العلماء أنه عندما تتفرق الأشعة السينية عند درجات معينة ، فإن سطح البلورة يبدو كالموزايك الذي يحتوي على كتل صغيرة ، وكل كتلة تحتوي على تركيب كامل إلى حد ما ، ونلاحظ أن هذه الكتل غير موجهة بالنسبة إلى بعضها البعض كما يبدو في **الشكل رقم (٥)** .

إن طبيعة هذه التخلعات dislocations ، والطريقة التي تعطي الكتل ذات الشكل الموزايكي ، والذي يحتوي على حدود الحبيبات المائلة يمكن ملاحظتها في **الشكل رقم (٦)** ، وهذا الشكل يبين طبيعة ما يسمى بتخلع الحافة .Edge dislocations ، ويبين **الشكل رقم (٧)** ، ظاهرة التخلع اللولبي والذي يمكن أن يكون غالباً ذا تأثير مسيطر في عملية نمو البلورة .

لنفرض أن هناك بلورة تتكون ، فإن الوحدة المضافة إليها سوف تعطي طاقة سطحية إضافة وصغيرة ، وخاصة إذا كانت الوحدة مضافة قرب نهاية التخلع dislocation ، كما في **الشكل رقم (٨)** ، إن التخلع سوف يميل إلى النمو سريعاً في النهاية عندما تكون قوى التكافؤ محققة إلى درجة كبيرة ، وكلما استمر النمو البلوري ، فإن التخلع اللولبي سوف يستمر ويتخذ شكلاً لولبياً ، حول أصل البلورة .

إن سطح البلورة (**شكل رقم ٩**) ، يبدو شكلاً مقنعاً ، لحقيقة هذا النموذج .

شكل وهيئة البلورة

عندما تنمو البلورات ببطء ، فإن الأوجه المتكونة تبدو عادة بسيطة ومستوية ، وتتضمن هذه الأوجه المستوية أكبر عدد من القوى المكافئة المحققة ، ولكن إذا نمت البلورة في وجود بعض المواد المذابة الإضافية ، فإن هيئة هذه البلورات غالباً تتحور عند مقارنتها بالهيئة التي تنتج بدون وجود هذه المواد المذابة .

إن المواد التي تغير هيئة البلورات غير العضوية هي عبارة عن جزيئات عضوية كبيرة . فمثلاً نجد أن كلوريد الصوديوم (ملح الطعام) ، عندما يتبلور من الماء الخالي من الشوائب ، فإن البلورات الناتجة تكون عبارة عن بلورات مكعبة ذات ستة أوجه ، ولكن إذا أضيف إلى الماء مادة اليوريا (NH_4CONH_2) ، بتركيز مناسب ، فإن بلورات ملح الطعام تكون عبارة عن بلورات ثمانية الأوجه . والتفسير لما يحدث يمكن أن ينتج عن الامتصاص المفضل ، فمثلاً إذا امتص جزيء عضوي على السطح البلوري بسبب المسافات الذرية المختلفة على المستويات البلورية المختلفة ، فإن الجزيء سيمتص بقوة وخصوصاً على الأوجه المفضلة لامتصاصه . وهكذا ، فإن معدل النمو النسبي للأوجه يمكن أن يتحور وينتج هيئة معينة للبلورة .

إن تأثير الشوائب على شكل البلورة يمكن أن يظهر بوضوح على مادة حديدي سيانيد البوتاسيوم ، ففي المحاليل النقية يتبلور الملح على شكل أسطواني يشبه القلم الرصاص ، أما إذا كان المحلول يحتوي على ٥ ٪ من هيدروكسيد البوتاسيوم ، فإن البلورة تنمو نمواً متساوياً حيث تبدو كما في **شكل رقم (١)** .

إن تجريب بعض الأملاح من حيث قابليتها على التبلور قد أظهر تدرجاً واسعاً في قوة التبلور وثبات البلورة ، فمثلاً **كرومات البوتاسيوم** (K_2CrO_4) ، نجد أنها تتبلور عادة في شكل منتظم إلى درجة كبيرة وكذلك في أشكال مشوهة ، أما **نترات الصوديوم** ($NaNO_3$) ، وكلوريد الصوديوم ، حيث يكوّنا بلورات هيكلية مملوءة بالسائل . وتنمو بعض الأملاح مثل ، **كبريتات النيكل** ($NiSO_4.6H_2O$) على شكل بلورات كبيرة ، ولكنها سرعان ما تتحلل ببطء في الهواء (عادة بفقدان ماء التبلر) ، وتصبح البلورات غير شفافة ، ثم تشكل بعد ذلك مسحوقاً غير متبلور .

هوامش

1-Buckley, H. E., 1951. Crystal growth, John Wiley, & Sons, Inc, New York.
2-Fyfe, W. S. 1964. Geochemistry of Solids. MC Graw-Hill Book Co., Inc, New York.
3-Hurlbut, C. S. Jr., 1963. Dana's minerals and how to Study them. 3rd. ed, John Wiley, & Sons, Inc., New York.
4-Kittel. C., 1956. Introduction to Solid State Physics, 2nd. ed., John Wiley & Sons, Inc., New York.
5-Read, W. T., Jr. 1953. Dislocations in Crystals, Mc Graw-Hill Book Company, Inc., New York.
6-Vanhook, A. 1961, Crystallization theary and Practice, A. C. S. Monograph 152, Reinhold Publishing Corporation, New York.

لوحة و فنان

اللون :

★ يسيطر اللون الأخضر الشفاف على الصورة ، لتأكيد ذلك العالم الأخضر الذي صنعه « الفيصل » .. والذي ظل على الدوام ينشره في قلوب أبناء وطنه .. وفي قلب الوطن العربي والإسلامي .

وقد استطاع الفنان أن يبرز الدور الحضاري المتطور الذي قاده الفيصل باصرار ، حيث جعل من اللون الأخضر ، لوناً مزدهراً بالخير والخضرة .. وظل الرجل العظيم في اصراره على غرس أضواء الحضارة في ظلام التخلف على كل مساحة الجزيرة العربية .

★ يلاحظ « خفوت » اللون الأخضر في أجزاء من الصورة ، فالفنان يريد أن يقول : « إن الحزن سيطر على كل الأشياء لوداع ذلك الرجل صاحب القلب الأخضر ، الذي ظل مجاهداً في صمت وصمود إلى أن استطاع الخروج بشعبه ووطنه إلى دائرة الضوء .. والمعرفة والتطلع دائماً إلى مستقبل أفضل .

★ اللون الأزرق ، يمتد على مساحة اللوحة ، ممتزجاً باللون الأخضر ، في « شحوب » ، ذلك اللون الأزرق الذي يرمز إليه الفنان بأنه علامة على الحزن الذي توغل في قلب الوطن والعروبة وانتزع الفرحة والصفاء .. والبهجة عن الأشياء .

خلفية الصورة :

★ أغصان الزيتون ، رمز السلام .. تلك الدعوة المتسامحة التي ظل الفيصل مكرساً حياته لها .. سلام لكل العالم .. سلام بلا استسلام ، من أجل عودة الحقوق المغتصبة للشعب الفلسطيني .. ولكل شعوب الأرض ، ذلك السلام الذي دعا إليه الدين الإسلامي في تسامح ممزوج بالجهاد .

★ إن أغصان الزيتون ، تبدو شاحبة .. حزناً على لحظة الوداع للرجل الشجاع .. وكذلك يرفرف حوله نائحاً ، وقلبه يرتجف لتلك اللحظة التي اعتصرت فيها القلوب من فرط الألم .

★ نلاحظ أيضاً وجود « القدس » بالقرب من قلب الفيصل .. وبجواره القرآن الكريم ، حيث كان هناك اصرار أكيد من الرجل وأقسم .. ووعد ، على عودتها للمسلمين كحق لهم .. حق قد اغتصب ولا بد أن يعود بتكاتف كل العرب وبرفع راية السلم والسيف معاً .

★ وجوه عديدة يظهر في عيونها الشرود .. وشريط الذكريات لكل ما فعله الفيصل من أجل المملكة والوطن العربي كله .

التعبير :

★ نلاحظ في عيني الفيصل ، نظرة الوداع للوطن العربي والإسلامي .. ولشعبه ، نظرة رضاء بأنه قد وفقه الله تعالى في غرس أغصان المحبة في القلوب .. وجلب الحضارة للمملكة . والخروج بها إلى دائرة الضوء ، رافعاً يده في وداع الملايين من المسلمين في أنحاء العالم .

اللوحة :

★ لقد استطاع الفنان السعودي « الرضوي » أن يصف بريشته وألوانه موقف الوداع في بساطة شديدة .. بعيداً عن التعقيد .. أو لغة الرمز الذي يلجأ إليها الفن الحديث .

اللوحة

عبد الحليم رضوي

★ من مواليد مكة المكرمة عام ١٣٥٩ هـ .

★ خريج أكاديمية الفنون في روما - إيطاليا .

★ حصل على عدد من الجوائز العربية والعالمية .. كما فاز بالمرتبة الثالثة في معرض « البينالي الثالث في إسبانيا » .

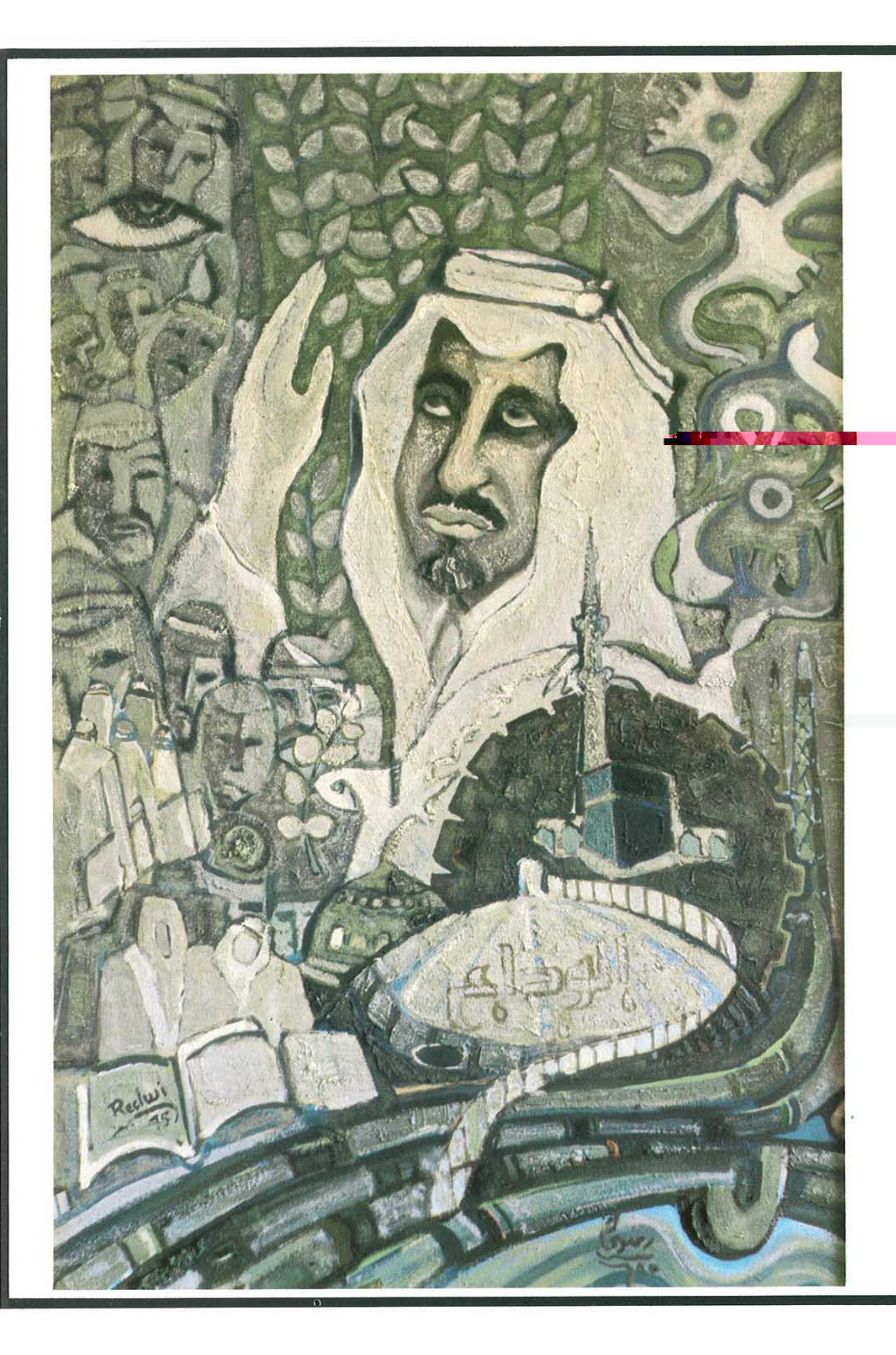
★ اختير عضواً في لجنة التحكيم الدولي في إسبانيا .

★ عمل في التدريس الفني فترة من الزمن ، كما عمل مديراً لمركز الفنون الجميلة في جدة .

★ أقام عدداً من المعارض في روما ، ميلانو ، باريس ، زيورخ ، بون ، كولون ، نوتردام ، بروكسل ، لندن ، مدريد ، ايبسا ، بيروت ، جدة ، الرياض ، الظهران .

★ له ألفا لوحة (٢٠٠٠) زيتية ، ومائية ، منها عدد من اللوحات في المتاحف العالمية .

★ يحضر حالياً للدراسات العليا في الفنون في مدريد - إسبانيا ، وفي نفس الوقت يعمل رئيساً لرابطة الفنانين العرب في إسبانيا ، ورئيساً لجمعية الفنون في مدريد لمنطقة الكركوم ، وعضو شرف في مجلة « جيرال » للفن والفكر ، ومجلة « الكركوم » الثقافية .


Redwi
75



بمناسبة عام الطفل



دور الأم العاملة في تنمية شخصية طفلها

بقلم: د. عبد الرحمن عيسوي

★ ظلت المرأة الأوروبية لسنوات طويلة ، تطالب بحقها في التمتع بالعمل في الوظائف والمهن المختلفة ، حتى أتاح لها المجتمع فرص العمل ، فاقتحمت ولا نقول بنجاح كافة مجالات العمل ، وبذلك تضاعفت الأعباء الملقاة على عاتقها ، حتى أصبحت ينوء بها كاهلها ، وتتململ منه قدراتها الطبيعية التي تعجز عن القيام بالواجبات المتعددة التي ألقيت عليها نتيجة لاصرارها على المطالبة بالمساواة في الوظائف بالرجل . . وأدركت أنها إنما كانت تنادي بالمساواة لا من أجل مصلحة الأسرة والمجتمع بقدر ما كانت الرغبة للمساواة بالرجل في حد ذاتها★

وبعد أن فتحت أبواب العمل أمامها مصاريعها ، بل أصبح العمل خارج المنزل من الواجبات الملقاة عليها ، وأصبحت تجد نفسها ملزمة بالقيام به وفاء لحاجاتها ولحاجات أسرتها . فأصبحت تشعر الآن بالضيق والضجر من مزاولة العمل خارج المنزل إلى جانب أعبائها كزوجة وكأم ، وتطالب بالاعفاء من عبء تلك الأعمال التي ترهقها . **هذا هو حال المرأة الأوروبية اليوم .**

وليس عمل المرأة خطأ في حد ذاته ، بل إنه حق طبيعي يجب أن تتمتع به ، ويفتح لها المجتمع فرص العمل وعليها أن تختار بنفسها ، وإنما الخطر يكمن في تهديد كيان الأسرة **وسلامة الأطفال النفسية والصحية ،** فابتعاد المرأة عن جو المنزل لفترات طويلة وعودتها مرهقة من مجال العمل ، بل إن بعض الأعمال تتطلب من المرأة القيام ببعض الأعباء والواجبات العامة أو المتعلقة بعملها أيضاً . مثل هذا الغياب المفروض فرضاً على المرأة العاملة ، يحرم الأطفال من الرعاية النفسية ومن جو العطف والحب والحنان والدفء المفروض أن تضفيه الأم المثالية الصالحة على أبنائها .

فقد وجد أن أطفال الأمهات العاملات أقل تكيفاً من الناحية النفسية عن أطفال الأمهات ربات البيوت ، وقد دلت البحوث الحقلية أن الطفل الصغير ليس في حاجة إلى اشباع حاجته من مأكل ومشرب وملبس ودفء بصورة آلية ميكانيكية صماء ، وإنما يحتاج في المحل الأول إلى الشعور بالحب والدفء والحنان ، والمشاركة الوجدانية من خلال تقديم اشباع هذه الدوافع . كما وجد أن أطفال الملاجىء والمدارس الداخلية والمؤسسات والمنظمات الاجتماعية ، أقل تكيفاً من أطفال الأمهات ربات البيوت .

وتدل الاحصاءات المحلية على وجود نسبة متزايدة من أبناء الأسر الراقية والتي تعمل الأمهات فيها من مرتكبي السلوك المنحرف والعابث والشاذ ، رغم ارتفاع المستوى المادي للأسرة وللشباب ، فأماكن اللهو والعبث تمتلىء بأبناء مثل هذه الأسر فضلاً عما يظهر من اضطرابات نفسية تصيب شخصية الطفل نتيجة للبقاء بمفرده لفترات تطول بطول غياب الأم في العمل أو في نشاطها الخارجي أو نتيجة للبقاء مع الخدم أو الأقارب أو الجيران .





هذا ولا شك أن اشتغال المرأة طوال اليوم ، وما تتكبده من أعباء في المواصلات تجعلها تعود للبيت مرهقة الجسد والأعصاب ، فتثور لأتفه الأسباب في وجه أطفالها وزوجها ، وتصبح غير قادرة على الوفاء بمطالب الأطفال الصغار .

هذا إذا ما سلمنا بتمتع شخصية الأم بالصحة النفسية والسواء والاتزان النفسي ، ولكن هناك قلة من الأمهات العصبيات بطبعهن ، فيزيد العمل من ثورتهن وعصبيتهن وتوترهن وتهيجهن في وجه أبنائهن .

مثل هذا التوتر ينعكس على نفسية الطفل الصغير ويترك بصماته قوية على شخصيته ، ذلك لأنه في مرحلة هو فيها غض العقل والتفكير مرن كالعجينة الطيعة ، ولأنه أمام الأم الثائرة يقف عاجزاً لا حول له ولا قوة ، فيكبت تلك الانفعالات في نفسه وتظل حبيسة نفسه حتى يكبر ، فتجد متنفساً لها في العدوان على المجتمع ككل ، كما حدث ذلك في حادث اطلاق النار على الأستاذ الجامعي .

مثل هذه الظاهرة الخطيرة أي اهمال الطفولة ينبغي أن نوليها أقصى درجات الاهتمام لتكوين أجيال صاعدة قوية سليمة عقلياً ونفسياً وخلقياً واجتماعياً وروحياً وجسدياً . فالمجتمع القوي السليم يتكون من أفراد أقوياء أصحاء أسوياء .

ويتطلب ذلك التوسع في **إنشاء دور الحضانة** ، التي تتوفر فيها الرعاية الطبية والنفسية والاجتماعية والتربوية للنشء ، ورفع مرتبات الرجال حتى يفي مرتب الرجل وحده لتحمل أعباء الأسرة ، واعفاء الأم من أعباء العمل ، وخلق نظام العمل نصف الوقت المعمول به في أوروبا لاتاحة الفرصة أمام الأمهات لرعاية أطفالهن إلى جانب القيام بجزء من العمل العام .

كما يتطلب علاج مثل هذه الظاهرة إعادة النظر في **قوانين الأحوال الشخصية** ، بحيث لا يودع الطفل في قبضة الأم مهما كانت حالتها النفسية من التوتر والاضطراب ، والأخذ برغبة الطفل وإحساسه ، واشعار الطفل بأنه محبوب مرغوب فيه واشعاره بالسعادة والحب والدفء والحنان ، سواء أكان مصدر هذا الحب وتلك الرعاية الأم أم الأب على حد سواء ، لأن الشخص الذي يعيش مع شخصية معتلة يتقمص هذه الشخصية ويقلدها شعورياً أو لا شعورياً إلى جانب الآثار المدمرة ، التي تتركها معاشرة مثل هذه الشخصيات المضطربة على الكبار أنفسهم فما بالك بالصغار .

ومن مظاهر الاهتمام بالطفولة أيضاً ، إعفاء أطعمتهم وملابسهم ولعبهم وحدائقهم وملاهيهم من الضرائب ، بل واسهام الدولة في نصيب مما يتكلفه الطفل تحقيقاً لرعاية ولرفاهية فلذة أكبادنا ورجال مستقبلنا الباسم .



صحافة الأطفال في المملكة العربية السعودية



بقلم: يعقوب محمد اسحق

عرفت المملكة العربية السعودية صحافة الأطفال أول ما عرفت قبل حوالي عشرين عاما، فهي بذلك لم تتأخر كثيرا عن ركب صحافة الأطفال العربية، إلا أن هذه التجربة الأولى تعثرت بسبب ضعف الامكانيات المادية وعدم التجاوب معها وقلة المؤمنين بدورها وندرة الأدباء يميلون إلى التأليف للأطفال.

وبعد ستة عشر عاماً من تاريخ التجربة الأولى خاضت الصحف اليومية السعودية تجربتين طيبتين على شكل صفحة أسبوعية للأطفال، وتوقفت التجربتان عند صدور مجلة (**حسن**) الأسبوعية للأطفال التي ما زالت توالي صدورها رغم كل الصعوبات.. وإلى جوار مجلة (حسن) مجلتي (**اليمامة**) و(**اقرأ**) الأسبوعيتين تقدمان صفحتين للأطفال ضمن ما تقدمانه لقرائهما.(١)

وهذا البحث استعراض وتحليل لكل التجارب السابقة في صحافة الأطفال في المملكة العربية السعودية والتي ما زالت تشق طريقها.

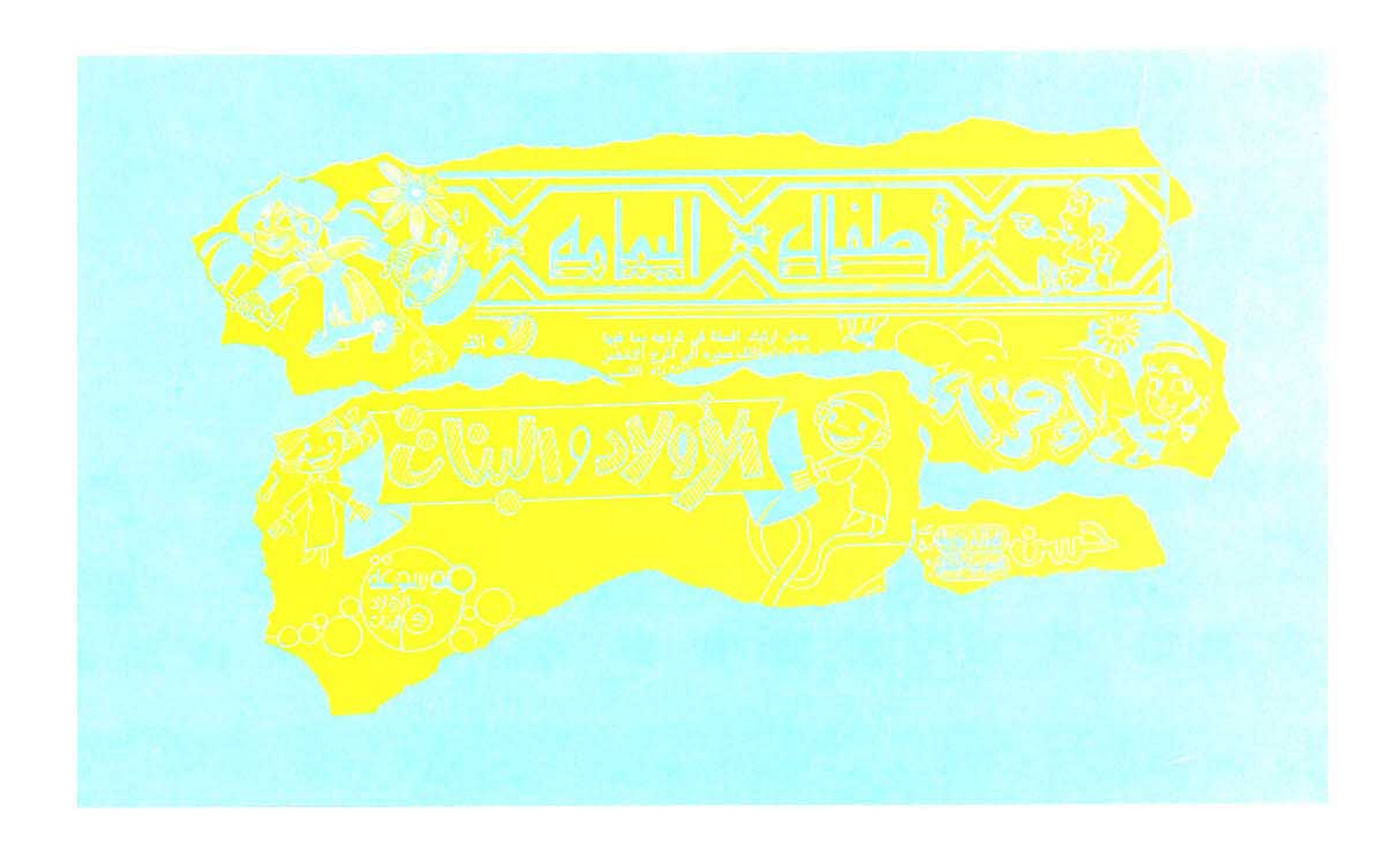
أول مجلة أسبوعية للأطفال

قبل إجراء أي تجربة صحفية تمهد لميلاد صحيفة متخصصة للأطفال ولدت أول مجلة للأطفال في المملكة العربية السعودية باسم (**الروضة**) وكان اشتغال عدد من المواطنين بكتابة وتقديم **برامج للأطفال** في إذاعة جدة هو الذي أوحى للشاعر الأستاذ **طاهر زمخشري** بفكرة إصدار أول مجلة للأطفال، **فكان بذلك رائد صحافة الأطفال في المملكة العربية السعودية.**

في يوم الخميس الموافق ١٤/٣/١٣٧٩هـ، الموافق ١٧/٩/١٩٥٩م، صدر العدد الأول من مجلة (الروضة) لصاحبها ورئيس تحريرها الأستاذ طاهر زمخشري وهي **أول مجلة ثقافية مصورة تصدر للأطفال في المملكة.**

بمطالعة الأعداد التي صدرت منها واحتفظ بها نلاحظ عليها ما يلي:

- ثمنها نصف ريال سعودي.
- تتكون من ١٦ صفحة.
- حجمها ٢٢ × ٣٠ سم.
- صدر منها ٢٧ عدداً فقط خلال سبعة أشهر.
- رئيس تحريرها لم يساهم في تحريرها بعد العدد الخامس منها بعد أن كان منتظماً في كتابة افتتاحية الأعداد الخمسة الأوائل.
- نصف صفحات المجلة مطبوعة بالألوان.
- خمس صفحات منها للاعلانات.
- بها قصة واحدة مصورة بالألوان في كل عدد.
- في كل عدد منها جزءان من قصتين تحريريتين مسلسلتين.
- توقفت عن الصدور أول مرة بعد العدد الثاني عشر الصادر في ٤/٦/١٣٧٩هـ، لمدة ٢٦ يوماً دون إبداء الأسباب.
- توقفت عن الصدور للمرة الثانية بعد العدد الرابع والعشرين الصادر في ٢٠/٩/١٣٧٩هـ، لمدة شهر كامل دون ايضاح السبب أيضاً.



● توقفت عن الصدور للمرة الثالثة بعد العدد الخامس والعشرين الصادر في ١٩ / ١٠ / ١٣٧٩ هـ ، لمدة أسبوعين دون ذكر الأسباب .

● توقفت عن الصدور نهائياً بعد العدد السابع والعشرين الصادر في ١٧ / ١١ / ١٣٧٩ هـ .

وإذا بحثنا عن أسباب توقف هذه التجربة الرائدة لصحافة الأطفال في المملكة العربية السعودية ، نجد أن مقدمات تعثرها تعود إلى الأيام التي تلي صدور العدد الخامس منها حينما لم يعد رئيس التحرير يشارك في تحريرها ، وأعلن عن سفره إلى خارج المملكة في العدد الثاني عشر الصادر في ٤ / ٦ / ١٣٧٩ هـ .

وبعد توقف رئيس تحريرها عن الكتابة وسفره إلى الخارج تحمل مسؤولية اصدارها الأستاذ **عبد الغني قستي** مدير تحرير جريدة (البلاد) حالياً حتى توقفت المجلة عن الصدور للمرة الأولى بعد عددها الثاني عشر لمدة ٢٦ يوماً ، وبعد ذلك تحمل مسؤولية اصدارها الأستاذ **محمد زكي عوض** حتى صدور آخر عدد منها توقفت خلال ذلك مرتين قبل أن تتوقف عن الصدور نهائياً .

كان صاحب هذه المجلة ورئيس تحريرها الأستاذ طاهر زمخشري قد وضع كل ما يملك من حطام الدنيا من أجل اصدارها ، ولما لم يجد الدعم المادي في الوقت المناسب أفلس وأصبح مديناً للمطابع بمبالغ يعجز عن الوفاء بها ، فانهارت أعصابه وسافر إلى الخارج وحاول أصدقاء المجلة وبعض أصدقائه أن يحتضنوها بعد سفره ، وتمكنوا من اصدارها بعد سفره فترة من الزمن ، ولكنهم اضطروا إلى التخلي عنها لتراكم الحقوق المالية للمطبعة على المجلة وعدم تمكنهم من تسديدها بصفتهم الشخصية .

بعد توقف مجلة (الروضة) عن الصدور بستة عشر يوماً أصدرت جريدة (البلاد) التي تصدرها **مؤسسة البلاد للصحافة والنشر** أول صفحة أسبوعية للأطفال باسم : **(عالم الصغار)** في عددها رقم ٤٨٨٦ الصادر في ٦ / ٣ / ١٣٩٥ هـ ، من إعداد ورسوم الفنان **عادل بطراوي** ، واستمرت في الصدور عشرة أشهر تقريباً ، ثم توقفت عن الصدور بعد العدد رقم ٥١٤٥ ، الصادر في ٢٦ / ١ / ١٣٩٦ هـ ، وذلك لانتقال خدمات معد ورسام هذه الصفحة في الجريدة إلى **مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر** تمهيداً لإصدار مجلة (حسن) التي سيأتي الحديث عنها فيا بعد .

وبمطالعة صفحات (عالم الصغار) يمكن تحليلها إلى العناصر الآتية :

● كانت تعتمد في الغالب على شخص واحد في إعدادها ورسمها .



● تنشر أحياناً قصة تحريرية قصيرة وجزءاً من قصة تحريرية مسلسلة في الغالب هي قصة چول ڤيرن : (٨٠ يوماً حول العالم) .

● تنشر في كل مرة حلقة من قصة مصورة مسلسلة بعنوان (مغامرات طارق في البحر الأحمر) .

● تنشر في كل مرة مسابقة بدون جوائز يكتفى فيها بنشر صورة الفائز الأول وأسماء بقية الفائزين .

● تنشر في زاوية منها صور عدد من أصدقاء الصفحة .

● ترد في زاوية أخرى على بريد القراء .

● تضم في معظم الأحيان زاوية للتسالي والألعاب الذهنية .

● وبقية المواد عبارة عن مواد ثقافية متنوعة يعرف مضمونها من عناوينها مثل : (سؤال وجواب) و(هل تعلم ؟) و(دائرة معارف) .

ثاني صفحة للأطفال

في ١٣٩٦/٥/٨ هـ ، أصدرت جريدة عكاظ اليومية التي تصدر عن مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر صفحة أسبوعية للأطفال باسم (حسن) من إعداد ورسوم الفنان عادل بطراوي تحت اشرافه ومشاركته في تحريرها بكتابة قصصها المصورة ، واستمرت في الصدور مدة خمسين أسبوعاً ثم توقفت عن الصدورر في الأسبوع السابق لصدور مجلة (حسن) .

وبمطالعة صفحة (حسن) في جريدة عكاظ نلاحظ عليها الآتي :

● تضم الصفحة افتتاحية توجيهية للأطفال .

● أنها تضم الزواية والمواد التالية :

ا ـ قصة كاملة مرسومة .

ب ـ زاويتين لمواد ثقافية بعنوان : (دائرة معارف صغيرة) و(ابحث عن الاجابة) .

جـ ـ زاوية للتسلية وتنشيط ذهن الطفل بعنوان : (للأذكياء فقط) .

د ـ زاوية لمسابقة ثقافية وجائزة .

هـ ـ زاوية لصور الأصدقاء .

و ـ زاوية لبريد القراء .

ز ـ كاريكاتيراً أسبوعياً .

ثاني مجلة للأطفال

بعد ١٨ عاماً من توقف مجلة (الروضة) عن الصدور أصدرت مؤسسة عكاظة للصحافة والنشر مجلة **(حسن)** ، وهي **مجلة أسبوعية صدر العدد الأول منها يوم الأربعاء ١٣٩٧/٥/٢ هـ ، الموافق ١٩٧٧/٤/٢٠ م .**

وبمطالعة الأعداد التي صدرت حتى الآن من مجلة (حسن) نلاحظ عليها الملامح الأساسية الآتية :

● تخاطب الأطفال من سن السادسة حتى الخامسة عشرة .

● حجمها ٢٠ × ٢٨ سم .

● تتكون من ٣٢ صفحة كانت كلها ملونة حتى نهاية السنة الأولى من عمرها ثم جرى تخفيض الألوان إلى لونين في ثماني صفحات منها في محاولة لتخفيض تكاليف إنتاجها .

● نصف صفحاتها مخصص للقصص المصورة الكاملة والمسلسلة .

● غالبية قصصها المصورة مسلسلة .

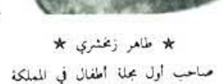
● في كل عدد منها قصتان تحريريتان كاملتان ، إحداهما دينية ، والأخرى ذات موضوع آخر ، وتحتل كل منها صفحتين من المجلة .

● يضم العدد قصيدة للأطفال .

● بها صفحة للرياضة .



★ أحمد قنديل ★
كتب شعراً للأطفال



★ طاهر زمخشري ★
صاحب أول مجلة أطفال في المملكة



● صفحتان للمعلومات العامة .

● صفحتان للبنات تحويان قصة تحريرية وبعض التوجيهات المناسبة .

● كانت الصفحتان قبل الأخيرة حتى العدد الخامس عشر مخصصتين للشعر الشعبي بعنوان : (قناديل حسن) من تأليف الشاعر المعروف (**أحمد قنديل**) ثم نشرت فيها موضوعات أخرى لانقطاع الشاعر عن مد المجلة بالجديد من إنتاجه .

● في الغلاف الأخير من كل عدد قصة مصورة قصيرة باستثناء بعض الأعداد .

● تستخدم المجلة **الفصحى المبسطة** في كل موضوعاتها باستثناء الشعر الشعبي الذي نشر في الأعداد (١ ـ ١٥) على الصفحتين قبل الأخيرة ، والكاريكاتيرات حيث استخدمت فيها **اللغة العامية** المستعملة **في المنطقة الغربية من المملكة**

● كل شخصيات المجلة ترتدي الزي العربي المعروف باستثناء أبطال القصص الكشفية .

● من المحاولات الجديدة للمجلة إحياء بعض الكتب القديمة بعرضها بأسلوب صحفي مناسب للأطفال ، مثل إعادة نشر كتاب :

(**كليلة ودمنة**) الذي ترجمه **عبد الله بن المقفع** بأسلوب عصري مصور بعد تخليصه من الأفكار والآراء الفلسفية ، ومن هذه المحاولات تحبيب المسرح للأطفال في المملكة العربية السعودية بنشر نصوص تصلح للتمثيل في الفصول الدراسية أو في أي مكان آخر .

● المجلة تربوية وخالية من الاعلانات التجارية والصناعية .

خصصت مجلة (**اليمامة**) التي تصدرها **مؤسسة اليمامة للصحافة والنشر** صفحتين للأطفال ابتداء من عددها رقم ٤٦٤ الصادر في ٥/٩/١٣٩٧هـ ، باسم : (**أطفال اليمامة**) .

وبمطالعة هذه الصفحة نلاحظ ملامحها الآتية :

● بها قصة تحريرية أو مصورة .

● زاوية لصور الأصدقاء .

● زاوية لنشر مختارات الأصدقاء .

● زاوية لتعريف الأطفال بالمملكة العربية السعودية .

● زاوية للمعلومات العامة .

وابتداء من العدد ١٨١ الصادر في ١/٨/١٣٩٨هـ ، صدرت في مجلة (**اقرأ**) صفحتان للأطفال باسم : (**الأولاد والبنات**) .

وبمطالعة هاتين الصفحتين نلاحظ عليهما ما يلي :

● بهما زاوية للتسالي والألعاب الذهنية .

● زاوية لنشر المواد الثقافية المتنوعة .

● زاوية للقصص والحكايات العربية .

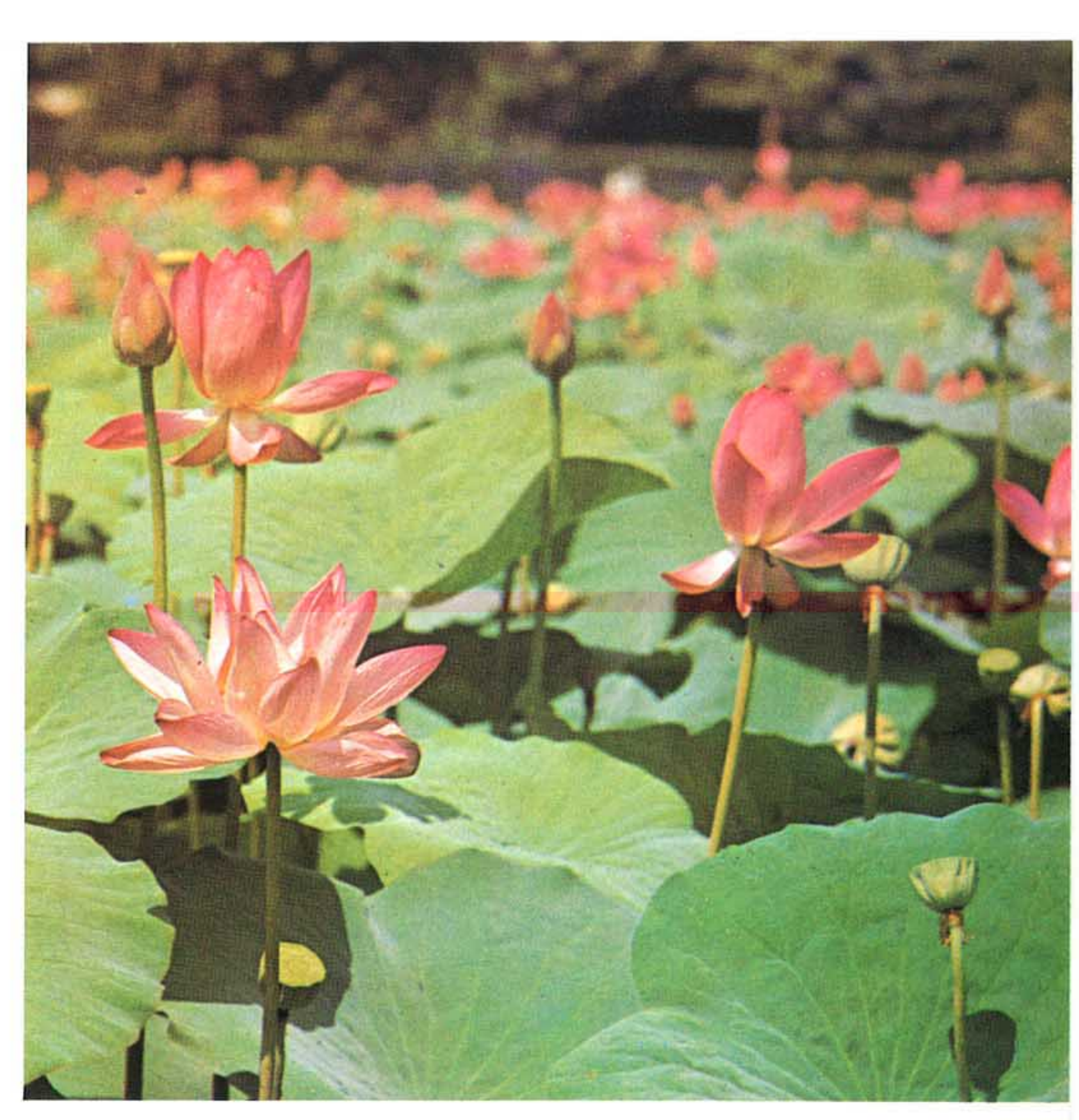
● زاوية لنشر صور الأولاد والبنات .

● قصة تحريرية مرة وقصة مصورة في مرة أخرى .

(١) المجلة : وكذلك صفحة جريدة البلاد التي تقدمها ماما عبادة .

زهرة اللوتس الجميلة ملهمة الفن والفنان

بقلم: عبدالكريم محمود منجد



★ بحيرة من اللوتس ، تظهر اللوتس في جميع مراحله ، من البرعم حتى التفتح الكامل ★

النباتات الطافية

تعتبر زهرة اللوتس من النباتات المدارية الاستوائية التي تعيش في المناطق الحاره والمعتدلة ، ولذلك وجدت في مصر والهند ، وجنوب شرقي آسيا ، كتايلند التي تحتفظ إلى اليوم بشيء من القداسة هناك . كما نجدها على ضفاف نهر الأمازون بحجم أكبر من غيرها ، نظراً لتوافر الماء والشمس بصورة دائمة .

واللوتس أو **النيلوفر** ذات فصيلة مستقلة تسمى **النيلوفريات**[١] ، وهي نبتة طافية ، والنباتات الطافية أنواع مختلفة تعيش في البيئات المائية التي يتراوح عمق الماء فيها من ٦ ـ ٨ أقدام ، ذات التربة الرسوبية الطينية .

تبدأ الأنواع المختلفة من النباتات الطافية في غزو المساحة التي كانت فيما مضى مشغولة بالرواد من النباتات المغمورة . وتهاجر هذه النباتات الطافية بوساطة ريزوماتها من مواقعها [illegible] الضحلة . ومن أهم هذه الأنواع **زنابق الماء** المختلفة مثل **البشنين** (Nymphace) ، **وكاستاليا** (Castatia) .

ولأنواع هذه النباتات **جذور** مثبتة في القاع ولها كلها تقريباً **ريزومات** قد يبلغ طولها بضع أقدام ، ولها **سوق** تعطي جذوراً عند العقد . وتكون أعناق الأوراق أو الأفرع متفاوتة في الطول بحسب عمق الماء ، بحيث تسمح للأوراق العريضة بأن تطفو بسهولة على سطح الماء[٢] .

والنباتات الطافية **تتكيف مع الحياة المائية** ، وهذه التكيفات تحدث كاستجابة للمحتوى المائي الزائد عن الحد ، لذا ، فالأنسجة الواقية من الافراط في فقد الماء والاضرار الميكانيكية قليلة[٣] . أما الجذور والسوق والأوراق في هذه الأنواع من النباتات فهي متحورة تحوراً شديداً ، فبشرة جميع الأعضاء غير متكونة . ولذلك فهي قادرة على امتصاص الغازات والمواد الغذائية من الماء مباشرة . والجذور مختزلة في الحجم إلى حد بعيد .

تسميات اللوتس وأصولها

إن الباحث في تسميات اللوتس الأخرى يجدها كثيرة ، ومحيرة ، بحيث يجد عناء في البحث عنها ، والتأكد منها ، وحصرها ، لصعوبة الاشارة الصريحة أحياناً على أن هذه التسمية الجديدة للزهرة ، هي مثلاً ، تسمية أخرى لمسمى واحد هو اللوتس . ولا يسعفنا في حل هذا الاشكال في التسميات المتعددة للزهرة نفسها ، إلا الكتب الأخرى ، التي تترجم لحياة التسمية الجديدة للزهرة وتصفها ، وللتمثيل أقول : في كتاب **لأبي بكر الرازي** ، كالحاوي الكبير ، مثلاً ، نجد **النيلوفر** ، ونجد **البشنين** ، وهما مسميان للزهرة ذاتها ، لكن الرازي عند وصف البشنين لا يذكر أنها النيلوفر ، فإذا بحثنا في كتاب آخر عن البشنين ، نجده يقول : البشنين هو النيلوفر ، أو اللوتس ، والبشنين بعامية أهل مصر .. هكذا .

ولنلم سريعاً بالتسميات الكثيرة لزهرة اللوتس أو النيلوفر ، التي جاء تعددها نتيجة لتعدد البيئات المناخية التي عاشت فيها ، وأورد التسميات وأصولها هنا ، على سبيل المثال لا الحصر .

فهي نمفا[٤] **بالرومية واليونانية .**

وهي نيلوفر[٥] **بالفارسية** ، وتعني النبات المجنح أو ذا الأرياش .

وكرنب الماء[٦] (القرنبيط) **بالسريانية وأ السنسكريتية .**

ونيلومبو[٧] **بالسنغالية** (Nygumbo) .

والبشنين[٨] بعامية أهل **مصر .**

والحندقوقي[٩] بعامية أهل **العراق .**

وباقلى قبطي[١٠] ، في مصر أيضاً ، سمي بذلك لحباته الشبيهة بالفول أو البازيلا .

والاهليلج[١١] .

والجلجلان[١٢] .

والتاجر عند أهل **المغرب العربي** ، لأن الزهرة تتفتح صباحاً ، وتنغلق مساء[١٣] .

والطرخون . يقول **ابن منظور** في لسان العرب : «بقل طيب يطبخ مع اللحم» .

وهي الحوذان .. الخ .

أهمية اللوتس الطبية والغذائية عند الشعوب القديمة

لم تغب عن أذهان القدماء في محاولاتهم التجريبية أهمية اللوتس من الناحيتين الطبية والغذائية . أما من الناحية الطبية ، فقد عرفوا تأثيره كعامل مكسل ، يسبب التراخي والكسل وكثرة النسيان .

يذكر **هوميروس** في الأوديسة أن شعباً يعيش في شمالي إفريقيا كان يأكل اللوتس ، ويحيا على تلك الحالة المكسلة ، التي يحدثها هذا النبات[١٤] . لكن ليست هذه فقط أهمية اللوتس من الناحية الطبية عند القدماء زمن هوميروس ، بل كانوا يتطببون بها علاجاً لأمراض المعدة ، فإن لم يكن لهم داء اتخذوا منه شراباً يفصد من الثمار ويخمر سلافاً طازجة تصلح لأكثر من عشرة أيام[١٥] .

يحدثنا الباحث **علي فهمي خشيم** في كتابه «قراءات ليبية» عن اللوتس وأكلته (**اللوتوفوجي**) ، فيحدد بيئة الشعب الذي ذكره هوميروس في الأوديسة بشعب ليبيا ، وبالتحديد أكثر الذين يعيشون في جزيرة **جربة** وحول خليج سرت الصغرى أو **خليج قابس** اليوم ، أو الذين عاشوا ما بين شرقي قابس حتى كعام ، كما يحدد ذلك **سكيلاكس وبطليموس**[١٦] .

وعندما نزل رجال **أوديسيوس** على الشواطىء الليبية كادت هذه النبتة ، بحلاوة مذاقها تنسيهم أوطانهم الأصلية[١٧] ، يقول بطل الأوديسة :

سلا وطنه ، ورغب عن الإياب إليه أبداً ،
ولن يعرف صحبه مصيره
فمن اشتهى من رسلي أن يحيا بين أكلة
اللوتس ويطعم تلك الفاكهة
فلن يؤوب أبد الدهر[١٨] .

أما من **الناحية الغذائية** ، فقد كان مرغوباً في **مصر القديمة** ، للطحين الذي كان يصنع من سوقه وحبوبه[١٩] ، كما كانت الحبات الشبيهة بحبات الفول أو البازيلا وهي صفراء كالزعفران تؤكل أيضاً[٢٠] ، وهذه الحبات موجودة في الوعاء الأسفل الحامل لتويج الزهرة . ويظهر أن جذور اللوتس أيضاً كانت من مكونات **المائدة الصينية** منذ القدم ، فقد دلت الحفريات الأثرية التي جرت في الضاحية الشرقية لمدينة **تشانغشا بمقاطعة هونان** على وجود بقايا طعام في بعض الأواني الملكية ، مكونة من قطع من جذور اللوتس ، وعظام دجاج ، وأسماك ، ومأكولات مصنوعة من الأرز والقمح . وقد اكتشفت هذه الأواني في قبر **لأسرة هان الغربية الملكية** (٢٠٦ ق . م ـ ٢٤م) ، يعود تاريخه إلى ٢١٠٠ عام ، وترجع تلك الأواني إلى أسرة **الأمير داي**[٢١] .

اللوتس في كتب الأطباء المسلمين

قبل أن أتحدث عن فحوى العنوان الآنف الذكر ، أريد أن أوضح أمراً مهماً هنا ، وهو أنه بالرغم من أن التسميات المتعددة التي مرت كلها تختص بزهرة اللوتس نفسها ، إلا أن كتب الطب في العصور الإسلامية زمن **ابن سينا والرازي وابن البيطار** ، وغيرهم ، يفردون لكل مسمى من التسميات باباً ، مما يسبب خلطاً بسيطاً لكنه مضن في فهم خصائص هذه الزهرة النادرة الفريدة . لكن ذلك لا يشكل عائقاً أمامنا أن نفهم أن المؤلف في حديثه عن التسمية الجديدة للزهرة إنما يقصد زهرة اللوتس نفسها التي نتحدث عنها ، فإذا فتحت باب الباء تجده يتحدث عن الباقلا القبطي ، والبشنين ، وإذا فتحت باب النون ، تجده يتحدث عن النيلوفر أو النينوفر ، أو فتحت حرف الحاء فيتحدث عن الحندقوقي والحوذان ، لكن المؤلف القديم لا ينسى أن ينوه في كل مرة أحياناً بقوله : النيلوفر ، وهو البشنين عند عوام أهل مصر ، أو ينوه بقوله : البشنين هو الحندقوقي عند عوام أهل العراق ، وهو النيلوفر بالفارسية ، وهكذا .. لكنهم يجمعون على أنها هي زهرة اللوتس التي ينص الحكماء على فوائدها الطبية الكثيرة ، ومن هذه الفوائد :

١ ـ إذا شرب الاصل (الجذر) بالشراب ، نفع من **الاسهال المزمن وقرحة الأمعاء وحلل ورم الطحال** . وقد يتضمد به لوجع المعدة والمثانة ، وإذا خلط بالماء الصافي وصبّر على **البهق** أذهبه ، وإذا خلط بالزفت وصبّر على **داء الثعلب** أبراه[٢٢] .

٢ ـ قال **جالينوس** : ينفع من قروح الأمعاء ، وما كان منه أبيض الأصل يقطع النزف العارض للنساء[٢٣] .

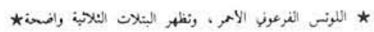
٣ ـ زهره ينوم ويسكن الصداع إلا أنه يضعف[٢٤] .

٤ ـ في كتاب الأدوية القلبية ، يقول : إنه يقرب في أحكامه من الكافور إلا أنه يرطب لقوته وكثرة برودته ، **فيحدث في جوهر الدماغ كلالا وفتوراً** ، إلا أنه يكون محتاجاً إلى ترطيب وتبريد لتعديله[٢٥] .

٥ ـ يقول أبو بكر الرازي عن الباقلى القبطي (اللوتس) : **عسر الانهضام ، تعرض منه أحلام رديئة ، ويصلح للسعال ، ويزيد في اللحم**[٢٦] .

٦ ـ ودهن النيلوفر يدخل في مكونات بعض الحقن التي تعطى لمصابي **مرض الديابيطس** ، المعروف الآن **بمرض البول السكري** ، والحقنة تتكون بالإضافة إلى دهن النيلوفر من البقلة الحمقاء ، وماء حيّ العالم ، وماء الخس ، وماء ورق الخشخاش الطري ، وماء أغصان الورد والشعير ، ودهن ورد ، و..[٢٧] ، ويُحْتقن به .

ونحن إذ نعرض لآراء الأطباء المسلمين في زهرة النيلوفر ، نذكر القارىء بطريقة هؤلاء الأطباء العلمية المبنية على الاختيار والتجربة ، وليس فقط على النظريات والتخمين ، ولذا فقد استمر الأوروبيون يدرسون كتب الأطباء المسلمين المبنية على أسس علمية لمدة طويلة في جامعاتهم ككتب ابن سينا الشيخ الرئيس والرازي .

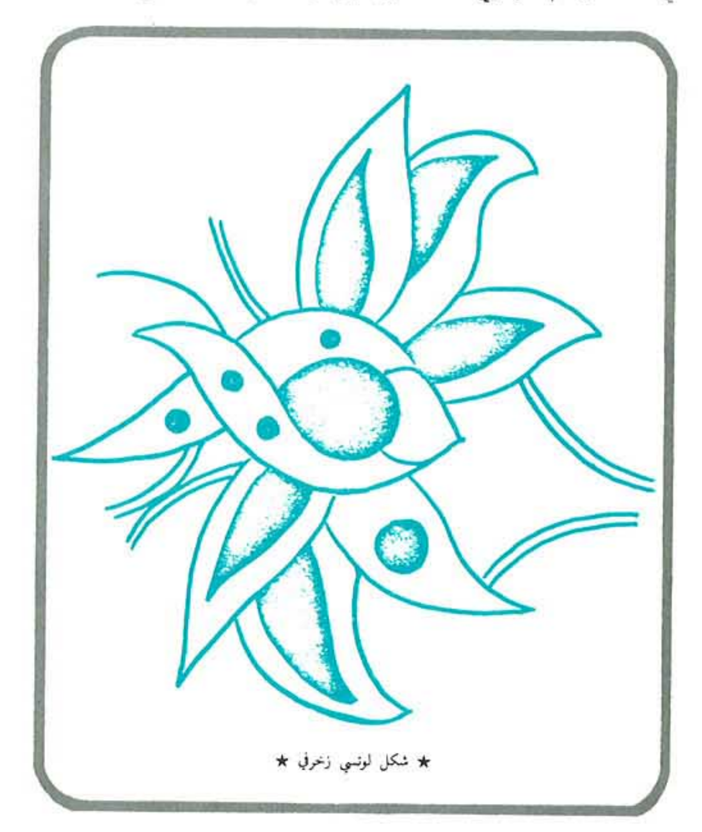


★ اللوتس الفرعوني الأحمر ، وتظهر البتلات الثلاثية واضحة★



وقد استمر الاهتمام الطبي بالنباتات حتى اليوم بما صاحب هذا الاهتمام من تطور علمي وفق تجارب كثيرة، معتمدة على أحدث الأجهزة المبتكرة.

تكاد لا تخلو موسوعة طبية أو علمية أجنبية من ابراز خصائص زهرة النيلوفر والدور الذي تؤديه في صنع العقاقير الطبية كملين، وصالح للسعال، وأوجاع الجنب والرئة والصدر [٢٨]، ومدر للبول، كما أنه يزيد في نشاط الجسم الوظيفي، كالمصابين بمرض القلب.. [٢٩] الخ.



★ شكل لوتسي زخرفي ★

اللوتس وتأثيراتها الزخرفية

حظيت زهرة النيلوفر أو اللوتس منذ القدم بهالة من التقديس والاحترام يفوق حظ أي زهرة أخرى. وكان حظها في مصر خاصة أقوى هذه الحظوظ جميعاً. على أننا نجد الحظ يتوزع أيضاً على أزهار وثمار أخرى. فأوراق **الكانتاس**، لم تخل منها **الآثار الاغريقية أو الرومانية**، كما لم تخل هذه الآثار من المراوح النخيلية أو أنصافها التي تسمى **بالانتيمون** [٣٠].

وقد استخدم الفنان الاغريقي أيضاً أصنافاً من الثمار في الزخرفة كورقة اللبلاب وأوراق الزيتون وأوراق العنب وكيزان الصنوبر [٣١]. وقد بقيت هذه متجسدة في فن العمارة الأموي الاسلامي، فقبة الصخرة مزدانة بهذه العناصر النباتية، بالاضافة إلى ثمار التمر والرمان واللوز والبندق.. الخ، أما العناصر اللوتسية، فنحن نشاهدها بين **زخارف الفسيفساء** في قبة الصخرة، والزخارف المحفورة في الحجر في واجهة **قصر المشتى وقصر الطوبة**، وهذه العناصر من **النموذج الفرعوني**، والمقصود بالنموذج الفرعوني، ما كانت بتلاته (Petals)، موزعة بطريقة زخرفية في صفوف وراء بعضها، فالصف الأول توجد فيه عادة ثلاث بتلات ظاهرة كلها، ووراءه صف ثان، صفت فيه البتلات بحيث تطل الواحدة منها بين اثنين من الصف الأول، ثم يأتي صف ثالث تظهر فيه أطراف البتلات من بين أطراف بتلات الصف الأول والثاني وهكذا [٣٢]. **ومن الجدير بالذكر أن العناصر اللوتسية في قبة الصخرة تتصل بعلاقة وثيقة بعناصر لوتسية ساسانية وجدت في قلعة كهنة (بضم الكاف) في فارس وفي طاق بستان [٣٣].**

ارتبطت زهرة اللوتس بتقاليد ومعتقدات انتشرت في ربوع العالم القديم، وكان لها دور كبير في المعتقدات الدينية والأسطورية والاجتماعية والثقافية لبعض الدول. **فأهل الهند**، مثلاً يعتقدون أن **بوذا** خلق من النيلوفر، **والآشوريون** يقدسون الثور ذا الأجنحة الثلاثة كرمز للعبادة المثلثة عندهم.

دعونا بنظرة استقرائية نخرج بالجواب أو بعضه على تساؤلنا عن سبب تقديس القدماء لزهرة اللوتس.

كانت الأنهار العظيمة ذات المنسوب المرتفع في مياهها وفيضانها، ذات أهمية كبيرة عند أهل مناطق تلك الأنهار، حتى أصبحت هذه الأنهار سر حياتها، وسبب بقائها، فإذا ما انقطع خيرها، وتوقف فيضانها، حلت المصيبة على الناس، وتهددهم الموت. فكان عليهم أن يتعهدوا هذه الأنهار عند توقف فيضانها بالقرابين والأدعية، تكفيراً عن ذنوبهم وتقرباً منها، لدفع ما سيحل بهم من موت وخراب إذا انقطعت. فإذا استجاب النهر إلى هؤلاء المتضرعين المتزلفين، وفاضت مياهه على جنبات الأرض، عاد الزرع والنبات إلى اخضراره وروعته، وظهرت زهرة جميلة الألوان عريضة الأوراق تطفو على سطح الماء الذي هو سر حياتهم ومصدر خوفهم عند غيابه، فكأنها ارتبطت عندهم برضى النهر، الذي يفيض بمياهه، كبشرى زاهية حبيبة لدوام هذا العطاء، وقد نمّى (بتشديد الميم) عندهم هذا الإحساس تكاثر هذا النبات الطافي بغزارة في كل مرة يفيض النهر فيها، حيث ترتفع نسبة الطمي (الغِرْيَن) في مياه النهر، وعلى جنباته، والطمي هذا هو البيئة الصالحة لنمو هذا النبات وتكاثره.

المتتبع **لأساطير الشعوب البحرية**، لا يجدها تخلو من الأساطير التي تدور حول عرائس الماء التي تظهر للبحارة وتداعبهم، وربما تساعدهم، كما نرى في **أساطير ألف ليلة وليلة** المعروفة. لكن الشعوب النهرية التي لم ترق أنهارها إلى ضخامة البحار، أو ابتعدت عن البحر، أوجدت لها عرائس أخرى تفاخر بها وتقدسها، وتخلدها في معابدها، وتصحبها معها إلى الآخرة، كما هي في آثار الفراعنة فيما سنرى.

في **اللغة اليونانية** تسمى زهرة اللوتس أو النيلوفر بـ نيمفيا (Nymphea)، وتعني عندهم إلهة البحر، ولكنها لم تعتبر عندهم من الآلهة الكبرى **كافروديت** مثلاً، بل اعتبرت عندهم إلهة صغرى [٣٤]، ومع ذلك ازدانت بها معابدهم، كما ازدانت بها معابد الآشوريين والكلدان.

وفي **الحضارة الفرعونية** تأخذ الزهرة هالة كبيرة من التقديس حتى غدت شعار الدولة والتاج، وأغنية الصغار في لهوهم، وملهمة الفنان في لوحاته، ومصاحبة المصري إلى آخرته، أليست هي روح الإله عندهم؟

وأعتقد أن عبادة اللوتس أو تقديسها مرتبط بعبادة الشمس عند الفراعنة، فالناظر إلى بقايا الآثار الفرعونية الموجودة الآن في المتاحف، يجد زهرة اللوتس مرافقة لحشرة صغيرة مكروهة تسمى الجعل (بضم الجيم وتسكين العين)، وهي بالعامية (أبو جعران)، والجعل في حركته إلى الخلف وإخراجه التراب، وغير ذلك، ينظر إلى الشمس، ويتأثر بها (* راجع: دليل المتحف الأردني)، وزهرة اللوتس أيضاً تتفتح في الصباح مع الشمس، وتغفو عند غيابها.

يتحدث المغني المصري عن حبه فيقول:

«سأرتقي صفحة النيل، ومعي حزمة من الغاب أحملها على كاهلي، سأذهب الليلة، فالنهر خمر، تباح غابه، وسوسنه لوتسه، وأيارت براعمه، ونفرتم زهوره...» [٣٥]

وفي نشد آخر، يخاطب المنشد النيل:

«وعندما يفيض في العاصمة، ينعم الناس بالخير الغزير، فيستشرف الصغير إلى أزهار اللوتس، ويتمنى الدير أن تجتمع له كل أنواع الخيرات...» [٣٦]

ومن أهم الآثار المصرية الفرعونية التي بزهرة اللوتس: رأس **توت غنخ آمون** [٣٧]، وكذلك تمثال للنيل في الدولة الوسطى يتدلى من يده اللوتس معلقاً به السمك والبط والبردي... [٣٨]

وفي **العمارة الاسلامية**، حظيت اللوتس بالدور الكبير ممثلة بتويجها الثلاثي كزخرفة فنية، دون الاهتمام بقداستها القديمة، بل لجمالها الفريد. ومن أهم الآثار تلك قبة الصخرة، وقصرا طوبة والمشتى اللذان بناهما الخليفة **الوليد بن يزيد الأموي**.

وفي العمارة عموماً، يونانية كانت أو مصرية أو إسلامية، لم يُعتمد على شكل واحد

من أشكال الزهرة ، بل تعددت الأشكال والأنواع ذات التأثير الزخرفي ، وهي تتمثل فيما يلي :

١ - الزهرة ، وهي ما زالت برعماً لم تتفتح .

٢ - الزهرة الفرعونية الثلاثية البتلات ، المتفتحة ، وهي في شكلها كشعار الكشافة .

٣ - الزهرة الساسانية متعددة البتلات الثلاثية ، وهي في أوج تفتحها .

وأشهر أنواع زهرة اللوتس هو اللوتس المصري ذو اللون الأحمر ، لكن أنواعاً أخرى كاللوتس الساساني الذي يختلف في شكله عن اللوتس الفرعوني ، قد دخلت الزخرفة الإسلامية . وقد أشرنا إلى ذلك بالتفصيل آنفاً .

اللوتس في الشعر العربي

لا شك أن الطبيعة بمظاهرها المتغيرة قد أجبرت الانسان في مراحل تطوره الزمني والذهني أن يتعامل معها على صعيدين :

١ - صعيد الاعجاب والحب . يهيم بها ، ويناجيها ، وكأنه بهذا يناجي روحه الهائمة في صور الجمال المتنوعة ، المنثورة على بساط الطبيعة .

٢ - الصعيد الثاني هو صعيد الخوف والرهبة والعجز عن فهم سر جبروت الطبيعة وقسوتها .

على أنه وقف أمام مشاعر الحب والخوف من الطبيعة ومظاهرها موقف التهيب ، دفعاً لأخطارها وتقرباً إليها بأعز القرابين البشرية . لكنه بعد أن فهم أسرار الطبيعة وتغلب على مشاعر الخوف والرهبة منها ، فني فيها ، وأصبحت روحه مبثوثة أجزاء فيها ، كما أخذ يناجيها بأعذب الألحان حتى غدا التفريق بين شعره وبين الطبيعة أمراً صعباً ، «للطبيعة شعر أيضاً يتمثل في حركة الموج ، وجمال الزهر»(٤٠) كما يقول **وليم هزليت** William Hazlitt ، فالتناغم بين الشاعر والطبيعة تناغم روحي ، ينطلق من سجنه مهما انغلق . فها هو **كيتس** يقول : «إذا رأيت عصفوراً أمام نافذة حجرتي كنت جزءاً منه ، أنقر معه الحصى كلما نقر»(٤١) .

ويقول **شلي** : «إن الشاعر بلبل جلس في الظلام يسري عن الوحدة بالنغم العذب»(٤٢) .

الأزهار بألوانها البديعة الرائعة ، المتعددة المتنوعة ، وبأريجها العطر ترضي حاسة الإنسان البصرية المفتوحة باستجلاء الألوان ، كما ترضي أنفه الذي يمتلىء بعطرها الساحر ، فلا يجد معنى للمسك ولا الكافور .

وزهرة اللوتس هذه بما لها من ألوان جذابة ساحرة ، الأبيض والأزرق والأصفر ومنها الأحمر الفرعوني المشهور ، وبما لها من أريج عطر ، تميزت عن غيرها من الأزهار الأخرى بذلك العرش المائي الذي تزهو عليه كعروس في غاية الحسن ، ومن غيرها يسمو على عرش شفاف من الماء تطفو عليه الأرض كلها . فلا عجب ، إذن ، واللوتس تملك هذا الحسن العطر ، والعرش المتفرد السامي أن ينظر الشاعر إليها على أنها متكبرة ، نرجسية الصفات قويّتها ، يقول الشاعر **ظافر الحداد** :

يا سيّداً عمت الدنيا فضائله
وفات سبقاً فما تحصى فضائله(٤٣)
أنظر إلى نيلوفر في نرجسيّته
كأنه ساعد ضُمّت أنامله

لكن **نرجسية النيلوفر** لم تكن لتصرف الشاعر عن حبه لزهرته الجميلة ، وعن إعجابه بها ، بل لقد حملها حبه الشخصي بما يكتنف هذا الحب من رقيب وحساد ، وصدود وهجر ، وحياء يتورد خدّ المحبوب من فرطه . انظر إلى **أبي الزبيدي الأندلسي** يقول :

وبركة أحيا بها ماؤها
من زهرها كل نبات عجيب(٤٤)
كأن نيلوفرها عاشق
نهاره يرقب وجه الحبيب



★ رسم توضيحي للصفوف الثلاثية في اللوتس الفرعوني ★

حتى إذا الليل بدا نجمه
وانصرف المحبوب خوف الرقيب
أطبق جفنيه عسى في الكرى
يبصر من فارقه عن قريب

وآخر يقول :

كأنه يعشق شمس الضحى
فأنظره في الصبح وعند المغيب(٤٥)
يرنو إليها مبصراً يومه
ولا يحاشي نظرات الرقيب
لا يبتغي وجهاً سوى وجهها
فعل محب مخلص في حبيب

وشاعر آخر يرسم لنا صورة غزلة جميلة ، صورة المحب المهجور ، المتفاني في حبه ، إنه يستجير بالله ، حتى إذا هجره الحبيب ، غرّق نفسه من فرط وجده . يقول **ابن الرومي** :

... مهجور حب ظل يرفع رأسه
كالمستجير بربه من صده(٤٦)
وكأنه إذ غاب عند مسائه
في الماء فانحجبت نضارة قده
صب يهدده الحبيب بهجره
ظلماً فغرّق نفسه من وجده

وحب النيلوفر لمحبوبته الشمس لا يدانيه حب ، فهو يمكث النهار كله يرقبها ويغازلها ، فإذا غابت أطبق جفنيه على صورة محبوبته المشرقة ، وغاص في الماء خوف الافتضاح إذا ما ظل يرنو إليها متولهاً ، يقول الشاعر :

... حتى إذا الشمس دنت للمغيب(٤٧)
أطبق جفنيه على حبه وغاص في البركة خوف الرقيب

إن المتتبع للشعر العربي الذي قيل في اللوتس (النيلوفر) ، يجد أن الشاعر العربي قد عايش زهرتنا الجميلة عبر حياتها الحافلة ، وكأنه يسجل لنا مذكراتها اليومية ، ومشاعرها الرقيقة ، التي هي في الحقيقة مشاعر الشاعر نفسه . فالشاعر العربي يصف تفتح الزهرة صباحاً ، وانغلاقها مساء ، ثم غوصها في الماء بعد يوم نشط من العطاء ، بحيث أعطانا صورة جميلة مستقاة من هذا الوضع المتمثل به آنفاً ، وزاد على ذلك صوراً أخرى ، صوراً رائعة غاية في الجمال ، يقول :

فكأنه في الماء صاحب مذهب　　　أغراه وسواس بأن لم يطهر (٤٨)

لم يقف الشاعر عند هذا الحد في وصفه الحسي لهذه الزهرة، وبثه مشاعره لها، بل دقق في ألوانها، وصفاتها العضوية :

فلونها الأحمر كخد المحبوب المورد

تلبس لوناً يشغل اللحظ حسنه　　　كما عبثت كف بخد مورد (٤٩)

وكألسنة النار الحمراء :

أشرب على بركة نيلوفر　　　محمرة الأوراق خضراء (٥٠)

كأنما أزهارُها أخرجت　　　ألسنة النار من الماء

أو :

كأنها فحمة في رأسها نار (٥١)

أما أوراقها العريضة الطافية على وجه الماء، فهي مرة كالتروس التي يُتّقى بها نصالا مخضبة بالدم (ويعني بالنّصال سوق الزهرة)، وهي مرة ثانية كالدروع التي تكلّلها الطواويس، وثالثة كآذان الفيلة :

يقول **ابن حمديس الصقلي :**

ونيلوفر أوراقه مستديرة　　　تفتح فيما بينهن له زهر (٥٢)

كما اعترضت خضر التّراس وبينها　　　عوامل أرماح اسنتها حمر

ويقول آخر :

كأنه ودرع الماء تشمله　　　تحت الشعاع أكاليل الطواويس (٥٣)

وسوق الزهرة أسنّة من فضّة مخضّبة بالدم، وملفوفة بعصائب السندس .

أو هي :

منائر من زمرد حملت　　　من ذهب أصفر طيافيرا (٥٤)

والطيافير : العصافير الصغيرة .

ولم يقتصر الشاعر العربي في دقة وصفه على وضع الزهرة وقت تفتحها الكامل، أو على أعضائها الخارجية كأوراقها وسوقها، لكنه وصفها وهي برعمة بعد، لم تتفتح، ووصف ما بداخل الزهرة، كالعروق أو الشعرات التي تحيط بتلات الزهرة بها، يقول :

كأحقاقِ ياقوت بهن قراضة
وقد غشيت صوناً بأغشية خضر (٥٥)

ويقول أيضاً :

مداهن الياقوت محمرة
قد ضمنت شعراً من الزعفران (٥٦)

وهكذا نرى أن زهرة اللوتس (النيلوفر) قد حبت الطبيعة ذلك الجمال الآسر، وحباها الانسان ذلك التقدير والاحترام .

حواشي وتعليقات

١ ـ راجع : إبراهيم أنيس وآخرين، المعجم الوسيط، ط٢، (القاهرة، مجمع اللغة العربية، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م)، ج٢، ص ٩٧٦ .

٢ ـ راجع : في تفصيل شكل الورقة وتكوينها : أحمد محمد مجاهد وآخرين، مقدمة النبات العام، ط٢، (القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٣م)، ص ١٩٨ .

٣ ـ راجع : د. محمد شرف، معجم العلوم الطبية والطبيعية، ط٣، (بيروت، مكتبة النهضة)، ص ٥٤٨ .

٥ ـ ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، (بغداد، مكتبة المثنى)، ج٤، ص ١٨٥ .

٦ ـ المصدر نفسه، ج٤، ص ١٨٥ .

٧ ـ The American Heritage Dictionary, page 880, 1447.

٨ ـ ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج١، ص ٩٦ .

٩ ـ راجع : أبا بكر محمد بن زكريا الرازي، الحاوي الكبير في الطب، (حيدر آباد الدكن، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٦٧م)، ج٢٠، ص ٣٣٦ .

١٠ ـ المصدر نفسه، ج٢٠، ص ١٥١ .

١١ ـ تحفة الأحباب في ماهية الأعشاب، (باريس، مطبوعات معهد العلوم المغربية، ١٩٣٤م)، ص ١٤ .

١٢ ـ المرجع نفسه، ص ١٩، القاموس العصري الجديد، انكليزي عربي، (بيروت، دار الفكر للجميع) ١٩٧٤م)، ص ٣٧٥ .

١٣ ـ تحفة الأحباب في ماهية الأعشاب، ص ٣٠ .

١٤ ـ راجع : منير البعلبكي، قاموس المورد، ط٣، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٠م)، ص ٥٤١ .

١٥ ـ راجع : د. علي فهمي خشيم، قراءات ليبية، (طرابلس الغرب، دار مكتبة الفكر، لات)، ص ٦٣ .

١٦ ـ المرجع نفسه، ص ٥٩ .

١٧ ـ المرجع نفسه، ص ٦٠ .

١٨ ـ المرجع نفسه، ص ٦٠، وراجع : هوميروس، الأوديسة، ترجمة دريني خشبة، سلسلة روايات الهلال، العدد ٢٥٣، (القاهرة، يناير ـ كانون الثاني ـ ١٩٧٠م)، حيث ورد النص نثراً : «ثم عرضوا عليهم من ثمر اللوتس العجيب، الذي ينسى آكله ما سلف من حياته، وينبت (بتشديد التاء) ما بينه وبين وطنه من وشيجه لما يفكر فيه، وإذا فكر فيه لما يؤثر أن يرتد إليه، بل يصبح كل مناه أن يأكل ويأكل من هذا اللوتس العجيب، وأن يعيش أبد الدهر بين أولئك اللوتوفاجي السحراء! . . »

١٩ ـ راجع : لويس معلوف، المنجد في اللغة، ط٢٠، (بيروت، دار المشرق، ١٩٦٩م)، ص ٨٥٠ .

٢٠ ـ راجع : قراءات ليبية، ص ٦٣ .

٢١ ـ راجع : مكتشفات أثرية جديدة في الصين، ص ٢٨ .

٢٢ ـ راجع : الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج٤، ص ١٨٦ .

٢٣ ـ المصدر نفسه، ج٤، ص ١٨٦ .

٢٤ و٢٥ ـ المصدر نفسه، ج٤، ص ١٨٦ .

٢٦ ـ الحاوي الكبير في الطب، ج٢٠، ص ١٤٩ .

٢٧ ـ راجع : عبد اللطيف البغدادي، مقالتان في الحواس ومسائل طبيعية، دراسة وتحقيق د. بول غليونجي، ود. سعيد عبده، (الكويت، وزارة الإعلام، ١٩٧٢م)، ص ١٤٠ .

٢٨ ـ راجع : د. محمود مصطفى الدمياطي، معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس للزبيدي، (القاهرة، المؤسسة المصرية العامة، ١٩٦٥م)، ص ٨، نقلاً عن كتاب الصراح من الصحاح، لأبي الفضل محمد بن عمر بن خالد القرشي، وقد نقل أبو الفضل ذلك من القاموس المحيط، راجع : محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، القاموس المحيط، (القاهرة، مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م)، ج٢، ص ١٥٢ .

٢٩ ـ راجع : Longman modern English dictioary (New York, 1976), page 639.

٣٠ ـ راجع : فريد شافعي، العمارة العربية في مصر الإسلامية (عصر الولاة)، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠م)، ج١، ص ٢٢٣ .

٣١ ـ المرجع نفسه، ج١، ص ٢٢٣ .

٣٢ ـ المرجع نفسه، ج١، ص ٢٢١ ـ ٣، وراجع أيضاً أبا صالح الألفي، الفن الإسلامي، أصوله فلسفته مدارسه، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٩م)، ص ١٥٥ .

٣٣ ـ العمارة العربية في مصر الإسلامية، ج١، ص ٢٢٣ .

٣٤ ـ راجع : Longman modern English dictioary, page: 768.

٣٥ ـ راجع : د. نعمات أحمد فؤاد، النيل في الأدب المصري، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٢م)، ص ٧٣ .

٣٦ ـ المرجع نفسه، ص ٧٦ .

٣٧ ـ راجع : Janson, History of Art, page 33.

٣٨ ـ النيل في الأدب المصري، ص ٦٧ .

٣٩ ـ للتوسع في معرفة أنواع اللوتس الأخرى، وبشيء من التفصيل، راجع : سمير عطا، اللوتس زهرة مصر والهند، مجلة العربي، العدد ٢١٥، (الكويت) .

٤٠ ـ راجع : د. سيد نوفل، شعر الطبيعة في الأدب العربي، (القاهرة، مطبعة مصر، ١٩٤٥م)، ص ١٠ .

٤١ ـ المرجع نفسه، ص ١٠ .

٤٢ ـ المرجع نفسه، ص ١٠ .

٤٣ ـ راجع : علي بن ظافر الأزدي المصري، غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات، تحقيق محمد زغلول سلام، ومصطفى الصاوي الجويني، (القاهرة، دار المعارف، لات)، ص ٩٠ .

٤٤ ـ راجع : أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، (القاهرة، وزارة الثقافة والارشاد القومي، لات)، ج ١١ ص ٢٢١ .

٤٥ ـ المصدر نفسه، ج ١١، ص ٢٢٢ .

٤٦ ـ المصدر نفسه، ج ١١، ص ٢٢٣ .

٤٧ ـ المصدر نفسه، ج ١١، ص ٢٢٤ .

٤٨ ـ البيت للتنوخي، والتحقيق يرجعه إلى ابن حمديس كما في مطالع البدور، ج ١، ص ١١٢، راجع : نهاية الأرب، ج ١١، ص ٢٢٢ .

٤٩ ـ غرائب التنبيهات، ص ٨٩ .

٥٠ و٥١ ـ راجع : عبد الجبار بن حمديس الصقلي، ديوان ابن حمديس، تح. إحسان عباس، (بيروت، دار صادر ودار بيروت، ١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠م)، ص ٥ .

٥٢ ـ راجع : ديوان ابن حمديس الصقلي، ص ١٨٥ .

٥٣ ـ راجع : نهاية الأرب، ج ١١، ص ٢٢٥ .

٥٤ ـ راجع : غرائب التنبيهات، ص ٩٠ .

٥٥ ـ المصدر نفسه، ص ٩٠ .

٥٦ ـ ديوان ابن حمديس الصقلي، ص ٤٩٠ .



بقلم : فاضل السباعي



رسالة غير لطيفة!

صديقي العزيز !

أنت ما إن تركت الغرفة وغادرت باريس عائداً إلى وطنك ، حتى أقبلت « **المنظفة** » بمكانسها وموادها ، فأزالت ما تخلف عنك من « أوساخ » . . . فخرجت الغرفة من بين يديها « **تضيء** » ، كما تقول العامة في بلدي . ثم إن مديرة « المجمّع » أوعزت بتسليمي إياها في اليوم التالي : غرفة « نظيفة » ، مرتبة ، في الطابق السابع ، ذات شمس وهواء ومناظر خلابة . . . هي الغرفة ذاتها ، الرقم ٧٠٧ ، التي أمضيت فيها أشهر إيفادك الستة في **العاصمة الفرنسية** ، يا صديقي !

لست أشك في أنك شاعر بالضيق ، وأنت تقرأ أسطري الأولى هذه . . . وكأني بك تحدث نفسك : هوذا صديق تعرفت إليه في باريس ، قد أتاحت له مغادرتي فرنسا أن يحل محلي في غرفة ذات مطل ، بعد أن كان يسكن الطابق الثاني ، يلاحقني برسالة منه إلي في وطني ، ليتهمني بأني . . . قليل عناية بالنظافة ! فأية تهمة ! وأي صديق !

مهلاً ، يا صديقي . . . أنا ما أنهيت كلامي !

إني في دخولي الغرفة ساكناً جديداً لها ، وبينما أغلق الباب بذلك « **الدرباس** » الكبير الذي تعرف ، سقط منه إلى الأرض **صرصور** ، ماراً عبر كفي ! ومع أنه كان صرصوراً « صغيراً » ، إلا



أن ما انتابني من القرف ، كان بمقدار ما داخلني من العجب وأنا أرى الصراصير تتراكض في جوانب المغسلة وفي أرجاء الغرفة : **عجبت كيف أنها لم تمت من الجوع ، صراصير ، في غرفة لم تدخلها كسرة من خبز أو قترة من سكر؟!**

أراك ، الآن ، تتضاحك من نزق ، وتتمتم : عادت حليمة ! تهمة البخل ذاتها ! وتضيف : اجل ، ايها الأصدقاء ، انا لا أستقبل في غرفتي ضيوفاً ، وأظل اضيف نفسي عند أصحابي في غرفهم ، شحاً مني ، كسلاً ، سموه ما تشاؤون ! ماذا هنالك بعد !

لا أحب أن تغضب ، يا صديقي . وإن كان مظهرك غاضباً «يلذ» لي عن قرب ! إني ، في رسالتي هذه ، إنما رغبت في أن أستعيد وإياك ، على البعد ، بعض ذكرياتنا العزيزة التي نسجتها حياتنا المشتركة في المجمع السكني هذا ، في **ضاحية كاشان جنوبي باريس** .

هل تذكر ليلة كنا فيها ساهرين عند أحد الأصحاب ، ودار الحديث حول **شؤون الفكر والأدب ، فسئلت عمن تقرأ من الكتّاب ، قدماء ومحدثين ، فانشأت تقول : «من المحدثين أقرأ للعقاد والمازني وطه حسين** ، ومن القدماء . . . » ، وعددت اسماء ، دون ان تأتي على ذكر سيد الناثرين العرب «أبي عثمان الجاحظ» ، فسولت لي نفسي ، الأمّارة ، أن أتدخل قائلاً :

«ليتك ، يا أبا فؤاد ، قرأت الجاحظ ، وبخاصة كتابه «البخلاء» . . . فاقتديت به في ما فعل» .

فتساءلت سيدة من الحاضرين ، هي صديقتنا «**مفيدة**» التي تنتمي إلى دولة عربية تقع إلى جوار بلدينا :

«وماذا فعل الجاحظ ، يا «أبا فراس»؟» .

— مما قيل إن أبا عثمان كان يعد أميراً للبخلاء في عصره ! فأخذ يجمع نوادر نظرائه ، قبل ان اخرجها إلى الناس في كتابه البديع الشهير : «البخلاء» ، رغبة منه خفية في أن «يسقط» عيب البخل فيه على الآخرين !

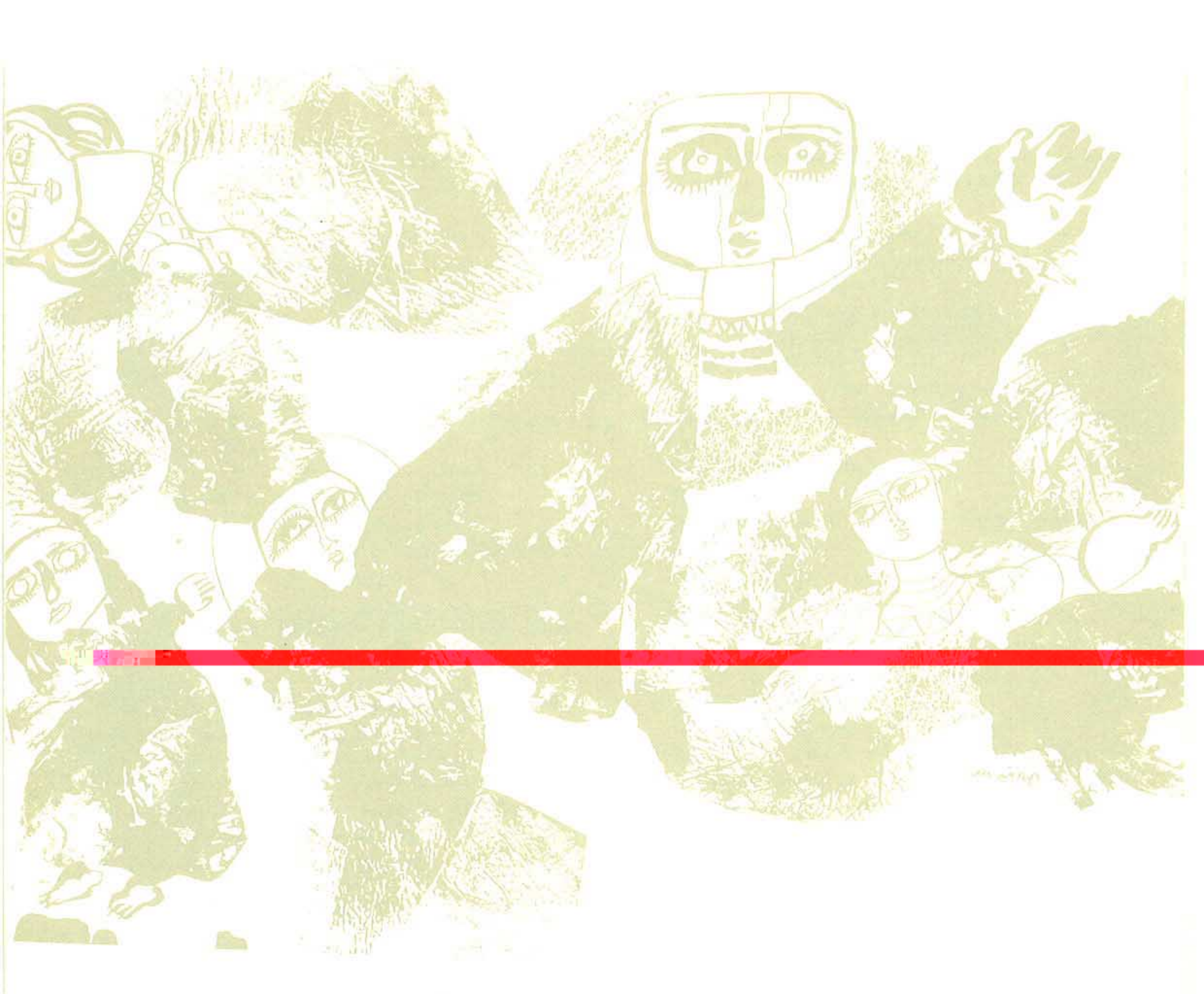
ولعلك تذكر ، يا صديقي ، أن الجميع ضحكوا لحظتها من أعماق قلوبهم . . . عدا اثنين : أنت كاظماً عظيم غيظك ، وأنا ، إمعاناً مني في استثارتهم للضحك واستثارة المزيد من غيظك . . . أما تذكر هذه «السالفة» هل نسيتها ، يا عزيزي ؟

ولن أعفيك ، في رسالتي هذه ، من أن أذكرك بأنك كنت تضن على نفسك بشراء «**سخان**» كهربائي تعد عليه القهوة والشاي ، وتسلق البيض أكلتك المفضلة ، السهلة التحضير الزهيدة التكاليف . وقد كنت تؤمن لنفسك هذه الأمور على نحو أو آخر : فأما البيض فتسلقه عند جيرانك ، وأما **القهوة والشاي** ، فقد دأبت على أن تزورنا ـ نحن أصحابك ـ في غرفنا على الرحب والسعة . . . تدخل على كل منا ، قائلا بأخوة حميمة :

«أين قهوتك التي عودتنا عليها ، يا أستاذ . . . ؟» .

«أنت ، يا أخت مفيدة ، إن «شاياتك» ما في المجمع أطيب منها !» . . .

وأحياناً تطلب ، مع الشاي ، قطعة من . . . جبنة «**البقرة الضاحكة**» ، ومع قطعة الجبن تطلب بضع حبات من **الزيتون** ! فيكون لك ، بين ضحك الأصحاب ومرحك المستلطف ، عشاء واف أنت طلبته في غير بيتك . وكم تتباهى بأنك «تقطعها برقاب الناس» ، تزورهم في غرفهم ، شارباً آكلا ، دون أن تمكنهم من أن يطأوا عتبة غرفتك ! وإذا اتفق لأحدهم أن تجاوز هذه العتبة ـ ونادراً ما يقع ذلك لأنك لا تستقر في غرفتك ـ لم تقدم له فنجان قهوة ، متعللاً دائماً.



بأن ليس عندك سخان تعد على ناره القهوة . . . والواقع ، إن ما كنت تفتقده هو النار ، مضافاً إليها البن والسكر !

وعلى ذكر السخان الكهربائي ، هل تذكر أياماً باريسية اشتد فيها البرد ، وأنت ، كما ظللت تردد ، رجل «**برُيد**» ، فلم يدفئك ما يمر في غرفتك من أنابيب «التدفئة المركزية» ، وبدلا من أن يحملك هذا على شراء سخان تصبح استفادتك منه مضاعفة ـ في الطبخ وفي الاستدفاء ، كما يفعل بعض نزلاء المجمّع من البرُيدين ـ قمت تطلب مني ومن صديقتنا «مفيدة» استعارة سخانينا الاثنين !

— وكيف ؟ (سألناك مستغربين) وكل منا يستعمل سخانه في الصباح وفي المساء ؟

— آخذهما منكما قبيل النوم ، وأردهما في الصباح !

وقد استجبنا لك في المرة الأولى ، وكان مما زاد في استعدادنا للاستجابة تلك الليلة ، أن **الثلج كان قد غطى باريس بوشاح أبيض** . ثم اكتشفنا ، في اليوم التالي ، أننا وقعنا في «مطب» صغير : ذلك أنك لم ترد في الصباح إلى كل منا سخانه ، كما أننا تحرجنا أن نطرق الباب عليك ، موقظينك ، سائلين عما لنا من سخان عندك . وظللت تغط في نومك الهنيء . واضطررنا إلى أن نغدو إلى أعمالنا بفطور ينقصه الشاي أو القهوة . وذلك ما جعلني ، أنا ، أعدل عن إعارتك سخاني . . . وظلت مفيدة تقدم لك سخانها ، على استحياء ، كلما عصف البرد في سماء باريس ، وأنت في ذلك تعيرني :

«**أرأيت ، يا أبا فراس ، كم أن أختنا مفيدة أكرم منك يدا !**» .

فكنت ، يا صديقي العزيز ، تتهمني بالبخل في الاعارة ، وتنسى بخلك في شراء ما أنت في أمس الحاجة إليه !

جرى على قلمي ذكر القهوة والشاي . . فكان لا بد من أن أتذكر «الشاي» الذي دعوتنا إلى تناوله في أحد مقاهي «**مونبارناس**» . كنا ، يومها ، ثلاثة : أنت ، وأنا ، وصديقتنا العزيزة مفيدة ، وقد غادرنا لتونا محلات «**فناك**» الشهيرة : أنت اشتريت سنفونية **لبتهوفن** ، واشتريت أنا مجموعات من الحكايا والأساطير عند الشعوب ، وأودعت مفيدة فيلماً ملوناً كانت قد التقطت صوره بمصورتها .

البرد ، في ذلك اليوم الشتوي ، كان قارساً . ولسنا ندرري ـ مفيدة وأنا ـ كيف عصف بك عاصف من الكرم ـ كعصف الريح في ذلك المساء الباريسي ـ فدعوتنا إلى أن نأخذ قدحاً من الشاي في مقهى «لاتور» (**البرج**) !

غمزتني مفيدة ، ونحن ندلف إلى المقهى ، بعينها باسمة فرحة ، وكأن لسان حالها يقول : «يا للأريحية المفاجئة !» . فابتسمت لها مستجيباً لغمزتها ولفرحها ، وفي نفسي تتردد عبارة لم ألبث أن سكبتها في أذنها ونحن نشق طريقنا بين المناضد :

«إنها «لحظة ضعف» منه . . . «أودت» به إلى أن . . . يدعونا !» .

ولاحظت أنت إشراقة وجهينا ، فتساءلت عما بنا ، فأجابتك صديقتنا ، التي كانت لا تزال تعيرك سخانها :

«**الحق ، إننا سعداء جدا بتناول الشاي الحار في هذا اليوم البارد !**» .

فرحت تعدد لنا مزايا تناول الشاي في هذا المقهى ، المطل على «**بلاس دو رين**» (**ساحة الملكات**) ، فيما نحن نرشف من أقداحنا متلذذين لأنه كان بدعوة منك أكثر من تلذذنا بنكهته أو حرارته !

فلما آن لنا أن نمضي ، أخذت أنت وريقة الحساب ، وقرأت الرقم فيها ، و «قسمته» على

٣ ، فكان الحاصل :

— ثلاثة فرنكات ونصف الفرنك !

أعلنت ذلك بصوت مرتفع . . . ثم دسست يدك في جيبك ، فخرجت بقبضة نقود ، انتقيت منها ، ونحن ننظر مذهولين ، ثلاثة فرنكات ونصف ، وضعتها بعناية في طبقك إلى جوار الفنجان ، وأنت تقول :

«نحن في فرنسا ، لنتعامل على الطريقة الفرنسية ! . . . » .

فأدهشنا قولك ، صعقنا . . . حتى أن مفيدة لم تتمالك من أن تراجعك بعتاب :

«أبا فؤاد ! ألست أنت من دعانا إلى تناول الشاي !؟» .

أجبت ، ضاحكاً مرحاً ، كعادتك :

«دعوتكما ، لا أنكر ، ولكن من أجل أن يشرب كل منا على حسابه ! ولماذا أتولى الدفع عنكما؟ نحن جميعا غرباء في بلد غريب ! » .

بعدئذ ، حدثتني مفيدة ، وختمت حديثها بهذا التساؤل :

« طيب ، وعندما يزورنا في غرفنا دون دعوة ، ويطلب أن نقدم لـه القهوة والشاي والجبنة والزيتون . . . هل يفعل ذلك على الطريقة الفرنسية أيضاً ؟! » .

أجبتها هازلا :

« في تلك الليالي ، يكون هو وحده الأجنبي ، ونحن من أبناء البلد ! » .

ثم إني نقلت لك هذا الحوار ، فضحكت له طويلا . . . وقلت :

« اذن ، فقد كان « مقلبا » في « لاثور » شربناه ! كنت أدرك من البداية أنكما واقعان في هذا « الظن » ! » .

وما فاتني أن أسألك :

« أبا فؤاد ! إن راتب « المنحة » الذي تقبض ، هو ذاته ما يقبضه كل منا نحن معشر الموفدين إلى باريس . . . خبرني ، أين تذهب به كله ؟ .

قلت لي : .

« أنت تعرف كم أهوى الفن والموسيقى ! إني أكثر من التردد على المسارح وحضور الحفلات الموسيقية ، وهذا يكلفني غاليا في باريس ! » .

واعترف لك ، أيها الصديق الحميم ، بأنه قد مسني يومها كثير من العجب . . . ولقد ظللت ، ثلاثة أيام بلياليها ، وأنا أتساءل عن « **وظيفة الفن** » ، وما يمكن أن يفعله في النفس فن الموسيقى خاصة . . . قبل أن أنتهي إلى هذه المقولة : **إن امرءاً عربيا لم تكسبه أرض بلاده وسماؤها خصيصة كرم اليد ، يستحيل عليه أن يكتسبها في بلاد الغرب بفعل الموسيقى والتي يهيم بها ، حتى ولو كانت لبتهوفن أو شوبان أو برليوز !!**



هانذا قد أوصلتك بحديثي إلى حافة الغضب ، يا صديقي ! أم أنك غضبت فعلا ، وغضبت جداً ، فأنت تهم بأن تمزق رسالتي وتذروها في الهواء ؟ ولكن مهلا ، مهلا ، انتظر حتى أكمل حديثي وترجيعي ذكرياتنا المشتركة ، أيها الصديق !

قد بدرت منك ، فجأة ، في يوم مشهود !

كان ذلك عندما غادرت ، ذات ليلة شتوية ، « **القطار السريع** » (R.E.R.) ، في محطة « **آركوي - كاشان** » القريبة من المجمع ، عائداً إلى البيت ، وأنت متدثر بمعطفك ومعتمر برنيطة رمادية اللون . . . فرأيت ، في ذلك الزقاق المنحدر من باب المحطة نحو الشارع ، أربعة فتيان مراهقين ، قد تخلف عنهم رابعهم ، الذي راح يعابث فتاة صبية تريد أن تعبر الزقاق وهو يمنعها بأن يبسط ذراعيه دونها !

ولست تدري أنت ، كما لا يدري أحد من معارفك ، أية نفحة من الحمية والنجدة وانتك تلك اللحظة ، فأقبلت على المراهق المعابث ، تخاطبه بلهجة رقيقة قد غاليت في تهذيبها :

« لماذا تضايقها ، يا سيد ؟ دعها تمر ؟ » .

ولما كان الناس في هذه البلاد لم يعتادوا أن « يتدخل » أحد منهم في شؤون أحد ، فقد اعترى المراهق ذهول من أن يتدخل « عابر سبيل » ، بدا له من لكنته أنه أجنبي ، ليحول بينه وبين أن يمارس ما حلا له من حماقة !

ما وقع للفتى المراهق أن « ذهوله » جعله يرخي ذراعه فيتاح للصبية المحصورة أن تتحرر . ذهوله ذاته جعله يطلق صرخة عشواء . . . تنبه لها رفاقه الثلاثة ، فهبوا يسألونه نادبين أنفسهم لكل كريهة :

«ماذا هنالك؟ ماذا جرى ؟! » .

أعلن الفتى :

«تصوروا ! ذلك الأجنبي الـ . . . ، ذو البرنيطة الرمادية ، يقول لي : لماذا تضايق الفتاة ، دعها تمر ! » .

استُفزّ الفتيان ، غضبوا ، ثاروا . . . وأنت ، يا صديقي - ولك الحق - وَجَفَ قلبك . سمعتهم يقدمون « مقترحاتهم » :

« هل نضربه ؟ هل نرميه أرضا ؟ أتريد أن نأتي به إليك ؟ . . . » .

ههنا ، تعين عليك أن توازن بين قوتك ، وأنت النحيل الضاوي ، وبين قوة الحمقى الأربعة ، فوجدت أنك الخاسر في كل ميزان ، حتى ولو كان « **مخفر الشرطة** » على مقربة . . . فحثثت خطاك ، وصوت أحدهم يترامى إليك :

« هل نضربه على رأسه و«نطير» له البرنيطة في الفضاء ؟! » .

الموازنة بين القوتين ، كانت قد انتهت بك إلى أن تؤثر الفرار ، فما كان منك إلا أن أطلقت ساقيك للريح . . . فإذا الأشقياء يصرخون في إثرك هازئين ضاجين :

« هوووه ! . . . النجدة ! . . . يا شرطة النجديه ! . . . واغوثاه ! . . . هوووه ! . . . . » .

وبدلا من أن تتجه نحو موقف الأوتوبيس ، الذي يقلك عادة عبر أربعة مواقف إلى المجمع ، اتجهت قصد التواري نحو طريق أخرى . . . فجئتنا على قدميك ، في تلك الساعة المتأخرة من الليل ، ونفضت بين أيدينا تفاصيل الحادثة . فكان عجباً مما بدا من الفتيان الأربعة ، لا يدانيه أو يفوقه عندي ، إلا إعجابي العظيم بما بدر منك من نخوة وشهامة ، تغفران بل تمحوان كثيراً مما « يشاع » عنك من تهم البخل ، يا صديقي !

رسالتي هذه إليك ، قد يصفها غيرك بأنها صريحة ، واضحة ، تضع النقاط على الحروف ! . . . وقد يراها آخرون مرحة ! . . . وربما زعم فريق ثالث أنها . . . ملتزمة وهادفة ، و« إنسانية النزعة » أيضاً !!

أنت تقول عني : مغرور ، « يخربش » كلاماً سقيماً ثم يحسب أنه يكتب « أدباً » ! إذا كان هذا حقاً ما يدور في خاطرك الآن ، فاسمح لي أن أظن بأني أصبت في رسالتي الهدف ! ولو كنت - على النقيض من ذلك - أطريت فيك من بخل ، وجعلت منه خلة عاطرة وسجية كريمة يفتخر بها صاحبها ، أأكون اذن قد كتبت أدباً ؟ أم جعلت نفسي نصيراً للبخل والبخلاء ، وذلك ما لم يقع فيه بخيل عصره في كتابه السالف الذكر !؟

اشتد ، الآن ، ضيقك بي وغضبك علي . فرسالتي ، في رأيك ، نابية ! . . . فإن خففت الوصف قلت إنها مزعجة ! . . . فإن ترفقت قلت : رسالة غير لطيفة !!

تقول : « **رسالة . . . غير لطيفة** » ؟ راق لي منك هذا « التعبير » ! لسوف أجعله عنواناً للرسالة . وسأدلك على المجلة التي تنشر فيها ، لتقرأها مطبوعة طباعة أنيقة ! ولن أنسى أن أهديك نسخة من الكتاب الذي ستنشر فيه ! فإني أريد لك أن تحتفظ بالرسالة : مكتوبة بخط يدي ، ومنشورة في مجلة وفي كتاب !!

وبانتظار أن تردني منك رسالة جوابية تضاهي رسالتي هذه . . . أتمنى لك أسعد الأوقات ، أيها الصديق الذي ألهمني هذه السطور . . .

صديقك المشتاق

« أبو فراس »

• الرسالة من مُرسَل إليه حقيقي !

باريس : فاضل السباعي



بقلم: مكسيم جوركي
ترجمة: المحامي سهيل أيوب



كولوشا

في زاوية من المقبرة ، بين قبور غطتها أوراق الأشجار وغسلتها مياه الأمطار وصقلتها الريح ، كانت امرأة في ثوب من قماش رخيص مهلهل على رأسها شال أسود تجلس عند أحد القبور ، تحت ظلال فروع قليلة لشجرتين من شجر البتولا عاريتين من الأوراق .

كانت تنسدل على إحدى وجنتيها خصلة شعر أشيب ، وشفتاها الرقيقتان تبدوان مزمومتين ، فيما انثنت زاويتا فمها إلى أسفل وأحاطت بهما تجعدات تنم عن الحزن . . وكانت جفونها مقرحة من البكاء والسهد في ليال طويلة .

كانت المرأة تجلس من دون حركة ، وكنت أقف على مقربة أعاينها .

لم تتحرك لدى اقترابي منها ، بل رفعت إليَّ عينين كبيرتين لا حياة فيهما ، وتركتهما تنخفضان مرة ثانية من غير أن تبدي أي مظهر من مظاهر الفضول أو الحرج ، أو ما ينمُّ عن أن اقترابي منها أثار شيئاً من الشعور في نفسها .

حييتها في اقتضاب ، واستفسرت عمَّن دفن في ذلك القبر ، فردت في رصانة ولا مبالاة :

— **ولدي !**

أكان فتى كبيراً ؟

— **كان في الثانية عشرة .**

— متى مات ؟

— **منذ أربع سنوات .**

وأرسلت زفرة عميقة ، ودسَّت الخصلة النافرة من شعرها في موضعها تحت الشال . كان النهار حاراً ، والشمس تصب جحيمها دون رحمة على مدينة الموتى . . . وغدا العشب القليل المنبثق على الصخور بني اللون بفعل الحرارة والغبار . وسكنت أوراق الشجيرات المغبرة الخشنة المنتصبة كئيبة بين الصلبان وكأنها مائتة هي الأخرى .

سألت ، وأنا أدلُّ على قبر الصبي :

— **وما سبب موته ؟**

أجابتني في اقتضاب ، وهي تمدُّ يداً مغضَّنة تربَّت فيها على القبر :

— **داسته سنابك الخيل حتى مات.**

كنت أعرف أني أجافي الذوق والمجاملة، غير أن إعراض المرأة وهدوءها أثاراني، فوسوست لي نزوة لم أدر لها سبباً ترغبني في رؤية العبرات في مآقيها. كان ثمة شيء غير طبيعي في سكونها، وإن لم يفتني أن أتبين في الوقت ذاته أنه لم يكن مصطنعاً.

حملها سؤالي على أن ترفع عينيها مرة أخرى إليّ، وتأملتني متفحصة في صمت من فرعي إلى قدمي، وأرسلت زفرة قصيرة، وتسرعت تسرد عليّ قصتها في صوت وقور يهزه الأسى:

— اسمع ما حدث.. كان أبوه في السجن محكوماً بجرم اختلاس، وقد أمضى عاماً ونصف العام.. وكنا في تلك الفترة قد أتينا على كل ما ادخرنا من مال، لم يكن كثيراً هذا المال المدخر، على أية حال. وما إن خرج من السجن حتى كنا قد بلغنا من الفقر حداً اضطرني إلى اتخاذ ثمار اللفت وقوداً للتدفئة. فلقد أعطاني بستاني أعرفه حمولة عربة من اللفت التالف، فجففتها، وشرعت أستعملها وقوداً مع الروث المجفف، فكانت تبعث دخاناً رهيباً وتفسد مذاق الطعام. وذهب كولوشا إلى المدرسة. كان صبياً رقيق الحركة، سريع البديهة، يحضر معه إلى البيت كل ما يصادف من قطع الأخشاب والوقود التي يعثر عليها أثناء عودته من الدرس. وكان الوقت ربيعاً، والجليد يذوب. ولم يكن لدى كولوشا ما ينتعل غير حذاءين من اللباد، فإذا خلعهما بدت قدماه حمراوين كالدم. في تلك الأثناء أخلوا سبيل والده من السجن، ونقلوه إلى البيت في عربة بعد أن أصيب بالشلل. ورقد في البيت يرمقني وعلى شفتيه ابتسامة خبيثة، وأرمقه وأنا أقول في نفسي: «أنت سبب هذا البلاء كله. والآن، كيف تراني أطعمك؟ أنت تستأهل أن يلقى بك في مستنقع قاذورات، وهذا ما يطيب لي أن أفعل بك». وبكى كولوشا حين وقعت عليه عيناه، وشحب وجهه حتى صار كالصفحة العذراء، وترقرقت العبرات غزيرة كبيرة على وجنتيه، فسألني:

— **ماذا أصابه، يا أمي؟**

فقلت:

— **أخذ حظه من الحياة.**

منذ ذلك اليوم صارت الأمور تسير من سيىء إلى أسوأ. وشرعت أعمل حتى غدوت جلداً على عظم. ولم أكن أحصل رغم تعبي كله على أكثر من عشرين كوبيكاً.. هذا في الأيام التي يهب فيها السعد إلى نجدتي. وكانت حياتي أسوأ من الموت، وما أكثر ما فكرت في أن أقتل نفسي. وفطن كولوشا إلى حالي، فساءت حاله النفسية كثيراً.

هتفت مرة وقد خيل إليّ أني لم أعد أطيق احتمالا:

— **يا لهذه الحياة اللعينة التي أحيا! ليتني أموت. أو ليت أحدكما يموت!**

كنت أوجه الحديث إلى كولوشا وأبيه. فهز الأب رأسه كمن يقول: «**سوف أرحل سريعا، فلا تملي، بل اصبري**». ورمقني كولوشا بنظرة طويلة ثم أشاح عني وغادر البيت. شعرت بالندم عندما خرج، غير أن الوقت قد فات، وقت الندم قد فات، ولم تعد ثمة فرصة لتداركه. ولم تمر ساعة حتى جاءني شرطي في عربة، وقال:

— **أنت السيدة شيشينينا؟**

وغاص قلبي بين ضلوعي. واسترسل الشرطي يقول:

— **أنت مدعوة إلى المستشفى. خيول التاجر أنوخين داست ولدك.**

ركبت لتوي إلى المستشفى، وأنا أتقلب على نار متقدة. وظللت أخاطب نفسي طوال الطريق قائلة:

— **ماذا فعلت، أيتها المرأة التعيسة؟**

وصلنا أخيراً، فإذا كولوشا راقد في سرير وقد لف جسده بالضماد. ابتسم في وجهي وانحدرت الدموع على وجنتيه، وقال في صوت هامس:

— **اغفري لي، يا أماه.. فقد أخذ الشرطي النقود.**

— أية نقود، يا كولوشا؟

— **النقود التي أعطانيها المارة في الطريق، وأنوخين أيضا.**

— وفيم أعطوك النقود؟

— **لهذا...**

وأرسل أنيناً خافتاً قصيراً، واتسعت عيناه. فقلت:

— **كيف لم تر الخيل وهي مقبلة عليك، يا كولوشا؟**

فرد ببساطة ووضوح:

— **رأيتها، يا أماه. ولكنني لم أحاول أن أتحول عن طريقها. خطر لي أن الناس سيعطونني نقودا إذا وقعت تحتها.. وقد أعطوني فعلا.**

هذا ما قال لي. وتبينت كل شيء. أدركت ما فعل ملاكي بنفسه، لكن بعد فوات الأوان. مات في الصباح التالي بعد أن بقي محتفظاً بصفاء ذهنه حتى اللحظة الأخيرة، وظل يردد:

— **اشتري لأبي هذا، واشتري له ذاك.. واشتري لنفسك أيضا.**

لكأنما كانت لدينا أموال طائلة. كان هنالك سبعة وأربعون روبلاً. فذهبت إلى التاجر أنوخين ولكنه رفض أن يمنحني أكثر من خمسة روبلات، وهو يزمجر معترضاً ويقول:

— **ألقى الصبي نفسه تحت الخيل وقد رآه الكثيرون. ففيم جئت تستجدينني مالا؟**

لم أذهب إليه بعد ذلك. هذا ما حدث، أيها الشاب.

كفت عن الكلام، واستعادت ما كانت عليه من جمود وبرود.

كانت المقبرة هادئة مهجورة، وكانت الصلبان والأشجار الذاوية وكثبان التراب والمرأة الجامدة التي جلست على القبر في ذلك الوضع الحزين.. هذه الأشياء كلها كانت تجعلني أفكر في الموت والآلام التي يعانيها البشر.

وكانت السماء خالية من السحب وهي تصب على الأرض قيظاً خانقاً. فتناولت بعض النقود من جيبي، وأعطيتها للمرأة التي كانت لا تبرح على قيد الحياة في حين أن المصيبة قتلتها.

هزت رأسها، وقالت في تمهل غريب:

— **لا تزعج نفسك، أيها الشاب، لقد نلت كفايتي اليوم، ولم أعد أرغب في المزيد.. أنا وحيدة في الحياة.. وحيدة تماما.**

وأرسلت زفرة حرّى وزمت شفتيها النحيلتين في عصارة من الحزن.





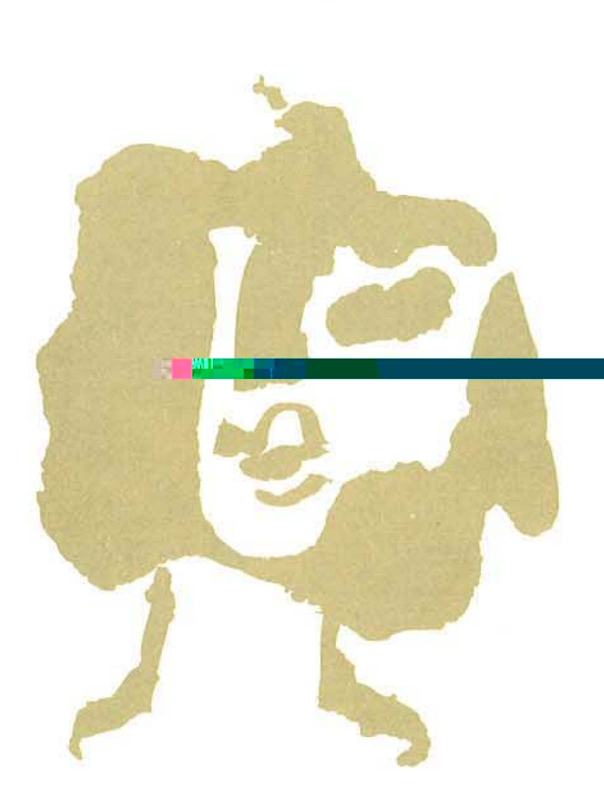
تأليف: هانز كريستيان اندرسون
ترجمها بتصرف: عبد الله حسين بغدادي





بائعة الثقاب





كان الوقت بارداً، والجليد آخذاً في التساقط، والمساء غير بعيد !! تلك كانت آخر ليلة من العام، ليلة رأس السنة الجديدة، كما تدعى.

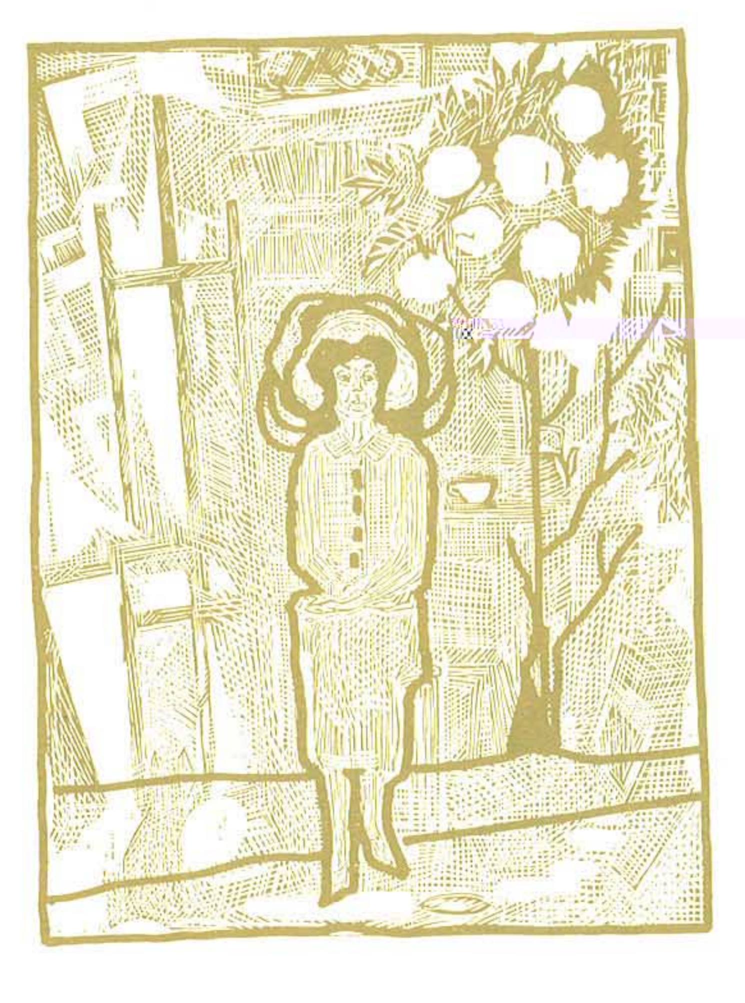
في عتمة ذلك المساء، ووسط صقيعة الجليدي القارس، كانت هناك صبية صغيرة رثة الثياب، فقيرة، تضرب الطرقات عارية الرأس، حافية القدمين، عندما غادرت البيت، كانت قدماها تغوصان في خفين كبيرين أبلاهما فرط استخدام والدتها لهما، فلم يقدر لقدميها البقاء فيهما طويلاً. لقد كانا من السعة بحيث فقدت أحدهما وهي تعبر مسرعة أحد الشوارع بين سيارتين، وخطف الآخر منها صبي شقي قائلاً لها إنه يود استخدامه مهداً لأبنه القادم.

واصلت سيرها وقد علت قدميها حمرة يشوبها في بعض الأماكن ازرقاق داكن من شدة البرد، حاملة على صدرها جراباً محشواً بعدد هائل من علب الثقاب، وفي يدها اليمنى علبة واحدة تلوح بها للعابرين.

يوم سيء حقيقة ! لم يشتر أحد منها خلاله عوداً واحداً، ولم يدخل في جيبها خلاله أي درهم على الاطلاق، كانت تتضور جوعاً، وترتعش برداً، تبدو جد بائسة ... تلك الصغيرة المسكينة ! شرانق الجليد تهوي، وتتخلل شرانق شعرها الحريري الأشقر ذي العقصات الناعمة الملتفة حول رقبتها، ولكنها ... هل تفكر لحظة بشعرها، وهل تشغلها عقصاته ؟ لا .. إنها مأخوذة بأشياء أخرى، مأخوذة بتلك النوافذ التي ينبعث النور منها والتي تقبع خلفها الغرف الدافئة المفروشة، مأخوذة برائحة اللحوم المشوية التي تفعم الشوارع، مأخوذة بالعيد وما يحمله لأطفال غيرها ... عيد رأس السنة الجديدة. ذاك ما كان يشغل رأسها الصغير حقاً.

جلست من تعب ومن برد منحنية على نفسها في زاوية بين بيتين ... الصقيع يحتويها ويمزق جسمها الصغير ... يخدره شيئاً فشيئاً كالشلل، فلا تستطيع الاستمرار، ولا تجرؤ على العودة إلى بيت أبيها خالية اليدين من النقود، مملوءة الجراب بعلب الثقاب، فهي





تعرف ما ينتظرها من ضرب وركل عقاباً لها . ثم إن البيت ليس أقل برداً من هذه الزاوية ، ذلك البيت الذي يقيم فيه أهلها تحت السطح ، والذي يتخلله الهواء من كل جانب ، بالرغم من الجهود التي بذلوها لسد الشقوق الكبيرة بالتبن وبمزق القماش القديمة .

إنها تموت برداً ، ويداها الصغيرتان قد خدرتا ، والألم يعصف بجميع مفاصلها ، وهي تنظر إلى علبة الثقاب التي بيدها وتقول في نفسها : «لو أنني أسحب عوداً واحداً فقط من هذه العلبة وأشعله ، أو أنني أجرؤ على ذلك ، إذن لإنبعث الدفء في أعضائي وشعرت بالراحة ، وذهب عني الألم» ، وبعد تردد سحبت عوداً وأشعلته ... وإذا الضوء دافىء كضوء شمعة صغيرة ! أخذت تغطيه بيدها لتشعر بدفئه الذي يتخلل أصابعها المتجمدة . يا له من ضوء غريب ! . بدا للصبية من سحره أنها جالسة أمام موقد كبير من الحديد المزخرف تضطرم فيه نار نادرة اللهيب ، ويشع من حوله الدفء . فأخذت الفتاة المسكينة تمد قدميها لتحصلا على نصيبيهما من الدفء فإذا بالشعلة تنطفىء ، وفجأة يختفي الموقد ولم يبق لها من تخيلها غير عود من الثقاب محترق بين أصابعها .

أسرعت باشعال عود آخر انعكس ضوؤه على جدار البيت فبدا لها شفافاً كأنما هو جدار من ضباب ، رأت من خلاله غرفة ، قد مدت بوسطها مائدة فاخرة عليها أوزة محشوة بمختلف أصناف التوابل المشهية والخضار ، قفزت فجأة من صحنها متدحرجة نحو الفتاة التي ، عندما مدت يدها لتناولها ، انطفأ الكبريت وارتطمت يدها بجدار سميك بارد .

وبيد مرتعشة ، ونفس تواقة ، أشعلت العود الثالث ، وإذا بها تحت شجرة كبيرة تتدلى على أغصانها الخضراء آلاف الشموع المتلألئة ، آلاف الصور والزخارف الملونة ، لكنها عندما رفعت بيديها للمس الشموع سقط الثقاب على الأرض منطفئاً غير أن ضوء الشموع لم يزل يتراقص أمامها فأخذت تحدق في الشمعات اللاتي أخذت في الارتفاع ... والارتفاع ، وعيناها تتابع هذا الصعود حتى أدركت أخيراً أن الشموع التي كانت تتابع صعودها لم تكن غير نجوم السماء .

احتواها اليأس فأشعلت عوداً رابعاً ، ظهرت لها في ضوئه جدتها التي ماتت منذ حين ، وهي تنظر إليها بحنو وهدوء فصرخت الصغيرة بكل قوتها «خذيني معك الآن يا جدة ، خذيني قبل أن ينطفىء الكبريت فتختفين كما اختفى من قبل ، في الظلام الموقد ، والأوزة ، والشجرة» ... فإذا بالعود ينطفىء فعلاً ، لكنها أسرعت إلى اشعال جميع ما تبقى في العلبة من أعواد حرصاً منها على استبقاء جدتها . وفي وهج الأعواد المشتعلة مدت الجدة يديها ورفعت الفتاة إلى صدرها .. واختفى بعد ذلك كل شيء عن إدراك الفتاة وشعورها .

عند خروج الناس صباح العيد من بيوتهم رأوا فتاة قابعة عند زاوية بيتين محمرة الوجنات على فمها ابتسامة متجمدة ... لكنها ميتة !

لقد ماتت الصبية برداً في آخر يوم من أيام السنة . ولم يظهر أول يوم من العام الجديد ، إلا على جثة مكومة في ركن بارد وبيدها علبة احترق جميع ما بداخلها من أعواد ، فأخذ الناس يتهامسون «لقد أرادت أن تتدفأ!» .

الترجمة العربية للشعر العالمي إلى أين تسير؟

بقلم: محمد فهمي الحمدان

لا شك في أن ترجمة الشعر من لغة إلى لغة تفقده أثمن ما يعتز به الشعر، وهو موسيقاه والقالب الذي صيغ فيه، وهذه الجناية تؤثر بدورها على العاطفة، إن لم تتجن على غيرها فتمسخ المعنى وتتحدى قواعد النحو والصرف.

وليس معنى ذلك أني لا أقرُّ ترجمة الشعر، وإنما قصدت أن الترجمة تضر بالشعر، فلا أقل من أن نحاول التخفيف من آثار هذه الأضرار، وذلك بأن يعمد الكتاب المترجمون إلى فهم القصيدة أولا، ثم التأثر والانفعال بها، ثم ترجمتها شعراً أو نثراً لا بأسلوب أدبي مقبول، بأسلوب مفكك ركيك، ولا بترجمة حرفية باردة !!

لا مانع من الترجمة إذن ضمن هذا الإطار فحسب !!

أنظروا معي إلى لغة (**أكلوني البراغيث**)، في ترجمة مجلة (**شعر**) لقصيدة (**بحر**)، للشاعر التشيكوسلوفاكي (**بيتر هايرلنغ**)[1] : (بحر في مسكن الحلزون / نداء بإذن الصدف / وخراباً، منذ القدم، صارت المدن / الريح بمامة / من يأسرها؟ / يتحدثن دائماً / عن البحر / اليمامات)!! .

فقد جمع المترجم نون النسوة واليمامات معاً، فصار عندنا فاعلان لفعل واحد، وقدَّم خبر (صار) عليها وعلى اسمها دون مبرر، والسبب واضح هو أن المترجم الفاضل يترجم العبارات ترجمة حرفية، ويرصفها كما كانت مرصوفة ومرتبة في الشعر الأجنبي في لغته الأصلية، دون فهم لقواعد لغتنا ودون أن يتحلى بما يتطلبه الشعر من موهبة وذوق وإحساس جمالي فني!! .

وهو يفصل المتلازمين عن بعضهما، فيفصل بين الجار والمجرور ومتعلقه، وبين الفعل وفاعله، والواقع أن قضية الفصل التعسفي وتمزيق الجملة الواحدة إلى أشلاء مبعثرة على سطور عدة، هي سمة يتسم بها الشعر المنثور والمترجم والشعر الحر جميعاً، وربما كان الشعراء يعتبرونه من مظاهر التجديد والإبداع، ولله في خلقه شؤون !!

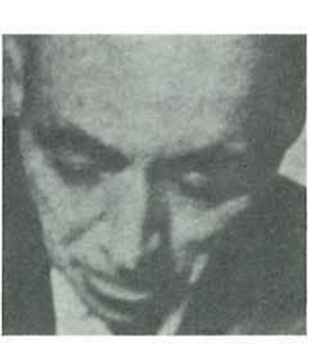
ونعود إلى القصيدة السابقة، ولنقرأها مرات ومرات فهل نتأثر بها؟! .. لقد استحالت بين يدي المترجم الفاضل أشلاء محنطة بلا روح ولا فن ولا جمال. إنها الترجمة الحرفية الركيكة الأسلوب !!

وأنظروا إلى قصيدة (**النفيسة**) **لبايرون**، كيف مسخها المترجم وجعلها جثة محنطة[2] :

لقد استيقظ الأموات / - أأظل نائماً ..؟ / والعالم في حرب ضد المستبدين / - أأظل منحنياً ..؟ / والحصاد قد نضج / - أأتردد في حصاده ..؟ / لا أستطيع النوم فالشوك يقضُّ مضجعي، / وهناك نفير يجتاح أذني كل يوم / وصداه يغمر قلبي) !! .

إننا لو استعرضنا الترجمات الشعرية العربية، التي تحملها إلينا الصحف والمجلات العربية كل يوم، لوجدناها جميعاً على هذه الشاكلة، ركيكة سقيمة باردة محشوة بالأغلاط ممسوخة، وأسباب هذا في رأينا :

إما عدم الإحاطة باللغة الأجنبية المترجم عنها وفهم أسرارها، وإما عدم الإحاطة باللغة العربية وفهم أسرارها أيضاً، وإما السرعة لأنهم يتعجلون في الكتابة رغبة في النشر وقبض الأجور، مع أن عدداً من الأدباء العرب قد سلكوا طريقاً سليمة للترجمة، فهاهما الشاعر **العوضي الوكيل، والسيدة س. عبد الرزاق صبري**، في ترجمتها لكتاب (**أعلام الشعر الفرنسي وطرائف من آثارهم**)، وقد ترجما فيه سيراً موجزة لحياة خمسة



★ أحمد حسن الزيات ★



★ د. إبراهيم ناجي ★





★ فيكتور هيجو ★



★ لامارتين ★

من أعلام الشعر الفرنسي هم : **لامارتين ، ألفريد دي فيني ، فيكتور هيجو ، ألفريد دي موسيه ، بول فرلين** ، واتبعا فيه السبيلين الطبيعيين لترجمة الشعر ، وهما ترجمته شعراً أو نثراً فنياً ، وها نحن نجتزىء مقطعين من قصيدة (**الوحدة**) ، للشاعر **لامارتين** :

أسرح الطرف في الوادي الذي انبسطت
أمام عيني ووجداني مراثيه
والشمس تسبح نحو الغرب في طفل
وقد جلست حزين الفكر عانيه
في ظل صفصافة أمست كهولتها
(تذرو الشجون على الوادي وما فيه)
أرى هنا غالباً في وحدة عجب
مشرداً ، وكأن القلب في تيه

* * *

كم يهدر النهر في واديه منطلقاً
وفوق أمواجه وشي من الزبد
لقد تلوى على الوادي وسار إلى
حيث اختفى ، مخدراً في ظلمة الأبد
وفي البحيرة ماء راح في سنة
قد لفه عبقري الصمت في برد
نجم المساء سما من عندها صعداً
إلى السماء ، وما أبهاه في الصعد

وترجماها نثراً هكذا :

غالباً .. على الجبل .. وفي ظلال بلوطة معمرة
أجلس ساهماً حزيناً ، والشمس في ساعة الغروب
أسرح الطرف هنا وهناك في رحاب الوادي
الذي أنبسطت أمام عيني لوحاته المختلفة

* * *

هناك يسمع هدير النهر ذي الموجات المزبدة
والذي يتلوى تلوي الأفعى ، ثم يختفي في ظلمات الأبد
وهناك البحيرة الساكنة بمياهها النائمة
التي يرتفع من عندها كوكب الليل في السماء الزرقاء[٣] .

ومن إجراء مقارنة بين الترجمتين الشعرية والنثرية ، نجد أن الشاعرين قد دفعتها الضرورة الشعرية أو السرعة أو العجز ، لأننا يجب أن نسمي الأمور بمسمياتها دون مجاملة ، أقول :

دفعتها إلى أن يحشوا الأبيات بألفاظ ، بل بأفكار تخفض من قيمة القصيدة ، فقد جعلا الصفصافة مثلاً تذرو كهولتها الشجون على الوادي وما فيه :

في ظل صفصافة أمست كهولتها
تذرو الشجون على الوادي وما فيه

أما كون **البلوطة** ، في الترجمة النثرية قد أضحت **صفصافة** ، في الترجمة الشعرية فهو أمر لن أعلق عليه ، ولو أن الشاعر **محمد عبد الغني حسن** ، قد أشار إليه واعتبره من الضرورة الشعرية ، فهو ليس من الضرورة الشعرية في شيء ، لأن إيقاعها الموسيقي متشابه ولا ينكسر الوزن الشعري إذا قلنا بلوطة ، ولكن هناك فارق بين الترجمة الشعرية والنثرية ، فالنثرية هي الأرقى ، ولكن الشعرية حسنة أيضاً ، وهي أفضل بكثير من ذلك الركام الذي تلفظه الصحف والمجلات العربية ، إذ يبقى متصفاً بصفات الشعر أو الأدب ، بعكس الركام الذي يأباه الذوق الفني الأصيل !!

وها هي طائفة من الشعراء والأدباء تترجم قصيدة (البحيرة) ، للشاعر لامارتين ، وها نحن نقتطف المقاطع الأولى لترجماتهم :

يقول **أحمد حسن الزيات** :

أهكذا قضى الله أن نمحز في عباب الحياة
مدفوعين في ظلام الأبد من شاطىء إلى شاطىء
دون أن نملك الرجوع إلى ملجأ أو الرسو ذات يوم على مرفأ ؟
أنظري أيتها البحيرة ! ها هو ذا العام قد كاد
يشارف تمامه ، وأنا وحدي بجانب أمواجك الحبيبة
أرتقب عبثاً عودة جوليا إليها : جالساً فوق الصخرة
التي كنت ترينها جالسة عليها

* * *

كذلك بالأمس كنت تهدرين فوق هذه
الصخور المعلقة ، وتتكسر أواذيك على جوانبها
الممزقة ، ويقذف هواؤك الزبد على قدميها المعبودتين

وإن كان لنا ملاحظة على ترجمة الزيات ، فهي حول هذا البتر التعسفي للجمل والفصل بين المتلازمات !! .. أما **علي محمود طه** فيقول :

ليت شعري أهكذا نحن نمضي
في عباب إلى شواطىء غمض
ونخوض الزمان في جنح ليل
أبدي يضني النفوس وينضي
وضفاف الحياة ترمقها العيـ
ـن ، فبعض يمر في إثر بعض
دون أن نملك الرجوع إلى ما
فات منها ولا الرسو بأرض

* * *

حدثي القلب يا بحيرة مالي
لا أرى (أولفير) فوق ضفافك
أوشك العام أن يمر ، وهذا
موعد للقاء في مصطافك
صخرة العهد ويك ها أنذا عد
ت ، فماذا لديك عن أضيافك ؟

عدت وحدي أرعى الضفاف بعيـ
ـن ، سفكت دمعها الليالي السوافك

ويقول **د . نقولا فياض :**

أهكذا أبدأ تمضي أمانينا
نطوي الحياة وليل الموت يطوينا
تجري بنا سفن الأعمار ماخرة
بحر الوجود ، ولا نلقي مراسينا
بحيرة الحب حياك الحيا فلكم
كانت مياهك بالنجوى تحيينا
قد كنت أرجو ختام العام يجمعنا
واليوم للدهر لا يرجى تلاقينا

ويقول **د . إبراهيم ناجي :**

من شاطىء لشواطىء جدد
يرمي بنا ليل من الأبد
ما مر منه مضى فلم يعد
هيهات مرسى يومه لغد

* * *

سنة مضت وختامها حانا
والدهر فرق شملنا أبدا
ناج البحيرة وحدك الآنا
واجلس بهذا الصخر منفردا

ويقول الشاعر **محمد عبد الغني حسن** ، في ترجمته لقصيدة (**دنيا الكتاب**) ، للشاعر الأميريكي (**كلارنس داي**) :

دنيا الكتاب عجيبة الأكوان
من دون ما خلقت يد الإنسان
لا شيء مما خلدته يمينه
باق على الآباد والأزمان
كم من صروح زلزلت جنباتها
وممالك صارت إلى فقدان
وحضارة عاشت طويلاً وانطوت
وأقيم بنيان على بنيان
أما الكتاب فإن في أسفاره
ما شاهدت أحداث كل زمان
شاب المدى من جانبيه ولم يزل
حلو الشبيبة ريق الريعان
وكأن بردته كأول عهده
أيام سطر ناضر الأردان
يفضي لأفئدة الرجال بكل ما
حوت القلوب طوين في الأكفان

ولعل أهم أثر أدبي عالمي اهتم بنقله الشعراء العرب هو (**رباعيات عمر الخيام**) ، وقد ترجمت شعراً ونثراً عن أصلها الفارسي وعن الانجليزية ، فقد ترجمها : **وديع البستاني** ، شعراً عن الانكليزية ، وكذلك فعل **محمد السباعي ومحمد الهاشمي** ، **أما جميل صدقي الزهاوي** ، فقد ترجمها عن الفارسية شعراً ونثراً ، وكذلك ترجمها **أحمد رامي وعبد الحق فاضل** (من العراق) ، شعراً عن الفارسية ، وكذلك ترجمها **الدكتور أحمد زكي أبو شادي وأحمد الصافي النجفي** شعراً ، وترجمها نثراً **أحمد حامد الصراف** ، وكانت **ترجمة عبد الحق فاضل أفضل ترجمة على رأي الأستاذ محمد عبد الغني حسن** (٤) .

وها نحن نقتطف نماذج من ترجمات الرباعيات :

●● يقول **وديع البستاني** في ترجمته للنشيد الخاص بقصر (**جمشيد**) و(**بهرام جور**) :

★ عبد الحق فاضل ★

قصر (جمشيد) مجمع الندمان
صار كنأ للخشف في الصحصحان
ومقيلاً للضب والثعلبان
و(ابن جور) الصياد صيد وأردى
ومن العرش حط حطاً للحد
بقر الوحش فوقه رائحات
غاديات تجتاحه أسرابا

ونرى الألفاظ هنا صعبة وغريبة ، وهذا ناجم عن تأثره بالتراث من ناحية ، وعن سعيه الواعي إلى التقعر والاتيان بالكلمات الصعبة وفقاً للذوق والمعايير الشائعة في عصره !!

●● وقد ترجم الشاعر العراقي **عبد الحق فاضل** هذا النشيد عينه بقوله :

يا لجمشيد وقصر كان فيه يشرب
ولدت فيه ظباء واستكن الثعلب
يا لبهرام الذي كان يصيد العير عمرا
أرأيت القبر كيف اصطاده لا يرهب ؟

أما النشيد الخاص بصيرورة القصور العامرة إلى خراب مهما ارتفعت إلى ذروة الأفلاك فقد وقعت لنا منه ثلاث ترجمات شعرية ، أولاها **لوديع البستاني :**


★ أحمد الصافي النجفي ★

رب قصر طالت ذراه السماكا
وتراءت قبابه أفلاكا
وملوك كانت تخر هناكا
وجباه تعنو على الأعتاب
بوقار العباد في المحراب
وهناك اليوم الحمام ينادي
يوسفاً والغراب يدعو الغرابا

●● وثانيتها **لعبد الحق فاضل :**

رب قصر زحم الأفلاك يوماً منكباه

وملوك عفرت حر النواصي في ثراه
وقعت عيني على فاختة فوق ثراه
قعدت تندب أهليه ، وتنعي من بناه

●● وثالثها **لأحمد رامي :**

تلك القصور الشاهقات البناء
منازل العز ومجلى السناء
قد نعب البوم على رسمها
يصيح : أين المجد ؟ أين الثراء

●● أما **أحمد حامد الصراف** ، الذي ترجم الرباعيات نثراً ، فيقول في ترجمة هذا النشيد :

(إن القصر الذي كان يتسامى مع الفلك كتفاً إلى كتف ، والذي كان الملوك يضعون على أعتابه الجباه ، قد رأينا الفاختة على شرفاته تسجع قائلة «كوكوكوكو» «أي : أين ، أين ، أين ؟») .

●● ويقول **عبد الحق فاضل** ، في ترجمته **لنشيد الكوز :**

كان هذا الكوز مثلي عاشقاً جد كئيب
سحرته طرة المحبوب بالحسن العجيب
وتأمل عروة في جيده موثقة
فلقد كانت ذراعاً طوقت جيد حبيب

●● **ويقول وديع البستاني** ، في ترجمته للنشيد ذاته :

وكأني بالكوز قد كان صبا
مبغداً ، آملاً دنواً وقربا
هائماً مائتاً غراماً وحبا
وكأني بعروتيه ذراعا
عاشق ضم من أحب وداعا

*

صاح ! هذا المصير : ناس ، فطين
فأوان لا تعرف الأصحابا

فهذه الترجمة قد بذل فيها جهد . . ولا شيء كالأدب يحتاج إلى جهد لأنه من الفنون ، والفنون لا تنهض إلا بالدأب والعمل والهمة القعساء والمثابرة ، والدقة متضافرة مع الأصالة والمعاناة والإحساس الصادق . ومنه نشأ القول **بأن الشاعر المجيد يغمس قلمه بقلبه ليكتب ، والفنان يغمس ريشته بدمه ليرسم ، أما أدباؤنا اليوم فيغمسون أقلامهم في الماء ليكتبوا** ، فتراهم يجنحون إلى تخفيف القيود ليوفروا على أنفسهم كثيراً من الجهد والعناء ، ولا أقسو عليهم إذا اعتبرت محاولاتهم هذه خروجاً عن جادة الأدب الرفيع ذاته ، فلا شيء يكلف الأديب أن يكون كالدجاجة ، عليها أن تبيض يومياً ، أو كالآلة عليها أن تؤدي عملها باستمرار . وإذا ما كان كذلك فسيخرج للناس كل غث وبارد ، وسينقلب إلى صحافي لا أكثر !!

وإنه لا شيء يسيء إلى الفن وإلى الشاعر الذي يبدع هذا الفن ويسطره بمداد قلبه وجراحه أكثر من عبث المترجمين الآليين به . وإلا فما معنى أن نقرأ الشعر الفرنسي على هذا البرود وهذه الركاكة والتفكك :

(والرملُ المنبوش البحرُ الذي أختارُ) و(التشهير الذي الأزهار حساسة أمامه) في ترجمة **ناديا تويني !**[٥] .

وما معنى أن تكتب قصيدة الشاعرة (سيليفيا بلات) من أميركا الشمالية على هذه الشاكلة :

(الوجوه التي / تتزاحم نحو الوجود / مجرجرة / مبتورة . / قبّعة الغياب المدمّاة / أتسلق طوال الليل / مسافة ، لأجل هذا الشيء أعطيته / حبّ / لأجل عينين مبللتين وصرخة حادة / بصاق أبيض / اللامبالاة ! / الثمار السوداء تترنح وتسقط / المرآة تشعر ، / الصورة / الهرب ، الاجهاض كزئبق منفلش .) !! .

ما الفائدة من مثل هذه الترجمات ؟

ونقرأ للكاتب (**الياس ندور**) أشعاراً مترجمة عن (**ميشال ديغي**) ، وهي بعنوان (الفقرة ٥ أعمال ١٩٦٦ م) ، تمتد على صفحات مجلة (الآداب الأجنبية) السورية ، من الصفحة ٥٤ ، حتى نهاية الصفحة ١٠٩ ، وهي بحرف دقيق ، والسؤال الذي تثيره للوهلة الأولى هو : لـمَ لم تنشر في كتاب مستقل ؟!

والسؤال الثاني هو : كيف تتسع مجلة لمثل هذا العمل المطول ؟ . . وعلى كل حال ليس لنا علاقة بهذا ، فالأمر متروك لأولي الأمر ، لكن ما يعنيني هو اقتطاف مقطع قصدت أن يكون صغيراً لعرضه على القراء :[٦] .

(العالم يمتد فصولا صقيع البحر / فوق هذا الخليج حيث أشجار الدردار تتناقش بالأبواق / عندما نستلب الريح قرون الشمس / أو الأزهار أيضاً . الأحد فوق الرواق / الجمهور نصٌ إيراني عتيق / الخزي الذي عشناه مثل أيوب / والذي نرفضه من أجل مصيرنا / نسافر مباشرة إلى اللامرئي) !!

وأعتقد أن القراء يلاحظون أن لا حياة في هذا النص ، ثم يلاحظون التفكك والركاكة والفصل القسري بين الكلمات !! .

ولا بد أن نؤكد ثانية على أنه من الأفضل ترجمة الشعر إلى شعر ، وإن كنا نقر ترجمته إلى نثر أدبي فني مقبول كترجمة دريني خشبة مثلا لالياذة هوميروس وغيرها !!

المهم أن نحس أننا أمام أديب مبدع قد استطاع أن يتأثر بالعمل الأدبي وأن يعيد إنشاءه من جديد على شكل هو إلى الابتكار والإبداع أقرب !!

أما المترجمون الآليون ، فعليهم ترجمة الكتب الأخرى غير الأدبية ، وعليهم ألا يقتربوا من الشعر خاصة !! . . إن الأمثلة المقتطفة السابقة قد رسمت السبيل الطبيعي للترجمة الشعرية ، وعلى غيرهم أن يقتفوا آثارهم ، أما غير الأصحاء وغير القادرين فعليهم أن يدعوا الترجمة الشعرية ويبحثوا عن عمل آخر يُحمَدون فيه !! .

هوامش

(١) ـ مجلة شعر ـ اللبنانية ، العدد ٣٦ ـ خريف ١٩٦٧ م .
(٢) مجلة ـ الطليعة ـ السورية ، العدد ١٤٩ ، ٢ نيسان (ابريل) ١٩٦٩ م .
(٣) محمد عبد الغني حسن : فن الترجمة في الأدب العربي . القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مارس (آذار) ، ١٩٦٦ م .
(٤) محمد عبد الغني حسن : فن الترجمة في الأدب العربي . ص ١١٦ .
(٥) مجلة ـ شعر ـ اللبنانية ، العدد ٣٦ ، خريف ١٩٦٧ م .
(٦) مجلة ـ الآداب الأجنبية ـ السورية ، العدد ٢ ، السنة الثانية ، صفحة ٩٩ .



قصصية



الأخوة كرامازوف :

لدستوفسكي (١٨٢١ - ١٨٨١ م) ، تحكي حياة أسرة هي الأب (**فيودور**) الشيخ اللاهي ، والأبناء : « **ميتيا** » ، و« **ايفان** » ، و« **اليوشا** » ، والابن غير الشرعي « **سمير دياكوف** » والأخير خبيث ذكي محتال يعيش خادماً في المنزل ، وأطهرهم اليوشا ، أما ميتيا فضابط ذو عواطف متناقضة ، أما ايفان فكان يبغض ميتيا . وتدور أحداث القصة وتنتهي بالحكم على ميتيا بالأشغال الشاقة ، وقد كان في نية المؤلف أن يكمل القصة في عمل آخر .



البحث عن الزمن الضائع :

بروست (١٨٧١ - ١٩٢٢ م) ، وفيها يصور بروست عالماً لا حدود له إلا ما تفرضه العين التي تنظر إليه ولا وجود له إلا من خلال رؤية العين مع الاعتماد على الرمز ، ويهيم بروست البطل والراوي ساعياً وراء الزمن المفقود في رواية داخلية تعتبر بداية الرواية « **الفينومينولوجية** » لأنها لا تصف العالم الوهمي والواقعي بل تدرس وتنقد وتحلل الصور التي بين يدي الإنسان . وقد أثرت في حركة الفن القصصي الحديث ، وجاء بعده من خلطوا بين أجزاء الواقع ومستويات المكان والزمان ، ورفضوا السرد **المنطقي** الموضوعي ، ومالوا للخيال المبدع .



التوأمان :

للكاتب السعودي عبد القدوس الأنصاري . . تبدو أهمية هذه القصة الطويلة كما يذكر **الدكتور منصور الحازمي** في حولية كلية الآداب - الرياض (مج ٣) - في أنها تعتبر التجربة الأولى في الميدان القصصي ، إذ صدرت سنة ١٩٣٠ م ، وقد كتب مؤلفها على غلافها : (**أول رواية صدرت بالحجاز**) ، والرواية من النوع التعليمي .



الثلاثية :

تأليف نجيب محفوظ . . وتضم الأجزاء التالية حسب الترتيب : **بين القصرين ، وقصر الشوق ، والسكرية** ، وتحكي قصة حياة أسرة مصرية من الطبقة المتوسطة في خضم ألوان النشاط الإنساني ، وفي تسلسل أجيال ما بين الجد والآباء والأحفاد ، مع تباين النزعات والميول والاتجاهات وتناقضها في كثير من الأحيان ، وقد تأثر فيها نجيب محفوظ بقصة (تسلسل الأجيال) عن الأدب الإنجليزي .



جيل بلا :

تأليف لوساج . . يرحل « جيل بلا » من بلده ليدرس في الجامعة ، وتحدث له أحداث في الطريق تحول مجرى حياته ، فيسرقه اللصوص في الطريق ، ثم يقع في قبضة قطاع الطرق ، ويبقى معهم زمناً ثم ينجح في التخلص منهم ، ثم يتهم ظلماً ويسجن حيناً ، ثم ينتقل في بيئات مختلفة فيعمل خادماً فطبيباً ثم يختلط بالممثلين ، ثم يصبح من رجال القصر .



حي بن يقظان :

تأليف ابن طفيل (١١١٠ هـ - ١١٨٦ م) ، تحكي نشأة طفل هو (**حي**) نشأ في جزيرة مهجورة لا يعرف والديه ، فربته **غزالة** ظنته ولدها المفقود حتى كبر وصار ذا فكر وفلسفة وإشراق ، وأتى الجزيرة متصوف اسمه (**أسال**) فتعارفا ، وتعلم (حي) منه اللغة وغيرها ، ثم ذهبا إلى الجزيرة المجاورة ليهديا من فيها فلم يفلحا فعادا إلى جزيرتهما ليتعبدا حتى يأتيهما أمر الله . . وقد أثرت هذه القصة في الآداب العالمية وبخاصة الأدب الإسباني .



خان الخليلي :

تأليف نجيب محفوظ (١٩١٢ - . . . . م) ، يصور فيها نجيب محفوظ قطاع الطبقة المتوسطة - كعادته - في المنطقة القديمة بالعاصمة المصرية حيث حي (**الحسين**) ، **وخان الخليلي** ، وبطل الرواية (**أحمد عاكف**) نموذج لطبقته ، وهو نموذج فريد يحاول أن ينال قسطاً من التعليم الجامعي لكنه يخفق مع إيمانه الشديد بقدرته وكفاءته ، وكما فشل في التعليم فشل في الحياة العاطفية ، وبذلك انتهى إلى دائرة الفشل لأسباب ترجع إلى عدم قدرته على الحسم والتركيز .



دون كيخوتة :

تأليف سرفانتس (١٥٤٧ - ١٦١٦ م) ، من عيون الأدب العالمي وسميت باسم بطلها السريّ الذي اقتنع بمبادىء الفروسية وناقش فيها أصدقاءه وحلم بتطبيقها ، وقد تقلدها في حفل سامر أقامه صاحب فندق ، واصطنع لنفسه فتاة أحلام وسار على حصانه الهزيل ، ثم يحارب تجار (**طليطلة**) فيضربونه ، وهنا يرى صديقه القس أن كتبه هي مبعث جنون أحلامه فيحرقها ، ويظل في تخيلاته الوهمية فيتصور **طواحين الهواء** عمالقة تستعد لنزاله ، ثم يتعرض لموقف يناله فيه الأذى كسابقه ، ويظل في مخاطراته وأحلامه حتى يظل حبيساً في بيته حزيناً يائساً ، وقد ترجم الجزء الأول منها **الدكتور عبد العزيز الأهواني** .



الذئاب :

تأليف أحمد إبراهيم الفقيه (**ليبيا**) ، تصور القصة كيف هاجمت الذئاب البطل (**عثمان الغول**) فقضى ليلة باردة عاصفة بأكملها فوق جذع شجرة عجوز يطرد الذئاب بغصن جاف ويكاد في كل لحظة يسقط لقمة سائغة بين أنياب الذئاب الجائعة ، حتى طلع الصباح وبدأت الذئاب تتسلل واحداً بعد الآخر ، وكان آخرها ذلك **الذئب الرمادي الصغير** الذي أطعمه رغيفه ، وعاد عثمان الغول إلى قريته يخب في قميصه الممزق ، وهو يلتفت شمالا ويميناً ، وكلما تكسرت تحت قدميه عشبة يابسة ارتعشت أصابعه .



رسالة الغفران :

من تأليف أبي العلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ - ١٠٥٩ م) ، هي رحلة تخيلها أبو العلاء في **الجنة** ، وفي **الموقف** ، وفي النار ، ليحل في عالم خياله مسائل ومشكلات ضاق بها في عالم واقعه من العقاب والثواب ، والغفران أو عدمه ، مع فيض من مسائل الأدب واللغة في قالب ساخر ناقد لغوي ، وكان خياله فيها فريداً ، وبه صارت من **قصص** الخاطرات الغيبية الذهنية . . وقد أثرت في الكوميديا الإلهية **لدانتي** الإيطالي ، وكلاهما تأثر بقصة **الإسراء والمعراج** .



زينب :

تأليف محمد حسين هيكل (١٨٨٨ - ١٩٥٦ م) ، يعتبرها معظم النقاد رائدة الرواية الفنية الحديثة في الأدب العربي ، إذ نشرها لأول مرة سنة ١٩١٢ م متخفياً وراء لقب (**مصري فلاح**) ثم أفصح عن اسمه في الطبعة التالية . وقد كتبها وهو طالب في **باريس** . . وتعالج شؤون أسرة ريفية في ريف مصر ، من خلال واقع حياة الريف واهتمام بالجانب العاطفي والاتجاه الرومانسي . وعلى الرغم من شهرة هيكل في هذا المجال القصصي بتلك الباكورة فإنه أحجم عن الكتابة القصصية مدة طويلة حتى سنة ١٩٥٥ م ، إذ أصدر رواية (**هكذا خلقت**) ، ولم يكتب إلا بضع قصص نشرها بالهلال والمصور فيما بين هذين التاريخين .



ستة أيام :

تأليف حليم بركات . . نشرت الرواية في **بيروت** سنة ١٩٦١ م ، وبطلها **سهيل** يراقب الناس كما يراقب نفسه ، وقد أنذر الأعداء مدينته (**دير البلح**) أن تستسلم أو تمسح عن وجه الأرض ، وخطب في الجماهير ثائراً ، ويشترك في التدريب على السلاح ، ويجد الموت يهدد أمله في الحب ، ثم يقع أسيراً ويعذب ثم يوقف الأعداء التعذيب ويصعدون به إلى سطح السجن ويشيرون إلى مدينته التي تحترق .



شجرة البؤس :

للدكتور طه حسين (١٨٨٩ - ١٩٧٣ م) ، صدرت الرواية سنة ١٩٤٤ م مصورة أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، وتعرض لصراع العقل والعلم والمنطق من ناحية ، والتواكل من ناحية أخرى . . وبيئتها **الصعيد المصري** بما فيه من عادات وتقاليد ، وقد تأثر بها نجيب محفوظ في رواياته التي ترصد تسلسل الأجيال .



صراخ في ليل طويل :

تأليف **جبرا إبراهيم جبرا** . . كتبها سنة ١٩٤٦ م في **القدس** ، ونشرها سنة ١٩٥٥ م في **بغداد** ، أي إنه تعمد تأخير نشرها إلى ذلك الحين ، وعلى لسان بطلها (**أمين**) تتجلى شخصية المثقف ونظرته إلى المستقبل . وقد كتب عنها **الدكتور شكري عياد** في مجلة الفكر الكويتية (مج ٣) .

الضحية :

تأليف **عبد المنعم الصاوي** . . هي أحد أجزاء ثلاثية الصاوي التي عنوانها **الساقية** ، وتتكون من : **الضحية** - دار المعارف ١٩٦٢ م في ٥٠٩ ص ، **والنصيب** - دار الكاتب العربي ١٩٦٨ م في ٧٠٧ ص ، **والرحيل** - دار المعارف ١٩٦٧ م في ٥٥٧ ص ، وللكاتب أعمال قصصية أخرى منها : **شراع أبيض** (١٩٦٥ م) ، **ومامارا** (١٩٦٧ م) ، **وهذا الرجل** (١٩٤٨ م) .



الطاعون :

كامي (فرنسا) (١٩١٣ - ١٩٦٠ م) ، إحدى روايات الكاتب الفرنسي **كامي** ، الذي كتب أيضاً **الغريب وأسطورة سيزيف** . . وقد ظهرت **الطاعون** سنة ١٩٤٧ م ، وتصور بلدة وهران وأهلها يعيشون عيشة آلية في تجارتهم وأرباحهم ، وها هو البطل (**تارو**) يعتنق فلسفة العبث ويدون مذكرات ، ثم يحل الطاعون بالمدينة ، ويتجسد الألم ، ويتحقق الفراق بين كل صاحبين ، ويتألم الطفل حتى ليبلغ كامي روعة التصوير إذ يجسد لنا مظهر تألم الطفل لمرض الطاعون واحتضاره .



من القصص : الظلال في الجانب الآخر لمحمود دياب ، وظبية البيان لأحمد صراف (مصر) .
(وهذا حرف يقل وروده في أول الروايات والمجموعات القصصية) .



عودة الروح :

لتوفيق الحكيم (١٩٠٢ - . . . . . م) ، نالت هذه الرواية شهرة فائقة من بين روايات توفيق الحكيم ، ذلك أنها تعد من خير ما صور مصر في مواجهتها للقضايا الوطنية والاجتماعية ، وكان فيها توفيق الحكيم ابن بيئته حقاً ، وصور البطل الوطني والاجتماعي ، كما صور الطبقات الاجتماعية آنذاك . . وقد كان للرواية أصداء بعيدة في المحيط الأدبي .



الغثيان :

جان بول سارتر (١٩٠٥ - . . . . . م) ، ظهرت ١٩٣٨ م ، وهي أول ما اشتهر به **سارتر** ، وقد لاقت نجاحاً وشهرة ، وتحكي يوميات إنسان انقطع عن مجتمعه ، وتأمل الوجود ، وبدأ يفقد كثيراً من معتقداته ، وفي الرواية نجد المؤلف ينزع القناع عن وجوه الناس بمختلف طبقاتهم ، وفي الرواية نجد المؤلف يتخلى عن مهمة الراوي ، وحار النقد في الكشف عن مضمونها أهي هادفة أم غير هادفة .



فاوست :

أسطورة عالمية الأصل فيها أن عالماً ألمانياً **هو فاوست** كان فيلسوفاً كيماوياً يزعم أن له صلة بالشياطين ، ويزعمون أنه كان ساحراً يخاطب الموتى ووقع بدمه عقداً مع الشيطان يطيع فيه الشيطان على أن يرجع الشيطان له شبابه . . وقد توالت الأعمال الأدبية حول هذه الأسطورة واختلفت في التناول والأحداث منها : مسرحية **مازلو** ، ومسرحية **جوته** .



القفز فوق الحائط القصير :

لأبي بكر خالد (السودان) ، رواية تعالج بيئة زقاق من الأزقة الشعبية يدخل أحدها وهو

حاج عمر ابنته المدرسة ، ومع تطور البنت ثقافياً بدأت تشعر بالفارق بينها وبين أبيها الذي ما يزال يحمل أدوات الشاي وبيعه ، وبين الزقاق المتواضع ، بينما تأخذ هي بأسباب التقدم ، ثم توظفت وخاضت حياة الوظيفة بكل ما فيها من راحة ومشقة حتى آمنت بأن القيم هي طوق النجاة في خضم الحياة .



كليلة ودمنة :

لابن المقفع (١٠٦ هـ ـ ١٤٢ هـ) ، قصص على لسان الحيوان ، وهي تحوير من البهلوية **(كاليلاج ودمناج)** ، وهما من أبناء آوى ، وفي الهندية **كاراتاكا ودامانكا** ، وقد نشأت أصلاً في **الهند** ثم ترجمت إلى لغة **الفرس** ، إذ سمع **كسرى أنو شروان (٥٣١ ـ ٥٧٩ م)** بها فأرسل طبيبه **«برزويه»** إلى الهند كي يجلبها ثم يترجمها إلى **البهلوية** ، ثم أضيفت إليها إضافات فارسية ، كما ترجمت إلى الآرامية **(السريانية)** ثم ترجمها **عبد الله بن المقفع** إلى العربية حوالي سنة ٧٥٠ م ، وأضيفت إليها إضافات عربية .

وقد سيقت فيها الحكمة على ألسنة الحيوانات والطيور والبهائم . وقد أثرت في الآداب التالية لعصرها ، وقد نسج **إخوان الصفاء** على منوالها ، ونظم **سهل بن هارون** على نسقها كتاباً سماه **(ثعلة وعفراء)** ونظمه **ابن الهبارية** شعراً .



الليلة الأخيرة :

تأليف **فاضل السباعي** (سوريا) ، مجموعة قصص قصيرة تضم عشر قصص من بينها قصتان تبدو أهميتها في تناولهما لعالم الأطفال : الأولى عنوانها : **(الأرجوحة)** بطلتها طفلة صغيرة أراد أبوها أن يبيع أرجوحتها لحاجته إلى المال ، وعندما أدركت الطفلة ذلك قبلت أن تعيد السعادة لأبيها ووافقت ، ثم انفرجت الأزمة وجاء المال فعدل الأب عن البيع . أما الثانية فعنوانها **(عيد من الأعياد)** حيث يفرح الطفل بالجلباب الجديد في العيد ، وأكل الكعك ، وأناشيد العيد الجميلة والمبهجة .



المسخ :

تأليف كافكا (١٨٨٣ ـ ١٩٢٤ م) ، رواية نفسية تصور بطلاً يعمل لحساب منزل تجاري ويعول أسرته بعد إفلاس والده ، ويحقق لأخته فرصة مواصلة دراساتها الموسيقية ، ثم اضطرب ذات ليلة بأحلام مروعة ، وجد نفسه على أثرها قد مسخ حشرة كبيرة دون أن ينسى طبيعته الخيرة العطوف ، فانعزل عن أقاربه وأهله تحت سريره بعد أن اكتشف نفورهم من منظره الجديد ، وظل يتغذى بالفضلات ، وقد تجنبه الجميع إلا خادمة كانت تلقي إليه بقشر التفاح ، وتحدثه كأنه لم يمسخ ، وسمع أخته ذات ليلة تعزف فتسلل من تحت سريره وذهب إلى حيث تجتمع الأسرة فنفروا منه ، ورماه والداه بتفاحة قصمت ظهره ، فرجع متألماً ليموت في بطء في مخبئه ، وحين كنسته الخادمة قالت : «أيها الحيوان المسكين لقد استرحت من العذاب» .



نداء المجهول :

لمحمود تيمور (١٨٩٤ ـ ١٩٧٣ م) ، صدرت سنة **١٩٣٩ م** ، ويحكي فيها المؤلف الأحداث بضمير المتكلم ، أما **مكانها** فلبنان ، وأما **زمانها** فسنة ١٩٠٨ م ، وقد اصطنع أسماء الأماكن من خياله ، أما شخوصها فمنهم : **الراوي ، والشيخ عاد ، وحبيب الخادم ، وميس ايفانس ، ومجاعص ، وكنعان ، ويوسف الصافي** . وتشغل الرواية بالبحث عن قصر مسحور «تسكنه الأشباح ينطوي عليه بطن الجبل» وتحمل الرواية سمات فن تيمور من إحكام الصياغة ، وجودة الحوار ، وسعة الخيال ، وفصاحة الحوار .



هدامة :

تأليف **سليمان الخليفي** (الكويت) ، صدرت هذه المجموعة **بالكويت** سنة ١٩٧٤ م ، وقد حملت المجموعة اسم آخر **أقصوصة** بها . وتصور شاباً جسوراً طويلاً قوياً يقوم بمغامرات تنم عن شجاعة وجرأة . . والأقصوصة لم تكتب ببساطة الحكاية التقليدية بل خالطها تعقيد فني مقصود ويستخدم عدة أمور منها **المونولوج الداخلي** بجعل الشخصية تهتاج من داخلها ، ومنها طريقة **السيناريو** في العرض بالانتقال بالحدث من مكان إلى آخر وكذلك **الزمن** . والكاتب أحد كتّاب الفن القصصي المعاصر ومن جيل **سليمان الشطي ، وإسماعيل فهد إسماعيل** وأمثالهما .



الوهم والحقيقة :

لمحمد أبو المعاطي أبو النجا . . وهي المجموعة القصصية الثالثة للكاتب ، إذ سبقتها مجموعتان هما **فتاة في المدينة** سنة ١٩٦٠ م ، **والابتسامة الغامضة** سنة ١٩٦٣ م . . وفي المجموعة اهتمام بالفارق الجوهري بين الوهم والحقيقة ، حتى لنجد بطل الوهم والحقيقة أكثر انشغالاً بقضايا ميتافيزيقية ، وينطوي على نفسه ، وكلما حاول اللحاق بالحقيقة والتمكن منها فرت منه وأفلتت من أصابعه كالشعاع ويظل في حيرته حتى يكاد يقترب من حافة الجنون .



لادسياس :

لأحمد شوقي (١٨٦٩ ـ ١٩٣٢ م) ، عني شوقي فيها بالتعبير ، واعتمد في تطور الحوادث تطوراً خارجياً على عنصر الزمن . وقد تجلى تأثره **بالمقامة وألف ليلة وليلة** ، وبقصص الفروسية ، فالأمير **(حماس)** المصري يتزوج من الأميرة اليونانية (لادسياس) ويفقد عرشه الفرعوني وتختطف الأميرة ، لكنه يجتاز ما يعترض طريقه من صعاب حتى يتمكن من استعادة عرشه ثم يتزوج محبوبته .



يوليسيس :

لجيمس جويس (١٨٨٢ ـ ١٩٤١ م) ، يوليسيس أو أوليس أو عوليس صدرت سنة **١٩٢٢ م** ، مصورة معاناة الإنسان فيما بين الحربين العالميتين ، معتمدة على التحليل النفسي ، وحوادثها تدور في **إيرلندا** مناظرة لحوادث الأوديسيا ملحمة **هوميروس** ، ولا يسودها منطق قصصي ، وزمنها أقل من أربع وعشرين ساعة ، وهي دقيقة تستعصي على التلخيص لاعتمادها الشديد على الجانب النفسي ، وكما حدث في الأوديسيا أن تعارف الأب **يوليسيس** والابن **تلماك** ، يتعارف هنا الأب **بلوم** بابنه **ستيفن** .

ولا تقوم الرواية على أحكام البناء الفني ولا على الحكاية ، إذ يرى **«جويس»** أن على الفن الروائي أن يستخدم **الرمز** لكي يشير إلى تعقيد الواقع ، ولهذا اعتمد كثيراً على **الرمز والأسطورة والمونولوج الداخلي ، والكاريكاتير** .

مناقشات و تعليقات

تلمسان .. والقاهرة ..

من خلال رحلتي مع «**الفيصل**» العزيزة .. وجدت أن أنوه ببعض الملاحظات الجديرة بالأخذ في سبيل السعي لما هو أجمل وأفضل وأكمل .. راجياً سماع صدى لملاحظاتي .

١ ـ الاستطلاعات التي تقوم بها المجلة متفاوتة من حيث المعلومات التفصيلية الهامة التي تثبت صورة البلد المستطلع في ذهن القارىء والمواطن العربي .. مما لا ينصف بعض البلدان .. فعلى سبيل المثال لا الحصر استطلاع **الرباط** جاء **أوفى** من استطلاع **تلمسان** واقصد بأوفى أنه قد أخذ حقه من المعلومات التاريخية والجغرافية على قسط أكبر .

وقد هضمتم **(تلمسان)** في استطلاعكم الأخير .. وإن كان بقلم أحد أبناء القطر الجزائري فهو يحسب استطلاعاً على المجلة لقرائها .. فما لم يعرفه قارىء استطلاعكم بعد .

إن تلمسان تلفظ بصورة صحيحة كما تلفظ في المغرب الأوسط وسالفاً عن خالف «تِلِمسان» وهي تقابل **فاس مراكش** من حيث كونها عاصمتا **الثقافة الاسلامية** في هذين الجزءين العزيزين من المغرب العربي الإسلامي العزيز . وتقابل أيضاً **غرناطة الأندلس** فتسمى غرناطة إفريقيا من حيث كثرة المساجد والمعالم الإسلامية من أضرحة ومزارات .. الخ .



* أطلال جامع المنصورة في تلمسان *

ومما لم يحضر القارىء العادي بعد وهو في نظري من أولويات تلمسان .. إنها دار «**المقري**» صاحب «**نفح الطيب**» العلامة ابن تِلِمسان المؤرخ العظيم للأندلس ومجدد ذكرياتها بالمشرق .. مؤرخ لسان الدين بن الخطيب ومحيي تراثه والذي وردت المدينة في آثاره موصوفة (بتلمسان المحروسة) .

كما فات الأستاذ المستطلع أن يذكر لنا أن تلمسان هي عاصمة دولة بني عباد مدة قرن ونصف .

.. وما زالت لي ملاحظات أرى تقديمها .

أين الخريطة الجغرافية من استطلاعاتكم .. في الحقيقة إني في غاية الاستغراب أمام تغيب الخريطة ، فالقارىء العادي بل وفوق العادي لا يعرف أين موقع تلمسان من خريطة المغرب الأوسط (الجزائر) المجاهدة . فالخريطة ضرورة بالغة لكل مدينة . إنه لا يعرف أن تِلِمسان هي دار الضيافة بين المغربين العزيزين الأوسط والأقصى (الجزائر ومراكش) ، وهي ترتفع عن سطح البحر المتوسط ٨٣٠ متراً .. **وما دمتم قد أطلقتم على غرناطة زينة الدنيا .. فلماذا لا تطلقون على تلمسان .. زينة البلدان ؟!**

٢ ـ وأعود بكم **للقاهرة** عاصمة (المآذن العربية) فاتكم مما فات أن تذكروا **أن اسم (القاهرة) قد ورد ١٤ مرة في مدن وولايات الولايات المتحدة** . مثل ولاية ايللنوي مثلاً . وكولومبيا .. وغيرهما .

كما ورد هذا الاسم الجميل في **إيطاليا وكندا** . وهذه المعلومة .. استقيتها من **كتاب البريد السنوي** الذي تصدره **منظمة اتحاد البريد العالمي ببيرن ـ سويسرا .**

٣ ـ بقيت واحدة !

في العدد الأخير ـ الثاني من السنة الثانية ـ ورد هذا التناقض عن الطبيب المسلم ـ **ابن سينا** ـ ابن خلكان يعد كتب ابن سينا **مئة كتاب** .. في حين يحصيها الأستاذ **عبد الحليم منتصر ٢٧٦ كتابا** .. والملاحظتان وردتا على التوالي بمقالتي :

- **الاحلام عند ابن سينا ـ سعيد يعقوب ، ص ١١٢ .**
- **وبين التراث والمعاصرة ، د . أحمد الضبيب ، ص ٣٢ .**

وهو تناقض ملفت .. محير !!

وبعد : ما كنت لأسطر ملاحظاتي هاته .. لولا حرصي على «الفيصل» وتطلعي إليها على أنها هي النور والأمل للأجيال .. أرجو أن تلاقي صداها لديكم ..

والله من وراء القصد

عبد الغني عبد الهادي

عمان ـ الأردن

● من حلب ـ في سورية ، يسأل القارىء « بشار أوبري » عن الحركة القاديانية ، ويطلب أن نعطيه معلومات عنها . . وعن نشأتها في الهند . . وطبيعة أهدافها .

●● وقد أجاب فضيلة الشيخ محمد الراوي رئيس قسم التفسير ـ كلية أصول الدين ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية قائلاً :

« ظهرت الحركة القاديانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ، في بلاد الهند . . وصاحب هذه الدعوى هو « ميرزا غلام أحمد القادياني » المولود عام (١٢٥٢ هـ ـ ١٨٣٩ م) ، من أسرة نزحت قديماً من « سمرقند » . . واستوطنت قرية « قاديان » . . مات في شهر مايو (أيار) عام ١٩٠٨ م ، في « لاهور » . . ونقلت جثته إلى « قاديان » حيث دفن في المقبرة المسماة بـ « مقبرة الجنة » عندهم .

وقد مرت دعواه بعدة مراحل . . ظهر في أولها بمظهر المجدد المصلح ، وانتهى إلى القول « بأنه صادق كموسى وعيسى وداوود ومحمد ﷺ ، وقد عين الأنبياء زمان بعثتي ، وذلك هو عصرنا هذا » .

ويرى شاعر الإسلام محمد اقبال « أن القاديانية ثورة على نبوة محمد ﷺ ، ومؤامرة ضد الإسلام ، وديانة مستقلة ، وأنها محاولة منظمة لتأسيس طائفة جديدة على أساس نبوة منافسة لنبوة محمد ﷺ . . وأنها تريد أن تنحت من أمة النبي العربي ﷺ أمة جديدة للنبي الهندي » .

وقد ساند هذه الدعوى منذ نشأتها المستعمرون والصليبيون لما فيها من مصلحة لهم بابطال الجهاد ، وفتح ثغرات التشكيك في الإسلام ، واضعاف أهله . وقد امتدت في كثير من البلاد بمساندة الاستعمار ومؤازرته ضمن مخطط تدمير الإسلام وابادة أهله . . والله تعالى غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

●● كما أجاب فضيلة الشيخ الراوي على سؤال آخر للقارىء « بشار أوبري » الذي يسأله فيه « هل وصل حكم الناسخ والمنسوخ من القرآن الكريم إلى الأحاديث النبوية أيضاً ؟ » .

أجاب فضيلة الشيخ الراوي على هذا السؤال بقوله :

« بالنسبة لموضوع الناسخ والمنسوخ في الحديث فإنه علم من علوم الحديث ، يبحث عن الأحاديث المتعارضة التي لا يمكن التوفيق بينها من حيث الحكم على بعضها بأنه ناسخ ، وعلى بعضها الآخر بأنه منسوخ . فما ثبت تقدمه كان منسوخاً ، وما ثبت تأخره كان ناسخاً .

ومعرفة ذلك العلم من أهم ما يجب على من يتصدى للبحث في أحكام الشريعة . ومن أحسن ما يمكن دراسته في هذا العلم « كتاب الاعتبار » في بيان الناسخ والمنسوخ من الآثار . تصنيف الإمام الحافظ أبي بكر محمد بن موسى بن عثمان بن حازم الهمذاني المتوفي سنة ٥٨٤ هـ ، وهو مطبوع عدة طبعات ، ومتداول في أيدي طلاب العلم . والله ولي التوفيق .

●● القارئة « نجاة . س . ن » من الرياض في المملكة العربية السعودية ، تقول إنها قرأت في مجلة « أسرتي » الكويتية في عددها رقم ٢٩ السنة ١٤ بتاريخ ٧٨/٩/١٦م ، موضوعاً بعنوان « الطلاق ومهزلة اسمها المحلل » ورد فيه حديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام نصه « إن المرأة كالضلع إن ذهبت تقيمها كسرتها ، وإن تركتها ـ أي أمسكتها على ما هي عليه ـ استمتعت بها على عوج » .

وتسأل الأخت القارئة هل هذا الحديث وارد عن الرسول ﷺ أم لا ؟

● يقول فضيلة الشيخ محمد الراوي : « إن الحديث صحيح ، وقد رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ، رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « استوصوا بالنساء خيراً ، فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه : فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج . فاستوصوا بالنساء » متفق عليه .

وفي رواية في الصحيحين : « المرأة كالضلع إن أقمتها كسرتها ، وإن استمتعت بها وفيها عوج » .

وفي رواية لمسلم : « إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة ، فإن استمتعت بها ، استمتعت بها وفيها عوج ، وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها » .

مع الأصدقاء

جامع القرويين

يعد هذا الجامع **أقدم جامعة إسلامية في العالم**، وهو من أشهر المعالم التاريخية بالمغرب الأقصى، وقد كانت **تدرس به العلوم الدينية واللغوية والأدبية والفلسفية والرياضية والكيماوية**، مثله في هذا، كالجامعة الأزهرية والـطنطاوية بمصر، وقد حافظ خلال مئات السنين على تراثنا الأدبي والثقافي القومي، كما حافظ كذلك على لغتنا العربية وكتب العلوم العربية القديمة. ولهذه الجامعة قصة لطيفة، فقبل أكثر من ١١٠٠ سنة، جاء من مدينة القيروان في تونس إلى مدينة فاس بالمغرب رجل غني وابنتاه، حين كان الإنسان العربي حراً في اختيار أية مدينة عربية ليعيش بها.. وحين مات هذا الغني القيرواني في فاس، قررت ابنته **فاطمة الفهرية القيروانية**، الملقبة «**بأم البنين**»، أن تشيد من إرثه مسجداً، وذلك سنة ٨٥٩م/٢٤٥هـ.. ومع الأيام تحول هذا الصرح العمراني الجميل، بفنه وبنائه العربي الإسلامي، وعمارته وشكله الهندسي المغربي، إلى **جامعة القرويين**. وكانت تضم هذه الجامعة منذ بنيت آلاف الطلاب من شتى البلدان، فيهم **المغربي والجزائري والليبي والأندلسي وحتى الأوروبي**، مما تجدر الإشارة إليه أن **البابا سلفستر الثاني الرومي**، الذي كان أول من أدخل الأرقام العربية إلى أوروبا، وعن طريقها عرفتها أمريكا، درس هو الآخر بهذه الجامعة العتيقة.

المكينسي أحمد ـ فاس
حي باب عامر ـ المغرب

وثيقة تاريخية

أقدم شكري العميق إلى أسرة تحرير مجلة «الفيصل» الغراء، على هذا المجهود العظيم. وبمناسبة كثرة الحديث حول القدس، وارجاع القدس إلى اليد الإسلامية، أرجو منكم شاكراً لكم مساعيكم، أن تقوم مجلة «الفيصل» بطبع وثيقة معاهدة فتح بيت المقدس، الموقعة بين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقس إيلياء «القدس» وصورة عنها

محمد سعيد العسة ـ دمشق

● **المجلة**: طالع العدد ٢١ من هذه المجلة الصادر في شهر ربيع الأول ٩٩هـ، التحقيق المنشور عن مدينة القدس.. وعند حصولنا على صورة أصل الوثيقة سوف نزودك بها

المجلة.. والسياسة

تحية عربية طيبة أهديكم إياها من صميم الفؤاد، راجياً لكم دوام الصحة و«**للفيصل**»، المزيد من التقدم والازدهار.

لقد كنا حقاً نفتقر إلى المجلات الثقافية، التي تهتم باطلاع القارىء على آخر ما يدور حوله من تطورات علمية وثقافية، وتوسع معرفته، حتى صدرت «الفيصل»، فسدّت فراغاً لا بأس به في هذا المجال.

إن مجلتكم ـ بل مجلتنا ـ التي ما تزال في طور الشباب، حققت الكثير مما تستحق أسرة التحرير عليه عميق الشكر.

الدرب طويل، وجهودكم كفيلة بتحقيق المزيد من الخير والمعرفة للشباب العربي.. وهنا، بصفتي أحد قراء «الفيصل»، أود تقديم بعض الملاحظات حول المجلة:

١) **لاحظنا أن المجلة لا تهتم بالموضوعات السياسية**، أليس من الممكن مثلاً، تخصيص مقال سياسي في كل عدد، يتناول آخر التطورات السياسية على الساحة العربية؟

٢) بالنسبة للمسابقة ومنعاً لأي التباس، **أرى من الأفضل أن تذكروا بالتحديد آخر موعد لاستلام الإجابات**، بدل أن تقولوا: أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها.

٣) قرأت في أحد أعداد المجلة، أن لديكم مشروعاً يقضي **بتجليد أعداد كل سنة من المجلة، لتلبية رغبات القراء باقتنائها. أود أن أعرب لكم عن تقديري للمشروع وأرجو أن ينفذ قريباً.**

يوسف محمود سليمان
أميون ـ الكورة
لبنان الشمالي

● **المجلة**:

١ ـ نعترف بأن المجلة لا تهتم بالموضوعات السياسية المعاصرة، فهذا منهجها، لأن السياسة لها مجلاتها الكثيرة اليومية، والأسبوعية، ونحن نحرص على الجانب الثقافي والتاريخي منها، ولا نفكر في زج المجلة في لعبة السياسة.

٢ ـ لو علمت أن المجلة تصدر مع مطلع كل شهر هجري، لعرفت أن آخر موعد لقبول الإجابة هو ٤٥ يوماً، وعليك الحساب، ومع ذلك فنحن نراعي قضية تأخير وصول المجلة أحياناً، إلى بعض البلدان العربية.

٣ ـ موضوع تجليد أعداد المجلة يحظى باهتمامنا، وسوف نعلن عن ذلك بعد الانتهاء منه.. والله الموفق.

العمارة الإسلامية

إنني أتمنى أن تتاح لي فرص الاطلاع على **التراث المعماري الإسلامي** القديم، الزاهر والحديث العظيم، الذي تزخر به بلادكم الجميلة وأود بمشيئة الله سبحانه وتعالى، أن تكون دراستي الهندسية من الآن وحتى الدكتوراه، كبحث واحد مستمر في **العمارة الإسلامية**، والحلول العملية لمشاكل المنطقة العربية، في تخطيط المدن العربية والمسكن المريح الخاص لكل أسرة مسلمة، تعيش على أرضنا العربية الحبيبة، ولكن المشكلة أننا في دراستنا بالكلية مطالبون دائماً بأن نتبع الحلول الأوروبية والمراجع والكتب الأوروبية، وذلك مما يخلق لي مشاكل في الدراسة مع الأساتذة، إذ إن قلة منهم التي تطبق الحلول العربية، والكثرة منهم أوروبية، **فهل نحن أوروبيون ليكون التصميم المعماري لمدننا وبيوتنا نسخة من بيوت أوروبا؟**

لا أعتقد ذلك فنحن خلقنا عرباً مسلمين ونعيش على أرض عربية لها دينها وخلقها وتقاليدها، التي تستمد من تاريخها وحضارتها ومجدها الزاهر، تلك الأمة التي قادت في يوم من الأيام، العالم كله، يوم كان العالم كله يعيش في جهالة وفي ظلام دامس، وكانت هذه الأمة الإسلامية منار الحضارة.

إنني أرجو أن تمدوا لي يد العون لأستطيع أن أدرس هذا المجد العظيم، الذي كان لأمتنا في يوم من الأيام الغابرة، ولأحاول أن أعمل على منواله، فلعل الله يكرمني ويوفقني أن أصل بمشيئته وتوفيقه إلى تحقيق الهدف الذي كرست حياتي له.

فتحي مصطفى إبراهيم
طالب بكلية الهندسة ـ جامعة الاسكندرية

● **المجلة**: رسالتك أيها الصديق فتحي تثير قضية على جانب كبير من الأهمية، ونحن لا تملك إلا أن نهيب بالجامعات العربية والإسلامية للاهتمام بالهندسة المعمارية الإسلامية من خلال مناهجها، وأن يكون له اختصاص ومتخصصون، وهذا لا يمنع من وجود مواد تهتم بالفن المعماري الحديث، وبذلك نستطيع أن نجمع بين القديم والحديث.

وحسب علمنا أن أغلب كليات الهندسة تعنى بتاريخ فن العمارة الإسلامية، إلا أننا نتطلع أن يكون هذا الفن مستقلاً، وتخصصاً مميزاً لتخريج جيل من المعماريين في الفن الإسلامي.

وإذا كان لنا رأي في مثل ظرفك، فإننا ننصح بالاطلاع الحر خارج الكلية، حيث توجد كتب تبحث في فن العمارة الإسلامية، وهي موجودة في أغلب مكتبات القاهرة والاسكندرية.

وفي إمكانك الاستعانة بأساتذتك في معرفة أسماء هذه الكتب، حتى يهيىء الله للجامعات العربية الإسلامية الظروف المناسبة لتدارك هذا النقص.. والله الموفق.



*** الأخ مصلح عبد المؤمن إمام ، القاهرة ، مصر**

بامكانك أن تتقدم مباشرة بطلبك إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض أو إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

*** الأخ محمد سعد الجهني ، مكة المكرمة ، السعودية**

محاولتك القصصية لا بأس بها ونرجو أن تستمر في الكتابة والاطلاع حتى تصل إلى المستوى الذي تريده . . والمجلة لا تنشر المحاولات .

*** الأخ خالد كزبرة ، حلب ، سورية**

شكراً على تقديرك والمجلة تلتزم بالفعل بالخط الإسلامي ، ولا نعتقد أن ما أشرت إليه يخرج عن هذا الخط . . فاطمئن .

*** الأخ جهاد حجازي ، جيرود ، سورية**

اقتراحاتك لا تتفق ومجلة ثقافية شهرية متخصصة كمجلتنا . . ومع هذا نشكر لك اهتمامك وتقديرك .

*** الأخ أيهم العكاري ، حماة ، سورية**

شكراً على هديتك وهي صور عن مدينة حماة . . أما عن الكتابة في باب « مدينة وتاريخ » فالأمر يختلف عن مجرد الملاحظات . . إنها دراسة وافية يكتبها للمجلة المتخصصون وتتطلب الرجوع إلى عدد من المصادر والمراجع .

*** الأخ محمد سعيد العسة ، دمشق ، سورية**

لقد استبدلنا « الهدية » بخدمة صحفية مختلفة ، وعلى حسب خطة المجلة الموضوعة من قبل . . ولا نعتقد أن مشكلة تأخير وصول المجلة أصبحت قائمة الآن بعد انتظام الطبع والتوزيع . . شكراً على تقديرك .

*** الأخت تليدا خليفة ، الرياض ، السعودية**

نرجو المزيد من الاهتمام بقراءة الشعر حتى يمكنك كتابة شعر يصل إلى المستوى الذي يتناسب والمجلة . . وشكراً لك على مشاعرك .

*** الأخ محيي الدين الطحان ، حلب ، سورية**

سبق وأن صححت المجلة هذا الخطأ في عددها الخامس الصادر في شهر ذي القعدة ١٣٩٧ هـ . . وشكراً على اهتمامك وتحياتك .

*** الأخ أسامة عبد العزيز هاشم ، جدة ، السعودية**

نرجو أن تقرأ مزيداً من الشعر وأن تحاول الكتابة مرات أخرى علك تصل إلى المستوى المرجو . . وشكراً على اهتمامك .

*** الأخ المقيس حسن بن محمد ، الدار البيضاء ، المغرب**

رئيس التحرير يشكرك على مشاعرك وتقديرك لكلمته عن « المعادلة الصعبة » المنشورة في العدد الثاني عشر . . كما أن المجلة لم تعد تتأخر في الصدور والوصول إلى جهات التوزيع المسؤولة .

الأخت مريم عبد العزيز ، الدوحة ، قطر

شكراً على تحياتك الرقيقة . . أما عن « مناظر للسعودية » فهي موجودة في باب « مدينة وتاريخ » ولا يمكننا أن نرسلها لكل قارىء على حدة . . وأما عن « الهدية » فقد استنفدت أغراضها كما كان مقرراً لها في خطة المجلة . . وأما عن « شعر العامية » فالمجلة حريصة على نشر الشعر أو أي مادة أخرى باللغة الفصحى لأنها توزع في العالم العربي كله ولا نريد أن تكون اللهجات المختلفة عقبة في سبيل انتشار المجلة تحقيقاً لهدفها الثقافي . . ومع هذا يمكنك ارسال أي كتب ، وعموماً فالمجلة لا تشجع العامية .

*** الأخ رشيد عنوب ، الدار البيضاء ، المغرب**

المجلة لا تنشر « شعر العامية » كما نرجو أن يتحسن هذا المستوى من شعرك مستقبلاً وبالممارسة إن شاء الله .

*** الأخ عماد مختار ، حمص ، سورية**

المجلة ترفض مبدأ نشر أو تخصيص باب « للمراسلات » ، وهي ليست « واسطة » بين الأصدقاء . . ألا يمكنك أن ترسل مباشرة لمن ترغب طالما أن هناك معرفة بينك وبينه ؟!

*** الأخ خالد طريفي ، اللاذقية ، سورية**

نرجو لك الشفاء العاجل بإذن الله . . ولا يمكن أن يتم العلاج من أي مرض بالمراسلة ، فيمكنك عرض نفسك على طبيب أخصائي دون الاعتماد فقط على القراءة عن الأمراض بشكل نظري .

*** الأخ حسن علي سليمان الدغيدي ، دقهلية ، مصر**

شكراً على تحيتك ، ولكن نأسف لعدم نشر قصيدتك ، ونرجو أن تحقق مستوى يفرض نفسه على وسائل النشر الراقية .

*** الأخ موسى مراد سردار ، حلب ، سورية**

لا يمكننا الحكم على مستوى مقالاتك شفهياً . . أما عن المكافآت ، الا ترى أن هذا الأمر سابق لأوانه وأن الموافقة على النشر أسبق من تحديد المكافأة ؟!

*** الأخ أحمد عبد الله حمد ، دمشق ، سورية**

ملاحظتك صحيحة ، ونؤكد أن « مجلتنا » هي بحق « ثقافية » وليست « مشروعاً تجارياً » . . وشكراً على تقديرك .

*** الأخ أحمد خليل خطاب ، الاسكندرية ، مصر**

يمكنك ارسال ما تريد إلى من تريد ، فالمجلة ليست وسيلة اتصال خارج اطارها الثقافي ورسالتها العلمية . . نرجو لك التوفيق .

*** الأخوة حسين أحمد محمد ، محمود فتح الله رضوان (مصر) ، هـ . خليفة (المغرب) ، أحمد شوقي (لبنان)** سبق ورددنا على مثل هذا التساؤل ، ومع هذا فنعيد القول ونكرره ، بأن المجلة ثقافية متخصصة ولا يمكنها أن تتناول « الرياضة » إلا من الناحية الحضارية والتاريخية ، وقد نشرت المجلة موضوعاً مفصلاً عن « كرة القدم » في العدد التاسع ، ربيع الأول ١٣٩٨ هـ . . كما أن باب الهوايات والطرائف والتسلية غير وارد على الاطلاق . . وقد قلنا هذا الكلام وكررناه وما زلنا نكرره .

*** الأخ عبد الحي يوسف سراج الدين ، الطائف ، السعودية**

المجلة ثقافية وليست حقلاً لتجارب الهواة ومحاولات الناشئين .

*** الأخ صبحي الحسون ، حلب ، سورية**

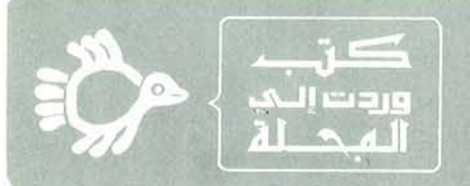
شكراً على تقديرك . . ولو تابعت أعداد المجلة لوجدت أن الموضوع المشار إليه في رسالتك قد استوفى حقه بالرد على الكاتب .

*** الأخ أحمد قطاع ، حلب ، سورية**

إننا ندرس اقتراحك بعناية خاصة وهناك رسائل أخرى طالبت بنفس الاقتراح .

*** الأخ إبراهيم صبحي الناطور ، دمشق ، سورية**

سبق وشرحنا طريقة اختيار الفائزين . . شكراً على تقديرك .



«وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الانسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شأنه أن يفتح امام القارىء آفاقا أوسع وارحب وابعد مدى» .

مشيخة ابن الجوزي

واحد من كتب التراث الديني مؤلفه **جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن علي بن محمد بن علي القرشي التيمي البكري (من ذرية أبي بكر الصديق)**، الفقيه الحنبلي الذي اشتهر بغزارة مصنفاته التي يروى أنها زيادة عن ثلاثمئة وأربعين مصنفاً، منها ما هو عشرون مجلداً، ومنها ما هو كراس واحد، أوصلها ابن تيمية إلى أكثر من الألف في التاريخ، والترجمة، والحديث، والتفسير، والوعظ، وغيرها .

وكتابه هذا «**المشيخة**» تراجم لشيوخ ابن الجوزي، يهم المعتني بالحديث والإنسانية، والمعتني بتراجم بعض العلماء في القرن السادس الهجري من أهل بغداد وبعض الوافدين إليها .

الجدير بالذكر أن ابن الجوزي من مواليد درب حبيب بمدينة بغداد عام ٥٠٨هـ - ١١١٤م، وفي رواية عام ٥١٠هـ/١١١٦م، تقريباً.. وتوفي عام ٥٩٧هـ/١٢٠٠م .

الكتاب من تقديم وتحقيق الشيخ محمد محفوظ، الذي عرف بالمؤلف، والآراء المختلفة التي قيلت عنه وعن مصنفاته.. قدم للكتاب الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري مدير الشؤون الدينية بدولة قطر.. يقع في ٢٨٥ صفحة من القطع المتوسط طبع الشركة التونسية للتوزيع في تونس على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر .

الرحلة الحجازية

تأليف **محمد السنوسي**، المفكر التونسي المولود في ٢٢ ذو القعدة ١٢٦٧هـ، (١٧ سبتمبر/أيلول/ ١٨٥٠م)، ويعد هذا الكتاب الجزء الثالث والأخير من الرحلة الحجازية التي تتألف من (**أنموذج**) في مزية السفر، وجزء أول فيما رآه المؤلف من قسم إيطاليا، وجزء ثان في الأستانة وآسيا الصغرى المشرفة بالحجاز الأشهر.. وهذا هو الجزء الثالث الذي احتوى على التعريف بخمسة وعشرين من الرجال الأعلام المشاهير في العلم والحديث والأدب والسياسة والحرب، الذين اجتمع بهم المؤلف أثناء رحلته التي تعتبر رحلة ضبط فيها مؤلفها مراحل قوافل الحاج من المغرب إلى مكة المكرمة .

الكتاب من تحقيق **علي الشنوفي**، نشر الشركة التونسية للتوزيع.. يقع في ٤٠٠ صفحة من القطع المتوسط، ويتميز بفهارسه المتعددة التي بذل فيها المحقق جهداً علمياً طيباً .

مطبوعات نادي الطائف الأدبي

صدر عن نادي الطائف الأدبي في المملكة العربية السعودية الكتابان التاليان :

● **«ملف نادي الطائف الأدبي - الثاني - لعام ٩٦/١٣٩٧هـ»** ويحتوي على بعض نشاطات النادي، وما كتب عنه في الصحف.. كما يحتوي على عدد من الدراسات الأدبية.. والقصص القصيرة، والقصائد الشعرية.. يقع في ٩٨ صفحة من القطع المتوسط، طبع مؤسسة مكة للطباعة والإعلام .

مقالات في الأدب
إعداد
لجنة النشر بنادي الطائف الأدبي
مطبوعات نادي الطائف الأدبي

● **«مقالات في الأدب - إعداد لجنة النشر بالنادي»** ويحتوي على عدد من الدراسات التراثية والمعاصرة، والنقد.. يقع في ١٢٦ صفحة من القطع المتوسط، طبع «مطابع الزايدي» بالطائف .

مختارات من الشعر الإيطالي المعاصر

مجموعة من قصائد عدد كبير من الشعراء الإيطاليين قام بترجمتها الأديب العربي **الدكتور عيسى الناعوري**، أمين عام مجمع اللغة العربية الأردني.. وقد ضم الكتاب خمسة وعشرين شاعراً.. ولم يكتف المترجم بترجمة قصائدهم، بل أورد تراجم لحياتهم، كما أورد أمام الترجمة العربية للقصيدة النص الأصلي باللغة الإيطالية، وهذا تأكيد على ثقة الدكتور الناعوري فيما قدمه من تراجم، والكتاب قمين بأن يوصف بأنه ديوان شعر.. وبيوجرافيا .

وقد سبق للدكتور الناعوري أن نقل إلى العربية عدداً من الأعمال الأدبية الإيطالية.. يقع الكتاب في ٣٠٤ صفحات من القطع الصغير - مطابع ألف باء - الأديب - دمشق .

أعلام الأدب في لاذقية العرب

كتاب من تأليف **فؤاد غريب**.. وهو القسم الرابع من الجزء الثاني حيث قدم من خلاله تراجم ومختارات شعرية ونثرية لعشرة من أعلام الأدب في مدينة اللاذقية في سورية مع صورهم.. والمؤلف فؤاد غريب يعتزم أن يجعل من عمله هذا موسوعة تقع في ١٦ جزء تصدر في سلسلة.. يقع الكتاب في ٨٥ صفحة من القطع الصغير في طباعة عادية تتفق وظروف المؤلف المادية المحدودة .

القارب الأخير

مجموعة قصص قصيرة تأليف **«طه حواس»** تطرح بعض المشكلات الاجتماعية من خلال رؤية الفنان لواقع هذه المشكلات.. وقد ضمت المجموعة ١٤ قصة منها قصة **«القارب الصغير»** التي أخذت عنواناً للمجموعة.. تقع في ٢٣٥ صفحة من القطع الصغير، الناشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر (الدار المصرية للتأليف والترجمة) .

صحائف مطوية

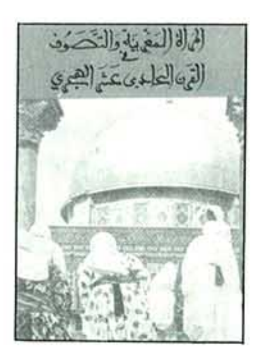
مجموعة من المقالات تناولت جهود الملك عبد العزيز آل سعود مؤسس المملكة العربية السعودية في التوعية الإسلامية، ودعمه للدعوة السلفية.. ونبذة عن الحركة الاصلاحية في القرن الثاني عشر، وما وصلت إليه دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.. وفي مقالة موجزة عن بعض أئمة الدعوة من آل الشيخ في نجد .

الكتاب من تأليف فضيلة الشيخ عبد الله خياط خطيب المسجد الحرام.. وتقديم صاحب السمو الملكي الأمير نايف ابن عبد العزيز وزير الداخلية.. يقع في ٣٩ صفحة من القطع المتوسط.



واخضرت الأرض وقصص أخرى

مجموعة قصصية صدرت عن سلسلة **«قصص مختارة»** للقاص طه حواس، احتوت على ١٤ قصة، الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب .



المرأة المغربية والتصوف في القرن الحادي عشر الهجري

كتاب صدر في المغرب من تأليف مصطفى عبد السلام المهماه.. وقدم له المفكر المغربي المعروف الأستاذ عبد الله كنون.. وقد أوضح المؤلف الدوافع التي تكمن وراء اهتمامه بهذه القضية.. في نهاية الكتاب عدد من صور بعض المساجد المشهورة في المغرب.. يقع في ١٣٥ صفحة من القطع المتوسط، طبع مطابع دار الكتاب، الدار البيضاء .

مسابقة مجلة الفيصل

أسف .. وإعتذار

★ للمرة الثانية نعتذر للقارىء عن خطأ حدث في شروط مسابقة عدد شعبان، وصححناه في عدد شهر رمضان .. ومما يؤسف له بشدة أن هذا الخطأ نفسه تكرر في شروط مسابقة العدد الماضي في الوقت الذي لم تتغير الشروط في الأعداد التي سبقته .. لهذا نلفت أنظار الأخوة القراء أن شروط وتوزيع قيمة الجائزة لم تتغير .. وأسفنا يتضاعف لتكرار الخطأ .. معذرة للقارىء .. والكمال لله وحده ★

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ - قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

ا - الجائزة الأولى ٣٠٠٠ ريال

ب - الجائزة الثانية ٢٠٠٠ ريال

جـ - الجائزة الثالثة ١٥٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية أخرى قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي)

٢ - المطلوب الاجابة على جميع الأسئلة .. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحا عليها الاسم ثلاثيا أو رباعيا - إن أمكن - مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ - ترسل الاجابات على العنوان التالي :

(الرياض - المملكة العربية السعودية - مجلة الفيصل - ص . ب . (٣) المسابقة) .

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ - أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوما من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ - ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن أغلب أسئلة المسابقة سوف يجدها القارىء في ثنايا المواضيع المنشورة فيها .

٦ - من حق القارىء أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة اكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

نتائج مسابقة العدد ١٤

★ فازت الأخت (عفاف محمد محمود - دمشق - شارع مدحت باشا - طالع الفضة - زقاق المنشار - رقم ١٤ - سورية) بالجائزة الأولى وقيمتها (٣٠٠٠ ريال سعودي) .

★ الأخ (عبدالرحمن عبدالعزيز الشبل - المدينة المنورة - ص . ب ١٤٩٨ السعودية) فاز بالجائزة الثانية وقيمتها (٢٠٠٠ ريال سعودي) .

★ الأخ (عبدالرزاق عبدالسلام كمون - صفاقس - ص . ب ٣٣٣ - تونس) فاز بالجائزة الثالثة وقيمتها (١٥٠٠ ريال سعودي) .

★ وفاز كل من الأخوة التالية أسمائهم بجائزة مالية قيمة كل جائزة ٥٠٠ ريال سعودي :

★ الأخ عادل محمد علي نشار ، ١٩ درب المناصرة المتفرع من شارع المناصرة - العتبة الخضراء - القاهرة - مصر .

★ الأخت منى وحيد مناع - خيطان - شارع المطار الرئيسي - عمارة الحميدة - طابق ٤ بواسطة محمد مروان مراد - الكويت .

★ الأخ عيسى سعد الحربي - دكان معتاد صالح الخالدي - باب مكة - جدة .

★ الأخت نعمة حسن عباس - مخيم ويفل للاجئين الفلسطينيين - بواسطة مدير المخيم - بعلبك - لبنان .

★ الأخ محمود عبدالغني محمود - مكتبة الفيومي - جبل الحسين - عمان - الأردن .

★ الأخت آمال حسين مصطفى - ٢١ شارع ابن الرشيد - الجيزة - مصر .

★ الأخت دلال أحمد فانوس - الشارقة - ص . ب ٣٨٥ - الامارات العربية المتحدة .

مبروك .. ونتمنى للآخرين الذين لم يوفقوا ، الفوز في المسابقات القادمة .

● **السؤال الأول :**

عرفت مكة المكرمة تاريخياً بعدد من الأسماء .. أذكر خمسة منها (العدد الأول) .

● **السؤال الثاني :**

صحابي ، من السابقين إلى الإسلام ، كان من أثرياء مكة ، وحين أراد الهجرة إلى المدينة المنورة منعه مشركو قريش من الهجرة بماله ، فتركه جميعه ، وهاجر فقيراً بماله ، غنياً بإيمانه .. توفي بالمدينة عام ٣٨ هـ / ٦٥٩ م .. من هو ؟

● **السؤال الثالث :**

أذكر أسماء مؤلفي الكتب التالية :

الخصائص ـ المدخل إلى الأعداد ـ تفسير التحرير والتنوير ـ قصة حياتي ـ الايضاح (في النحو)ـ (العدد الثاني) .

● **السؤال الرابع :**

واحة جرى فيها التحكيم بعد معركة « صفين » بين أنصار علي ، وأنصار معاوية بشأن الخلافة .. أين تقع ؟

● **السؤال الخامس :**

أهم الغدد الصماء .. تفرز من الهرمونات أكثر مما تفرزه أية غدة أخرى رغم صغر حجمها الذي لا يزيد على حجم الحمصة .. وتؤثر في نشاط جميع الغدد .. ما اسم هذه الغدة ؟ (العدد الثالث) .

● **السؤال السادس :**

ما هي نغمات السلم الموسيقي ؟

● **السؤال السابع :**

أذكر خمسة أشكال من أشكال الأسطرلابات التي عرفت قديماً (العدد ١٨) .

● **السؤال الثامن :**

من اخترع الدواليب المنفوخة للسيارات .. ومتى ؟

(ماركوني عام ١٨٨٨ م ، أم جون بويد دنلوب عام ١٨٤٠ م ، أم بل عام ١٩٢١ م) .

● **السؤال التاسع :**

في أية مناسبة يضرب كل مثل من هذه الأمثال :

تلذع المرأة وتصيء ـ رضي من الغنيمة بالاياب ـ دونه خرط القتاد ـ بلغ السيل الزبى ـ لا في العير ولا في النفير .

السؤال العاشر :

طبيب .. وشاعر (١٢٥٠ ـ ١٣١٠ هـ) ، ولد بالموصل ، وتوفي بالقاهرة ... له « طيف الخيال في معرفة خيال الظل » .. أول من أظهر باللغة الفصحى روايات الخيالاتي ، أو « قرقوز » .. من هو ؟

قسيمة
مسابقة مجلة
الفيصل

● العدد ٢١ ●

الإسم : --

المهنة : --

العنوان : --

أجوبة مسابقة العدد "١٤"

ج ١ القبائل ومساكنها :

شمر : شمال نجد - حائل وما حولها وتمتد إلى باديتي الشام والعراق .

صنهاجة : المغرب - شمال إفريقيا والصحراء الكبرى .

هذيل : بين مكة والمدينة .

طسم : اليمامة .

جديس : اليمامة .

هوارة : المغرب - شمال إفريقيا والصحراء الكبرى .

عنزة : تمتد من نجد إلى الحجاز فوادي السرحان فالبادية السورية .

حنيفة : اليمامة - الدرعية وما حولها .

الخزرج : المدينة المنورة .

ثقيف : الطائف وضواحيها .

ج ٢ الجرف القاري هو مساحة من اليابسة تغطيها مياه ضحلة .. وتحتوي على ثروات تتمثل في الثروات المعدنية ، كما تحتضن في أعماقها مستودعات من الغاز والزيت .

ج ٣ السد الذي بناه العرب ويعتبره المؤرخون أقدم خزان للماء في العالم هو سد مأرب .

ج ٤ مؤلفو الكتب التالية هم :

فجر الاسلام : أحمد أمين .

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني .

المنار المنيف في الصحيح والضعيف : شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم .

جمال على معطف القيصر : زيغريد هونكة .

لحن العامة : ابن هشام اللخمي .

عجائب المخلوقات : زكريا محمد القزويني .

الصيدلة في الطب : أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني .

مسالك الأبصار في ممالك الأمصار : ابن فضل الله العمري .

حديث عيسى بن هشام : محمد إبراهيم المويلحي .

الجامع لمفردات الأدوية : ضياءالدين عبدالله بن أحمد المالقي المعروف بابن البيطار .

ج ٥ أول فدائي في الاسلام اعتبره المؤرخون الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

ج ٦ فيزوف : يقع بالقرب من مدينة نابولي في إيطاليا .

ميرابي : في أندونيسيا .

تآل : في الفلبين .

مونت لا منجتون : في غينيا الجديدة .

أريزونا : في المكسيك .

ج ٧ أول سكرتير للأمم المتحدة هو السياسي النرويجي تريجفي لي .

ج ٨ الهاتف : جراهام بل .

السيمافور : شابيه .

اللاسلكي : جوجليملو ماركوني .

ج ٩ بعض أنواع السرطان .. وأسبابها :

سرطان الرئة : أكثر شيوعاً ، وينتشر بين المدخنين وبعض من يزاولون مهنة التعدين .

سرطان الجلد : من أسبابه التعرض لأشعة الشمس فوق البنفسجية .

سرطان البلعوم والفم والحلق والحنجرة والكبد : ومن أهم أسبابه التدخين والكحول .

سرطان الكولون : ومن أسبابه تناول كميات كبيرة من اللحوم .

سرطان المعدة : ومن أسبابه تناول الأطعمة المدخنة كالأسماك والمواد الكيماوية المتشكلة في هذه الأطعمة .

ج ١٠ الملكة المسلمة التي ماتت مقتولة بعد أن تولت الحكم ثمانين يوماً ، وكان لها الفضل في انتصار المسلمين على إحدى الحملات الصليبية هي شجرة الدر .



مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

المراسلات
الرياض - المملكة العربية السعودية
مجلة الفيصل
ص.ب (٣)
هاتف : ٤١٩٦٨

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

البلد	السعر
المملكة العربية السعودية	٦ ريالات
الكويت	٣٠٠ فلس
الامارات العربية المتحدة	٥ دراهم
قطر	٥ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
سلطنة عمان	٣٠٠ بسة
الأردن	٢٥٠ فلساً
ج.ع. اليمنية	٣ ريالات
ج. اليمن الديمقراطية الشعبية	٤٠٠ فلس
مصر	٢٠٠ مليم
السودان	٢٥٠ مليماً
المغرب	٤ دراهم
تونس	٤٠٠ مليم
الجزائر	٤ دنانير
العراق	٣٠٠ فلس
سوريا	٣٠٠ قرش
لبنان	٣٠٠ قرش
ليبيا	٤٠٠ درهم

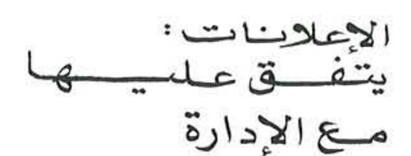
ALFAISAL
MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE
PUBLISHED BY
AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

All Correspondence To:
Riyadh-Saudi Arabia
Al-Faisal Magazine
P.O.Box 3
Tel.: 41968



البلد	السعر
بريطانيا وايرلندا	١,٢٥ جنيها استرلينيا
فرنسا	١٠ فرنكات
هولندا	٧,٥ فلورن هولندي
بلجيكا	١٠٠ فرنك بلجيكي
سويسرا	٧ فرنكات سويسرية
المانيا الغربية	٧ ماركات ألمانية
ايطاليا	٢٠٠٠ ليرة ايطالية
اسبانيا	١٠٠ بيزيتا اسباني
البرتغال	٨٠ اسكودو
اليونان	١٠٠ درخما
الدانمرك	١٥ كرونا
النرويج	١٥ كرونا
السويد	١٥ كرونا
فنلندا	١٥ كرونا
الولايات المتحدة الامبريكية	٢,٥٠ دولاران ونصف
الباكستان	١٠ روبيات



أسعار الاشتراكات السنوية

للأفراد ١٠٠ ريال سعودي
لغير الأفراد ٢٠٠ " "
ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

مطابع شركة الطباعة العربية السعودية العمارية ، الرياض